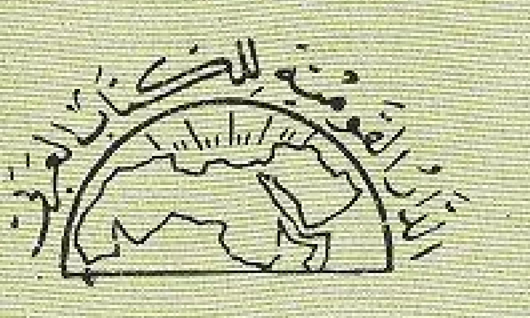
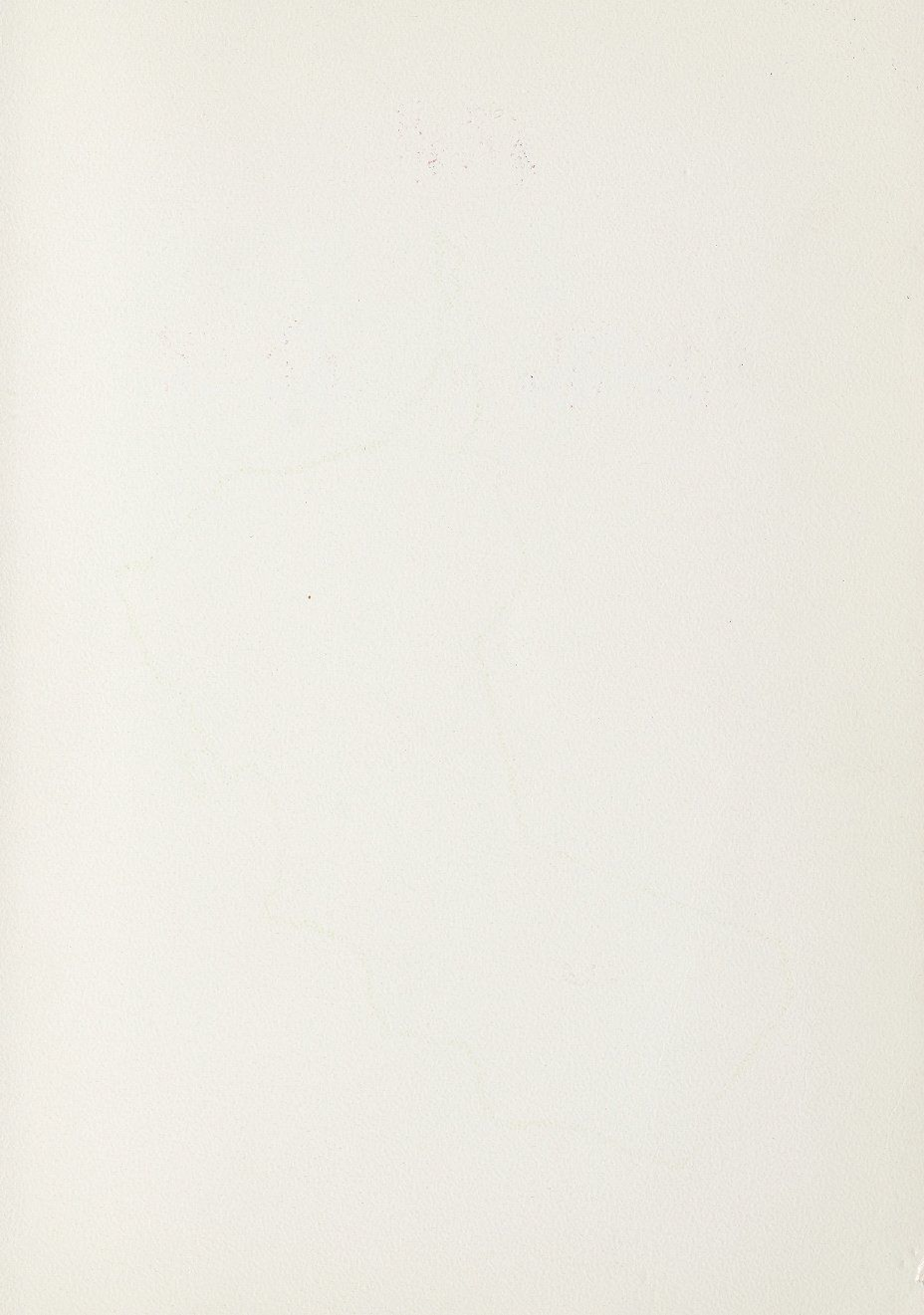


الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان

دراسة ومشاهدات

تأليف: د. خالد يحيى العزي

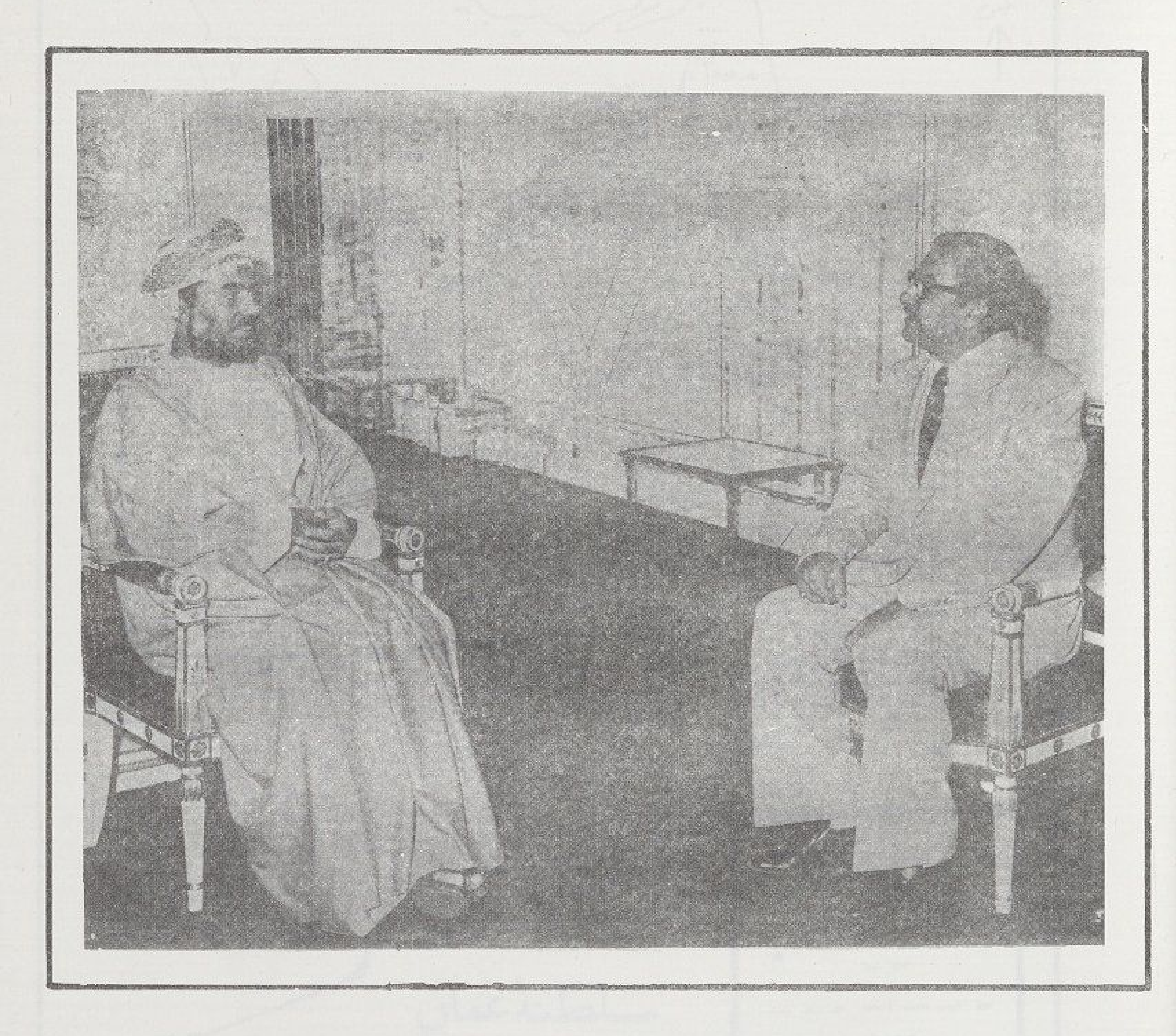


الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان

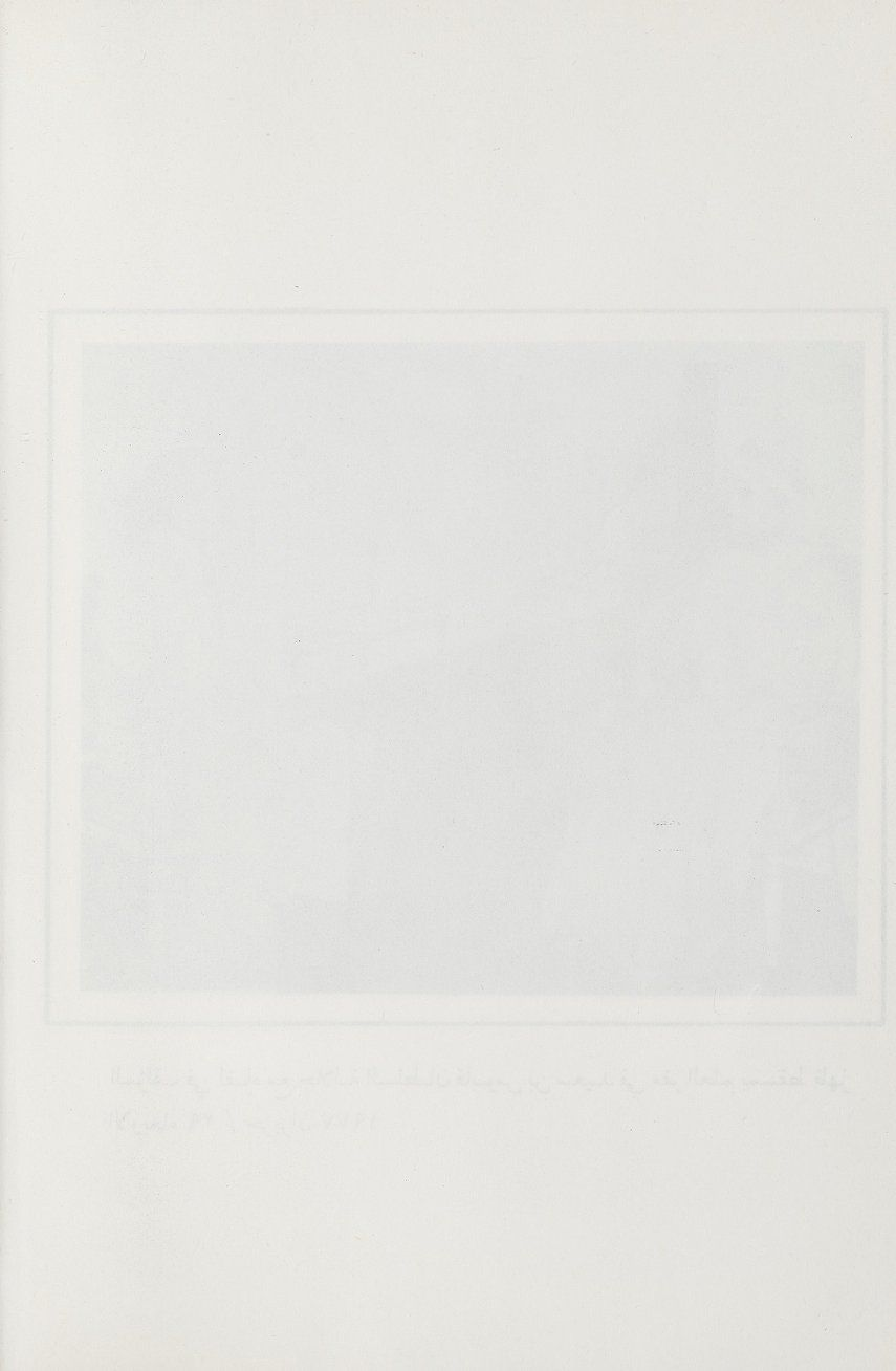
دراسة ومشاهدات

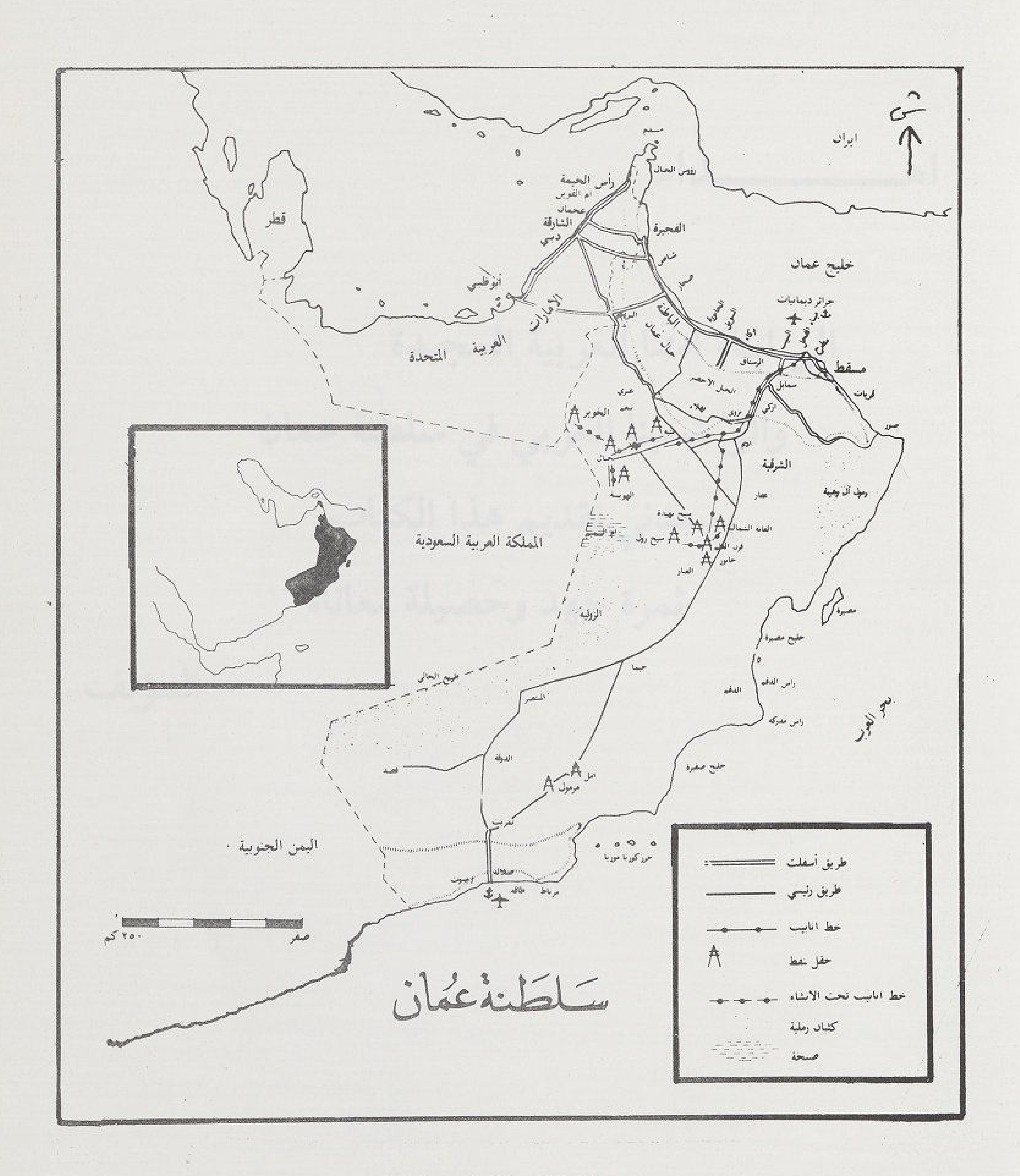
تأليف

الدكتور خالد يحيى العزي

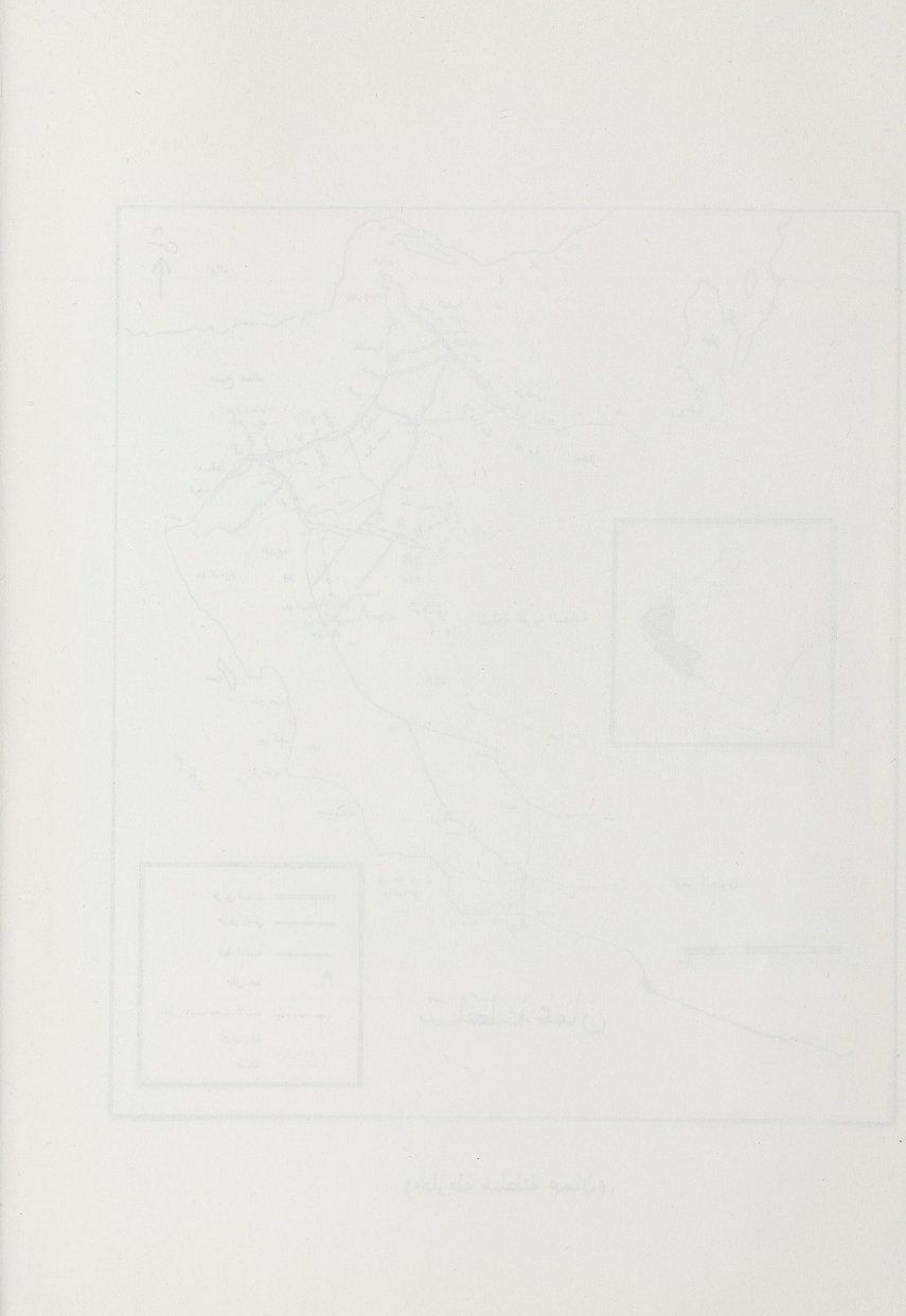


المؤلف في لقاء مع جلالة السلطان قابوس بن سعيد في مقر العلم بمسقط ظهر الاربعاء ٢٩ / حزيران ١٩٧٧





(خارطة سلطنة عمان)



اهـــــــداء

الى ابناء امتنا العربية المجيدة

والى شعبنا العربي في سلطنة عمان

يسعدني تقديم هذا الكتاب

ثمرة جهد وحصيلة معاناة

المؤلف

مقـــــــــدمة

عرفت الصديق الـدكتور خالد يحيى العزي منذ زمن بعيد عندما كنت ارجع لدراساتـه حول الخليج العربي وشط العرب ، فكنت معجبا بمتابعاته ونتائج ابحاثه التي نجد فيها الاصالة العربية الحقة والقيم القومية الهادفة .

وقد لازمت بعدئذ الدكتور العزي في سيرته العلمية وتابعت انشطته المختلفة فوجدته معينا لا ينضب ، له صبر الباحثين وتواضع العلماء ونفس الجندي المخلص في معركتـه ، يحـاول ان ينتصـر لقضيتـه القومية بقلمه وفكره فأعطى قضية الصراع العربي الفارسي الاولوية في كتاباته فبرع بها واجاد فاستحق الثناء .

واليـوم ايهـا القـارىء العزيـز يقـدم لنا الدكتور العزي كتاباً آخر حول سلطنة عمـان ، حيث تابـع من خلال مشاهـداتـه واقعها التاريخي والحضاري والسياسي فجاءت كتاباتـه لتحتـوي على معـايشـة حقيقية ودراسة ميدانية لواحدة من اقطار الخليج العربي .

ان الاحـداث التي جمعهـا هذا الكتـاب والمعلومـات المفيدة الي تضمنتها فصوله والانطباعات الشخصية التي تضمنتها مادته والضوء الذي القاه على النهضة المعاصـرة في السلطنـة تجعـل للكتـاب أهميـة خاصة ، حيث انه مزج بين تقصي الحقائق في بطـون الكتب التـاريخيـة وبين تقصيهـا في جولاته التي شملت طول البـلاد وعـرضهـا والتي تقع ضمن ما يمكن ان نطلق عليه (ادب الرحلات) ، كما انه ربـط ما بين اوجـه الحيـاة العمـانية المختلفة من اثار وتاريخ وتراث وجغرافية وسياسة وسكان وتنمية وثروات طبيعية وزراعية واقتصادية ، وشمل دراسته الادارة والخدمات والتعليم والفلكلور الشعبي والسياحة وغيرها ، فجاء الكتاب شاملا يغطي كافة اوجه المعرفـة العمـانيـة ، وهوبهذا يعد بمثابة موسوعة عمانية يستطيع القارىء ان يرجع اليها في كل ما يرغب الوقوف عليه عن ذلك الجزء من الوطن العربي .

أملي ان يأخذ الكتاب مكانه في المكتبة الخليجية وأن يوفق مؤلفه في بحوث اصيلة ترفد قضية الخليج العربي بما تحتاجه والله الموفق.

بغداد ـ كانون الثاني ١٩٨٥

الدكتور مصطفى عبد القادر النجار
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

مدخل الى الكتاب

عزيزي القارىء . .

عندما اصدرت كتابي الموسوم «الخليج العربي في ماضيه وحاضره عام ١٩٧٢، استقبله القراء الكرام والمعنيون بشؤون الخليج، قبولا حسنا فنفذت جميع نسخه في العراق، الا نسخا معدودة طلبتها دولتا قطر والامارات العربية المتحدة، والا ما ارسلته بالبريد هدايا الى السادة رؤساء الدول العربية وبعض مسئوليها من الاصدقاء، حيث تفضل بعضهم بالرد مثمنا جهد اعداد الكتاب ومادته العلمية.

ولقد كان ممنّ تفضل بالرد والتثمين مشكورا السيد وزير شؤون الديوان السلطاني لسلطنة عمان الشقيقة، حيث أرسل رسالته المؤرخة في ٢٢ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ التي جاء فيها :

«ونود ان نفيدكم بأن كتابكم هذا قد وضع في محل القبول والاستحسان من لدن جلالته رغم انه لم يحتوي على شيء عن السلطنة، الا انه كان شيقا للغاية لما يحتويه من معلومات قيمة عن الخليج العربي في ماضيه وحاضره» ثم أضاف :

«اننا نتطلع الى زيارتكم لبلدنا عمان لكي يتسنى لكم الكتابة عنها عند اعادة طبع الكتاب او اصدار كتاب خاص وذلك لتعريف العالم أجمع بواقع عمان الحضاري والتاريخي».

لقد أسعدني هذا الخطاب حيث كان من أمنياتي ان ازور سلطنة عمان منذ كنت مديرا عاما لدائرة العمل والعمال المستحدثة في حكومة قطر آنذاك، منتدبا من جامعة الدول العربية عام ١٩٥٩ حيث قضيت عاما كاملا في دولة قطر. الا انني لم أستطع الحصول في حينه على تأشيرة الدخول الى السلطنة المقفلة آنذاك.

وعندما أتيحت لي فرصة زيار منطقة (البريمي) اثناء جولتي في امارات الخليج العربي عام ١٩٦٩، وقد كنت مديرا عاما للدائرة السياسية لمجلس الوزراء العراقي، من اجل جمع المعلومات لكتابي عن الخليج العربي واماراته، زرت القرى التابعة للسلطنة في منطقة البريمي، وهي قرى (صحرا وحماسة والبريمي)،

فوجدتها تعيش الظلام والفقر والجهل والمرض مما دفعني الى تدوين ملاحظاتي في الصفحة (٢٥٩) من كتابي المذكور، مشفقا وراجيا ان تتاح لي فرصة زيارة سلطنة عمان وقد تغيرت فيها الاحوال وصلحت الامور.

وتمر الايام دون أن تصلني تأشيرة الدخول التي طلبتها من السيد وزير الديوان السلطـاني ردا على خطـابـه، حتى التقيت بالشيخ مسلم بن علي بن سالم البو سعيدي سفير السلطنة في بغداد في اوائل عام ١٩٧٧، فاستفسر مني عن سبب عدم اجابتي الـدعـوة التي سبق ان وجهت الي من الـديـوان السلطاني لزيارة عمان عام ١٩٧٣، وعندما اخبرته بانني لم اتسلم اية دعوة في هذا الصدد كما انني لم اتسلم ردا حول طلبي تأشيـرة دخـول للسلطنـة.. عجب من الامـر، ثم فاجأني بعـد ايام بدعـوة موجهـة من وزارة الاعـلام والثقـافـة لزيارة السلطنة فكان ان وصلتها ظهر يوم ١٩٧٧/٢/١٦ ووجدت من يستقبلني في مطار السيب الدولي ويفتح لي باب صالة الشرف بترحيب واعتزاز.

لقد قضيت في سلطنة عمان الشقيقة ٢٥ يوماً حافلاً واقترحت منهج زياراتي ومقابلاتي على وزارة الاعلام والثقافة حيث نفذ المنهج كما اقترحت، وتجولت في ارجـاء السلطنـة بكـل حريـة وانفتـاح غير ان مرضي المفاجىء حال دون تنفيذ بقية فقرات المنهج كلها فعدت الى بغداد بعد تسجيل ندوة تلفزيونية في تلفزيون صلالة ثم تفضلت وزارة الاعـلام والثقـافـة مشكـورة فكـررت دعـوتها لاستكمال زيارتي ومنهجي المـرسـوم فكان ان وصلت مسقط يوم ١٩٧٧/٦/١٣ حيث قضيت (٢٨) يوما حافلا وتشرفت بمقابلة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ظهر يوم ١٩٧٧/٦/٢٩.

وبعـد.. فان كتـابي هذا في حقيقتـه محـاولـة قوميـة للتعريف بواقع عمان الحضاري والتاريخي انطلاقا من ايماني بعروبتي وبضرورة التعرف على قطر عربي ظل مجهـولا ردحـا من الـزمن.. علاوة على ان كتـابي هذا سجل لانطباعات رحلة قصـدت بهـا ان اجعلك تطـوف معي.. اخي العربي في جزء ناء من وطننا العربي الكبير لـم تتح زيارته الا للقليل القليل من ابناء العروبة بهذا الاتساع.

.. انـه تتمـة لجولتي الكبيـرة معـك في كتـابي (الخليج العربي في ماضيه

وحاضره) إذ لم اكن تناولت سلطنة عمان بالبحث في ذلك الكتاب، لانني لم اكن زرتها بعد وقد جعل الله سبحانه وتعالى من السفر والترحال بعض هواياتي التي اجد فيها سعادتي.

هذا.. ولقد آثرت يا عزيزي القارىء ان اجعل كتابي هذا الذي بين يديك في قسمين، تحدثت بصورة مكثفة في القسم الاول فيه، تحت عنوان (عمان عبر التاريخ) عن هذه الرقعة العزيزة من وطننا العربي الكبير وعن تاريخها العريق واحداث التاريخ فيها منذ نشأ فيها الفينيقيون حتى اشراقة عهدها الجديد في عام ١٩٧٠.

اما القسم الثاني من الكتاب والذي اطلقت عليه عنوان (عمان في مسيرتها الجديدة) فقد تحدثت فيه عن الوجه الجديد لهذه الدولة العصرية التي لم تبلغ ثماني سنوات من عمرها السعيد عند زيارتي اياها والتي لمع اسمها على المستوى العربي وعلى المستوى الدولي خلال هذه الفترة الوجيزة، كما ضمنت هذا القسم من الكتاب انطباعاتي ومشاهداتي عبر الجولات السياحية التي قمت بها في ارجاء السلطنة حيث جبت جبالها وسهولها ووديانها وانهرها وجزرها ووصلت في تجوالي الى اقصى جوانب حدودها الدولية واطلعت على عادات شعبها العريق في افراحه وتقاليده وفروسيته وتراثه وتقاليده.

وختاما.. ايها القارىء الكريم.. لقد كتبت لك في ثنايا هذا الكتاب ما رأيت وما سمعت وما قرأت بكل صدق وبكل اخلاص وبكل تجرد عن الهوى، فعساني اسهمت بجهدي المتواضع في التعريف ببلد عربي شقيق احببته وتمنيت زيارته انطلاقا من عشقي العربي وايماني بوحدة امتنا العربية وعذرا لك عزيزي القارىء ان تأخر صدور الكتاب حتى هذا اليوم لاسباب اضطرارية لا يد لي فيها ولا حيلة لي في دفعها.. والله من وراء القصد حسبي.

بغداد - ١٩٨٥ الدكتور خالد العزي

القسم الاول
عُمان عبر التاريخ

الفصل الاول
عمان في كتابات الاقدمين

عمان في كتاب الاقدمين :

لقد أسهب الرحالة والجغرافيون العرب في وصف عمان (بضم العين) وتحديد موقعها، فكتب ابن خلدون في (مقدمته) يقول «هي من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن والحجاز وشحر وحضرموت وعمان، يعني ان عمان بعض جزيرة العرب المشتملة على هذه البلدان، وهي خامسها، اقليم سلطاني متفرد على بحر (فارس) من غربيه مسافة شهر وشرقيها بحر (فارس) وجنوبها بحر الهند وغربيها بلاد حضرموت وشمالها البحرين، كثيرة النخيل والفواكه وبها مغاصات اللؤلؤ وسميت بعمان بن قحطان ودخلها الاسلام وملوكها (بنو الجلندي) ولها حروب مع عمال بني بويه وقاعدتهم (نزوي) وقد هاجرت اليها قبائل من العرب بعد (سيل العرم) وبعد حروب بينهم وبين المحتلين الفرس، شديدة وقد سموها (عمان) باسم وادي كانوا ينزلون حوله اذ كانوا في مأرب[1].

اما ياقوت الحموي فيقول : (عمان بضم أوله وتخفيف تانيه واخره نون) اسم كورة عربية، على ساحل اليمن والهند. وعمان تشتمل على بلدان كثيرة ذات زرع ونخل الا ان حرها يضرب به المثل[2].

وقال الاصطخري : عمان مستقلة باهلها وهي كثيرة النخيل والفواكه من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك وقصبتها (صحار) وهي على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب. وهي أعمر مدينة بعمان واكثرها مالا ولا تكاد تجد على شاطيء البحر بجميع بلاد الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار[3].

---

(١) تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان ـ نور الدين عبدالله بن حميد السالمي ج١ ص ٦ـ٧ (طباعة وتجليد دار الطليعة في الكويت ـ الطبعة الخامسة ١٩٧٤، وهو جزآن.

(٢) دولة اليعاربة ـ عائشة السيار ـ دار القدس للنشر ـ بيروت ١٩٧٥ ص١٧ .

(٣) نفس المرجع ص١٧.

وقال ابن بطوطة : بلاد عمان خصبة ذات انهار واشجار وبساتين وحدائق نخيل وفواكه كثيرة مختلفة الاجناس ووصلنا ان قاعدة هذه البلاد وهي مدينة (نزوى) وتقع على جبل تحف به البساتين والانهار ولها اسواق حسنة ومساجد ولهم نجدة وشجاعة والحروب بينهم قائمة ابدا، وهم اباضية المذهب[٤].

سبب التسمية :

ويحدثنا التاريخ بأن أول من سكن (عمان) في القديم فرع من العرب البائدة الذين يطلق عليهم اسم (العماليق) ثم نزلتها بعد ذلك قبيلة (عمان) القحطانية التي اعطت اسمها للبلاد فدعيت ببلاد (عمان) ثم حدث بعد انفجار (سد مأرب) ان رحلت قبائل (الازد) وهي من كبرى بطون (كهلان) وضربت في الارض فسكن قسم منها تلك البلاد فسموا (ازد عمان). ويظهر ان أول بقعة جذبتهم لسكنى تلك البلاد هي الجبل الاخضر حيث الارض الخصبة والماء الغزير ثم توزعوا من هناك في سائر القطر انجادا وسواحل. وأما باقي البطون من الأزد فقد تابعوا سيرهم الى بلاد أخرى وقد تبع ازد عمان قبائل اخرى عدنانية وقحطانية بعد ذلك حيث سكنت تلك البلاد[٥].

ولقد خضعت عمان كما حدثتنا الروايات التاريخية الى حكم الاحباش لفترة طويلة ثم احتلها الفرس الذين طردوا الاحباش وحكموها منذ عام ٥٩٧ ق. م حتى انهيار سد مأرب عام ١٢٠ م حيث هاجرت قبائل الازد من اليمن الى عمان واطلقوا على المنطقة التي هاجروا اليها اسم (عمان) تخليدا لواد كانوا يسكنونه في مأرب يقال له (عمان) فشبهوها به[٦].

---

(٤) للتفصيلات يراجع كتابنا الخليج العربي في ماضيه وحاضره، طبع بغداد الصفحات ٢١٣ ـ ٢٥٣.

(٥) عمان والامارات السبع ـ عبد القادر زلوم ـ منشورات مكتبة دار الحياة ـ بيروت ١٩٦٣ ص١٠.

(٦) دولة اليعاربة ـ المرجع السابق ص١٧.

ان هذه التسمية تجرنا الى معاودة الحديث عن اسم (عمان) على انها (أمانا) أو (أرض أمانا)[٧]. ويربط بعض المؤرخين بين اسم (آمون) وكلمة (عم) أو (أمو) باعتبار ان الشعوب السامية اضاعت (العين) بعد نزوحها عن الجزيرة العربية فأخذت تنطقه بالالف فتقول (آمون) أرض اللبان المقدس[٨].

وأما عن التسمية الحالية (عمان) فان ابن خلدون يقول في مقدمته بان (يعرب بن قحطان جد العرب الجنوبيين) استولى على هذا القطر بعد ان انتزع اليمن من أيدي قوم (عاد) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وولى عليه ابنه المسمى (عمان) وكان يعرب بن قحطان من اعاظم ملوك الارض كما يقول ابن خلدون وانه كان أول من حياه قومه بتحية الملك بعد ان فتح اليمن والحجاز وحضرموت.

أما بالنسبة (للعماليق) فيقول المؤرخ العراقي الدكتور جواد علي بأن (عماليق جد العماليق هو شقيق طسم ويذكرون انهم كانوا أمما كثيرة تفرقت في البلاد فكان منهم أهل عمان والحجاز وأهل الشام ومصر).

وقد روى المؤرخون بعض الطرائف المتعلقة بعمان ونقلوا الاشعار عن زعمائها ومن الاشعار التي نسبت الى (مالك بن فهم) عند نزوحه الى عمان عام ٦٣٥ قبل الميلاد ما رواه (أبو المنذر بن هشام الكلبي) حيث قال: (لما خرج مالك بن فهم من (السراة) يريد عمان، وقد توسط الطريق حنت ابله الى مراعيها واقبلت تتلفت نحو (السراة) تردد الحنين، قال مالك في ذلك:

تحن الى أوطانها نذل مالك	ومن دونها عرض الفلا والدكارك
وفي كل أرض للفتى متقلب	ولست لدار الذلّ يوماً برامك

---

(٧) دولة بني سعيد في عمان وشرق افريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١ الدكتور جمال زكريا قاسم القاهرة ١٩٦٢ - ص٧.

(٨) لزيادة الاطلاع في هذا الموضوع اللغوي يراجع كتاب (مغامرات لغوية) ص٩-٢٨ للاستاذ عبد الحق فاضل توزيع دار العلم للملايين في بيروت (غير مؤرخ).

وعن أول دخول عربي منظم الى عمان، يستكمل المؤرخ العماني (السالمي) المتوفي عام ١٩١٣ حديثه بالنسبة لقصة (مالك بن فهم فيقول):

تحدثنا الروايات والاخبار ان مملكة (سبأ) العظيمة بدأت بالضعف والانهيار نتيجة لضعف حكامها المتأخرين واهمالهم شئون (سد مأرب) الذي كان يعتمد عليه السكان اعتمادا كليا في زراعتهم. ونتيجة لاهمالهم انفجر السد فاهلك الحرث والنسل واخذت القبائل اليمانية ترحل الى بلاد اخرى، فكان ان توجهت (قبيلة الازد) الى اطراف مكة وأرسلت رسلها الى الانصار كي يبحثوا عن أرض جديدة توفر لهم الحياة الجيدة. . .

وكان من جملة من خرجوا، شاب يملأ الطموح صدره، متوقد العزيمة، بعيد الآمال واسعها، الا وهو (مالك بن فهم الازدي)، فسار الى السراة ومنها الى عمان. .

وينقل المؤرخ (السالمي) عن (المسعودي) قوله: (ان مالكا سار من اليمن مع ولد (جفنة بن عمر بن عامر)، فسار اولاد (جفنة) الى الشام، وانفصل عنهم (مالك) حيث توجه ومن معه من قومه الى عمان، فكان لا يمر بقبيلة الا سالموه واكرموه خشية بأسه وقوته حتى وصل الى وادي (برهوت) من أعمال (حضرموت)، ودخل الى عمان من جانب (قلهات) على الشاطىء العماني وآثر السلامة في بادىء الامر، حيث ارسل الى (المرزبان) عامل الفرس على عمان يطلب منه السماح له بالنزول في أرض عمان وان يمكنه من الماء والكلأ. .

ولكن المرزبان الفارسي رفض طلبه. وهنا كان لابد لمالك من القتال.

فأخذ الطرفان يستعدان للمعركة الفاصلة، ثم تقابلا في صحراء (سلوت)، وكان الجيش العربي بقيادة (مالك) يبلغ زهاء ستة آلاف مقاتل، وكان عليهم ان يقابلوا ثلاثين ألفا بقيادة (المرزبان) الذي كان قد اتخذ (بهلا) عاصمة له.

ولم يفت هذا في عضد (مالك) وجنده بل تقدموا تواً الى المعركة وقلوبهم ثابتة واثقة من النصر، ولقد استمرت المعركة ثلاثة ايام كاملة استطاع (مالك) في النهاية ان يحرز نصرا مؤزرا على الفرس وان يحتل (بُهلا) التي يقدر عمرها بثلاثة آلاف عام.

هذا ولقد كان لعمان دوما دور حضاري على مر التاريخ ، فمن يتتبع تاريخ عمان الطويل يجد الكثير من الصفحات المشرقة التي تؤكد مدى عظمة التاريخ العماني وما قدمه للحضارة الانسانية في شتى المجالات الثقافية والاقتصادية والعمرانية ، فلم تنشأ البلاد العمانية من فراغ ولكنها ملء السمع والبصر منذ عشرات القرون فمنذ عشرة الاف سنة خلت كانت حدود الصحراء العربية الكبرى على الجانب العماني اقل جدبا عندما كان الصيادون العمانيون يقيمون على ضفاف البحيرات ، كما تشهد بذلك اثارهم التي خلفوها وراءهم . .

ولقد كانت عمان أول بلد يدخل في ظل الدولة الاسلامية في حياة الرسول الكريم ، وكان جامع (صحار) واحدا من الجوامع القليلة التي كان يتجمع في رحابها المسلمون من شتى انحاء الجزيرة العربية قبل وفاة الرسول الكريم . . .

وفي القرن العاشر كانت (صحار) عاصمة الدولة العمانية ومن اهم موانئ المحيط الهندي وقد وصفها احد المؤرخين بقوله :

«انه يكاد يكون من المستحيل ان نجد مدينة اخرى في الخليج العربي اوفي قطر آخر من اقطار العالم الاسلامي تضارع صحار في روعتها المعمارية وفي أسواقها» . .

أقوال الكتاب المعاصرين :

يقول المؤرخ الانكليزي (روبرت جيرار لاندن) في كتابه (عمان مسير ومصيرا) الذي ترجمه الى العربية الكاتب العماني الاستاذ أمين عبدالله ، عن عمان قبل القرن التاسع عشر (ظهر في عمان في فترة مبكرة جدا من التاريخ نموذج لحضارة متميزة شهدتها منطقة الخليج ، فكان للبحر والجبال التي تحيط بعمان والصحراء التي تخترقها تأثير اساس على نفسية الشعب وأسلوب تطوره كما كان البحر همزة الوصل الوحيدة بين عمان والعالم الخارجي) . .

وفضلا عن اهمية البحر كطريق دولي يربط عمان ومدنها الساحلية بالعالم الخارجي، فانه مورد هام لمعيشة الجانب الاكبر من سكان البلاد. وعلى الرغم من امكان اجتياز الصحراء فانهالا تزال تشكل العائق الرئيسي الذي يحول بين عمان والاتصال المباشر بداخلية شبه الجزيرة العربية، كما ان سلاسل الجبال الشاهقة والوديان التي تتخلل عمان تشكل سدا منيعا يحميها من التدخلات الخارجية سواء كانت جيوشا غازية او افكارا غريبة.. [٩]

وتعتبر عمان افضل المناطق السياحية في الخليج من حيث وفرة المياه وغيرها من الموارد الطبيعية حيث اشتهرت عمان في الماضي بوجود مناجم النحاس والفضة، كما احتلت مسقط مكانا بارزا بين مدن عمان بسبب مرفئها الجميل وموقعها الجغرافي اما المدن الداخلية فتقع عادة بين عدد من الواحات..

وبشكل عام فان عمان كانت على مدى القرون اكثر استجابة للاحداث العالمية واكثر استعدادا للقيام بدور فعال في تلك الاحداث عن باقي المنطقة..

ويقول الدكتور جمال حمدان محللا الدور الحضاري والتطور السياسي لعمان ما خلاصته:

«ان الشيء الذي يدعو الى الاعجاب بعد الدهشة ثم الى التساؤل بعد الاعجاب هو ان هذا القطر العربي الذي لا يكون بالغ الضخامة مساحة او سكانا ولا هو فاحش الثراء بمقاييس الجغرافية والاقتصاد، قد انشأ امبراطورية كبيرة بكل معنى الكلمة وبكل مقياس ومن قبل ومن بعد كان يلعب دائما دورا حيويا ومتألقا في مجاله الاقليمي الواسع، ومن بعد هذا وذاك ايضا لعب دورا مشرقا وباسلا في مناجزة الاستعمار الآتي عبر البحار..

لقد كان هذا الاقليم قصرا شاهقا من قصور الامبراطورية العربية زمنا طويلا ثم قلعة من قلاع الصمود العربي ضد الاستعمار..»

---

(٩) من مقال لمجلة (الاسرة) العمانية - العدد ٤٩ في ١٥ نوفمبر ١٩٧٦.

أما الدكتور جمال زكريا قاسم ـ استاذ التاريخ بجامعة عين شمس المصرية ـ فيقول عن تاريخ عمان القديم، (في خلال العصر الاسلامي الاول ساهمت عمان مساهمة فعالة في تأكيد الشخصية العربية الاسلامية لمنطقة الخليج فقد شهد ذلك العصر تفوقها في مجال القوى الملاحية والحضارية ليس في منطقة الخليج فحسب وانما في بحار الشرق بصورة عامة. فقد كان العمانيون اول من وطىء الساحل الشرقي لافريقيا حيث ساعدت العوامل الجغرافية فضلا عن عوامل الجوار على تنشيط حركة الملاحة بين عمان وبين الساحل الشرقي لافريقيا لان الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي كانت تمكن السفن العمانية من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود، كما ان العمانيين اندفعوا الى الشرق الاقصى حيث ثبت وجود عدة مستوطنات عربية في سواحل الهند والصين وكان للعمانيين الفضل الاول في نشر الاسلام في تلك البقاع..

وقبل ان نختتم بحثنا عن اقوال الكتاب المعاصرين في عمان، نود ان نبين بان التاريخ العماني لم يسجل تسجيلا واضحا. وفي ذلك يقول الدكتور فاروق عمرفوزي استاذ التاريخ بجامعة بغداد ـ في مقال له في جريدة (عمان) الصادرة في عمان بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٧٧ بان المؤرخ (بروكلمن) يؤكد ندرة المخطوطات والكتب التي تبحث بتاريخ عمان، كما يشير الى انه لم يعثر على مصادر مهمة حتى بداية القرن الحادي عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي). ان تاريخ عمان في العصر الوسيط تاريخ غامض متشابك ومعقد ولا نملك عنه مصادر موثوقة. وربما كان مصدرنا الوحيد حتى وقت قريب، روايات الاخباريين المبعثرة في كتب التاريخ العام، على ان اهم مصدر وصلنا حتى الان في تاريخ عمان المحلي هو كتاب (كشف الغمة الجامع لاخبار الامة) لمؤلفه سرحان بن سعيد الازكوي الذي ألفه سنة ١٧٢٨، ولا يزال هذا الكتاب مخطوطا ومحفوظا في مكتبة المتحف البريطاني. وهناك مخطوطة ثانية تعالج تاريخ عمان الفها (سليل بن رزيق) وعنوانها (تاريخ ائمة وسادة عمان) وتشمل الفترة بين ١٦٦١ الى ١٨٥٦ ميلادية. وقد ترجمها الى الانجليزية (جورج بيرس باجر) سنة ١٨٧١، غير ان هذه المخطوطة

تفقد الكثير من اهميتها حين تقارنها بمخطوطة (الازكوي) آنفة الذكر، ذلك لان الثانية تقتبس الكثير من معلوماتها عن الاولى دون ان يشير المؤلف الى ذلك. ومع ذلك يبقى كتاب (كشف الغمة) من احسن كتب التاريخ العماني المحلي..

اما المصدر الثالث في تاريخ عمان المحلي فهو كتاب (تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان) لمؤلفه نور الدين عبدالله بن حميد السالمي - المتوفي سنة ١٣٣٢هـ، (١٩١٣م). وهو كما نلاحظ كتاب متأخر في تصنيفه وانه يجمع مادته من مصادر قديمة من القرنين الثاني والثالث الهجريين مثل كتب ابي عبيدة والاصمعي والجاحظ والمسعودي وكذلك ابن الاثير وابن خلدون..

هذا ولقد اعتمد بعض مؤرخي تاريخ عمان في معلوماتهم على مخطوطة (انساب العرب) لابي المنذر سلمة بن مسلم العتبي، حيث يرى المستشرق (ولكنسن) بان الكتاب الف في اواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)..

وقد نقل (ابن رزيق) مادته التاريخية في كتابه الموسوم (الصحيفة القحطانية) نقلا غير موثوق من «العتبى» دون ان يشير اليه، كما أخذ عنه (الساطي) في تحفته.

اما بالنسبة لكتاب (كشف الغمة الجامع لاخبار الامة) الذي يعتبر مصدرا هاما من مصادر التاريخ العماني فقد اصدرت (دار الدراسات الخليجية) كتابا بعنوان (تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة المذكور، وقد حققه الاستاذ عبد المجيد حسيب القيسي حيث قال بان ظاهر هذا الكتاب انما هو كتاب تاريخي يشمل تاريخ العرب منذ ايام الجاهلية حتى اواسط العصر العباسي ثم يعرج على تاريخ عمان فيخصص له فصولا من الكتاب، وبهذا فهو يعتبر المصدر الرئيس ان لم يكن الاول للتاريخ العماني وعنه نقل من جاء بعده من المؤرخين.

وكتاب كشف الغمة في الواقع يبحث في نشوء العقائد الدينية حيث قال مؤلفه في مقدمته:

(صنفت هذا الكتاب وجعلت ظاهره في القصص والاخبار وباطنه في المذهب المختار.. عسى انهم لاصول المذهب يعرفون..).

وقد جاء في المقال الذي نشرته جريدة عمان بتاريخ ١٩٧٨/٤/٢٥ نقلا عن

محقق هذا الكتاب بان نسبة الكتاب لمؤلفه (سرحان بن سعيد الازكوي العماني)، نسبة مشكوك فيها حيث ان هنالك نسخا كثيرة من مخطوطة هذا الكتاب موجودة في مكتبات العالم منها نسخة في المتحف البريطاني واخرى في المكتبة الوطنية في باريس وثالثة في المكتبة الظاهرية بدمشق بالاضافة الى نسخ اخرى في الناصرة وتونس وميلانو وبرلين والدمام. وهذه النسخ جميعها تخلو تماما من اسم المؤلف المشار اليه فيما عدا نسخة واحدة قيل انها نسخة الدمام وهي التي تحمل اسم سرحان بن سعيد الازكوي.

وعودا على ما سبقت الاشارة اليه من ندرة المصادر والمخطوطات التي تبحث في تاريخ عمان فقد كتب الاستاذ محمد سعيد ناصر الوهيبي (العماني) تعقيبا جيدا في جريدة (عمان) الصادرة بتاريخ ١٦/٨/١٩٧٧ يرد فيه على الدكتور فاروق عمر فوزي بين فيه بأن هنالك الكثير من المخطوطات التي تحفل بها خزائن وزارة التراث القومي بسلطنة عمان وكلها تبحث في التاريخ ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ الفتح المبين المبرهن بسيرة السادة البو سعيدين لمؤلفها حميد بن محمد بن رزيق.

٢ ـ السيرة القحطانية لحميد بن محمد بن رزيق.

٣ ـ العقيدة العدنانية لحميد بن محمد بن رزيق.

٤ ـ الشعاع الشايع في ذكر اسماء ائمة عمان لحميد بن محمد بن رزيق.

٥ ـ السيرة الحلبية المسماة سعد السعود البو سعيدية لحميد بن محمد بن رزيق.

٦ ـ جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار لسعيد بن علي المغيري.

٧ ـ كشف الغمة الجامع لاخبار الامة لسرحان بن عمر بن سعيد الازكوي.

٨ ـ سيرة الامام ناصر بن مرشد لعبد الله بن خلفان بن قيصر الصحاري.

٩ ـ السيرة الكلوية لمحمد بن سعيد القلهاني.

١٠ ـ الأنساب لسملة بن مسلم العوتبي.

١١ ـ الجوهر المقتصر لناصر بن عبدالله بن موسى الكندي، وهو مخطوط يحتوي على سير بعض العلماء والأئمة والاشياخ في عمان لمؤلف مجهول.

١٢ ـ مخطوط في سير العلماء والأئمة والاشياخ في عمان لمؤلف مجهول.
١٣ ـ قصص واخبار جرت في عمان لابي سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي.
١٤ ـ كتاب في التاريخ العماني لمؤلف مجهول.
١٥ ـ سلك الجمان في اخبار الجبل الاخضر وتاريخ اهل عمان لمنصور بن حمدان الجابري.

اما بالنسبة لمخطوط (كشف الغمة) فقد اوضح كاتب المقال بان هنالك نسخة مخطوطة واحدة منه في مكتبة المتحف البريطاني اما النسخة الثانية التي تتكون من (٤٧) ورقة فانها اما ان تكون مخطوطة (قصص واخبار جرت في عمان) او مخطوطة (تاريخ عمان لمؤلف مجهول، وان الفرق بين هذه المخطوطات الثلاث المتشابهة والموجودة في المتحف البريطاني هي ان (كشف الغمة) يقف في اخباره عند عام ١١٤٠ هـ في حين تصل مخطوطة (المعولي) الى عام ١١٥٩ هـ اما مخطوطة المؤلف المجهول فتصل اخبارها الى عام ١٢١٥هـ، اي في عهد السيد سلطان بن احمد، ويحتمل ان تكون هذه الاخيرة من تأليف حميد بن رزيق بن بخيت.

ومما لا شك فيه انه بالاضافة الى مخطوطة (كشف الغمة) الموجودة بمكتبة المتحف البريطاني بلندن توجد ايضا نسخ مماثلة في كل من دمشق وباريس والقاهرة وبرلين والدمام وميلانو وتونس والمكتبة الخاصة للشيخ محمد بن عبدالله بن حميد السالمى والنسخة المصورة بمكتبة وزارة التراث القومي بسلطنة عمان.

إن مخطوطة (الفتح المبين المبرهن بسيرة السادة البوسعيدين) التي عاصر مؤلفها عهد السيد سعيد بن سلطان والتي تولى المستشرق الدكتور (باجر) ترجمتها الى اللغة الانجليزية عام ١٨٧١ بعنوان (تاريخ الائمة والسادة في عمان)، تعتبر المصدر الهام في التاريخ العماني او المرجع الاول لتاريخ دولة البوسعيد حيث تناولت الفترة منذ العهد الجاهلي حتى عهد السيد سلطان بن احمد البوسعيدي وتعد الفترة فيما بين عام ١١٥٤ هـ وعام ١٢٧٣ هـ اهم ما كتب في تاريخ عمان لانه

عاشها وعاصرها. وقد عمدت وزارة التراث القومي العمانية مشكورة الى تحقيق هذا الكتاب التاريخي ونشره منذ فترة قصيرة.

وفي ختام بحثنا هذا في مراجع التاريخ العماني لابد لنا من الاشارة الى ان بعض الرحالة والضباط السياسين البريطانيين قد جابوا البلاد العمانية وكتبوا عنها في القرنين التاسع عشر والعشرين، ومن هؤلاء (السير بيرسي س كوكس) (والكولونيل مايلز) و (اللفتننت كولونيل روس) وغيرهم ممن وردت اسماؤهم في هوامش هذا الكتاب.

عروبة عمان: اما بالنسبة لعروبة عمان فان الاساطير التي كشفت عنها الحفريات تروي بان اول من سكن شبه الجزيرة العربية هم (العرب العاربة)[10] الذين ظهر فيهم ابطال من ذوي القامات الضخمة ومن اشهرهم (عاد بن شدّاد) الذي كان يعيش في منطقة الكثبان الرملية بين عمان وحضرموت، والبطل (ثمود) الذي سميت قبيلته باسمه اسوة بعاد الذي اطلق اسمه على قبيلته كذلك. كما اطلق اسم بطلتين شقيقتين وهما (طسم) و(جديس) على قبيلتين من القبائل العربية وقد استقر احفادهما في منطقة (البوريمي).

ومن القبائل القديمة التي اطلقت اسماؤها على بعض الاماكن في عمان، قبيلة (صحار) التي ورد انها كانت تسكن الباطنة، و(اوبال) او (وبال) اللتين يوجد مكانان باسمهما احدهما في وادي بني رواحة والاخر قرب الرستاق، وقبيلة (باهلة) التي اطلق اسمها على مدينة (بهلا) وقبيلة (عك) التي اطلق اسمها على وادي (عك).

وتذكر احدى الروايات ان (سام بن نوح) عليه السلام سكن المناطق الممتدة من الحجاز حتى عمان، وان حفيده (سهيل) هو الذي انشأ مدينة (صحار) كما تذكر الروايات ان (بلقيس) ملكة سبأ، حكمت هذه المنطقة.

ويقال ان (يعرب) احد احفاد قحطان ملك اليعاربة قد بسط نفوذه وانشأ سلالة مالكة في المنطقة في القرنين السابع عشر والثامن عشر قبل الميلاد وبعث

---

(١٠) عمان ونهضتها الحديثة ـ دونالد هولي ـ السفير البريطاني في سلطنة عمان ـ منشورات دار ستاسي الدولية ـ لندن ص١٧.

اخوته ولاة على عمان والحجاز وحضرموت، وقد خلف (يشحب) اخاه (يعرب) ففقد نفوذه على عمان نظرا لضعفه الا ان ابنه (عبد شمس) استعاد ذلك النفوذ ويقال بانه هو الذي بنى (سد مأرب) في اليمن وبسط هيمنته على جميع انحاء جنوب الجزيرة وأسس اسرتين مالكتين كانت احداهما (الاسرة الحميرية التي حكمت اليمن ابتداء من عام ١١٥ق.م حتى قرب ظهور الرسالة المحمدية الشريفة.

ويقال بان سبب تسمية (حمير) بهذا الاسم انه كان يرتدي رداء احمر وهو ابن (عبد شمس) نفسه غير ان حكم الحميرين لم يستمر طويلا في عمان حيث احتلها (كورش) الاكبر الفارسي في عام ٥٦٣ قبل الميلاد واستقر الفرس في المناطق الزراعية الخصيبة من عمان في الفترة التي بدأت فيه هجرة قبائل الازد الى عمان بقيادة (مالك بن فهم) ودارك معارك عنيفة بينهم وبين الفرس انتهت بقيام (مالك) بقتل (المزربان) الفارسي في مبارزة فردية حيث اضطر الفرس الى طلب الصلح واستقامت الامور للعرب واصبح الازدملوكا في الصحاري والجبال وبقية مناطق عمان.

ويستدل من بعض الروايات ان الفرس كانوا موجودين في اجزاء من عمان وخاصة قرب (صحار) ظهور الاسلام، فقد بعث الرسول (ص) برسالة الى الحاكم المحلي الفارسي في حمستاجرد (صحار) يدعوه فيها الى الدخول في الاسلام، غير ان رفض الفرس اعتناق الاسلام ادى في النهاية الى تمكن الازد من اخراجهم من عمان كلها.

العمق التاريخي لسلطنة عمان

لقد اثبتت كتابات المؤرخين بان عمان الكبرى كانت تشتمل على المنطقة الممتدة بين شبة جزيرة قطر على الخليج العربي وبين الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية على البحر العربي حتى حدود جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية حيث يحدها من الشمال الخليج العربي ومن الجنوب البحر العربي، واما من الشرق فيحدها خليج عمان او بحر عمان كما تنتهي حدودها الغربية بصحراء الربع الخالي في المملكة العربية السعودية، فهي بلاد متسعة تطل على الصحراء من جهة، كما تطل على البحر من الجهة الاخرى..

واما سواحلها فانها منيعة ذات نتوات صخرية وأشباه جزر قامت عليها موانىء كثير تمتد لمسافة تزيد على (٣٢٠٠) كيلومترا..

لقد اعطى هذا الموقع الجغرافي المتميز لعمان طابعا خاصا طبع به حياة سكانها الذين ينقسمون الى ثلاثة اقسام متميزة هم: (الحضر) الذين يسكنون الساحل وهم خليط متمازج من السكان حيث يعتبرون اكثر اتصالا بالعالم الخارجي و(البدو) الذين يسكنون الصحاري، و(الفلاحون) الذي يسكنون السهول والجبال. ويشكل ساحل عمان شبه جزيرة ساحلها الشرقي على خليج عمان وساحلها الغربي على الخليج العربي وقد اطلق عليه الاستعمار اسماء متعددة منها (ساحل القراصنة) والساحل المهادن و(المشيخات المتصالحة) و(الامارات السبع) وهي: ابوظبي، دبي، الشارقة، عجمان، ام القيوين. رأس الخيمة، الفجيرة..

وقد شكلت هذه المشيخات فيما بينها اتحادا فيدراليا اطلق عليها اسم (دولة الامارات العربية المتحدة) التي ولدت ولادة عسيرة في صبيحة يوم ١٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩٧١[11]..

---

(١١) للتفصيلات يراجع كتابنا «الخليج العربي» الصفحات ٢١٣-٢٥٣.

هذا ويشكل ساحل عمان مثلثا متساوي الساقين قاعدته في الجنوب تقريبا ورأسه الى الشمال الشرقي حيث يطلق عليه اسم (رأس مسندم) الذي يتحكم في مدخل الخليج العربي وتمر منه التجارة الى الهند وباكستان والشرق الاقصى وافريقيا الشرقية واوربا علاوة على عشرات من ناقلات البترول التي تمخرعبابه محملة بالذهب الاسود الى العالمين الشرقي والغربي . .

هذا ويشتمل ساحل عمان على اراضي الامارات السبع (دولة الامارات العربية المتحدة حاليا) وعلى قسم من سلطنة عمان في الشمال والجنوب والوسط حيث تتداخل الحدود وتتشابك بشكل يدعو الى الاستغراب ، فان مشيخة (الفجيرة) مثلا التي تقع في الشمال من السلطنة كانت جزءا من السلطنة ، ثم اقتطعت منها عام ١٩٥٢ واصبحت تعترض طريق الوصول الى ولاية (خصب العمانية) عند رأس مسندم وكذلك فان بلدة (دبا) في الشمال الشرقي من البلاد والى الشمال من سهل الباطنة على خليج عمان قد قسمت بين الفجيرة والشارقة وعمان، وكل قسم منها له اسم خاص فالقسم الذي يتبع الفجيرة يسمى (الشرقي) والقسم الذي يتبع الشارقة يسمى (الحصن) والقسم الذي يتبع السلطنة يسمى (السبيعة) . .

ويقسم ساحل عمان من الناحية الطبيعية الى ثلاثة اقسام هي :

الساحل الغربي ، والساحل الشرقي ، وسلسلة الجبال بين الساحلين ، فالساحل الغربي وفيه اكثر الامارات هوسهل ساحلي صحراوي ملحي كثير التعاريج لا يصلح للزراعة في الكثير من اقسامه الا اننا كلما سرنا فيه متجهين نحو الشرق عذبت وصلحت اقسام منه للزراعة وخصوصا الاماكن التي تشبه الواحات كالذيد التابعة للشارقة (وفلج المعلا) التابع لامارة ام القيوين و(العوير) التابعة لامارة دبي ، و(صفوت) التابعة لامارة عجمان ، كما نبتت فيه الشجيرات الصحراوية والاشجار البرية . ويتراوح عرض هذا السهل من عشرين الى مائة كيلومتر ويطلق عليه اسم (سهل الباطنة الشمالي) الذي يشتهر وخاصة في الاقسام الشرقية من سلطنة عمان بعذوبة مائه وسهولة تفجرها ووفرتها ، كما يشتهر بكثرة زرعه ونخيله ، وهويمتد بشكل هلالي يبتدىء من بلدة (خورفكان) في الشمال ثم يتجه نحو الجنوب والجنوب الشرقي مكونا القسم الثالث من الاقسام الطبيعية لساحل عمان

وهو الساحل الشرقي الذي ينتهي قرب مدينة مسقط ومن اشهر مدنه الفجيرة والغرفة واسود وشناص وصحار والسيب وخابورة . وعلى اي حال فان ساحل الباطنة يبدأ من السيب الى صحار حيث يطلق اسم (الشميلية) بعد ذلك على القسم الممتد حتى (خورفكان) .

هذا وتقع امام الساحل الغربي العماني جزر متعددة منها ما يتبع امارة ابو ظبي مثل داس ودلمة وزركوه وصيربني ياس، ومنها ما يتبع امارة الشارقة كجزيرة ابو موسى[١٢] ومنها ما يتبع امارة رأس الخيمة كجزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى ثم تبدأ بعد ذلك سلسلة جبال وهي جبال جرانيتية بركانية جرداء تتجه من الشمال الغربي تقريبا الى الجنوب الشرقي فتطوق مدينة مسقط كالسوار حيث تخترقها بعض الوديان مشكلة طرقا طبيعية بين الساحلين الشرقي والغربي .

ولئن اصبح في منطقة حوض الخليج العربي سبع دول عربية مستقلة هي : الجمهورية العراقية والمملكة العربية السعودية ودولة الكويت ودولة البحرين، ودولة قطر ودولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان، فلقد مرت هذه السلطنة بتطورات تاريخية سنشرحها في ثنايا هذا الكتاب بعد ان اصبحت منطقة من مناطق النفوذ البريطاني فانقسمت حتى عام ١٩٥٧ الى الاقسام الثلاثة الآتية :

١ ـ سلطنة مسقط

٢ ـ امامة عمان

٣ ـ مشيخات الساحل العماني

ثم ظهرت دولة الامارات العربية المتحدة مكونة من امارات الساحل المتصالح السبع، واعلنت (امامة عمان في الجبل الاخضر) ثورة ضد السلطة التي يمثلها السلطان في مسقط حتى انتهى الامر الى ما سمي بمعاهدة (السيب) عام ١٩٢٠، غير ان تغير الاحداث وظهور البترول في عمان الداخلية جدد من عزم

---

(١٢) تبعد هذه الجزيرة حوالي ٧٥ كيلومترا عن الشارقة وقد قامت ايران باحتلالها وجزيرتي الطنبين الكبرى والصغرى يوم ١٩٧١/١١/٣٠ بعد مناورات طويلة نظرا لمركزها الاستراتيجي المهم حيث تمر بها ناقلة نفط كل ١٢ دقيقة من ناحية، ولثبوت وجود البترول فيها من ناحية أخرى. التفصيلات في كتابنا «الخليج العربي في ماضيه وحاضره» ص٢٢٦ وما بعدها.

السلطة على ضرورة اخضاع (امامة عمان) لسيطرتها وجعلها تحت نفوذ سلطان مسقط فاحتل (نزوي)، واصبحت البلاد تدعى (سلطنة مسقط وعمان) واستمر الامر كذلك حتى يوم ٢٣ تموز سنة ١٩٧٠ حيث تولى السلطان الشاب قابوس بن سعيد مسؤولية الحكم بعد قيامه بحركة تصحيحية ضد والده واصبحت البلاد تدعى (سلطنة عمان). .

ان ماضي عمان وحاضرها يربطانها بالخليج ويجعلان منها الحارس الامين الذي يحرس مدخله عند مضيق هرمز. . وامام هذه الصخور البازلتية السوداء عند ممر (رأس مسندم) الخطير تمر كل يوم عشرات من سفن الشحن والسفن الشراعية وناقلات النفط وهي تتهادى فوق مياه صافية في المضيق، وتلف الناقلات وتدور بين صخور الزاوية الكبرى والزاوية الصغرى قبل ان تصل الى عرض البحر بين جزر سلامة وبناتها حيث تصبح حركة المرور نشيطة وخطرة لا سيما عند العنق الضيق بين جزيرتي (سلامة) و(الغنم) الذي يؤدي الى الخزان البترولي الكبير المعروف بالخليج العربي.

ان اهمية سلطنة عمان تتضح في مناعتها وفي اهمية مركزها الستراتيجي وثقلها السكاني، كما تتضح في التقاليد الحربية لدى المواطنين العمانيين وما يمتلكونه من اسطول وخبرة بحرية.

ولقد وصل الانكليز وغيرهم الى قناعة فحواها بان من اراد السيطرة على الخليج العربي، وجبت عليه السيطرة على عمان اولا.

ولذا نجد ان دولة عمان الواسعة وهي شبه امبراطورية، كانت دولة مهمة جدا في ذلك الوقت، وكانت مؤثرة وكذلك كانت الضربة الموجهة لسلطنة عمان. . وهي السلطنة التي امتد سلطانها بين الجناح الافريقي الشرقي وسواحل الهند ذات وجهين سياسي وعسكري، وكانت بريطانيا تهتدي بمبدئها سيء الصيت، والذي اقترن باسمها (مبدأ فرق تسد) مذكية الخلافات القبلية والمذهبية والصراع على السلطنة التي هي مفتاح الخليج العربي.

وهكذا قسمت عمان الى اقسام عديدة:

القسم الاول: يتمثل في ان بريطانيا اغتنمت فرصة الحملة على القواسم

والساحل الغربي الشمالي بعمان بواسطة أسطولها في اواخر عام ١٨١٩ فعرضت هدنة بحرية على شيوخ المنطقة. ونجم عنها ان هذا الجزء الذي سلخ من عمان قد اتخذ شكلا كيانيا اضفى على الانفصال شرعية زائفة. ومن جراء هذه الاتفاقية ايضا برزت خمس امارات كان الغرض من ابرازها واضحا جدا حيث اريد لها ان تكون في وجه سلطنة عمان.

والخلاصة فان هذا الساحل الذي كان جزءا من عمان يعد من الناحية العملية وبموجب هذه الاتفاقية جزءا منها. كما ان بريطانيا كانت حريصة تمام الحرص على ان تشغل أولئك الشيوخ فيما بينهم لتنهك قواهم وتستبعد اي احتمال لمقاومة المستعمرين. فبريطانيا لم تكتف بان تضفي صفة الاستقلالية الزائفة على هذا الجزء من عمان فحسب بل فرقته الى اجزاء صغيرة متناثرة انتهى بها المطاف الى ان اصبحت سبع امارات.

القسم الثاني: اغتنم الانكليز والفرنسيون الخلاف على الزعامة في عمان على اثر الخلاف الذي نشأ بين الاخوين ثويني وماجد على اثر وفاة والدهم سعيد بن سلطان (١٨٥٦) فتدخلت كل من فرنسا وبريطانيا ووضع اتفاق بينهما بفصل القسم الآسيوي من الامبراطورية العمانية عن القسم الافريقي منها.

القسم الثالث: لقد عملت بريطانيا على اذكاء وتغذية عناصر الانقسام والخلاف في عمان (الخلافات القبلية والمذهبية والصراع على الزعامة) الامر الذي ادى الى انقسام ما تبقى من عمان الى ما يعرف بعمان الداخل وعمان الساحل.

وهكذا قطعت اوصال الامبراطورية العمانية[١٣]. مما سنتولى شرحه في صفحات قادمة.

---

(١٣) انظر محاضرة الاستاذ علي غنام عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في الموسم الثقافي لجامعة الموصل بتاريخ ١٩٧٤/٤/٢٥.

أهمية الخليج العربي

ان اهميـة الخليـج العربي ذي المياه الخضراء الزمردية تنبع من كونه الطريق الذي لعب الدور الخطر منذ ايام (السومريين والاكديين في العراق)، كطريق تصل الغـرب بالهنـد والشـرق الاقصى حيث الحـرير والتوابل والبخور وحيث تصب امواه دجلة والفـرات بمـا تحمـل من طمى فتضيف ما يقرب من ثلاثين متـرا كل عام الى ارض الرافدين.

ان روعة مياه الخليج الزمردية التي تأخذ بالالباب لتحمل الانسان بعيدا بعيدا الى حيث عاش السنـدبـاد البحري والي حيث سافـر وتـاجـر وغـامـر ثم عاد يروي اساطيره عن الاهوال التي صادفته في رحلاته وعن الغرائب والعجائب التي شهدها في سفراته، في حله وترحاله حتى اصبحت تلك القصص والاحاديث زادا لشهرزاد الحسنـاء تؤخـر به اجلهـا يومـا بعـد يوم .. الف ليلة وليلة .. وقـد نسي (شهـريار) تصميمـه وعـزمـه على الانتقـام من النسـاء وصـار يصغي الى السـاحرة الحسنـاء وهي تحـدثـه عن اغرب القصص، وأروع المغامرات .. مغامرات صيادي اللؤلؤ في مياه الخليج الدافئة الخضراء، حيث تساعد الاساطير الجميلة المتوارثة والثروة المنتظرة والهـالـة المقـدسـة التي تحيط بتكوين اللؤلؤ على تحمل مهنة الغوص القديمة قدم السنين، حيث تقـول شهـرزاد بان سبب جمـال لؤلؤ الخليج العربي يكمن في تلك الينابيع العذبة المتفجرة في قعر البحر بالقرب من حواجز المحار التي تحتوي على اللآلىء الغـاليـة، ثم تفسـر شهـرزاد مفهومها هذا لتكوين اللؤلؤة بطريقتها الساحرة المثيـرة وشهـريـارها ينظر اليها معجبا، اذ تقول (عندما ترغب محارة في حمل لؤلؤة فانها تقدم نفسها راضية لمداعبات المياه العذبة الفاسقة الداعرة فتمتص منها نطفة

(*) يبلغ طول ساحل الخليج العربي من شماله في (الفاو) في العراق حتى بوابة الخليج أي (رأس مسندم) نحو (١٣٥٧) كيلومترا، بينما يبلغ طول الساحل الايراني (٨٦٠) كيلوا مترا. امـا عرض الخليـج فانـه يتـراوح بين ١٨٠ ـ ٢٨٠ كيلومترا في حين تبلغ مسـاحته السطحية ربع مليون كيلو متر مربع. وأما اعمق نقطة فيه فانها تبلغ حوالي مائة متر عند جزيرة (سلامة وبناتها) العمانية.

صافية . . وتظل هذه النطفة يرعاها الحب ويغذيها الحنان وهي تنسج حول نفسها ذلـك الثـوب الغـالي حتى تصبح مع تكامل ايام الحمل حلية غالية ينتزعها الغواص بقسوة من بطن امها بعد ان يثخنها بالجراح لتكون قبلة تتلألأ فوق جيد اتلع او تتدلى بغنج لتستقـر في وادي الاحـلام ومثـوي السحـر درة تزيـده تألقا ونورا . وكأنما تنظر شهرزاد في عالم الغيب فتحدث شهريارها بان اولئك الغواصين الباحثين عن اللؤلؤ في اعماق مياه الخليج الخضـراء ، وقد ملوا مهنة المتاعب هذه بعد أن بدأ اللؤلؤ المصنوع المـزروع يزاحم لآلئهم الطبيعيـة ، وبعـد ان كانـوا يملؤون البحـر سفينا وتـرفـرف اعـلامهم خفـاقـة بين سواحـل افـريقيا الشرقية والهند والصين تنقل الخير للنـاس ، انصرفـوا وقـد تفجـر الـذهب الاسـود في صحـاراهم وفي خليجهم ، عن مغاصات اللؤلؤ انصرافهم عن التجوال في بحار الله الواسعة . .

لقـد اصبـح احفـاد اولئـك البحـارة المغـامرين الذين روعوا فيما مضى دول الغرب مواطنون مسالمون ينقلون البيض والخضراوات الى المراكز البترولية واصبح غطـاسـوا اللؤلؤ يتعلمـون العمـل في الحفـريات بينما يعمل البدو في حدّ الانابيب والآلات الحـديثـة تدور بين ايـديهم بمهـارة لا تقـل عن مهـارة العمـال الاجـانب المـاهرين ، حيث ينبعث وراء النوافذ المغلقة ذلك الهواء المكيف الاصطناعي بردا وانتعـاشـا لم يعهـدوه من قبـل كمـا اصبحت الليـالي الحالكة في الخليج نورا يبدد ظلامها اللهب الاحمر المنبعث من المشاعل التي تعلن الانتصار المؤقت للحضارة الحديثة . ان قصص الف ليلة وليلة صورة لا تخلو من الحقيقة لتلك الحياة الزاهية التي تحياها المدينة . .

ولـو عـاد السندبـاد البحري اليوم الى شاطىء الخليج الزاخر بالحياة لوقع نظره على مفاجآت لم يكن يحلم بها في رحالاته السبع . .

سيجـد رفـاق البحـر كمـا كانـوا في ايـامـه تجـارا موسرين يعتمرون العمائم والكوفيات ، وسيجد بالقرب منهم سماسرة لا ينقصهم الدهاء وتجارا صغارا اقعدهم الكسـل في ظل الحـوانيت المظلمـة . . سيجـد الى جانب المـراكب العربية ذات الاشرعـة البيضـاء التي ترفـع اعـلام الكـويت والامارات وعمان ، السفن الجديدة

الجبارة ترفع اعلام الدول المختلفة في الشرق والغرب وسيدهش من رؤية الزوارق البخارية ترسم خطوطا عابرة بيضاء على صفحة الخليج الخضراء وآذان دوى في اذنه الهدير ورفع نظره الى السماء فسيرى الطائرات الجبارة تنهب الفضاء لتصل الشرق بالغرب كما سيرى الطائرات العمودية تصارع الهواء الثقيل، والسيارات الزاهية من كل لون تسير فوق الطرقات الحديثة المغطاة بالاسفلت وكأنها تيجان أمبراطورية تبني الحياة.

وهكذا في غضون سنوات قلائل تحول البحارة القدماء والصيادون البائسون والبدو الحفاة الى تجار ميسورين وملاكين اثرياء، وقد اخذت البنايات الفخمة الزاهية مكان بيوت الطين الحقيرة كما اخذت السيارات الفخمة وكلها مزودة بمكيفات الهواء تتهادى على طرق فسيحة معبدة يغطيها الاسفلت لتقطع جمود الصحراء وسكونها، كما ان الماء والكهرباء قد دخلا ابسط البيوت. واذا تجولت في الاسواق وجدت البضائع والمنتجات الاوروبية والامريكية في محلات تبهرك انوارها المتعددة الالوان، كما وجدت الهواء المكيف واجهزة الراديو والهاتف والتلفزيون الملون، كل ذلك عرف طريقه الى اكثر البيوت.

اما اذا تجولت في أزقتها الضيقة فسترى الصبية يتطلعون بعيونهم السوداء الواسعة الى ما يشاهدونه في قلب المدينة من مخازن عامرة تقدم كل ما يباع تحت شمس امريكا واوربا من فرشاة الاسنان اليابانية الى قطع الاثاث السويدية، ومن عطر كريستيان ديور الى البرادات الامريكية. لقد كان بحر الزمرد عبر العصور مركز الثقل للتنافس الدائم بين الدول الكبرى من اجل مسالك التجارة العالمية وهو الان اكثر منه في اية مرحلة من مراحل التاريخ، محط انظار الساسة ورجال الاعمال والقادة العسكريين، وعليه يتسابق ارباب المصالح في الشرق والغرب لانعاش مصالحهم ذلك ان من يتحكم به يتحكم بالصناعة الحديثة وآلة المدنية[١٤].

---

(١٤) الخليج العربي ـ جان جاك بيربي منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.

يتميز الخليج العربي بكثرة الخلجان والاهوار والجزر اما سواحله فان ارضها تتكون من تلال رملية وسهول صحراوية تنتشر فيها بعض الواحات الخصبة ذات التربة الطينية الرملية الصالحة لزراعة النخيل والخضار والفواكه، كما توجد الينابيع ذات المياه العذبة في داخل الخليج وعلى سواحله، وخاصة في جزر البحرين، اما الآبار الارتوازية والينابيع (الأفلاج) فانها تتدفق في كثير من الامارات على ساحل عمان وفي سلطنة عمان على وجه الخصوص..

وهنالك اسطورة قديمة تقول بان (الفردوس الموعود) انما هو منطقة الخليج العربي حيث ذكر المؤرخ العراقي الدكتور جواد علي جانبا من هذه الاسطورة[١٥] فقال:

«وفي هذا أشار نص ارخ في السنة السابعة من سني (فيليبوس)، وتقابل سنة ٣١٧ قبل الميلاد، وهو نص بابلي قديم ورد فيه اسم أرض دعيت (برديسو) (PARDISU) وتقابل هذه الكلمة كلمة (PILDASH) او (PARDES) بالعبرانية و (فردوس) بالعربية وتقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب بين (MAGGANA) (مجانا) التي هي مكان وبين (بيت نبسانو) (Bit-NAPSANU) التي هي جزيرة دلمون (البحرين) وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في ان ما ورد عن (جنة عدن) في التوراة انما اريد به هذه المنطقة التي تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب على سواحل الخليج..

هذا ولقد رددت الشعوب هذه الاسطورة اي (اسطورة الفردوس) قبل مولد السيد المسيح بمئات من السنين وان ذلك (الفردوس) انما يقع في ارض المشرق

---

(١٥) تاريخ العرب قبل الاسلام ـ الجزء الثاني ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي مطبعة التفيض الاهلية ـ بغداد ١٩٥٢.

فيما وراء الافق، وتشير نصوص الاسطورة التي يرددها السومريون في حكاياتهم الدينية الى كيفية نجاة الاله (انكي) (ENKI) من الطوفان وكيفية توجهه الى ارض الخلود في (دلمون) ليسكنها، كما تشير تلك الاسطورة الى بطل السومريين (جلجامش) الذي ذهب الى الاله (انكي) ليدله على سر الخلود، فافاده عن وجود عيون مياه عذبة تحت قاع البحر لا تمتزج مياهها بمياه البحر المالحة حيث توجد زهرة بيضاء هي (زهرة الخلود) في داخل تلك العيون العذبة. فلو حصل على تلك الزهرة البيضاء واكلها كان الخلود نصيبه. وقد سعى البطل (جلجامش) ولاقى الاهوال في سبيل الحصول على تلك الزهرة البيضاء الا ان (الحية) او (الثعبان) قد سبقته في الحصول على تلك الزهرة فأكلتها. وهكذا كتب للثعبان الخلود الذي يتمثل بتبديله جلده كل عام كرمز لتجديد حياته.

هذا وقد ورد في تقرير البعثة الدانمركية (KUML) التي قامت بالتنقيب عن الآثار في البحرين عام ١٩٥٧ انه في نصف الالف الثاني قبل الميلاد كانت القرابين تقدم للثعابين باعتبارها آلهة الخصوبة في دلمون[١٦].

---

(١٦) البحرين عبر التاريخ: الجزء الاول، للشيخ عبدالله خالد الخليفة، وعبد الملك يوسف الحمر - الشركة العربية للوكالات والتوزيع - الطبعة الثانية - البحرين ١٩٧٢.

حضارة الخليج

لقد كشفت البعثات العراقية والعربية والاجنبية، ومنها البعثة الدانماركية في الخليج العربي والبحرين وابوظبي وسلطنة عمان عن آثار مهمة تربط الخليج بتاريخ السومريين في العراق حيث تتشابه الاثار المكتشفة حضاريا مع حضارة السومريين والبابليين والآشوريين في العراق مهد الحضارة، في العالم القديم.

فقد ورد في اخبار الملك سرجون الاكدي انه غزا (دالمون) واضاف الارضين المتاخمة الى مملكته..

ومن اشهر الآثار المكتشفة في الخليج العربي القصر التاريخي في جزيرة (ام النار) قرب أبوظبي، كما كشفت بعد ذلك عن آثار قصر آخر في قرية (الهيلي) في نفس المنطقة بالاضافة الى الاثار والحفريات الكثيرة في البحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان حيث تحفل متاحف تلك الدول بالعديد من الاثار التي تؤكد الارتباط التاريخي للخليج بالحضارة العراقية القديمة..

هذا ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان سنحاريب ـ الملك الآشوري ـ بعد ان غزا بابل واحتلها عزم على ضم (دلمون) الى مملكته وارسل وفدا الى ملكها يخيره بين الخضوع لمملكة آشور وبين الخراب والدمار، فوافق ملك (دلمون) على الاعتراف بسيادة سنحاريب وارسل له الجزية[١٧].. وقد حاول (هيرودتس) المتوفي عام ٤٠٦ ميلادية ان يثبت بان الخليج العربي هو موطن الفينيقين وانهم انتشروا منه الى مواطن اخرى على الساحل السوري وساحل شمال افريقيا على حوض البحر الابيض المتوسط، الا ان مؤلفي كتاب (البحرين عبر التاريخ) يقولان في هامش الصفحة ١٨ من كتابهما بانه (لا يوجد في ابحاث الاثار الجديدة ما يؤيد صحة هذه النظرية (نظرية هيرودتس) او نفيها اذ ليس للفينيقيين معالم سوى اسماء بعض الاماكن تثبت وجودهم في البحرين خاصة ولكن يرجح مرورهم وربما سكنهم لفترة ما في منطقة الخليج خلال رحلات تجارية، غير ان الدكتور جواد علي كرر الرأي القائل بان مقابر البحرين فينيقية مع عدم ترجيحه صحة هذا الرأي[١٨]..

---

(١٧) البحرين عبر التاريخ ـ المرجع السابق ص٢٥ نقلا عن الدكتور جواد علي.

(١٨) تشتهر البحرين بوجود أكبر مقبرة تاريخية فيها وهذه المقبرة هي عبارة عن مجموعة من التلال المقببة المتجانسة يزيد عددها على مئة الف قبر كلها ذات نمط واحد في بنائها وشكلها وطريقة دفن الموتى فيها (للتفصيلات يراجع كتاب ـ البحرين عبر التاريخ ـ مار الذكر).

الآثار العمانية

أما بالنسبة لسلطنة عمان الحالية فانها لم تكن معروفة في تطورها قبل التاريخ قبل ان تكشف عن حضارتها البعوث الآثارية تشبه التي نقبت في مدنها القديمة وصحاراها ووديانها . .

وقد تم انشاء (الجمعية التاريخية العمانية) في سنة ١٩٧١ برعاية جلالة السلطان قابوس بن سعيد حيث أمر ببناء (المتحف العماني) الذي يعتبر على صغره من اجمل المتاحف واحفلها بالآثار المحلية . .

وتقول الكاتبة الانجليزية في كتابها الفجر فوق عمان[١٩] ، بان العناية بالناحية التاريخية لهذا البلد بدأت عندما اخذ الضابط البريطاني (كولن ماكسويل) بجمع الآثار من جنوبي ظفار اثناء قيامه بواجباته الرسمية .

ان كثيرا من تلك الآثار تعود الى العصر الحجري سنة ٥٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ قبل الميلاد حيث يتضح منها بان منطقة ظفار كانت منطقة غنية بالحضارة عريقة في المدنية . .

وبالرغم من ان الحركات الحربية التي كانت قائمة آنذاك في تلك المنطقة قد اعاقت اعمال الآثاريين في الكشف عن الحضارة العربية العمانية الموغلة في القدم الا ان الجهات المسؤولة اعادت اعمالها التنقيبية بعد انتهاء تلك الحركات في مختلف انحاء عمان للكشف عن حضارتها التليدة . .

ولقد كان للبعثة الآثارية الدانماركية التي نقبت عن الآثار في عمان بدعوة من الحكومة العمانية وبتمويل منها عام ١٩٧٣ الفضل البارز في الكشف عن بعض ما يحتويه باطن الارض العمانية من ذخائر تاريخية موغلة في القدم وتمتد بين واحة البريمي وسهل الباطنة مخترقة الجبال الصماء حيث عثرت تلك البعثة على اكثر من مئة قبر (وضعت الحكومة العمانية نموذجا لاحدها في المتحف العماني) تحتوي في داخلها على بعض الخزفيات المنقوشة نقشا جميلا يمثل حضارة ذلك العصر. ان تلك القبور قد بنيت بطريقة غريبة تشبه خلية النحل حيث يبلغ ارتفاع كل قبر اربعة امتار كما يبلغ عرضه عشرة امتار عند قاعدته .

---

(١٩) كتاب (الفجر فوق عمان) باللغة الانجليزية :

Pauline Searle: Dawn Over Oman.

اصدار شركة خياط للطباعة بيروت ١٩٧٥ .

هذا وترتبط حضارة تلك الفترة في ساحل عمان بالحضارة التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين في الالف الثالث قبل الميلاد وحضارة (أم النار) الكائنة في منطقة امارة ابوظبي التي كشفت عنها بعوث اثرية متعددة منها (بعثة المتحف العراقي) التي اكدت وجود الترابط الحضاري بين المنطقتين حيث كان النحاس يصدر من تلك المنطقة الى بلاد ما بين النهرين في العهد الاكدي والاشوري وما قبلهما . .

ولعل اللوحة الفنية الموجودة في متحف عمان في الوقت الحاضر والتي اكتشفت عام ١٩٧٣ توضح الكثير مما كانت عليه طريقة حياة سكان تلك المنطقة التي ارتبطت ليس ببلاد ما بين النهرين فحسب وانما ببلاد (ديلمون) وهي منطقة البحرين الحالية . .

ان تلك اللوحة التي تمثل اشخاصا في اوضاع شتى وهم يحملون اسلحتهم ويركبون خيولهم ، تحتوي كذلك على رسوم نحتت في الصخر، وتمثل حيوانات متنوعة بما فيها الفيلة والجمال والكلاب والطيور حيث يرجع تاريخ تلك المنحوتة الى عهد الاكديين عام ١٧٠٠ قبل الميلاد. ونظرا لان الفيل لم يكن موجودا في البلاد العربية ، فان الآثاريين يظنون بان هذا الحيوان قد نقل الى تلك البلاد بواسطة الفرس الغزاة الذين استخدموا الفيل في معركة قرب (نزوى) حيث حشد الفرس اكثر من ٣٠ الف جندي لاحتلال المنطقة دون جدوى . .

وفي هذا الصدد نذكر بان اول احتلال فارسي لبلاد عمان حدث سنة ٥٣٦ قبل الميلاد في زمن الملك الفارس (كورش) الملقب بالعظيم حيث غزا تلك البلاد التي اطلق عليها اسم (مزون) وهي ارض الحقول والكروم والمياه التي لا تنضب، مستخدما الافيال حيث تقول الكاتبة البريطانية بان العرب استخدموا وسيلة مبتكرة لتخويف الفيلة ، وهي انهم كانو يغطون رؤوس جمالهم بأقمشة حتى تبدو وكأنها حيوانات اسطورية تجعل خيول الجيش الفارسي تفر هاربة لا تلوى على شيء الى درجة يعجز فرسانها من السيطرة عليها[٢٠] . مما يعيد الى الذاكرة استخدام الفرس للفيلة في معركة القادسية الاولى في العراق في العام الرابع عشر للهجرة النبوية .

---

(٢٠) نفس المرجع ص١٤

وهنـا لابـد لنـا من الاشارة الى ان الفيل قد ورد ذكره في القرآن الكريم وذلك عندما هاجم جيش (أبرهة) الكعبة المشرفة مستخدما الفيل بقصد هدمها وذلك في عام ٥٠٧ ميلادية حيث سمي ذلك العام (بعام الفيل). .

الفينيقيون

والفينيقيون من القبائل السامية المنتمية الى (كنعان) وقد اشتقت تسميتهم هذه من كلمة فونيكوس (PHONICUS) التي تعني اللون الاحمر الارجواني على بعض الاقوال. وقد اصبحت كلمة (فينيقي) مرادفة لكلمة (كنعاني) منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد[٢١] . . وسبب اشتقاق كلمة (فينيقي) يعود الى احد امرين او الى الامرين معا. فأولهما ان كلمة (فونيكس) تعني اللون الاحمر كما انها تعني (النخل) في نفس الوقت حيث تزرع في بعض مناطق الخليج العربي. أما التفسير الثاني فهو ان المدن الساحلية على شواطىء البحر الابيض المتوسط التي استوطنها الفينيقيون قد تخصصت في صناعة نوع من الصبغة الحمراء الارجوانية التي كانت تستخرج من حيوانات بحرية رخوة تكثر قرب شواطئها ومن هنا جاءت نسبتها الى اللون الاحمر[٢٢] . .

وهكذا نجد ان التسمية السامية القديمة والتسمية اليونانية قد اتفقتا على ان تربطا بين هذا الشعب وبين اللون الاحمر وبين النخل. .

اما عن التاريخ (تاريخ قدوم الفينيقين الى شاطىء البحر الابيض المتوسط) فقد اخبرنا المؤرخ (هيرودتس) بان علماء مدينة (صور) الواقعة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، قد نقلوا اليه بان اجدادهم قد قدموا من شواطيء (الخليج الأرثيري) (ARYTHRAS) وانهم شقوا طريقهم الى سورية حيث يعيشون على شاطىء البحر[٢٣] . وكلمة (ارثيري) تعني (الاحمر) ويبدو ان اسم البحر الاحمر كان يطلق على طول القسم الغربي من المحيط الهندي بما في ذلك الخليج العربي والبحر الاحمر.

---

(٢١) مصر والشرق الادنى القديم ـ نجيب ميخائيل ابراهيم ج٣ ص٣ ـ القاهرة.

(٢٢) نفس المرجع ص٤٨.

(٢٣) نفس المرجع ص٥٢ ـ ٥٤.

وقد ذكر هيرودتس كذلك بان الفينيقيين قد اتخذوا من النخل (PHENICUS) شعارا لهم ورمزا لدولتهم منذ نزوحهم عن موطنهم الاصلي الذي امتدت رقعته الى البحر الابيض المتوسط على الساحل السوري وساحل شمال افريقيا . .

وقد ورد في الصفحة (١٢) من كتاب (اتجاهات الموجات البشرية في جزيرة العرب) لمؤلفه محي الدين الخطيب ما يأتي «ولدينا نصان تاريخيان احدهما عن اهل جزيرة البحرين في الخليج بان مدينتي (ارواد) و(صور) في الشام هما من مهاجر عرب البحرين في مستعمراتهم وهذا النص من قبل الميلاد المسيحي وقبل الرحالة الجغرافي اليوناني سترابون . .

اما النص الثاني فعن الفينيقيين انفسهم بان اصلهم من بلاد العرب نقله الينا ابو التاريخ (هيرودتس) الرحالة اليوناني الذي سمعه عن كهنتهم عندما زار فينقيا عام ٤٥٠ قبل الميلاد، فقد روى عن سدنة هيكل (بعد ملك مرت) وكهنة غيرهم من اهل العلم بالشؤون الافريقية ـ العدد ٨٩ من الكتاب السابع ـ بان الفينيقين كما يخبرون عن انفسهم اقاموا اولا عند البحر الارثيري ولكنهم رحلوا من هناك فسكنوا بحر سورية . .

[ويلاحظ ان المقصود بالبحر الارثيري هنا هو الخليج (الفارسي) قديما حيث كان اليونانيون يسمون كل المياه المحيطة بشبه جزيرة العرب من الجهات الثلاث بحر ارثيريا][٢٤] . .

هذا وقد اكد (سترابون) بان الفينيقيين هم سكان الخليج العربي[٢٥] وانهم يسمون مدنهم باسماء مدن لا تزال موجودة في الخليج مثل صور وشام وصيدا واراد (عراد) كما ان معابدهم تشبه المعابد الفينقية القديمة في الخليج . .

ويقول جان جاك بيربي في كتابه «الخليج العربي» [ويعتقد بعض المؤرخين الخبراء في الآثار القديمة ان البحرين هي الموطن الاصلي للفينيقيين القدماء الذين

---

(٢٤) البحرين عبر التاريخ ـ المرجع السابق ص٩٦.

(٢٥) دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد رقم (١) ص٥٨٥ ـ لندن ١٩١٣.

سكنوا الساحل اللبناني ومنها انطلقوا الى البصرة سالكين طريق الهلال الخصيب الى لبنان حيث بنوا مدنهم وانشأوا حضارتهم الرفيعة التي نشروها في البحر المتوسط باسره. ويعزز هذا الرأي ان القبور القديمة التي عثر عليها رجال الاثار في الجزيرة الكبرى تشبه الى حد بعيد يثير الدهشة النواويس الفينيقية.

ولقد درست هذه الآثار من قبل الاختصاصيين الذين لم يقدموا كلمتهم بعد. في هذا الشأن اذ ظل هذا الموضوع غامضا ولم يعثر على الدليل القاطع الذي يرشد الى مهد الفينيقيين الاول فان هناك من الآثار الثابتة ما يدل على انه قد سبق للفينيقيين ان انشأوا لانفسهم مستعمرات تجارية في نقاط متفرقة من الخليج] [٢٦]

هذا وقد ذهب (كرامر) الى ان (دلمون) هي الارض التي تقع في جنوب غربي ايران وتمتد من جنوب مملكة عيلام الى ما يقابل مضيق هرمز، ودليله على ذلك ما ورد في نص سومري من وقوع (دلمون) في المشرق حيث تشرق الشمس ولذا وجب ان تكون هذه الارض في شرق سومر لا في الجنوب كما هي الحال بالنسبة الى موقع (البحرين) او السواحل المقابلة لها. واذ اقترن اسم (دلمون) باسم (مجان وملوخا) وورد في النصوص الآشورية ان هذه الارضين تقع جنوب (بيت يكين) Bit-ia-kin التي تقع جنوب سومر على ساحل المالحة اي مياه البحر وهو الخليج، فان هذا الوصف يحملنا على حد قوله الى التفكير في وقوع (دلمون) او (تلمون) في جنوب غربي ايران اي في السواحل الشرقية للخليج المقابلة للبحرين والعروض [٢٧].

واذا ما علمنا بان كلمة (البحرين) كانت تطلق على جزر البحرين الحالية وعلى شبه جزيرة قطر وما جاورها وربما حتى ساحل عمان امكننا ان ندرك بان اسم

---

(٢٦) الخليج العربي - جان جاك بيربي - المرجع السابق - ص١٩٦، ويراجع كذلك كتاب الخليج العربي - قدري قلعجي - دار الكاتب العربي بيروت ١٩٦٥ ص٦٥.

(٢٧) البحرين عبر التاريخ - المرجع السابق - ص٢٤.

(ديلمـون) القـديم حيث سكن الفينقيـون وانشأوا حضـارتهم ، كان يشمـل هذه المنطقـة كلهـا تأييـدا لمـا قرره (كـرامر) واستنادا الى الآثار الباقية في تلك المنطقة وخاصة القبور التي اتينا على وصفها . .

هذا ولعـل من الغـريب كذلـك وجـود التشابـه حتى في بعض التكـوينـات الطبيعيـة على السـاحـل العمـاني وبين مثيلاتها على السـاحل اللبناني ، فقد شاهد المؤلف صخـرة عظيمـة قرب ساحـل ميناء (ريسـوت) الواقع على مقربة من مدينة صلالة في الاقليم الجنوبي لسلطنة عمان (اقليم ظفار) وهذه الصخرة تتشابه تشابها كبيـرا مع (صخـرة الانتحـار) الواقعة على السـاحل اللبناني في بيروت ويتندر الناس في صلاله بشأن هذه الصخـرة فيسمـونهـا (صخـرة الانتحـار) كذلـك تشبيهـا لهـا بالصخرة البيروتية المشهورة رغم ان احدا لم ينتحر من فوقها بعد . . !!

وهكـذا نجـد اختلاف الآراء حول اصل الفينيقيين وهل انهم أصل العرب أم ان العـرب هم الاصـل . . وفي ذلـك يقول الرحالة العربي أمين الريحاني (ولا فرق عنـدي في كل حال اذا كان العـرب الاصـل أو الفـرع فاذا كانـوا الفـرع فمـرحبـا بالمنحدرين من ابناء الفينيقيين[٢٨] .

هذا ولقـد ثبت علميـا بأن (الكنعـانيين) كانوا أول من سكن سواحل الخليج العربي ويرجع نسبهم الى (كنعان بن سنحاريب بن نمرود الاول بن كوس بن سام بن نوح) وقـد رحـل هؤلاء الكنعـانيـون الى سوريا، كما ذكرنا حيث استقر ببعضهم المقام في فلسطين فاشتغلوا بالزراعة وأسسوا المدن التي من أشهرها (مجد يبوس) وهي مدينـة القـدس الحـاليـة و(حبرون) وهي مدينـة (الخليـل) الحـاليـة، ومن الكنعانيين نشأ الفينيقيون الذين أقاموا بادىء الامر في (ديلمون) البحرين وسواحل الخليج ثم نزحـوا حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد الى السواحل السورية فاشتهروا بالتجارة وبعض الصنـاعـات واختـرعـوا الحـروف الابجـدية المكونة من ٢٢ حرفا

---

(٢٨) ملوك العرب ـ أمين الريحاني ـ ص٢٢٥ .

واتخذوا شجر النخيل شعارا لهم، كما أسلفنا، ونقشوه على نقودهم كما اطلقوا على المدن التي أسسوها في سواحل سوريا ولبنان نفس الاسماء التي أطلقوها على جزرهم ومدنهم في الخليج العربي موطنهم الاول، وكانت سفنهم تمخر عباب البحار كلها فلم يخلُ ثغر بحري من سفنهم ومن تجارتهم، كما امتد سلطانهم الى ساحل افريقيا الشمالي، فأسسوا دولة (قرطاجة) في تونس الحالية بزعامة «أميلكار»[٢٩] والد (هانيبال) أو (هانبيعل) الذي حاصر مدينة روما ودك أسوارها.

وبالاضافة الى الفينيقيين فقد استوطنت منطقة الخليج العربي بعدئذ قبائل عربية اخرى عدنانية هي قبائل قضاعة وربيعة وأياد، كما استقرت في عمان قبائل الأزد من (كهلان) التي نزحت من اليمن بعد انهيار (سد مأرب) عام (١٢٠) قبل الم...

(٢٩) من أجمل الفنادق في تونس العاصمة (نزل أميلكار) وقد سمى بهذا الاسم تخليدا للقائد الفنيقي (أمليكار) وقد نزل المؤلف في هذا الفندق عند مشاركته في مؤتمر المحامين العرب الذي عقد في تونس عام ١٩٧٦.

الفصل الثاني

عُمان والاسلام

واتخذوا شجر النخيل شعاراً لهم، كما أسلفنا، ونقشوه على نقودهم كما أطلقوا على المدن التي أسسوها في سواحل سوريا ولبنان نفس الأسماء التي أطلقوها على جزرهم ومدنهم في الخليج العربي موطنهم الأول، وكانت سفنهم تمخر عباب البحار كلها فلم يخلُ ثغر بحري من سفنهم ومن تجارتهم، كما امتد سلطانهم الى ساحل افريقيا الشمالي، فأسسوا دولة (قرطاجة) في تونس الحالية بزعامة (أميلكار)[29] والد (هانيبال) أو (هانيبعل) الذي حاصر مدينة روما ودك أسوارها.

وبالاضافة الى الفينيقيين فقد استوطنت منطقة الخليج العربي بعدئذ قبائل عربية أخرى عدنانية هي قبائل قضاعة وربيعة وأياد، كما استقرت في عمان قبائل الأزد من (كهلان) التي نزحت من اليمن بعد انهيار (سد مأرب) عام (١٢٠) قبل الميلاد.

---

(٢٩) من أجمل الفنادق في تونس العاصمة (نزل أميلكار) وقد سمي بهذا الاسم تخليداً للقائد الفينيقي (أميلكار) وقد نزل المؤلف في هذا الفندق عند مشاركته في مؤتمر المحامين العرب الذي عقد في تونس عام ١٩٦٦.

عمان والاسلام

قبل دخول منطقة الخليج العربي في الاسلام كانت هناك أديان اخرى من اهمها اليهودية والنصرانية علاوة على المجوسية والوثنية. وقد كان من الطبيعي ان تتأثر المنطقة بحكم موقعها الجغرافي وتمازجها الثقافي والاجتماعي المشترك بتلك الاديان فيكون لتلك الديانات اتباع يدينون باليهودية والنصرانية والوثنية والمجوسية. فاما الوثنية فقد كانت منتشرة بين القبائل العدنانية والقحطانية وربيعة والازد ووائل وعبد القيس وغيرها.

وبالاضافة الى ما كانت المنطقة تعانيه من الصراع المرير بين دولتي الفرس والروم والذي تحول الى حرب متلاحقة بينهما في القرن السادس الميلادي، فان الحروب التي خاضتها تلك الدولتان الطامعتان قد شحذتا همة القبائل العربية التي اجمعت امرها فكان النصر على جيش (أبرهة) الحبشي عام ٥٠٧ وهو عام الفيل الذي ولد فيه النبي محمد (ص) ثم النصر على الفرس في معركة ذي قار عام ٦١١م..

وعندما بدأ النبي محمد (ص) يبني لدولة اسلامية ملبيا امر الله انطلقت رسالته المقدسة الى كافة انحاء الجزيرة العربية وانتقلت منها الى دولتي الفرس والروم ثم انتشرت في معظم ارجاء العالم بعد ذلك..

ومما يذكر في هذا المجال ان (المنذر بن ساوي العبدي التميمي) كان واليا على البحرين من قبل الفرس عند ظهور الاسلام فأرسل النبي (ص) احد قواده وهو (أبو العلاء الحضرمي) داعيا اهل البحرين الى الاسلام. وكان ذلك في عام (٦٣٠م) وأرسل معه كتابا الى الوالي (المنذر بن ساوي) - والى (سيبخت) مرزبان اي امير (هجر) يدعوهما الى الاسلام فأسلما وأسلم من معهما من القبائل العربية اما غير العربية من اليهود او المجوس الفرس خاصة فقد اختاروا دفع الجزية[٣٠]..

---

(٣٠) للاطلاع على تفاصيل بعض الرسائل، يراجع كتاب (فتوح البلدان) للبلاذري.

وإذا ما عدنـا قليـلا الى الـوراء وجـدنا ان الفرس قد شاركو العرب في سكنى الخليـج وذلـك بالنظـر الى قرب الشـواطىء العربية لبلاد فارس حيث عبر الكثير من الفـرس الخليـج واستـوطنوا سواحله ردحا من الزمن. ويبدو انهم استطاعوا التعايش في الجـاهليـة حتى ظهـر الاسلام واعلن ابناء الجلندي ملوك عمان اسلامهم ودعوا وجوه العشائر من العرب والفرس الى اعتناق الاسلام فاسلم العرب جميعهم ملبين دعـوة الله الا ان الفـرس رفضـوا الـدين الجديد وأعلنوا تمسكهم بمجوسيتهم، كما رفضوا مغادرة البلاد او دفع الجزية مما ادى الى نشوب الحرب بين الطرفين بعد ان اعلن العـرب المسلمـون عدم امكان التعايش السلمي بينهم وبين اولئك المجوس ودارت معـارك ضاريـة قرب مدينتي صحار و (حمستجرد) حيث استطاع المسلمون قتل القائد الفارسي (مسكان) وكثير من المرازبة الفرس..

وقـد تحصن الفـرس في (حمستجـرد) فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا حتى اذعنـوا لشـروط المسلمين الـذين سمحـوا لهم بمغـادرة البلاد بشرط ان يتركوا جميع ممتلكاتهم من الذهب والفضة والخيول والسلاح مقابل تأمينهم على حياتهم والابحار الى البر الفارسي بسلام..

وهكذا انتهى امر الجالية الفارسية المجوسية في عمان فهاجر منهم من هاجر ودخـل الاسـلام منهم من دخـل وبقي منهم من بقى ممن لم يعتنق الاسـلام حيث طبقت عليهم احكام الذميين، لهم ما للمسلمين من الانصاف وعليهم ما عليهم من الانتصـاف سواء كانـوا من اهـل الكتـاب، كاليهـود والنصـارى او غيـرهم كالوثنيين والمجوس كما سبق ان بينا ذلك.

دخول العمانيين في الدين الاسلامي :

هنالك اكثر من رواية عن كيفية دخول العمانيين في الدين الاسلامي اذ يقال ان (مـازن بن غضـوبـة) هو اول من اعتنق الاسـلام، وكان من سكان (سمائل) في الجزء الداخلي من البلاد..

وتقول الرواية ان مازن بعد ان علم بأمر الدعوة الاسلامية، سافر الى المدينة المنورة واسلم على يدي الرسول (ص) ثم تبعه عدد اخر من العمانيين. كذلك من المحتمل ان يكون بعض العمانيين قد اسلم قبل وصول عمروبن العاص مبعوثا من النبي (ص) الى عمان وكان على حكم البلاد يومئذ (عبد وجيفر) ابني الجلندي اللذان خلفا اباهما على الحكم..

وقبل ان نأتي على ذكر قصة عمروبن العاص يجدر بنا ان نتعرف على الوضع العام في عمان قبيل دخول الاسلام حيث تذكر كتب التاريخ ان قبائل من الازد (وعدنان) بزعامة الاميرين عبد وجيفر كانت تحكم البلاد في ذلك الوقت، وانه وفقا لبنود الهدنة القائمة بين العمانيين والفرس يومئذ كان الفرس يحتفظون بحامية عسكرية لهم قوامها اربعة آلاف رجل، وكانت تعسكر في (حمستجرد) قرب صحار، كما كانت هناك اقليات من المسيحين واليهود، وربما كانت السواد الاعظم من سكان عمان يعبدون الاصنام.

وكما ورد في التاريخ الاسلامي، فان النبي محمدا (ص) قد اوفد عمروبن العاص رسولا الى عمان بكتاب منه الى حاكميها (عبدوجيفر) وذلك في العام التاسع الهجري يدعوها الى الاسلام وكان نص كتاب الرسول (ص) اليهما ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم» من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي، السلام على من اتبع الهدى، اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام، اسلما تسلما، فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما، وان ابيتما فان ملككما زائل عنكما، وخيلي تطأ ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما»..

وكان الكتاب يحمل ختم النبوة الذي يقول (لا اله الا الله محمد رسول الله)..

وربما كان هذا ما دفع بعض المناهضين للاسلام الى اتهام العمانيين بانهم لم يعتنقوا الاسلام من منطلق الايمان به، وانما خوفا منه وبدافع المصلحة وانه بعد

أن رأى العمانيون كيف انتصر محمد (ص) على اعتداء بني قومه عليه، وعلى رسالته النبوية خشوا من زحف قوات المسلمين على بلادهم كما انهم وجدوا في جيوش المسلمين عددا لهم في مقاومتهم للاحتلال الفارسي للبلاد، على ان هذه تكهنات ليس لها ما يبررها. .

والحقيقة هي ان العمانيين بعد التشاور بين زعماء البلاد وكبارها وعلى الاخص بعد التأكد من انتشار الرسالة النبوية والتعاليم التي كان يأمر بها هذا الدين، اتخذوا بالاشتراك مع كافة الزعماء قرارا بقبول الاسلام دينا حنيفا والالتزام بتعاليمه السمحاء[٣١]. .

هذا ولقد كانت (عمان) تعرف في عهد النبي محمد (ص) باسم (الغبراء) او (الغبيراء)[٣٢] وعندما بلغه عليه الصلاة والسلام نبأ اسلام اهلها قال (رحم الله اهل غبيراء، آمنوا بي ولم يروني) وروى عبد الله بن عمر عن النبي (صلعم) انه قال:

«اني لاعلم ارضا من ارض العرب يقال لها عمان على شاطىء البحر، الحجة منها افضل او خير من حجتين من غيرها». .

كما وردت احاديث اخرى في فضل عمان والحث على انتجاعها للرزق فقد روى عنه (ص) انه قال «من ضاق عليه الرزق فعليه بعمان.

ولعل من نافلة القول الاشارة هنا الى ان تاريخ عمان في صدر الدعوة الاسلامية، يعتبر من اوائل بشائر الانتصار والانتشار للدعوة المحمدية الكريمة، وكان اهل عمان من اوائل من اهتدوا بنور الاسلام طواعية واختيارا بعد ان تبينوا الحق في دعوة الرسول الكريم بل انهم استمدوا من الاسلام قوة ومن الايمان قدرة مكنتهم، وبغير عون من غريب، ان يطردوا الفرس من ديارهم وان يطاردوهم بعد ان اعمتهم الضلالة عن ان يتبينوا النور من الظلام والحق من الباطل. فقد وصل

---

(٣١) عمان قبل وبعد الاسلام: محاضرة ألقاها الاستاذ عامر علي عمير المرهوبي، في مهرجان العالم الاسلامي بلندن ـ ابريل، يونيو ١٩٧٦م.

(٣٢) هنالك منطقة تسمى (الغبرة) وتقع في الطريق المؤدي الى مطار السيب الدولي وقد شيدت الحكومة العمانية في عهدها الجديد قصرا فخما للضيافة في تلك المنطقة أسمته باسمها.

مبعوث رسول الله محمد (ص) الى عمان، القائد العربي الصحابي، عمرو بن العاص واليا على عمان وكان يحكمها (جيفر وعبد) ابني الجلندي، اللذين ينتسبان الى قبائل (ازد) العربية، فدخلا في الاسلام دون قتال الا ان الجالية الفارسية التي كانت تعيش فيها رفضت كما سبق ان بينا اعتناق الاسلام فادى ذلك الى معارك دارت رحاها طاحنة، وانتهت بانتصار المسلمين على الفرس وطردهم من البلاد العمانية . .

عمان بعد وفاة النبي :

وعندما توفي النبي (ص) في المدينة المنورة في ١٣ ربيع الاول للسنة الحادية عشرة للهجرة النبوية الشريفة (٨ حزيران ٦٣٢ ميلادية) وتولى الخلافة ابو بكر الصديق (رض) عين (حذيفة القلعاني) او الغلقاني - واليا على عمان خلفا لعمرو بن العاص ثم خلفه في الولاية (عثمان بن ابي العاص) في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حيث اتسعت في عهده الفتوحات الاسلامية واتسعت رقعة عمان واحتل المسلمون (هرمز) وفي زمن الخليفة (عثمان بن عفان) (رض) والخليفة علي بن ابي طالب (رض) اصبح (عباد بن الجلندي) عاملا على عمان، وبعد انتهاء عهد الخلفاء الراشدين استقل العمانيون بشؤونهم حتى ايام الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان وعامله (الحجاج بن يوسف الثقفي) الذي استولى على عمان بعد ثلاث معارك مريرة ونصب (الخيار بن سبرة المجاشعي) واليا على عمان من قبله .

وقد تعاقب الولاة على عمان حتى ايام ابي جعفر المنصور الخليفة العباسي الذي عين (جناح بن عباد بن قيس بن عمر الهنائي) واليا ثم خلفه ابنه محمد الذي وافق على ان يكون حكم عمان بيد ابنائها الذين انتخبوا (الجلندي بن مسعود) اماما لعمان وكان ذلك في عام (١٣١ هـ) الموافق ٧٥٤ م حيث استقلوا بانفسهم في ادارة شؤون بلادهم .

الارتداد عن الاسلام

وما دمنا بصدد ذكر هذا التاريخ الاسلامي لعمان فلن يفوتنا القول بان بعض القبائل العربية قد ارتدت عن الدين الاسلامي بعد وفاة النبي محمد (ص) الا ان كياسة وحزم الخليفة ابي بكر الصديق (رض) قضت على هذه الحركة الخبيثة في مناطقها التي شملت بلاد عمان والبحرين.

وكان للبطل العربي المسلم (العلاء بن الحضرمي) فضل كبير وموقف مشرف وبطولة رائعة في المعارك التي دارت رحاها ضد المرتدين في شرقي شبه الجزيرة العربية كما كان لابناء هذه المناطق شرف المشاركة في كثير من الفتوحات الاسلامية وبالاخص فتح العراق وبلاد فارس وبلاد السند في الفترة من سنة ١٥ هجرية الى سنة ٢١ هجرية الموافقة للسنوات ٦٣٦ - ٦٤٢ ميلادية.

هذا وان حقيقة ما قيل عن ارتداد عمان عن الاسلام تتلخص في ان المدعو (طغت تاج لقيط) الذي كان ينازع الاميرين (جيفر وعبد) ابني الجلندي، حاكما عمان، قام بمحاولة للارتداد عن الاسلام وادعاء النبوة اثناء خلافة ابي بكر الصديق (رض) فالتجأ عبد وجيفر الى الجبل الاخضر الى ان انضم اليهما (حذيفة بن محصن) واثنان من القواد المسلمين وهما (عكرمة بن ابي جهل) و(عرفجة البارقي) اللذين ارسلهما الخليفة ابو بكر الصديق لاخماد الفتنة.

وقد دارت معركة حربية ضارية بين مدعي النبوة الكذاب هذا وبين المسلمين في مدينة (دبا) العمانية التي اتخذها ذلك الدعي قاعدة له حيث انتهت المعركة بانتصار المسلمين وفتحهم (دبا) التي كانت حينذاك مدينة مزدهرة وسوقا رئيسية للمنطقة.

وقد ظل القائد (حذيفة بن محصن) والياً على عمان بأمر من الخليفة أبي بكر الصديق حتى العام الخامس عشر الهجري (٦٣٦)م حيث عين الخليفة عمربن الخطاب (رض) عثمان بن عابد الاوسي) واليا على تلك المنطقة. وقد قام عثمان بدوره في ترسيخ الوجود العربي الاسلامي في المنطقة وشن حملة كبيرة على السند انطلقت من الموانيء العمانية كان لها اثر كبير في انتشار الدين الاسلامي

الحنيف في تلك الربوع علاوة عي قيامه بمحاربة الفرس الذين كانوا يستوطنون حمستاجرد و (صحار) واجلائهم بعد صرع قائدهم مسكان .

هذا وقد خلد العمانيون ذكرى النصر الاسلامي على الفرس المشركين بالمثل العماني المعروف الذي اطلقوا عليه (يوم دبا) اشارة الى انتصار واندحار الوثنية .

واذا ما كانت الشعوب تعتز بشيء فليس ابلغ من اعتزاز العمانيين بالخطاب الذي وجهه اليهم الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال :

يا اهل عمان انكم اسلمتم طوعا ولم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ولا جشمتوه ما جشمه غيركم من العرب بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله شملكم على خير ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فايدتموه اذ دعاكم على بعد داركم واطعمتموه إذ امركم على كثرة عددكم فأي فضل ابرز من فضلكم وأي فعل أشرف من فعلكم ، كفاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً الى يوم الميعاد . ثم اقام فيكم عمروا اذ رحل مسلما . وقد من الله عليكم باسلام عبد وجيفر ابني الجلندي واعزكم ، وكنتم على خير حال حتى اتتكم وفاة رسول الله (ص) فأظهرتم ما يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما عهدناكم فيه ، ومحضتم النصيحة وشاركتم بالنفس والمال ويثبت الله السنتكم ويهدي قلوبكم .

وهكذا كان العمانيون انصارا لدين الله في صدر دعوته ، كما كانوا مبشرين لذلك الدين القويم في الامصار التي افتتحوها بعد ذلك حيث خاضوا البحار انطلاقا من الساحل العماني الى ساحل افريقيا الشرقية ثم الى الهند والصين ، يحملون الدعوة ويبشرون بالرسالة[٣٣] .

---

(٣٣) من خطاب للرئيس السوداني جعفر نميري ألقاه تحية لعمان عند زيارته اياها في الفترة من ١٧ ـ آذار (مارس) ١٩٧٧ .

المذهب الاباضي

لايضاح اللبس الذي علق في بعض الادهان في الخلط بين (الخوارج) و (الاباضية) نقول بان قبيلة الازد العمانية كانت من اوائل القبائل العربية التي دخلت في الاسلام حيث لعبت دورا بارزا في نشر الدين الاسلامي عندما كانت البصرة المركز الرئيس للفتوحات الاسلامية فاصبح لهذه القبيلة نفوذ واضح خاصة بعد ان نادى (عبدالله بن اباض) مؤسس المذهب الاباضي وكان مقيما في البصرة حوالي عام ٦٤ للهجرة (٦٨٣م)، بوجوب العودة الى تراث الخلافة الاسلامية واحياء احكام الشريعة الاسلامية والحكم بموجب القواعد التي اختطها النبي (ص) وبالرجوع الى الكتاب والسنة وعدم الاعتراف بالنظام الوراثي للخلافة.. ذلك النظام الذي ابتدعته الدولة الاموية في دمشق حيث لمس وهو الذي عاش في زمن معاوية بن ابي سفيان وتوفي في ايام خلافة عبد الملك بن مروان مساوىء النظام الوراثي في الحكم.

وعندما تولى الحكم الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان في الفترة (١٢٧-١٣٢هـ) (٧٤٤ - ٧٤٩)م ولمس خطورة ما كان يجاهر به الاباضيون الذين كانوا ينشدون اعادة الدولة الاسلامية الى صفائها الذي كانت عليه ايام النبي (ص) وصاحبه وخليفته أبي بكر (رض)، خشي مغبة هذه الدعوة التي تأصلت جذورها بعد الحوار الذي دخلوه في فترة من الفترات واضطرارهم الى النزوح الى موطنهم الاصلي في عمان ومغادرة البصرة فرارا من الاضطهاد، أمر عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بتجهيز جيش لغزو عمان واخضاعها.

وقد توالت حملات الحجاج برا وبحرا حتى تمكن من اخضاعها كما سبق تبيانه الا ان اراء (ابو الشعثاء جابر بن زيد) صديق الحسن البصري مفتى البصرة ظلت تمثل صلب الفقه الاباضي، ذلك انه كان تابعيا والتقى بصحابة رسول الله (ص) واخذ الحديث عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها.

ولقد انتشر المذهب الاباضي في عمان عندما قاموا عام ١٣٢ للهجرة النبوية الشريفة بانتخاب اول امام لهم كما بعثوا بفقهائهم الى شمال افريقيا حيث اعتنق

كثير من الناس المذهب الاباضي منتهزين فرصة ضعف الحكمين الاموي والعباسي وبعدهم عن سيطرتها مما قوي عزائمهم في نشر هذاالمذهب الذي ساد في عمان ثم انتشر في الساحل الافريقي شمالا وشرقا حيث نجح (عبد الرحمن بن رستم) في تأسيس دولة اباضية في (تاهرت) عام ١٦٠ هجرية استمرت (١٣٦) سنة حتى قضي عليها (عبدالله الشيعي) عام ٢٩٦ هجرية الا ان المذهب لا يزال موجودا في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

وعندما نزح العرب من الاندلس عام ١٤٩٢ كان من بينهم آلاف المسلمين الاباضيين، اما في عمان نفسها فلم يتلاشى (نظام الامامة) الا انه فقد الكثير من نقائه بمرور الزمن بسبب النزاعات القبلية ومجيء ائمة ضعاف الى موقع الصدارة حتى ان الامامة اصبحت وراثية تحت شعار من الصيغة الانتخابية في الظاهر[٣٤].

هذا ومن الجدير بالذكر ان ندرج احد نصوص (عهد الولاء) كما ورد في بعض كتب الامامة المؤرخ في عام ١٢٨٥ هجرية المطابقة لعام ١٨٦٨ م وهو كالاتي: [٣٥].

«بسم الله الرحمن الرحيم. اننا نقسم لك يا مولانا على شرط ان تطيع الله ورسوله وان تحل ما احله الله وتحرم ما حرمه. لقد اخترناك اماما لنا وللناس على شرط ان لا تقطع برأي اوتنفذ امرا الا بموافقة المسلمين ورضاهم. اننا اقسمنا لك بالطاعة على شرط أن تقيم شعائر الله وان تقيم حدوده وان تجبى الزكاة وأن تقيم الصلاة وتعين المظلومين وابناء السبيل، وان يكون القوي عندك ضعيفا حتى تأخذ الحق منه وان تسير في طريق الحق حتى ولو كان في ذلك القضاء عليك. وعلى شرط ان تتعهد لنا بكل هذه العهود وللمسلمين جميعا».

---

(٣٤) دولة آل بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ـ الدكتور جمال زكريا القاهرة ١٩٦٢ ص٩. وكذلك مقال للسفير العماني الاستاذ مال الله حبيب المنشور في جريدة الوطن العمانية في ١٩٧٧/٤/٤.

(٣٥) المسألة العمانية اسماعيل البو هلال ـ طبعة بغداد ١٩٦٢ ص ٢١.

هذا وقد كان اختيار الامام يتم اما تبعا لصفات شخصية تميزه عن الاخرين كالاستقامة والنزاهة والتدين فيظل قائما على مهام منصبه حتى يحيد عن هذا السبيل فيعزل او يقتل ، واما ان ينتخب لشجاعته عندما تحدق الاخطار بالبلاد حتى ولو لم تتوفر فيه الشروط السابقة وتكون مهمته الدفاع عن البلاد وبذلك يكون منصب (الامامة) هو (امامة للدفاع عن الوطن)، فاذا ما استطاع الامام البطل صد العدوان اعيد النظر في امامته ، فأما أن يبقى في منصبه واما ان يعتزل او يعزل ، وكل هذه الامور من اختيار للامام او عزله ، لابد ان تتم عن طريق الشورى والتشاور بين زعماء القبائل ومشايخها واهل الرأي في البلاد ولذلك فان الاباضيين يقولون بان مذهبهم هذا يمثل الاسلوب الامثل للحياة الديمقراطية التي تتوفر فيها حرية الرأي والانتخاب السليم ، وعندما ينتخب الامام فانه يصبح رئيسا للدولة والمنفذ للشريعة والمسؤول عن السلطة التنفيذية . وحين يعلن الانتخاب في البلاد يتوافد رجال القبائل على مركز الامامة لاعلان تأييدهم ومبايعتهم للامام الجديد.

«ويقول الأباضيون ان مذهبهم قد نشأ وبرز قبل ما يقرب من مئة سنة من نشوء المذاهب الاربعة وهي مذاهب ابن حنبل وابو حنيفة ومالك والشافعي».

وقد ظلت الدولة على مدى القرون قائمة على اساس اسلامي اصيل وان كان الاساس يمنع من تعاقب افراد اسرة مالكة على الحكم في عمان لفترات طويلة وظلت الشريعة الاسلامية تحكم الامور العامة والخاصة والحقيقة ان العزلة التي كانت طابعا للمنطقة الوسطى من البلاد انما كانت في احيان كثيرة ترجع الى التمسك الشديد بالاباضية مما يفسر الى حد ما الفصام الذي يتضح في فترات كثيرة من التاريخ العماني ، وهو فصام بين الداخل الاباضي ، واهالي الساحل المنفتحين والعاملين في البحر من السنة والشيعة.



الفصل الثالث

التطور السياسي لعمان

هذا وقد كان اختيار الامام يتم اما تبعا لصفات شخصية تميزه عن الاخرين كالاستقامة والنزاهة والتدين فيظل قائما على مهام منصبه حتى يحيد عن هذا السبيل فيعزل او يقتل ، واما ان ينتخب لشجاعته عندما تحدق الاخطار بالبلاد حتى ولو لم تتوفر فيه الشروط السابقة وتكون مهمته الدفاع عن البلاد وبذلك يكون منصب (الامامة) هو (اداة للدفاع عن الوطن)، فاذا ما استطاع الامام البطل صد العدوان اعيد النظر في امامته ، فاما ان يبقى في منصبه واما ان يعتزل او يعزل ، وكل هذه الامور من اختيار للامام او عزله ، لابد ان تتم عن طريق الشورى والتشاور بين زعماء القبائل ومشايخها واهل الرأي في البلاد ولذلك فان الاباضيين يقولون بان مذهبهم هذا يمثل الاسلوب الامثل للحياة الديمقراطية التي تتوفر فيها حرية الرأي والانتخاب السليم ، وعندما ينتخب الامام فانه يصبح رئيسا للدولة والمنفذ للشريعة والمسؤول عن السلطة التنفيذية وبعد الانتخابات [illegible] البلاد بتوافد رجال القبائل على مركز الامامة لاعلان تأييدهم وطاعتهم للامام الجديد.

ويقول الاباضيون ان مذهبهم قد نشأ وبرز قبل ما يقرب من مئة سنة من نشوء المذاهب الاربعة اي مذاهب ابن حنبل وابو حنيفة ومالك والشافعي.

وقد ظلت الدولة على مدى قرون قائمة على اساس اسلامي اصيل وان كان الاساس يمنع من تعاقب افراد اسرة مالكة على الحكم في عمان لفترات طويلة وظلت الشريعة الاسلامية تحكم الامور العامة والخاصة والحقيقة ان العزلة التي كانت طابعا للمنطقة الوسطى من البلاد انما كانت في احيان كثيرة ترجع الى التمسك الشديد بالاباضية مما يفسر الى حد ما الفصام الذي يتضح في فترات كثيرة من التاريخ العماني ، وهو فصام بين الداخل الاباضي ، واهالي الساحل المنفتحين والعاملين في البحر من السنة والشيعة.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

التطور السياسي وأهمية الموقع

لقد احتلت عمان المركز الهام في الخليج العربي منذ اقدم العصور، وكانت مسقط، بموقعها الستراتيجي المتميز ومكانتها التجارية وهدوء مياهها، مثابة للسفن وأمناً، رغم قساوة حرارتها وشدتها في فصل الصيف، مما جعلها مطمح انظار الطامعين من البرتغاليين والهولنديين والانجليز والفرس من قبلهم، وعزمهم على احتلال تلك البلاد العربية العريقة الموغلة في اعماق التاريخ والتي كانت حضارتها امتدادا لحضارة وادي الرافدين قبل ميلاد السيد المسيح بألوف السنين.

ونظرا لاهمية الخليج العربي ذاته وما يحوى من كنوز دفينة في بره وبحره، ولأهمية موقعه الجغرافي كطريق الى الهند وبلاد الشرق الاقصى، فقد كانت البرتغال من أوائل الدول الاوربية التي مخرت سفنها عبابه في طريقها الى مواطن الثراء.. اللؤلؤ والتوابل والبخور واللبان.. بلاد الجن والسحر والاساطير من قبل ان يظهر الذهب الاسود وتعم لعنته وخيراته البشر.

«ولم يمنع تشدد الاباضية وسيطرتها في عمان من تمركز بعض المذاهب الاسلامية الاخرى، فقبائل (الظاهرة) وقبائل المنطقة الواقعة الى الجنوب من الشرقية وبعض القبائل التي تستوطن منطقة ساحل الباطنة، كلها قبائل (سنية)، بينما تخلت قبائل (بني بوعلي) في جعلان عن مذهبها الاباضي لتتبع (الوهابية) بعد عمليات التوغل التي قام بها الوهابيون من المملكة العربية السعودية في اوائل القرن التاسع عشر.

هذا ويوجد الشيعة بين اهالي المدن الساحلية وخصوصا بين التجار، كما توجد فئة تسمى (خوجة) أو (لوتى)، وهي فئة من الشيعة نشأت في مدينة حيدر آباد في السند وهي موجودة في (مطرح) منذ عدة أجيال»[٣٦].

ويقول الاستاذ عبد القادر زلوم في كتابه (عمان والامارات السبع)[٣٧] بأن المذهب الاباضي قريب من مذاهب أهل السنة وانهم يقولون بان (القرشية) ليست

---

(٣٦) عمان ونهضتها الحديثة ـ المرجع السابق صفحة ١٦٨.

(٣٧) انظر هامش صفحة (١١) في الكتاب المذكور.

بشرط في الخلافة كما انهم لايذكرون بالرضى بعد رسول الله (ص) من الخلفاء الراشدين غير ابي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(وقد وصف ابن بطوطة كيف كان الأباضيون في نزوى يؤدون صلاة الجمعة فقال بانهم لم يكونوا يصلون صلاة الجمعة بالشكل المتبع لدى اهل السنة، وانما كانوا يصلون صلاة الظهر العادية، ولعل ذلك يرجع الى ان النبهانيين المالكيين كانوا اذ ذاك يتولون الحكم في عمان. ولم يكن هؤلاء يعتبرون من الائمة. وبعد اداء (ركعات) الظهر يرتل الامام آيات من القرآن الكريم ثم يلقى حديثا يشبه خطبة الجمعة، ويتبع الامام ذكر اسم أي من الخليفتين الاولين ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب بدعاء (رضي الله عنه) ولكنه يمسك عن ترديد هذا الدعاء عندما يذكر عثمان بن عفان أو علي بن ابي طالب)[٣٨].

وعندما تسلم السلطان قابوس بن سعيد مسؤولية الحكم ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٠ اصدر أوامره بوجوب اقامة صلاة الجمعة المعتادة في جميع المدن والمناطق العمانية ونشطت حركة بناء المساجد في كافة انحاء البلاد.

---

(٣٨) عمان ونهضتها الحديثة ـ المرجع السابق صفحة ١٦٩.

التغلغل البرتغالي

لقد لعب (فاسكودي كاما) دورا خطيرا في القضاء على المجد العربي القديم في الخليج ، ربما . . ليقدم لآلئه هدية باهظة التكاليف لاحدى أميرات البرتغال . . فقد انطلق اسطوله في الثامن من تموز (يونيو) ١٤٩٧ في رحلته التي دار فيها حول رأس الرجاء الصالح حيث استقبلته الجالية العربية في الشرق الافريقي مرحبة . ثم قاده البحار العربي (احمد بن ماجد) الى كاليكوت على الشاطيء الغربي للقارة الهندية في رحلة استكشافية عاد بعدها الى البرتغال .

وفي عام ١٥٠٢ رجع (دي غاما) الى الشرق يقود حملة قوامها ١٥٠٠ محارب فأنشأ مراكز حربية بين أفريقيا والهند للقضاء على التجار العرب الذين كانوا ينقلون البضائع من الهند والحبشة ومصر والشام ومنها بالسفن الى اوربا .

وقد رأى (فرانسيسكو الميدا) أول أمير للبحر وحاكم للمتلكات الهندية البرتغالية في عهد الملك البرتغالي (عما نوئيل الاول) ، ان خير طريق لتحقيق الهدف الاستعماري البرتغالي هو السيطرة على مدخلي البحر الاحمر والخليج العربي . ولذلك فقد سارت القوة البرتغالية بقيادة السفاح (الفونسودي البوكيرك) تحرق الموانىء العربية وتغرق اساطيل العرب التجارية تمهيدا لاقامة امبراطورية برتغالية في الشرق، حيث استطاعوا في عام ١٥٠٥ من تثبيت مراكزهم التجارية في الهند ثم بدأوا بمد سيطرتهم على الخليج العربي .

ففي عام ١٥٠٦ هاجم البرتغاليون جزيرة هرمز الواقعة في مضيق هرمز وتمكنوا من احتلالها كما احتلوا جزر كوريا موريا عام ١٥٠٧ وأحرقوا أكثر من ثلاثين سفينة عربية فيي تلك الجزيرة التي فقدت مركزها الهام كميناء على الطريق التجاري الى الهند ثم هاجموا مسقط ورأس مسندم فأحرقوها ومثلوا بأهلها وأقاموا القلاع في الاماكن الاستراتيجية منها وانطلقوا لاحتلال الشاطىء الغربي للخليج حيث احتلوا البحرين عام ١٥١٥ . . واستولوا عليها وبنوا فيها قلعة ضخمة لا تزال اثارها قائمة في (المنامة) حتى اليوم .

ولقد كانت مسقط مدينة آهلة بالسكان تحيط بها الجبال . أما ميناؤها فصغير

على شكل حدوة الحصان وهو يعتبر المركز الرئيسي للتجارة مع مملكة هرمز.

وأما هرمز وهو اسم مكان فقد اطلق على مدينتين أولاهما (هرمز القديمة) التي كانت تقع في البر الفارسي من الخليج و(هرمز الحديثة) الواقعة على الساحل الفارسي، وهرمز بمفهومها القديم والتي كانت تشتمل على أجزاء داخلية مع الساحل الفارسي، تقع على رأس خليج يدعى على حسب اقوال الاصطخري (الجير)، وكانت الميناء البحري للتجارة الخاصة بكرمان وسيستان في القرن العاشر، كما ذكر الاصطخري والأدريسي والمقدسي. وكانت صبغة (النيلة) من أهم منتوجاتها، كما كان يزرع فيها الشعير والحنطة اضافة الى المنتوجات المعدنية كالحديد والفضة والذهب والزئبق والملح.

وقد كان حكامها من سلالة عربية، أما مؤسسها فهو (الشاه محمد درهم كوب) وهو شيخ عربي عبر الخليج وأنشأ مملكة هناك وذلك في أواخر القرن العاشر الميلادي.

ويبدو ان حكامها اعتمدوا في بعض الاوقات على (الاتابكة) في فارس. ففي عهد (بهاء الدين) وهو الملك الخامس عشر من السلالة تعرضت هرمز سنة ١٣١٠هـ لغارات التتار مما اضطر الملك وشعبه الى الهجرة من البر الفارسي والانتقال الى جزيرة (قشم) التي تعتبر أكبر جزيرة في مدخل الخليج العربي والتي حملت اسم (هرمز) القديم حيث انتقل اليها النشاط التجاري في أيام (ابن بطوطة) الذي زارها عام ١٣٥٥م ووصفها قائلا بأن البحر يفصل بين (الهرمزين) القديمة والجديدة بقنال عرضه ثلاثة فراسخ. وقال بأن عاصمة هرمز الجديدة تسمى (جيرون) وهي مدينة واسعة ذات أسواق وتعتبر مستودعا لبضائع الهند والسند. أما ملكها فاسمه (أباز) وهو الذي سمى المدينة الجديدة بهذا الاسم تخليدا للمدينة القديمة. (ولقد امتدت سيطرة هرمز الجديدة الى أماكن أخرى من شبه الجزيرة العربية حتى وصلت الى مسقط والبحرين والبصرة، كما امتدت الى أماكن أخرى من بلاد فارس)[٣٩].

---

(٣٩) - WILSON, Arnold - The persian gulf. (An Historical scketch from earliest times to the begining of the 20th century).

Oxford University Press. pp. 192-93

هذا ولقد كان ميناء (خور فكان) التابع لامارة الشارقة حاليا من الموانىء العربية المهمة التي أحرقها (البوكرك) ومثل بأهلها أبشع تمثيل، فجدع انوفهم وصلم اذانهم كما قطع رقاب الالوف منهم. وبهذا الاسلوب الوحشي قضى البرتغاليون على تجارة العرب في المنطقة التي ازدهرت منذ عهد دولة (معين) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

وخور فكان، وهو عبارة عن خليج صغير تحيط به الجبال على شكل فكين (ومن ذلك جاءت تسميته بهذا الاسم)، كان خاضعا لمملكة هرمز ويعتبر من الموانيء البحرية الكبيرة على ساحل بحر عمان وقد وصفه القبطان البرتغالي (البوكيرك) بانه من أجمل المدن نظرا لاعتدال مناخه وتنوع زراعته، حيث تزرع فيه الفواكه والقمح والذرة والتمور ويتم تصدير الخيول منه الى الهند (٤٠).

وقد بنى (البوكيرك) أول قلعة بحرية في مدخل الخليج العربي وهي (قلعة هرمز) كي تركن اليها اساطيل البرتغال وتحمي طرق مواصلاتهم. كما حاول بعد المجازر البشعة التي اقترفها اقامة علاقات ودية مع بعض الحكام العرب.

لقد اقترف البرتغاليون بقيادة (البوكيرك) آثاما وجرائم لا تنسى بحق المواطنين العرب في تلك المناطق، فدمروا مدينة (القريّات) واحرقوا سفنها وهاجموا (قلهات) و (صحار) التي عانت من وطأة الهجوم ما عانته مسقط.

وقد تغلغل نفوذ البرتغاليين في امارات الخليج العربي حتى انهم وصلوا شمالا الى شط العرب وأخذت سفنهم تجوب الخليج والموانىء الهندية وموانىء اليمن وجدة محملة بالبضائع مهددة بسقوط نفوذ السلطنة العثمانية.

وبالرغم من العنف الذي مارسه أولئك الغزاة الاوربيون فقد قابلهم الشعب العربي ببطولة وشجاعة، فقد حدث عند هجومهم على هرمز مثلا ان استعدت المدينة للقائهم بحوالي (٣٠) ألف محارب و (٤٠٠) سفينة. الا ان هذه

---

(٤٠) دولة اليعاربة - المرجع السابق - نقلا عن مخطوطة (تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين) للفقيه الشيخ زين العابدين - وهي مخطوطة ترجع الى القرن السادس عشر الميلادي.

الاستعدادات التي كبدت الغزاة خسائر فادحة، لم تجد فتيلا، حيث كان النصر حليفهم، وفرض (البوكرك) جزية سنوية على هرمز، كما حصل على امتيازات للتجارة البرتغالية مما عزز مكانة البرتغاليين وسيطرتهم في منطقة الخليج العربي، تلك المكانة التي ظلت على امتداد القرن السادس عشر الميلادي موضع المنافسة والتحدي متعاونين في ذلك مع الشاه اسماعيل الصفوي حاكم بلاد فارس الذي كان يطمح الى تحقيق الاحلام الفارسية القديمة بالنسبة للخليج. الا ان الطموح الاستعماري البرتغالي كان أوسع من الاطماع الفارسية حيث نقض البرتغاليون اتفاقهم مع الشاه الفارسي واستولوا على البحرين وأنشأوا حصنا لهم هناك.

وبالرغم من العنف الذي مارسه البرتغاليون الاستعماريون، فقد قام سكان الخليج بمحاربتهم والتصدي لهم. فما ان اعلن خبر وفاة (البوكرك)، وزوال شبحه الرهيب، حتى اتخذ العرب قرارا بمهاجمة جميع الحصون البرتغالية في وقت واحد وذلك في ليلة ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥٢١. الا ان حاكم مسقط شذ عن ذلك الاجماع العربي. وقد قامت حكومة البرتغال التي تكبدت خسائر في الارواح والممتلكات بارسال اسطول برتغالي من الهند، فهاجم صحار ودمرها تدميرا ثم هاجم هرمز واستعاد سيطرته عليها وأبرم مع حاكمها معاهدة جديدة وذلك في ٢٣ تموز (يونيو) ١٥٢٣ بحيث اصبحت هرمز تحت السيطرة البرتغالية[٤١].

وما ان جاء عام ١٥٢٦ حتى تململ أهل مسقط وقلهات وثاروا ضد البرتغاليين الذين استطاعوا قهر تلك الثورة واخمادها بمعاونة (الشيخ شرف) مستشار حاكم هرمز.

وفي سنة ١٥٢٩ اشتعلت ثورة أخرى نتيجة لعزل المستشار شرف من قبل حاكم المستعمرات البرتغالية في الهند، فقد اثار عزله احتجاج البحرين حيث غضب حاكمها (بدر الدين)، وهو ابن عم (شرف)، ورفض دفع الجزية السنوية التي كان يدفعها للبرتغاليين، فأرسلت البرتغال حملة عسكرية لقمع الثورة في البحرين ولكنها فشلت لنقص الامدادات[٤٢].

---

(٤١) دليل الخليج العربي - تأليف ج. ج - لوريمر وترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر - ج١ ص٩.

(٤٢) دولة اليعاربة - المرجع السابق - ص٢٨.

ويبدو من استقراء الاحداث ان البرتغاليين في غزواتهم البحرية هذه انما قصدوا الى تحقيق هدفين أولهما الهدف الاقتصادي والوصول الى مواطن الثروة في القارة الهندية. وثانيهما الهدف الديني، وهو الانتقام من العرب المسلمين الذين سبق لهم احتلال شبه جزيرة ايبريا (الاندلس). ولذلك فانهم عندما اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨ واستعملوه في تجارتهم الشرقية، اصبح ذلك الاكتشاف من العوامل المباشرة للصراع بين المصالح الاوربية من ناحية، وللصراع الديني بين أوروبا المسيحية وبين الشرق الاسلامي من ناحية أخرى، وكأنه استمرار للحروب الصليبية، حيث حمل أولئك المغامرون الاوربيون نزعتهم الدينية العدوانية مع اطماعهم السياسية والاقتصادية في البلاد العربية.

وبدافع من تلك الروح الصليبية فقد تتبعوا المسلمين العرب، بالذات في عقر ديارهم وقسوا في معاملتهم بعد ان فشلوا في نشر معتقداتهم الكاثوليكية بين صفوفهم، كما فعلوا في بعض أجزاء القارة الافريقية.

تدهور النفوذ البرتغالي :

بدأ النفوذ البرتغالي بالتدهور في الخليج العربي منذ عام ١٥٨٠ م كنتيجة للسياسة الوحشية التي اتبعتها البرتغال مع العرب من ناحية، ولظهور التنافس الاوروبي على الهند بشكل سافر من ناحية اخرى، حيث ظهرت الى الميدان دول اوروبية اخرى في محاولة للتسلط على القارة والسيطرة على طريق الهند والمياه الدافئة في الخليج. وقد تمثلت هذه المحاولات باديء ذي بدء في تشجيع البريطانيين للفرس على التحرش بمصالح البرتغاليين في الخليج ومساعدتهم في التدخل في الشؤون الداخلية لامارته.

بدء التغلغل البريطاني :

وفي سنة ١٥٨٣ قامت الملكة اليزابيت بارسال ثلاثة مغامرين بريطانيين وعلى رأسهم الرحالة (رالف فيج) ومعهم رسائل موجهة الى ملك كمبوديا وامبراطور

الصين. وقد سافر هؤلاء المغامرون برا الى البصرة ثم ابحروا في الخليج العربي الى (هرمز) ومن هناك رجع (فيج) الى بلاده سنة ١٥٩١ ومعه تقارير مشجعة للغاية عن الامكانات التجارية العظيمة في منطقتي الشرق الاقصى والبلاد العربية والخليج العربي وفارس..

واستنادا الى هذه التقارير انشئت (شركة الهند الشرقية الانجليزية) التي اعدت اسطولا تجاريا ارسلته الى الشرق.

وعندما اعتلى الشاه عباس عرش فارس عام ١٥٨٧ بدأ يميل الى البريطانيين نتيجة ردود الفعل ضد البرتغاليين الذين عانت منهم المنطقة. فقد ارغم البرتغاليون الفرس على شراء البضائع البرتغالية وشحن بضائعهم على السفن البرتغالية مما حدا بالشاه الى اصدار (فرمان) منح بموجبه الامان للتجار المسيحيين، كما منحهم حق التجارة في البلاد[٤٣] حيث اصدر فرمانا آخر عام ١٦٠٠ ميلادية أمر فيه رعاياه بالتعامل مع شركة الهند الشرقية التي تأسست في ذلك العام. كما امر بحسن استقبال الرعايا البريطانيين والتعامل معهم. بالاضافة الى ذلك فقد منح شركة الهند الشرقية المذكورة حرية اختيار ميناء لتجارتها واعمالها نكاية بالبرتغاليين فأختارت الشركة ميناء (جسك) الذي يبعد (٩٠) ميلا الى الشرق من هرمز..

وقد بدأت الشركة اعمالها التجارية بصورة فعلية عام ١٦١٦ حيث ابحرت السفينة (جيمس) من (سورات) الى (جسك) محملة بالحرير وقد فشلت محاولات البرتغاليين في التعرض لها او ايقافها[٤٤]. فتأسست اول وكالة بريطانية عام ١٦١٩ تعاونت معها الحكومة الفارسية ومنحتها تسهيلات كثيرة نكاية بالبرتغاليين، خاصة بعد ان كانت الشركة انشأت مراكزها التجارية في اصفهان وشيراز عام ١٦١٧ ومركزها التجاري في (جسك) عام ١٦١٩[٤٥]..

---

(٤٣) -Miles, S.B.: The Countries and tribes of the persian gulf. 2vols., London,1919.p.185.

(٤٤) أحاديث عن الخليج العربي ـ للدكتور محمود علي الداود ـ ص٨ (انظر كذلك كتابنا: الخليج العربي في ماضيه وحاضره ـ المرجع السابق ص٢٨.

(٤٥) Dennis R. Obock : Muscat, Bauchaire, Bassorah. paris, 1883. pp. 139-140

وقد اتفقت حكومة فارس مع بريطانيا على ان تتولى الاخيرة تجارة الحرير بواسطة (شركة الهند الشرقية)، وبذلك ظهر الاسطول البريطاني في الخليج كقوة ضاربة مما دفع البرتغاليين الذين ظلوا يتحينون الفرص للاشتباك مع البريطانيين حيث اصطدمت اساطيل الدولتين في اواخر عام ١٦٢٠ في معركة بحرية قرب (جسك) انهزم فيها الاسطول البرتغالي وبذلك قوي مركز شركة الهند الشرقية[٤٦].. خاصة عندما انهزم البرتغاليون في معركة بحرية ثانية وقعت في المنطقة في شهر كانون الاول (ديسمبر) من العام نفسه، وقد استمرت المعارك الحامية بين البريطانيين يساعدهم الفرس من ناحية وبين البرتغاليين الذين بدأ نجمهم بالافول، حيث اضطروا الى الاستسلام بشروط مهينة عندما ظهر الاسطول الهولندي في الميدان متعاونا مع الاسطول البريطاني الذي بدأ وجوده كقوة ضاربة في الخليج العربي عندما ابحر في شهر شباط (فبراير) عام ١٦٢١ الى (سورات) ثم الى جزيرة (مصيرة) ثم الى مدينة صور في نفس العام ثم احتلاله لحصن (قشم) في ٢٢ كانون الثاني (يناير) سنة ١٦٢٢، بعد معارك حامية زعزعت الكيان البرتغالي واجلته عن معاقله في جزيرة (قشم) التي تعتبر اكبر جزيرة في مدخل الخليج والتي اطلق عليها البرتغاليون اسم (تويسكيم)[٤٧]..

ولقد شهدت الفترة ما بين ١٦٤٠ و ١٦٤٩ كوارث خطيرة زعزعت مركز البرتغاليين في الخليج العربي، حيث استولى سلطان عمان على (صحار) التي ظلت بايدي البرتغاليين عشرين عاماً. وفي خلال عام ١٦٤٨ وحتى عام ١٦٤٩ حاصر العمانيون مسقط واستولوا عليها وما جاء عام ١٦٥٠ حتى كان البرتغاليون قد خسروا جميع مراكزهم في عمان واخذوا بالتقهقر عن الخليج وانحسر آخر نفوذهم في عام ١٦٨٩ فكان ذلك آخر عهدهم به..

---

(٤٦) السير ارنولد ويلسون ـ المرجع السابق صفحة ٢٤٥.

(٤٧) Alexander Hamilton: A New account of the east endies. vol. I London 1930. p. 84.

عمان والبرتغاليون :

وجدير بنا ونحن نتحدث عن الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي ان نركز في بحثنا هذا على ماهية ذلك الاستعمار بالنسبة للاحداث التي وقعت في عمان، حيث كتب الكثير قديما عن هذه السلطنة التي حاربت الاستعمار البرتغالي والهولندي والفارسي والبريطاني واقامت علاقات ودية مع الدول العظمى حينذاك كالولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة وفرنسا النابليونية.

لقد كان العمانيون من اشهر بناة السفن في القرن العاشر الميلادي حيث طبقت شهرتهم جميع البلاد ومخرت سفنهم القوية جميع البحار المعروفة آنذاك، كما كانت مدينة صحار الواقعة في شمال سهل الباطنة من اكثر المدن عمرانا ورخاء في العالم الاسلامي، ومن اعظم مرافئه، كما كانت المدينة الاولى التي دخلها الاسلام في عمان. وعندما انهارت الامبراطورية الرومانية الشرقية في القرن الخامس عشر واستطاع العثمانيون احتلال الاستانة، اضطر التجار البرتغاليون الى تغيير طريق تجارتهم الى بلاد الهال والتوابل واصبحوا يدورون حول رأس الرجاء الصالح، كما اصبح المسيحيون لا يجرأون على الابحار في البحر الاحمر الذي اصبح بحيرة اسلامية..

وعندما دارت اول سفينة برتغالية بقيادة (فاسكودي غاما) حول رأس الرجاء الصالح، كما اسلفنا، بمعاونة وارشاد الملاح العربي (ابن ماجد) عام ١٤٩٨ وجدت في عمان خير مستقر للتموين والراحة. وماان انقضت عشرين عاما على ذلك، حتى هاجم البرتغاليون عمان بقيادة الادميرال (الفونسو دي البوكرك) واحتلوا الساحل الشرقي الافريقي وبنوا قلعة (الميراني) في مدينة مسقط حيث تميز حكمهم بالفظاظة والقسوة..

ان المائة وخمسين عاما التي تمثل الاحتلال البرتغالي لتلك البلاد يمكن اعتبارها اسوأ فترة في تاريخ الاحتلال العالمي[٤٨]..

---

(٤٨) الفجر فوق عمان ـ المرجع السابق ص١٥.

ولقد بدأ حكم البرتغاليين بالتدهور والضعف في اواخر القرن السابع عشر (١٦٢٢) خاصة بعد ان تركوا سيطرتهم على هرمز لبريطانيا وفارس، وركزوا جهودهم للاحتفاظ بمسقط وتحصينها تحصينا قويا حيث بنوا القلاع على قمم الجبال المحيطة بها، كما سدوا جميع الطرق والمنافذ التي تؤدي اليها والتي لا تزال قائمة حتى الان، كما اعادوا تجديد وتحصين قلعة (الجلالي) التي كان الفرس قد بنوها عام ١٥٨٩ حيث اصبحت هذه القلعة مع قلعة (الميراني)، التي سبق لهم بناءها اشبه بحدوة الحصان بالنسبة لميناء مسقط ومدينة مسقط ذات الطابع المتميز.

وعندما بدأ النفوذ البرتغالي بالانهيار في فارس والخليج العربي نتيجة الصراع مع بريطانيا التي اشتد ساعدها في المنطقة، استغل الشاه الفارسي (عباس الصفوي) هذه الفرصة فوجه همه لاحتلال اقطار الخليج وفرض السيادة الفارسية عليها فاستطاع بتشجيع ومؤازرة (شركة الهند البريطانية) التي سبق له منحها امتيازات كثيرة في بلاده، من احتلال البحرين عام ١٦٠٢ واحتلال الحصن البرتغالي القائم في هرمز في كانون الثاني (يناير) ١٦٢٢ بعد استسلام الحصن البرتغالي القائم في جزيرة (قشم)[٤٩]..

الا ان ذلك الاحتلال لم يضع حدا نهائيا للوجود البرتغالي في الخليج العربي، رغم انه قوي شوكة الفرس وزاد في اطماعهم في المنطقة وفي العراق الذي كان تحت الحكم العثماني..

فعندما استولى الفرس على بغداد استنجد والي البصرة بالبرتغاليين لمعاونته ضد الغزاة مقابل امتيازات اقتصادية وسياسية تمتع بها البرتغاليون، بحيث صارت سفنهم تمخر في شط العرب حتى سنة ١٦٤٠..

---

(٤٩) للتفصيلات تراجع الكتب الآتية :

١ - نزاع شط العرب في المفاهيم القانونية - رسالة دكتوراه في القانون للمؤلف باللغة الانجليزية، الطبعة الثانية ببغداد عام ١٩٧٢.

٢ - شط العرب في مجرى التاريخ والسياسة والقانون للمؤلف - صدر ببغداد عام ١٩٧٣.

٤ - لوريمر - المرجع السابق.

٥ - دولة اليعاربة - المرجع السابق.

٦ - أرنولد ويلسون - المرجع السابق.

المحاولات الهولندية :

عندما بدأ الهولنديون يفكرون في الوصول الى مراكز التجارة في الشرق والخليج العربي وبلاد فارس، ارسلوا بعثة لدراسة الاحوال التجارية عام ١٥٩٠ ثم كونوا شركة (الهند الشرقية الهولندية) عام ١٦٠٢ حيث تعاونت هذه الشركة باديء ذي بدء مع الانجليز لطرد النفوذ البرتغالي من الخليج في معركة هرمز عام ١٦٢٥.

ولقد كان من نتائج انحسار النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ازدياد حدة التوتر والتنافس بين هولندة وانجلترا في المنطقة نظرا لان الهولنديين استطاعوا بعد مهاجمتهم جزيرة (قشم) عقد اتفاقية مع الشاه الفارسي الذي منحهم وحدهم اجازة لتصدير الحرير من بلاده دون دفع الضرائب المعتادة مما ادى بالتالي الى تزايد النفوذ الهولندي وتهديده للمصالح البريطانية وتحطيم الوكالة البريطانية التجارية في البصرة عام ١٦٤٩، ثم نشوب الحرب بين الطرفين في القارة الاوروبية على اثر اصدار (كرومويل) لقانون الملاحة عام ١٦٥١، وقد استمرت الحرب سنتين ووصل شررها الى الخليج العربي عندما قامت السفن الهولندية بمهاجمة سفن (شركة الهند الشرقية البريطانية) وتحطيم بعضها عند ساحل (بندر عباس) سنة ١٦٥٤.

وبعد ان عقد الصلح بين الطرفين قامت هولندا بتعويض شركة الهند الشرقية عن خسائرها، الا ان التوتر ظل يسود العلاقات البريطانية الهولندية مما حدا ببريطانيا الى اصدار قانون جديد للملاحة عام ١٦٦٥ اعتبرته الحكومة الهولندية ضد مصالحها فنشبت الحرب مجددا بين البلدين الى ان تم الصلح بينهما بعدئذ بموجب (معاهدة بريدا)[٥٠].

---

(٥٠) انظر ملحق رسالتنا للدكتوراه باللغة الانجليزية في هذا الصدد: The shatt Al - Arab dispute)

(وقد طبعت الطبعة الاولى منها في هولندا عام ١٩٧١ على نفقة جامعة جرونجن ووزارة الثقافة والعلوم الهولندية»، وطبعت الطبعة الثانية عام ١٩٧٢ على نفقة وزارة الاعلام العراقية) ثم طبعت للمرة الثالثة عام ١٩٨٤ على نفقتها كذلك وفيها اضافات حول الحرب العراقية ـ الايرانية.

وقد استطاع الانجليز اقناع الشاه الفارسي بتشكيل حملة مشتركة هاجمت الهولنديين عام ١٦٦٦ واجلتهم عن مراكزهم التجارية في جزيرة (خرج) وغيرها بعد ان احرقت جميع ممتلكاتهم، خاصة بعد ان ظهر تحيز الشاه الواضح للجانب البريطاني حيث أمر بتخفيض الضرائب المفروضة على التجار الانجليز ثم قام بزيارة الوكالة البريطانية في مدينة اصفهان عام ١٦٦٩ زيارة ودية..

وهكذا تمكن الانجليز من التأثير على سير التجارة الهولندية التي اضطرت الى الانسحاب من بندر عباس عام ١٧٣٠، ومن البصرة عام ١٧٥٢، ومن بقية ارجاء الخليج وفارس سنة ١٧٦٥. وبذلك خلا الجو للنفوذ البريطاني.

المحاولات الفرنسية:

كان لشركة الهند الشرقية البريطانية التي تأسست سنة ١٦٠٠ كمؤسسة تجارية ثم تحولت عام ١٧٦٥ الى هيئة سياسية لها اثرها الواضح في توطيد النفوذ البريطاني في الخليج وسواحل عمان، اهمية كبيرة ودور بارز في النزاع الذي اشتد بين بريطانيا وفرنسا..

ومن الجدير بالذكر ان شركة فرنسية ظهرت على المسرح سنة ١٦١٤ كمنافس للتجارة البريطانية في الخليج العربي وبلاد فارس، حيث قامت قوات بحرية فرنسية بمهاجمة ميناء (بندر عباس) وتخريبه بالمدافع، مما اضطر الوكالة البريطانية الى الانتقال الى البصرة التي جعلتها مركز اعمالها حتى سنة ١٧٧٦.

ولقد حاولت فرنسا مد نفوذها الى منطقة الخليج العربي عن طريق اقامة علاقات تجارية مع العمانيين حيث تمكنت من عقد معاهدة صداقة وتجارة مع (سلطان بن احمد) سلطان مسقط آنذاك، علما بان الاتصالات الرسمية بين السلطان وبين الحكومة الفرنسية كانت تجري بواسطة المسيو (روسو) القنصل الفرنسي المقيم في بغداد آنذاك.

ولقد سببت هذه المعاهدة لفرنسا متاعب جمة، ذلك ان حكومة الهند البريطانية كانت تعتبر مسقط وتوابعها على ساحل بلوجستان وساحل عمان من مناطق نفوذها. وعليه فقد اهتمت بريطانيا اهتماما كبيرا بظهور الفرنسيين في مسقط واعتبرت وجودهم خطرا يهدد مصالحها بصورة مباشرة، خاصة وان الوجود الفرنسي في جزيرة (موريشيوس)، واعتبارها جزيرة فرنسية (بنظر الفرنسيين)، كان له اثره في العلاقات الطيبة بين حكام عمان وبين الفرنسيين وقيام نوع من العلاقات الشخصية وتبادل الهدايا بين الطرفين، يعزز ذلك الصداقة الشخصية المتينة بين (احمد بن سعيد) وبين القنصل الفرنسي في البصرة.

وفي عام ١٧٨٥، ارسل الفرنسيون بعثة برآسة (الكونت دي روزيلي) الى (مسقط) تطلب السماح بانشاء مصنع وقنصلية فرنسية فيها.

ولقد ازدادت حدة التنافس بين الفرنسيين والبريطانيين مع ازدياد تألق العهد النابليوني، حيث اخافت مطامح نابليون الواسعة الهادفة الى تأسيس امبراطورية واسعة في الشرق، البريطانيين الذين كانوا يعملون على تدعيم مركزهم وقوتهم في الهند منذ حرب السنوات السبع، كما كان لاحتلال نابليون مصر، اثره المباشر في الصراع الدبلوماسي الحاد بين البريطانيين والفرنسيين على النفوذ في سلطنة عمان التي كانت تحسن الظن بالفرنسيين، رغم قيامهم بالاستيلاء على سفينة عمانية تدعى (الصالح) بالقرب من صحار.

نابليون والسلطان :

وعندما احتلت القوات الفرنسية مصر سنة ١٧٩٨، ارسل نابليون بونابارت رسالة الى سلطان مسقط بتاريخ ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٧٩٩ ندونها في ادناه: [٥١]

---

(٥١) اضواء على الخليج العربي ـ الدكتور ابراهيم الشريقي ـ مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ـ جدة ـ ١٩٦٨ صفحة ٢٠.

« الى صاحب السمو امام مسقط

أكتب اليكم هذه الرسالة لأخبركم بالذي لاشك في انه نما الى علمكم، وهو وصول الجيش الفرنسي الى مصر. وبما انكم كنتم صديقا في مختلف الظروف والاحوال، فاني اود ان تكونوا مقتنعين تماما باني أود توفير الحماية لجميع سفن شعبكم، وانها اذا قررت الوصول الى السويس، فانها ستجد الحماية اللازمة لاغراض التجارة. وارجومنكم ان تبلغوا نص هذا الكتاب الى (تيبو صاحب) في أول فرصة يمكنكم فيها الاتصال به في الهند. »

وعندما شعرت بريطانيا بخطورة هذه العلاقة بين سلطان مسقط وفرنسا، قررت احباط مساعي الفرنسيين، خاصة وقد اثار شكوكها قيام عالمين فرنسيين شهيرين وهما (بروغيير) و(اوليفييه) بزيارة لمنطقة الخليج العربي. وانطلاقا من هذه الشكوك (فقد تمكن احد العملاء البريطانيين من اعتراض رسالة نابليون)[٥٢].

وفي عام ١٧٩٨ عينت الحكومة البريطانية (سير هارفورد جونز) مقيما لها في البصرة للحيلولة دون تمكن الفرنسيين من كسب الحظوة لدى والى بغداد، كما ارسلت في نفس الوقت (ميرزا مهدي علي خان بهادور) احد ابناء العائلات الفارسية التي كانت تعمل في خدمة التاج البريطاني في الهند آنذاك ممثلا لشركة الهند الشرقية البريطانية للتفاوض مع السلطان (السيد سلطان بن احمد) في مسقط، من أجل توثيق العلاقات البريطانية معه والعمل على طرد الفرنسيين من مسقط، وذلك قبل ثلاثة اشهر من ارسال نابليون رسالته الى السلطان التي قيل بانه لم يتسلمها.

وقد اسفرت المفاوضات البريطانية عن ربط السلطان بمعاهدة عام ١٧٩٨ الشهيرة حيث التزم السلطان بموجبها بأن يلتزم جانب بريطانيا وان يمنع الفرنسيين وحلفائهم الهولنديين من ان (يتخذوا مركزا ومكانا لهم في عمان ما دامت الحرب مستمرة بينهم وبين بريطانيا).

---

(٥٢) عمان ونهضتها الحديثة ـ المرجع السابق ـ صفحة ٤٥.

وبالرغم من هذه المعاهدة، فقد ظلت الشكوك تراود الحاكم البريطاني العام في الهند في احتمال محاولة الفرنسيين غزو الهند عن طريق بلاد فارس من ناحية، وفى مدى التزام السلطان العماني ببنود المعاهدة من ناحية اخرى، خاصة وقد بدأ الفرنسيون يبذلون محاولات جديدة لكسب موقع لهم في عمان على الرغم من وجود معاهدة عام ١٧٩٨.

ولقد استمرت المحاولات الفرنسية في هذا المضمار حيث اشار (تاليران) على نابليون في عام ١٨٠٣ قائلا:

«ان مسقط بلد له اهميته، فالامام الذي يحكمها والذي يمتد سلطانه الى داخل البلاد، بل وحتى الى بعض المناطق على ساحل موزمبيق، امير مستقل كل الاستقلال من جميع الوجوه) مما حدا بنابليون الى تعيين (كافانياك) قنصلا لفرنسا حيث وصل الى مسقط في الثالث من شهر تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٨٠٣ الا ان السلطان رفض بحزم قبوله وفاء منه لمعاهدته مع بريطانيا[٥٣].

هذا ومن الجدير بالذكر الاشارة هنا الى ان معاهدة ١٧٩٨ التي وقعها السلطان مع الجهات البريطانية في الثاني عشر من شهر تشرين الاول من العام المذكور، واطلق عليها اسم (قولنامه) بالفارسية، ضمانا للمصالح البريطانية التي تمثلها شركة الهند الشرقية، قد تضمنت النقاط الهامة الآتية:

«توثيق الصداقة مع الانجليز. عدم السماح للفرنسيين والهولنديين بانشاء وكالة او قيام مركز تجاري.

طرد الرعايا الفرنسيين من السلطنة. منع دخول السفن الفرنسية الى ميناء مسقط. اشتراك السفن الحربية العمانية مع السفن البريطانية ومعاونتها في حالة وقوع اصطدام مسلح مع السفن الفرنسية في المياه العمانية الاقليمية. الترخيص لبريطانيا بانشاء وكالة تجارية في بندر عباس والاحتفاظ بحامية عسكرية بريطانية قوامها يتراوح بين ٧٠٠ - ٨٠٠ جندي».

---

(٥٣) نفس المصدر - صفحة ٤٦.

وهكـذا استطـاعت بريطانيا بدهائها القضاء على المحاولة الفرنسية، خاصة بعد ان اضطرت نابليون الى الجلاء عن مصر وتدمير اسطوله في معركة (ابوقير) البحرية الشهيرة. مما اخلى لها الجو للتمادي في توسيع نفوذها والاستئثار بخيرات الخليج العربي، بعد ان كبلت حكامه العرب بمعاهدات جائرة غير متكافئة.

الاهتمامات الفرنسية في عمان:

هذا وقد اهتمت فرنسا بانشاء العلاقات مع بلدان الخليج العربي، وتركز هذا النشاط في الفترة الواقعة بين (١٨٣٩ ـ ١٨٤٨) عندما رفضت الحكومة الفرنسية في سنة ١٨٣٩ مساعدة الشاه ضد الحكومة البريطانية الا انها عادت فعدلت عن موقفها هذا وأوفدت بعثة عسكرية وبعثة دبلوماسية الى البلاط الشاهنشاهي، غير ان هاتين البعثتين فشلتـا في اقناع الشاه بتوقيع معاهدة تتعلق بمنح فرنسا بعض الامتيازات التجارية في الوقت الذي نجحت فيه بريطانيا في عقد مثل هذه المعاهدة عام ١٨٤١، الا ان فرنسا استطاعت مع ذلك عقد معاهدة تجارية مع (سلطان مسقط) عام ١٨٤٤ واستمرت محاولاتها من أجل عقد معاهدة تجارية مع الشاه فترة طويلة حتى نجحت في ذلك سنة ١٨٥٥ ثم توطدت العلاقات بين البلدين عندما التحق طبيب فرنسي بخدمة الشاه ثم قيام المهندسين الفرنسيين بوضع دراسات علمية لمشروع مد سكة حديد، بين بحر قزوين والخليج في سنة ١٨٨٣ ـ ١٨٨٤.

أما بالنسبة لنشاط فرنسا في العراق كقطر خليجي فقد ظهر جليا في الفترة الواقعة بين ١٨٤١ و١٨٤٨ حيث كان يمثلها قنصل عام هدفه تنمية مصالح فرنسا السياسية والتجارية في العراق مستعينا بجماعة من المبشرين الكاثوليك لتحقيق هذه الاغراض (٥٤).

---

(٥٤) احاديث عن الخليج العربي ـ المرجع السابق ـ ص١٥.

[للاطلاع على تفصيلات العلاقات العراقية ـ الفرنسية، يراجع كتاب «الحياة في العراق منذ قرن ـ ١٨١٤ ـ ١٩١٤» تأليف السفير الفرنسي بييردي فوصيل وترجمة الدكتور اكرم فاضل ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية سنة ١٩٦٨].

وأما علاقة فرنسا بالدولة العثمانية، فان هذه الاخيرة كانت تقف موقف الريبة والحذر من فرنسا نتيجة لحملة نابليون على مصر وتخوف الباب العالي من امتداد النفوذ الفرنسي الى ممتلكاته وخاصة عندما استخدم الامبراطور الفرنسي الرحالة البريطاني (بيلكريف) لاكتشاف مجاهل بلاد العرب الشرقية لغايات سياسية مما اثار الشكوك لدى الامبراطور العثماني الذي رفض في سنة ١٨٦٤ الموافقة على عرض تقدمت به شركة ملاحية فرنسية لمنحها امتيازات حرية التجارة والملاحة في الانهار العراقية على غرار الامتيازات التي منحتها الحكومة العثمانية الى (شركة دجلة للملاحة التجارية البريطانية).

وترجع العلاقات البريطانية الفرنسية في مسقط الى تصريح العاشر من آذار (مارس) سنة ١٨٦٢ الذي تعهدت فيه كل من الدولتين باحترام استقلال عمان وكان مركز فرنسا بالنسبة الى هذا التصريح متكافئا مع مركز بريطانيا في تلك السلطنة.

وعلى اثر وفاة السيد تركي - سلطان عمان - سنة ١٨٨٨ استمرت الحكومة البريطانية في دفع المساعدة للسلطان الجديد (فيصل) الذي استطاع تقوية مركزه في السلطنة، ولذلك فقد ارسل رسالة الى نائب الملك في الهند على إثر اعتراف بريطانيا بسلطته على مسقط بصورة رسمية سنة ١٨٩٠ يقول فيها بانه سيقوم بالاسترشاد برأي نائب الملك في الهند وبالمقيم البريطاني في جميع الامور الهامة مما ادى الى ثقة بريطانية به واجبار منافسه زعيم المعارضة في عائلة آل سعيد (السيد عبد العزيز) على مغادرة مسقط الى الهند حيث عاش لاجئا سياسيا حتى وفاته على الرغم من انه كان وزيرا لدى السلطان فيصل في فترة سابقة.

وفي سنة ١٨٩١ علمت الحكومة البريطانية بأن القنصل الفرنسي في عدن وزنجبار يوزع الاعلام والوثائق الفرنسية على السفن المحلية في (صور) وفي المناطق الاخرى التي تقع ضمن ممتلكات سلطان عمان بقصد التمهيد للسيطرة الفرنسية على عمان فقامت الحكومة البريطانية بتنبيه السلطان الى وجوب تذكير الفرنسيين ولفت نظرهم الى التصريح الانجليزي الفرنسي المشترك الصادر في العاشر من آذار (مارس) ١٦٨٢ المتضمن احترام استقلال كل من مسقط وزنجبار،

وبأن فرض الحماية الفرنسية على سفن (صور) العائدة لسلطنة مسقط انما هو خرق للتصريح المشترك المذكور حيث ان حمل تلك السفن للاعلام والوثائق الفرنسية يجعل من الصعوبة بمكان القيام بتفتيشها أو معرفة هويتها الحقيقية، وعليه فقد صدرت الاوامر الى الاسطول البريطاني بتفتيش كل سفينة والاستيلاء عليها مهما كان العلم الذي تحمله اذا ثبت انها تستعمل في تجارة العبيد. وفي سنة ١٨٩٥ أوقف الاسطول البريطاني سفنا تحمل الاعلام الفرنسية في مياه مسقط الاقليمية وعلى ظهرها حمولة من العبيد من افريقيا الشرقية مما سبب احتجاج القنصلية الفرنسية في مسقط. الا ان الجهات البريطانية رفضت ذلك الاحتجاج، كما انذرت السلطان لمنع رعاياه من حمل العلم الفرنسي، غير ان القنصل الفرنسي أقنعه بالتمرد على ذلك الانذار وعلى أن يمنح للفرنسيين امتياز محطة فحم في بندر جصه (أي ميناء جصة) الواقع على بعد خمسة اميال الى الجنوب الشرقي من مسقط في عام ١٨٩٨ لغرض الاستفادة منه في خزن الفحم الحجري مما اعتبره الانجليز انتهاكا لتصريح ١٨٦٢ بين فرنسا وبريطانيا ولاتفاقية ١٨٩١ بين مسقط وبريطانيا والتي تعهد فيها السلطان بعدم التنازل عن أي جزء من أراضي السلطنة الى دولة أجنبية.

وبناء على ذلك قامت السفينة البريطانية (سفنكس Sphinx) بالتوجه الى بندر جصة لانزال العلم الفرنسي، غير ان مدمرة فرنسية هددت باطلاق النار عليها لو قامت بانزال ذلك العلم، وكاد الامر يصل الى ما لا تحمد عقباه لذلك توجه المقيم البريطاني في الخليج العربي والذي يقطن في بوشهر الى مسقط وقدم مذكرة الى السلطان (فيصل بن تركي) تتضمن ما يأتي:

١ ـ ان يقوم السلطان فورا بطرد وزيره السيد عبد العزيز الذي كان متحمسا للعلاقات الودية الجديدة مع فرنسا..

٢ ـ الدخول في مفاوضات لاجل التعويض عما لحق الانجليز خلال ثورة ١٨٩٥ العمانية..

٣ ـ ان يأمر السلطان بان لا تزيد الضرائب على البضاعة البريطانية على ٣٪

وذلك كما حددتها المعاهدة البريطانية لعام ١٧٩٨ . .

٤ - ان يعلن السلطان صراحة تخليه عن الامتيازات التي سبق له اعطاءها سرا الى فرنسا واهمها امتياز بندر جصة.

كما طلبت المذكرة البريطانية الى السلطان ان يمنع رفع العلم الفرنسي على السفن التجارية التابعة لرعاياه أو أن يرفع علمه الخاص على تلك السفن دفعا للالتباس . .

وقد احتج السلطان على تلك المذكرة ووصفها بانها تدخل في شؤون بلاده الداخلية ، مما حدا باللورد (كرزن) نائب الملك في الهند الى ارسال اسطوله الهندي الى مسقط والقيام بمناورات حية لارهاب السلطان وتهديده. وقد طلب قائد الاسطول البريطاني من السلطان المجيء الى سفينة القيادة واعلان ولائه لبريطانيا وتخليه عن الاتفاق السري مع فرنسا فوافق على ذلك مكرها ونفذ الطلبات البريطانية واخبر المقيم الفرنسي بذلك بمذكرة رسمية(٥٥) . .

وقد احتجت الجمعية الوطنية الفرنسية في ٢٢ شباط - فبراير ١٩٠٠ على التصرفات البريطانية مع السلطان الا ان اللورد سالزبوري رد على هذا الاحتجاج بتصريح نشرته صحيفة «التايمز» الهندية في اليوم التالي ، اعلن فيه بان فرنسا نقضت التصريح الفرنسي البريطاني لعام ١٨٦٢ وعرضت الامن والسلام في منطقة المحيط الهندي والخليج للخطر . .

وقد حاول اللورد (سالزبوري) ارضاء فرنسا فعرض عليها اختيار خليج (ريام) او (مكلا) او (جوادر) لتكون محطة للفحم تستعمل من قبل الاسطول الفرنسي

---

(٥٥) في عام ١٨٩٥ شن الشيخ عبدالله بن صالح بن علي الحارثي سلسلة من الهجمات ضد مسقط. وقد طلب السلطان من بريطانيا التدخل العسكري لمساعدته الا انها لم تقم بذلك وانما قدمت له مبلغا قدره ١٢٠ الف روبية بصفة قرض على دفعتين ، مما ادى الى فتور العلاقات البريطانية مع مسقط والى حقد السلطان الشخصي على حلفائه الانجليز الذين لم يؤازروه علما بأن حكومة الهند البريطانية ساعدته بعدئذ أي في عام ١٨٩٧ لاستعادة نفوذه على اقليم ظفار الذي سيطر عليه الائمة العمانيون في خلال ثورتهم عام ١٨٩٥ . هذا ومن المعلوم ان (جوادر) كانت من الممتلكات العمانية في الهند حتى وقت قريب .

فاختارت ميناء (مكلا) في حضرموت الا انها استمرت على تزويد السفن المسقطية بالاعلام الفرنسية مما حمل حكومة الهند على تقديم مذكرة جديدة الى السلطان بتاريخ ٢٢ آب (اغسطس) ١٩٠٠ تنذره بضرورة ايقاف هذه التصرفات، فاصدر بيانا الى شعبه يعلن فيه بانه يعتبر السفن العمانية التي ترفع اعلاما فرنسية، سفنا عمانية وليست اجنبية، وان له ولحلفائه الانجليز حق تفتيشها. وقد ردت فرنسا على هذا الاعلان بالتصريح بان اية سفينة ترفع العلم الفرنسي انما هي سفينة فرنسية وستحميها فرنسا. ولم تدخر فرنسا وسعا في تأليب الشعور العربي ضد الانجليز حيث اصدرت صحيفة باللغة العربية تطبعها في باريس باسم (فتح البصائر) وصارت توزعها في عدن وحضرموت والبحرين منادية بان مهمتها هي توفير العدل لجميع المسلمين دون تمييز وتخليصهم من الاستعمار البريطاني.

المصالح الالمانية:

وما ان حل العقد الاخير من القرن الثامن عشر حتى اخذت المانيا وروسيا القيصرية في التطلع الى الخليج العربي والشرق الادنى في محاولة لبسط نفوذهما على ارجائه..

فقد حاولت المانيا منذ سنة ١٨٩٦ الحصول على امتياز سكة حديد بغداد لكي تربط شبكة الخطوط الحديدية الاوروبية ببلاد البلقان والاناضول بميناء (كاظمة) على الساحل الكويتي، ودخلت في مفاوضات مع الدولة العثمانية التي تؤيد هذا الاتجاه للاسباب الآتية[٥٦]:

١ - استمرار نفوذها في امارات الخليج العربي التي ظهرت فيها بوادر التمرد الذي اقلق راحتها..

٢ - حماية العراق من اية محاولات تتوجه اليه من هذا الاتجاه..

٣ - ربط اجزاء مملكتها بالخطوط الحديدية مما يقوي سيطرتها واشرافها على ممتلكاتها..

---

(٥٦) تاريخ قطر العام - محمود بهجت سنان - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٦ صفحة ٨٢.

اما المانيا فقد كانت ترى ان المشروع يساعدها على تحقيق المكاسب الآتية :

- مشاركة النفوذ الانجليزي في الخليج العربي .
- السيطرة على موارد انتاج البترول في (عبادان) .
- الاندفاع الى الهند التي كانت تعد اثمن درة في التاج البريطاني .

وقد كانت زيارة امبراطور المانيا الى الأستانة عام ١٨٩٨ ذات اثرمهم في تقوية العلاقات الالمانية العثمانية ، كما ظهرت اهمية (الكويت) في المباحثات التي اجراها الالمان مع رجال الحكومة العثمانية بشأن جعل ميناء (كاظمة) في الكويت نهاية للخط الحديدي المقترح . فقد ذكر السفير البريطاني في الأستانة (نيقولاس اغونور) في برقيته السرية الى وزارة الخارجية البريطانية في السابع من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٠ بان الالمان يتفاوضون مع حكومة السلطان العثماني بصورة مباشرة دون الالتفات الى (شيخ الكويت) ، كما وان مد الخط الحديدي الى الكويت سيشكل خطرا على المصالح البريطانية التي ينبغي عليها المبادرة لابعاد الكويت عن نطاق المصالح الالمانية والروسية . وقد كان ظهور الخطر الالماني هذا حافزا مهما في قيام الكولونيل (ميد) المقيم البريطاني في الخليج باقناع كل من (لندن) و(سملا) في الهند بوجوب اتخاذ الحيطة والحذر من هذا الخطر الالماني المداهم(٥٧) .

---

(٥٧) رمي مشروع السكة الحديد التي عرفت بإسم (سكة حديد بغداد الى ربط برلين باستامبول ببغداد بواسطة سكة حديد تمتلكها المصالح الالمانية بشكل خاص . وكان الهدف السياسي من المشروع هومحاولة دفع النفوذ الالماني بين البحر الابيض المتوسط والخليج خطوة الى الامام ، الى جانب العمل على استغلال الثروات الاقتصادية الموجودة في آسيا الصغرى ووادي الرافدين ، وقد طمع الالمان في ايصال سكة حديد الى البصرة والى نقطة ما على الخليج وفقا لاحد بنود الامتياز الذي اعطاهم اياه السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٣ ، حيث ادرك الكل بأن الالمان يطمعون في ايصال القطار الى الكويت . وراح الدعاة الانجليز يصرحون بأن الالمان الذين كانوا ينوون بناء ميناء ومنشآت لشركة سكة حديد بغداد في الكويت ، انما يسعون للحصول على قاعدة المانية يمكن ان تحول الى ميناء حربي يطل على المصالح البريطانية في الخليج . للتفصيلات (يراجع كراس - الاطماع الاجنبية في جزيرة أبوموسى - للدكتور لؤي بحري - من منشورات وزارة الأعلام العراقية عام ١٩٧١ .

والى جانب مشروع السكة الحديد فقد اخذت المانيا القيصرية تسعى حثيثا لايصال نفوذها الى منطقة الخليج العربي بطرق متعددة كقيام الرحالة الالمان بزيارة المنطقة والكتابة عنها وافتتاح القنصليات الالمانية في (البصرة) في العراق وفي (بوشهر) على الساحل الايراني ومحاولة الشركات والمؤسسات المالية الالمانية ومنها شركة (كبتمان) للتغلغل في الخليج وتركيز نشاطها في البصرة.

وكذلك فقد كان قيام شركات الملاحة والنقل البحري مثل شركة (همبورج - امريكا) الالمانية للملاحة بمد خط بحري لسفنها الى الخليج عام ١٩٠٥ واعلانها بانها ستقوم بنقل البضائع كما ستقوم بنقل الحجاج من موانىء الخليج الى موانىء البحر الاحمر مثار قلق السلطات البريطانية.

ولقد ادى وصول اول سفينة المانية تجارية الى الخليج وهي السفينة (كاتاديا) في صيف عام ١٩٠٦ الى قيام حرب منافسة تجارية واسعة بين الشركة الالمانية المذكورة وبعض الشركات العاملة في شؤون الملاحة اوذات المصالح في المنطقة مثل (شركة لينج) و(شركة ستريك) البريطانيتين، فقد وضع كل من الالمان والانجليز نصب اعينهم امر نقل الحجاج من موانىء الخليج، وادت المنافسة بينهما في الفترة من ١٩٠٦ الى ١٩٠٩، الى تخفيض اجور نقل الحجاج وبالتالي زيادة عددهم من منطقة الخليج.

وفي الواقع فقد كان النشاط الالماني في الخليج العربي ووادي الرافدين يراقب بكل دقة من قبل الانجليز بالنظر للاهمية الخاصة التي كان الانجليز يعلقونها عليه، والتي عبر عنها (السير بيرسي سايكس) خير تعبير عندما قال بان السيطرة على الخليج تعادل تقريبا السيطرة على الشرق الاوسط..

وقد كانت النتيجة ان اخذت بريطانيا تترصد لكل حركة المانية داخل الخليج وتحسب لها الف حساب بعد ان كانت تعتقد بان المنافس الوحيد لها في مياه الخليج هو روسيا القيصرية التي ظهر نشاطها في المنطقة في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[٥٨].

---

(٥٨) نفس المصدر ص١٣.

المحاولات الروسية :

لقد اخذت روسيا القيصرية تخطب ود فارس من اجل السماح لها بمنفذ الى المياه الدافئة في الخليج العربي عبر البلاد الفارسية، مستفيدة من معاهدة (كولستان ـ ١٨١٣) التي انتزعت روسيا بموجبها بعض المناطق في شمال بلاد فارس.

وعندما شعرت بريطانيا بان محاولات روسيا لاخضاع الدولة الفارسية تتعدى الغرض التجاري، اخذت تفكر في اجتذاب المانيا القيصرية الى جانبها في حالة وقوع صراع جدي بينها وبين روسيا[٥٩]..

وقد كتب اللورد كرزن في هذا الصدد قائلا[٦٠]:

«ان انشاء ميناء روسي على الخليج هوحلم الوطنيين المتحمسين من اهل الفولكا، ولكن مثل هذا الميناء سيكون عنصر الاضطراب في الخليج في وقت السلم. وسيفسد توازن القوى الذي وضعته بريطانيا بعد مجهود شاق. كما انه سيلحق الضرر بتجارتها المقدرة بعدة ملايين وسيثير القوميات المتعددة في هذه المنطقة، وهي قوميات قابلة للاشتعال والتطاحن»..

ولقد كانت سياسة اللورد كرزن تهدف الى تجسيم الخطر الروسي على الخليج العربي وقلما تخلورسالة من رسائله التي ارسلها الى اللورد جورج هاملتون والتي تحتفظ بها الان مكتبة دائرة الهند في وزارة الخارجية البريطانية، من قلقه وخوفه من الروس الذين يحاولون التوسع جنوبا الى افغانستان وايران والخليج العربي والمضايق التركية..

وكان اللورد كرزن يربط التغلغل الودي الذي تبديه روسيا لايران في الفترة (١٨٩٠ ـ ١٩٠٤)، بالعلاقات الودية بين روسيا وفرنسا، وطالما اطلق لقب الممثل (الروسي ـ الفرنسي) على (المسيو اوتافي) الممثل الفرنسي في مسقط.

---

(٥٩) للتفصيلات يراجع كتابنا الخليج العربي في ماضيه وحاضره ـ مار الذكر صفحات ٣٧-٣٩.

(٦٠) الاستعمار البريطاني الحديث في الخليج العربي (صلاح العقاد).

وبما ان المصالح الفرنسية في مسقط لم تكن بذات اهمية، فان الاسباب السياسية من وجهة النظر البريطانية، هي التي دفعت نائب الملك في الهند الى التشكك في نوايا فرنسا حيث ذكر في احدى رسائله الى وزارة الهند (بان محطة فحم اليوم سوف تعني شيئا آخر غدا، وبنظري ستعني محطة للاسطول الحربي الفرنسي الذي سيمهد السبيل للقوات الروسية في ايران)[٦١]..

هذا ويمكننا القول بان فكرة الزحف الروسي على الخليج العربي وتمركز روسيا في مواني‌ء الخليج قد اشغلت اذهان كبار رجال الجيش والبحرية، كما اشغلت السياسة البريطانية منذ قيام نابليون بالتحالف مع قيصر روسيا لتنفيذ خطته في احتلال الهند. ذلك ان نابليون كان يعتقد بان روسيا تستطيع التعاون مع الجيوش الفرنسية البرية للسيطرة على ايران وافغانستان ودخول الهند من حدودها الشمالية الغربية في نفس الوقت الذي يحتل فيه الاسطول الفرنسي ميناء بومباي والموانىء الهندية الاخرى بعد ان يتمركز في الخليج العربي.

اما وجهة النظر الروسية فقد كانت فكرة الاتصال بالخليج العربي لديها فكرة واقعية يهدف اليها التحالف الروسي الفرنسي، ولكن الاحداث السياسية والعسكرية التي اعقبت الحرب مع اليابان قضت على آمال روسيا القيصرية في الوصول الى مياه الخليج المذكور.

وقد تجددت رغبة روسيا في الحصول على نفوذ لها في الخليج العربي مرة اخرى في الفترة ١٩٣٩ ـ ١٩٤١ حين اصر (مولوتوف) وزير الخارجية السوفيتي في محادثاته السرية مع (روبنتروب) وزير الخارجية النازية الالمانية على ان تكون جميع المناطق الى الجنوب من باكو في اتجاه الخليج العربي مناطق نفوذ روسيا، الا ان تغير مجرى الحرب، ترك موضوع الخليج العربي وثيقة تاريخية[٦٢]..

---

(٦١) الخليج العربي والعلاقات الدولية ص١٠٨

(٦٢) نفس المصدر ص١٥٠

ان خوف بريطانيا من تغلغل النفوذ الروسي الى الخليج العربي، جعل اللورد (كيرزن) يقترح ضرورة وجود قوات عسكرية هندية بصورة دائمة في شبه جزيرة (مسندم) الواقعة في سلطنة عمان لكي تكون قاعدة برية دائمة ضد اية عمليات عسكرية روسية في جنوب ايران..

ولقد قام الروس بالاتصال الفعلي بالشيخ مبارك ـ شيخ الكويت ـ كما اتصلوا بعبد العزيز السعود وذلك خلال سنة ١٩٠٢ وحاولوا اقناعهما باهمية التعاون مع روسيا وفرنسا الا انهما رفضا الدخول في اية علاقات مع حكومة القيصر الروسي..(٦٣)

ولقد وقفت بريطانيا موقفا حازما بوجه محاولة التغلغل الروسي في الخليج ايمانا منها بعبث امكانية تقسيمه الى منطقتي نفوذ روسية وبريطانية. ففي ١٢ آذار (مارس) ١٩٠٠ زار الطراد الروسي (جاليناك) الخليج العربي وصرح قائده بانه لا ينوي احتلال اي ميناء في الخليج، وان زيارته لبندر عباس لا علاقة لها بالحصول على محطة للفحم الحجري. وقد كان القنصل الروسي في بغداد على ظهر الطراد في رحلته هذه الى الخليج، حيث طلب من (الكونت دي ويت) نائب الملك في الهند، بموجب مذكرة ارسلها اليه، الموافقة على فتح خط بحري للبواخر بين الموانيء الروسية والخليج وتأسيس بنك روسي في احد موانيء الخليج وتأسيس محطة فحم في بوشهر وابقاء طراد روسي بصورة دائمة في مياه الخليج، على ان يكون بندر عباس مقرا له. كما طالبت المذكرة كذلك بتأسيس قنصلية روسية في بوشهر..

وفي ٢١ آذار (مارس) ١٩٠١ زار الامير الروسي (دابيجة) القنصل الروسي العام في اصفهان، ميناء بوشهر واجتمع مع العقيد (كامبل) المقيم البريطاني هناك واعلمه بانه يتوقع وصول الباخرة الروسية (كورنيلوف) من اوديسيا بعد زيارتها لمسقط وحاسك وبندر لنجه حيث زار قائدها سلطان مسقط برفقة القنصل الفرنسي في المدينة..

---

(٦٢) نفس المصدر ص١٦١.

وقد عارض اللورد هاملتون فكرة اعطاء بندر عباس الى الروس معارضة قوية بعد ان كتبت احدى الصحف الروسية في ١٨ نيسان (ابريل) ١٩٠٠ مقالة عن بندر عباس قال فيه ان حكومة القيصر على استعداد للعمل على مسالمة الانجليز في الخليج العربي شريطة ان يترك الانجليز ادعاءهم بان حدود الهند تنتهي بالعراق والكويت.

وقد رد الانجليز على ذلك قائلين باننا لوسمحنا لروسيا بالتمركز في بندر عباس فاننا نكون قد تنازلنا عن جميع مراكزنا في الخليج دفعة واحدة. لقد شجعنا روسيا على اتخاذ هذه الخطوات الجريئة لاننا رفضنا السماح للاسد البريطاني بالزئير، بوجه الدب الروسي. ان بندر عباس هو ميناء بريطاني منذ ايام شركة الهند الشرقية..

وعندما تأزمت العلاقات الاعلامية بين البلدين حول هذا الموضوع، طلب وزير الخارجية البريطانية من نائب الملك في الهند في برقية خاصة بتاريخ ١٤ شباط (فبراير) ١٩٠٠ الاحتجاج لدى الحكومة الروسية اذا ما قام الروس برفع علمهم فوق ميناء بندر عباس، واذا رفض الروس ذلك الاحتجاج فعليه ارسال سفينة حربية لاجبار حاكم المدينة على تقبل العلم البريطاني ورفعه على مضيق هرمز وجزر هنجام وقشم..

تقييم المحاولات الروسية الالمانية:

لقد كان لهذه المحاولات الروسية والالمانية اثر كبير في تغيير بريطانيا لسياستها حيث بدأت تعمد الى اظهار الهيبة والنفوذ والسيطرة البريطانية في الخليج العربي بجميع الطرق والوسائل. كما قامت حكومة الهند البريطانية بتقديم القروض المالية السهلة لدولة فارس للوقوف ضد العروض الروسية المشابهة وافشالها. كما تم وضع الكويت تحت الحماية البريطانية بالرغم من اعتراف بريطانيا بان الكويت تابعة للسيادة العثمانية منذ عام ١٨٧٦..

وقد قصدت بريطانيا من وراء ذلك القضاء نهائيا على الامل الالماني بمد

سكة الحديد حتى ميناء (كاظمة) الكويتي . .

. . . ولان النفوذ الوهابي كان يجتاح المنطقة التي كانت تحت الحكم العثماني في الخليج ، ولان الجيوش العثمانية كانت تعاني من المتاعب في حربها في البلقان، فقد اضطرت الدولة العثمانية الى تسوية مشاكلها مع بريطانيا في الخليج العربي في مؤتمر لندن الذي عقد عام ١٩١٢ ووقعت على اتفاقية في هذا الصدد في اليوم التاسع من شهر آذار (مارس) ١٩١٤ بعد ان اعيدت المفاوضات بشأن سكة حديد بغداد التي قام الالمان بمد جزء منها بين بغداد وسامراء قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى . .

هذا ولقد كانت سياسة روسيا من ناحية اخرى تهدف الى القضاء على المشروع الالماني الخاص بسكة حديد برلين ـ بغداد، وذلك عن طريق بناء سكة حديد روسية تمتد جنوبا الى ميناء بندرعباس ثم بناء سكة حديد اخرى بين (سيستان) و(بلوخستان)، وبذلك تصبح روسيا في وضع تملي فيه شروطها على بريطانيا لتقسيم ايران الى منطقة نفوذ روسية في الشمال ومنطقة نفوذ بريطانية في الجنوب . .

وقد كتب مراسل صحيفة (مورننغ بوست) البريطانية مقالة بتاريخ ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٢ عن مشاريع روسيا لانشاء سكة حديد قال فيها :

ان بناء السكك الحديد الروسية في جنوب ايران سيخلف نفس المخاطر التي خلفتها التجارة في شمال البلاد. لقد كبل الروس الشاه بقيود مالية صعبة، فهو الان تحت رحمتهم ، ولذلك فان السماح للتجارة الروسية في جنوب ايران والخليج لم يعد امرا صعبا[٦٤] . .

التغلغل العثماني في عمان :

بدأ العثمانيون يتطلعون الى الخليج العربي منذ فتحهم العراق سنة ١٥٣٤ . وقد ظهر هذا التنافس واضحا عندما انكر العثمانيون على البرتغاليين تدخلهم في

---

(٦٤) نفس المصدر ١٦٩.

شؤون الخليج ، ونهضوا لرد هجماتهم . وعندما احتل العثمانيون مدينة البصرة وجعلوها قاعدة بحرية عثمانية ، واحتلوا ساحل الاحساء والقطيف عام ١٥٥٠ ، حاول البرتغاليون الانتقام من العثمانيين فهجموا على قلعة القطيف دون جدوى ، كما هاجموا البصرة (استجابة) لطلب احد شيوخ القبائل الذي كان يتمتع باستقلال تام في حكم شط العرب وما جاوره في الوقت الذي استنجد فيه عرب الاحساء والبحرين بالدولة العثمانية[٦٥]

وقد انتقم العثمانيون لهذه الجرأة البرتغالية مما جعل البرتغاليين المغتصبين يعيشون حالة القلق بين عام ١٥٥٠ و١٥٥٢ بعد ان هاجمهم القائد العثماني البحري (بير بك) ونكد عيشهم باسطوله وجيشه الذي بلغ ستة عشر الف مقاتل . .

ولقد دفعت الحماسة هذا الربان الجريء الى مهاجمة مسقط، اهم قاعدة برتغالية واحتلالها واسر حاميتها البرتغالية، ثم الاتجاه الى هرمز وجزء من قشم واحتلالهما حيث عاد بعد ذلك الى قاعدته في البصرة بغنائم كبيرة . .

ولقد حاولت البرتغال استرداد كرامتها العسكرية فجمعت اساطيلها من الهند وشرقي افريقيا للقضاء على هذا الربان العثماني الجريء، وحدثت معارك مريرة بين الطرفين كانت نتيجتها معاودة العثمانيين السيطرة على مسقط واحتلالها عام ١٥٨١ والحاق اضرار كبيرة بالاسطول البرتغالي ثم العودة بالغنائم الكثيرة الى قاعدتهم البحرية في البصرة . .

ويبدو ان تلك الغزوات العثمانية كانت لاغراض الانتقام والثأر من البرتغاليين اكثر من كونها تعني الاحتلال العسكري والحاق تلك المنطقة باملاك الدولة العثمانية . .

وفي الحقيقة فان الصراع لم يبدأ بين الجانبين الا بعد ان استولى العثمانيون على مصر ونزلت سفنهم في البحر الاحمر ثم اتجهت الى الخليج العربي لحماية المصالح الاسلامية من عبث الغزاة[٦٦]، حيث قصدت الباب العالي في استامبول

---

(٦٥) دولة اليعاربة ـ المرجع السابق ص٣٥ .

(٦٦) الشرق الاسلامي في العصر الحديث للدكتور حسين مؤنس .

وفود اسلامية تلتمس الحماية من الاستعمار البرتغالي . وكان حاكم (كوجرات) وامبراطور (دلهي) المسلم وحاكم (القطيف) العربي ممن استجاروا بخليفة المسلمين السلطان (سليمان القانوني)، الذي امر واليه في مصر (سليمان باشا) بالتوجه الى الخليج العربي لطرد البرتغاليين . فسارت حملة عسكرية قوامها سبعون سفينة تحمل على ظهرها ٢٠ ألف مقاتل استطاعت ان تحرر سواحل عدن واليمن ومسقط وتستولي على منطقة البحرين والاحساء والقطيف وقطر واصبحت هذه المناطق ضمن ممتلكات الامبراطورية العثمانية عام ١٥٥٥ ، بينما بقيت المراكز الاخرى كموقع هرمز ومياه الهند تحت النفوذ البرتغالي .

وقد مرت الاحداث سريعة عندما ظهر الوهابيون في شبه الجزيرة العربية وبسطوا نفوذهم على معظم انحاء الخليج ، مما اقلق الامبراطورية العثمانية التي اوعزت الى واليها على مصر (محمد علي باشا) لاعداد حملات عسكرية لقتال الوهابيين مما لا مجال للافاضة فيه في هذا الكتاب ، حتى أدى الامر الى تضاؤل النفوذ العثماني في منطقة الخليج [٦٧] . الا ان تعيين (مدحت باشا) واليا على بغداد عام ١٨٦٩ اعاد للدولة العثمانية بعض نفوذها في المنطقة مما لم يرق للانجليز بطبيعة الحال حيث كانوا يعتبرون انفسهم اصحاب السيادة فيها .

وبالرغم من ان جريدة (الزوراء) الناطقة بلسان (مدحت باشا) في بغداد كانت تؤكد السيادة العثمانية على امارات الشارقة ، وعجمان ورأس الخيمة وأبي ظبي وعمان بالاضافة الى سيادتها على الكويت والبحرين وقطر والاحساء ، حيث قام (مدحت باشا) في اواخر عام ١٨٧١ بزيارة منطقة الخليج بعد ان عاد النفوذ العثماني الى الاحساء والقطيف وقطر وذلك للوقوف على مدى امكانية ضم نجد الى الدولة العثمانية ، فقد اوعزت الحكومة البريطانية لحاكم البحرين الشيخ عيسى الخليفة بالاحتجاج على تصرفات مدحت باشا وزيارته لقطر باعتبار ان قطر هي جزء من ممتلكاته البحرينية غير ان مدحت باشا لم يابه لهذا الاحتجاج خاصة وان قطر لم تكن ضمن الامارات التي وقعت على (اتفاق السلام الدائم) الذي فرضته بريطانيا

---

(٦٧) كتابنا الخليج العربي في ماضيه وحاضره ـ المرجع السابق ـ ص٣٨، ٤٢.

على امارات الساحل في ايار (مايو) عام ١٨٥٣ مما حدا ببريطانيا الى تسليم انذار للسفير العثماني في لندن (١٨٧٤) تؤيد فيه وجهة نظر حكومة الهند في اعتراضها على الاجراءات العثمانية في الخليج العربي..

وكنتيجة للتهديدات البريطانية وخشية من تطور الموقف السياسي والعسكري بين الحكومتين البريطانية والعثمانية الى ما لا تحمد عقباه فقد قرر مدحت باشا سحب الجنود العثمانيين من قطر حيث اضر بهم سوء مناخها وكبدت ميزانية ولاية بغداد نفقات باهضة كما قام باجراء تغيرات ادارية في العراق فاصبحت البصرة ولاية مستقلة عن ولاية بغداد والحق بها سنجق الكويت ومتصرفية الاحساء التي تشتمل على اربعة اقضية هي الاحساء والقطيف وقطر والهفوف[٦٨].

وقد ظل النزاع مستمرا بين الدولتين العثمانية والبريطانية حتى عقد (مؤتمر لندن) وصدق الطرفان على الاتفاقية المؤرخة في ١٩ مارت (مارس) ١٩١٤ حيث اعترفت الدولة العثمانية بالاجراءات البريطانية التي تتحمل بموجبها مسؤولية امن الملاحة في الخليج العربي وحقها في تفتيش السفن وغير ذلك من الاجراءات وبذلك تمت السيطرة البريطانية على الخليج العربي.

المعاهدات البريطانية ـ العثمانية :

تطورت نظرة الانجليز الى الخليج العربي بتطور المنافسة الاستعمارية فاصبحت حماية الخليج والسيطرة عليه من القواعد الاساسية لسياسة الامبراطورية البريطانية باعتباره حلقة هامة من حلقات الاستراتيجية البريطانية. وقد تجلت هذه النظرة بوضوح بعد حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨، خاصة وقد كانت جزر (موريشوس) في المحيط الهندي قاعدة ملائمة للفرنسيين لتهديد خطوط المواصلات البريطانية.

ولذلك فقد ركزت بريطانيا اهتمامها على ضرورة دحر الجيوش الفرنسية

(٦٨) تاريخ قطر العام ـ المرجع السابق صفحة ٧٩.

بقيادة نابليون في اوربا والقضاء على آمال نابليون في احتلال مصر وفي تكوين علاقات مع ايران وبلاد العرب وافغانستان والدولة العثمانية مما اتاح في حينه الفرصة لعرب الخليج في السيطرة الموقتة على ربوعه سواء كانوا (عرب عمان) بزعامة (سعيد بن سلطان) او (عرب القواسم) في ساحل عمان او (عرب العتوب) في البحرين وقطر والاحساء.

ومع ذلك فقد استطاعت بريطانيا التي عقدت اتفاقية مع سلطان عمان سنة ١٧٩٨ كما اسلفنا والتي تقضي بموجبها بقيام سلطان مسقط بمحاربة النفوذ الفرنسي في بلاده من القضاء على اية محاولة يبذلها الفرنسيون للوصول الى الخليج العربي.

وقد اوفدت حكومة الهند البريطانية (جون مالكولم) الى مسقط لتثبيت اقدامها، فاجتمع بالسلطان الذي كان عائدا من غزو البحرين على ظهر احدى السفن في عرض الخليج وارغمه على توقيع معاهدة جديدة في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٠٠، هذا نصها:

«اتفاقية معقودة من جانب امام ولاية عمان مع الكابتن جون مالكولم رسول الرايت او نورابل الحاكم العام».

مادة (١): تبقى القولنامة التي اتفق عليها امام عمان مع مهدي علي خان بهادور نافذة المفعول دون تغيير.

مادة (٢): وبالنظر الى ان تقارير سيئة تهدف الى تعكير التفاهم القائم والى خلق جو من سوء التفاهم بين الولايتين، وقد ذاعت خارج البلاد ووصلت الى سمع الرايت او نورابل الحاكم العام ايرل اوف مونتجتون كي. بي، فاننا رغبة منا في منع مثل هذه المساوىء في المستقبل تحدونا الى ذلك عواطف الصداقة المتبادلة، نوافق على ان يبقى واحد من افاضل الانجليز ومن ذوي المكانة بينهم، مقيما في ميناء مسقط بصفة مستديمة، نيابة عن الشركة الموقرة وتجري عن طريقه جميع المعاملات بين الولايتين، حتى تعرض اعمال كل حكومة عرضا عادلا منصفا، وحتى لا تتاح فرصة لذوي الاغراض الذين لا همَّ لهم الا بذر بذور الفرقة. وتبقى

الصداقة بين الولايتين ثابتة غير مضطربة حتى يوم الدين، والى ان تكف الشمس والقمر عن الدوران . .

ختم بحضوري : «جون مالكولم المندوب»

وقد وافق الحاكم العام على ذلك في ٢٦ أبريل سنة ١٨٠٠ ، كما ابرمت اتفاقية اخرى عن طريق شركة الهند الشرقية مع السلطان حيث منحها بموجبها حق اقامة مركز تجاري في (بندرعباس)، ثم عين الطبيب البريطاني (بوغل) ممثلا سياسيا في مسقط حيث خلفه من بعده (الكابتن دافيد سيتون) . .

معاهدة الصلح :

وقد حدثت معارك مريرة بين القواسم بزعامة الشيخ (سلطان بن صقر) وبين القوات البريطانية استمرت من سنة ١٨٠٣ الى سنة ١٨١٩ بين مد وجزر حتى تم لبريطانيا بعدها القضاء على القواسم وفرض معاهدة جماعية على شيوخ الخليج اطلق عليها اسم (معاهدة الصلح)[٦٩] التي وقعت بتاريخ ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٨٢٠ وتضمنت شروطا من ابرزها ما يلي :

١ ـ تلتزم السفن العربية برفع (علم احمر) على صواريها وتمتنع عن استعمال اي شعار آخر. كما تخضع لتفتيش السفن البريطانية.

٢ ـ تمنع جميع اعمال السلب والقرصنة في الخليج . .

٣ ـ تزود كل سفينة عربية بوثيقة موقعة من رئيس منطقة اقلاعها يسجل فيها اسم صاحبها واسماء بحارتها . .

٤ ـ تشترك القبائل المهادنة الموقعة على معاهدة الصلح مع بريطانيا في محاربة القبيلة التي تقوم باعمال (القرصنة) . .

٥ ـ يمنع نقل الرقيق من السواحل الافريقية على المراكب التجارية . .

٦ ـ تمنح السفن العربية حرية الدخول الى موانيء بريطانيا وحلفائها للتجارة فيها . .

---

(٦٩) التفصيلات في كتابنا ـ الخليج العربي ـ مار الذكر ـ صفحات ٤٢ ـ ٤٧ .

هذا ولقد صرح (بالمرستون) وزير الخارجية البريطـ ـي مطلع عام ١٨٣٨ قائلا (ان مهمتنا في الخليج هي وضعه تحت سيطرتنا البحرية بعيدا عن نفوذ اية دولة اخرى، ولكن بشرط الا تكلفنا هذه السياسة نفقات باهظة..

وتنفيذا لهذا التصريح بادرت بريطانيا الى توقيع معاهدة مع سلطان عمان عام ١٨٣٩ بهدف (تنظيم) العلاقات السياسية والتجارية بين البلدين ومكافحة تجارة الرقيق..

وقد ختمت بريطانيا اعمالها (التنظيمية) في تلك الفترة بفرض معاهدة على شيوخ الخليج سنة ١٨٥٣ اطلقت عليها اسم معاهدة السلام البحري الدائم وبذلك اصبحت المشرفة الوحيدة على أمن المنطقة وسلامتها..

وقد تتابعت اعمال بريطانيا (التنظيمية) و(الامنية) (كذا) في الخليج العربي بعد ان استقر لها الامر في سلطنة عمان وامارات الساحل فاتجهت نحو قطر والبحرين وعقدت معهما اتفاقيات ادخلتهما بموجبها تحت حمايتها (عام ١٨٨٠) ثم عقدت معاهدة مع الدولة العثمانية عام ١٩١٣ نصت فيها على بقاء الكويت تحت حمايتها..

وهكذا اصبحت جميع الامارات العربية في الخليج العربي تحت سيطرة بريطانيا، حيث اشارت اليها الوثائق الرسمية البريطانية على انها (مشيخات مستقلة مرتبطة مع حكومة جلالة الملك باتفاقات خاصة[٧٠]). ولقد اثنى (اللورد كرزن) نائب الملك في الهند على هذه السياسة البريطانية حيث قال تعليقا على الاجراء البريطاني الذي اتخذته بمنع سلطان مسقط من التنازل عن اية قطعة من اراضي دولته او تأجيرها لدولة اخرى:

«اننا نعين حاكمها ونملي عليه سياستنا ولذلك يجب ان لا نسمح باي نفوذ منافس»[٧١]..

---

(٧٠) عن مقال للمؤلف بعنوان «الاستعمار البريطاني في الشارقة، نشر في جريدة الجمهورية البغدادية بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٦٥.

(٧١) من مقال للمؤلف بعنوان «دراسة في القانون الدولي» الاستعمار البريطاني في الساحل المتصالح. نشر في جريدة الجمهورية ببغداد بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٦٥.

وبمثل هذه الروح الاستعمارية رسمت بريطانيا سياستها في البلاد العربية بصورة عامة وفي الخليج بصورة خاصة، حيث اصبحت نصوص اتفاقياتها ومعاهداتها مع تلك الاقطار على نسق واحد لا يعدو العبارة الاتية :

«ان لا يقبل الشيخ ، اي وكيل سياسي غير انجليزي ولا يتعاقد او يتنازل عن أية قطعة من اراضيه لحكومة اجنبية، وان لا يمنح امتيازات للتنقيب عن الزيت الا بموافقة الحكومة البريطانية» .

وهكذا وقعت بريطانيا مع اقطار الخليج العربي معاهدات متعددة نذكر بعض ما تعاقدت به مع سلطان مسقط في حينه :

١ ـ معاهدة سنة ١٧٩٨

٢ ـ معاهدة سنة ١٨٠٠

٣ ـ معاهدة عام ١٨٢٢ والكتاب التفسيري الملحق بها بتاريخ ١٨ آب (اغسطس) سنة ١٨٤٥ الصادر من صاحب السمو امام مسقط الى الكابتن هاملتون بشأن المادة الرابعة من المعاهدة المبرمة في ١٠ ايلول (ستمبر) ١٨٢٢ بين الكابتن (مورسبي) وصاحب السمو امام مسقط ونصها كالآتي :

بعد التحية

وصلت رسالتكم الكريمة وفهم صاحبكم ما جاء فيها . لقد ذكرتم فيها انكم تلقيتم رسالة من الحكومة العزيزة تتضمن امرا اليكم بلفت نظرنا الى ان المادة الرابعة من المعاهدة التي ابرمناها مع الكابتن مرسبي في سنة ١٨٢٢ وقد ورد في نصها الانجليزي ما يحتم علينا وعلى ورثتنا وعلى الحكام من قبلنا ان يساعدوا في القبض على الرعايا الانجليز المشتغلين بتجارة الرقيق . بينما لا يوجد مثل هذا النص في النسخة العربية من تلك المعاهدة . وان صديقي (انتم) يعتقد انه ليس ثمة ما يوجب تعديل المعاهدة، على اننا نراه واجبا متحتما علينا وعلى ورثتنا وعلى الحكام من قبلنا ان نتعاون في القبض على الرعايا الانجليز الذين يعملون في تجارة الرقيق .

وعلى هذا فان كل شخص مفوض من قبل الحكومة يطلب منا معاونته ، فانه سيلقى هذه المعاونة فورا .

ارجو افادتي بكل ما تطلبونه والسلام عليكم.

حرر في ٤ شعبان سنة ١٢٤١ هجرية.

الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٨٤٥ ميلادية.

٤ ـ المعاهدة التجارية المعقودة عام (١٨٣٩) مع صاحب السمو سلطان بن سعيد بن سلطان امام مسقط والتعهد الملحق بها بشأن مكافحة الرقيق والاتجار به[٧٢].

هذا ولعل من اطرف تلك المعاهدات، ان لم نقل اطرفها، تلك المعاهدة او (حجة التنازل) التي اصدرها امام مسقط بشأن جزر الحلانيات وهي ما تسمى اليوم جزر (كوريا ـ موريا) العمانية، والتي بموجبها تنازل عن تلك الجزر بحضور (الكابتن فريمانتل) قائد الباخرة (جونو) التابعة لبحرية صاحبة الجلالة البريطانية بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ١٨٥٤ وقدمها هدية للملكة (فيكتوريا) ملكة بريطانيا لتكون ملكا لها ولورثتها ولخلفائها من بعدها (كذا).

غير اننا اذا ما اطلعنا على هذه الوثيقة او حجة التنازل وجدنا بانها قد كتبت بالاكراه وان السلطان كان مجبرا على التوقيع عليها نظرا لوجود السيطرة البريطانية آنذاك على عمان، فقد جاء في نص هذا التنازل بانه قد وقع نتيجة طلب الكابتن (فريمانتل) حيث يقول الامام ما نصه:

(حضر لدي من الامة العزيزة، انجلترا ـ الكابتن فريمانتل ـ التابع للبحرية الملكية لصاحبة الجلالة (يطلب) مني جزائري... الخ).

ومن هنا يتضح بان الامام كان مجبرا ولم يكن مخيرا فيما فعله، رغم انه كتب في اخر هذه الوثيقة ما نصه:

(واثباتا لهذا، فقد اثبت هنا توقيعي وخاتمي على نفسي وعلى ابني من بعدي، وذلك بمحض ارادتي ورضاي، من غير قهر او ارهاب او منفعة مالية، ايا كانت، وليكن هذا معلوما لكل من يطلع على هذا)[٧٣].

---

(٧٢) لاهمية هذه المعاهدة التي تبين نوع العلاقة التي كانت تربط بين بريطانيا وعمان على وجه الخصوص آنذاك وبينها وبين امارات الخليج العربي بصورة عامة، يرجى الاطلاع على نصوصها في كتاب (عمان والامارات السبع) ـ سابق الذكر (المؤلف).

(٧٣) يراجع كتاب (عمان والامارات السبع) صفحة ١١٦ للاطلاع على النص الكامل للوثيقة.

وفي هذا الصدد يقول (دونالد هولي) السفير البريطاني في سلطنة عمان في كتابه الموسوم (عمان ونهضتها الحديثة ـ صفحة ٤٨) ما يلي :

(. . كما ارسلت الملكة فيكتوريا عام ١٨٤٤ طقم شاي مطلى بالفضة . وقد اهدى سعيد بن سلطان للملكة فيكتوريا جزر كوريا موريا لتكون ملكا دائما لها ، مما جعل لورد كلاريندن ، وزير الخارجية البريطاني ، يسارع الى ارسال هدية محرجة كانت عبارة عن علبة عطوس (وهو ما يسمى ـ برنوطي باللهجة العراقية)

وهكذا نجد بريطانيا تتآمر على شعبنا العربي في الخليج متعاونة في ذلك مع الفرس منذ القرن السادس عشر وقد احكمت سيطرتها على الخليج العربي وخاصة بعد ان تدفق الذهب الاسود من اعماق رماله ومياهه الخضراء ، رغم ان شعبنا العربي في الخليج كان ولا يزال يكافح من اجل الاستقلال والحفاظ على كرامته ، كما سنوضحه بايجاز بالنسبة لعمان .



[illegible]

حرر في ٤ شعبان سنة ١٢٩٠ [illegible]

[illegible]

هذا ولعل من اطرف تلك المعاهدات، ان لم يكن اطرفها، تلك المعاهدة او (حجة التنازل) التي اصدرها امام مسقط بشأن جزر الحلانيات وهي ما تسمى اليوم جزر (كوريا موريا) العربية، والتي بموجبها تنازل عن تلك الجزر بحضور (الكابتن فريمانتل) قائد الباخرة (جونو) التابعة لبحرية صاحبة الجلالة البريطانية بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ١٨٥٤ وقدمها هدية للملكة (فيكتوريا) ملكة بريطانيا لتكون ملكا لها ولورثتها ولخلفائها من بعدها (كذا).

غير اننا اذا ما اطلعنا على هذه الوثيقة او حجة التنازل وجدنا بأنها قد كتبت بالاكراه وان السلطان كان مجبرا على التوقيع عليها نظرا لوجود السيطرة البريطانية آنذاك على عمان، فقد جاء في نص هذا التنازل بانه قد وقع نتيجة طلب الكابتن (فريمانتل) حيث يقول الامام ما نصه:

(حضر لدي من الا[illegible] ـ الكابتن فريمانتل ـ التابع للبحرية الملكية لصاحبة الجلالة (يطلب) مني جزائري ... الخ).

ومن هنا يتضح بأن الامام كان مجبرا ولم يكن مخيرا فيما فعله، رغم انه كتب في اخر هذه الوثيقة ما نصه:

(واثباتا لهذا، فقد اثبت هنا توقيعي وخاتمي على نفسي وعلى ابني من بعدي، وذلك بمحض ارادتي ورضاي، من غير قهر او ارهاب او منفعة مالية، ايا كانت، وليكن هذا معلوما لكل من يطلع على هذا)[73].

---

(٧٢) لاهمية هذه المعاهدة التي تبين نوع العلاقة التي كانت تربط بين بريطانيا وعمان على وجه الخصوص آنذاك وبينها وبين امارات الخليج العربي بصورة عامة، يرجى الاطلاع على نصوصها في كتاب (عمان والامارات السبع) ـ سابق الذكر (المؤلف).

(٧٣) يراجع كتاب (عمان والامارات السبع) صفحة ١١٦ للاطلاع على النص الكامل للوثيقة.

الفصل الرابع

الكفاح العماني ضد الاستعمار

مراحل الكفاح

من الجدير بالذكر ونحن نؤرخ الكفاح العماني ضد الاستعمار ان نقول بان عمان في هذه المرحلة قد انقسمت بين ثلاث فرق وهي :

١ ـ النباهنة وهم الذين سادوا في مناطق نزوى وبهلاء والجبل الاخضر والجوف والظاهرة وتلقبوا بالملوك وهم من قبيلة طي .

٢ ـ امراء آل عمير (العميريون) وقد سادوا في سمائل والساحل والجبل والقرى القريبة من مسقط . .

٣ ـ الأئمة اليعاربة وقد سكنوا في قلعة قصرى أو(كسرى) في وسط مدينة (الرستاق) وقد كان لهم شأن في تاريخ عمان سنذكره بعدئذ بايجاز.

فأما مرحلة الملوك فقد كان ذلك في عهد (بني نبهان) الذين استمر حكمهم قرابة خمسمائة سنة حيث اطلق مؤرخو تلك الفترة عليهم كلمة (ملوك) ليبينوا انفصال نظامهم هذا عن نظام (الأئمة) الروحي . .

وتنقسم المرحلة الملكية هذه الى مجموعتين هما :

١ ـ ملوك (بني نبهان الاوائل) حيث لم يعثر المؤرخون على ذكر تاريخي واضح لهم . .

٢ ـ ملوك (بني نبهان الاواخر) حيث يمثل عهدهم التمهيد الحقيقي لقيام دولة (اليعاربة) . .

وكان من اهم احداث ذلك العهد في عهد (سليمان بن سليمان بن مظفر بن نبهان) قيام الفرس بغزو مدينة (صحار) المهمة التي كان يحكمها (مهنا بن محمد الهديفي) ممثلا للدولة النبهانية رغم ان هذا الغزو لم يحقق اهدافه ، الا انه كان الممهد لظهور دولة اليعاربة حيث عجزت الدولة عن حماية البلاد من الاطماع الاجنبية ، كما ظهر النزاع ونشبت الحروب بين قبائلها التي استنجد بعض زعمائها بالبرتغاليين واستنجد البعض الآخر بالفرس.

وبذلك انتهى عهد الملوك من (بني نبهان) وبدأ عهد الأئمة من (بني مالك بن ابي العرب) الذي اطلق على دولتهم اسم (دولة اليعاربة) .

هذا وان قيام دولة واحدة في كل من عمان وشرق افريقيا في ظل حكم واحد وهو حكم (الأئمة اليعاربة)، يعتبر حدثا تاريخيا بارزا لاول دولة آسيوية افريقية ظهرت في النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الاول من القرن الثامن عشر وساهمت في نشر الدين الاسلامي واللغة العربية والحضارة الحديثة في الشرق الافريقي حتى اندثرت تلك الدولة (اليعربية) وورثتها اسرة (آل بوسعيد) وهي الاسرة التي لا تزال تحكم عمان..

دولة اليعاربة

ينتمي اليعاربة الى قبيلة (يعرب) التي هاجرت اصلا من اليمن وهي ايضا بطن من بطون (بني نبهان) التي تولت الملك في عمان قرابة خمسمائة عام كانت نهايتها التطاحن في حروب اهلية بين القبائل وقد انتهت تلك الحروب عندما اجتمع اهل الرأي والمشايخ وتشاوروا في امر الامامة وفي ضرورة انتخاب امام عادل يصلح امور البلاد..

الامام ناصر بن مرشد :

وكان من بين المجتمعين شخصية هامة وبارزة هي شخصية القاضي خميس بن سعيد الشقصي وبعد التشاور واعمال الرأي قرروا اختيار (ناصر بن مرشد) إماماً على عمان لما يمتاز به من دين وتقى وشجاعة وقد كان لامه (زوجة القاضي خميس بن سعيد الشقصي) دور بارز في هذا الاختيار وقد ألح المجتمعون على (ناصر) بضرورة قبول هذا المنصب واقسموا على طاعته، كما وافقوا على ان يكون مقره في قلعة (قصرى) التابعة للرستاق وهي مقر اقامته[٧٤]. وهكذا اصبح (ناصر بن مرشد بن مالك بن ابي العرب اليعربي) اول امام لدولة اليعاربة عام ١٦٢٤، وقد تميز هذا الامام بحزمه وحنكته السياسية اضافة الى زعامته الروحية واستطاع القضاء على الوضع المضطرب الذي ساد البلاد على عهد (ملوك بني نبهان) واقام دولة جديدة حيث جمع بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية فوحد البلاد وصد العدوان كما كان عهده عهد تحول في تاريخ الامامة الاباضية..

---

(٧٤) السالمي - المصدر السابق ج ٢ ص٣ وكتاب (دولة اليعاربة) المصدر السابق ص٤٦

لقد اصبحت عمان في عهد (ناصر بن مرشد) وعهد خلفائه اقوى دولة بحرية عربية في الخليج العربي وشرق افريقيا خلال القرن السابع عشر وذلك بعد ان قضى على المنازعات القبلية فاستتب الامن في داخل البلاد وتمت وحدتها بعد ان كانت منقسمة قبل ذلك الى مدن ومناطق يحكم كل منها ملك او حاكم، فكان (مالك بن ابي العرب اليعربي) مثلا يحكم (الرستاق) وسلطان بن ابي العرب يحكم (نخل) ومانع بن سنان العميري يحكم (سمائل) وعلي بن قطان الهلالي يحكم (سمد الشأن) ومحمد حفير بن جبر يحكم (عبري) اما منطقة (ازكي) فقد كانت تحت سيادة اهل الفكر و (منح) تحت سيطرة الجبابرة و (بهلاء) و (بلادسيت) خاضعتين لسيف بن محمد الهنائي و (حصن الجابي) وحصون (تام) تحت نفوذ بني هلال، اما (صحار) و (مسقط) و (قريات) و (صور) وهي المدن الساحلية فقد كانت تحت السيطرة البرتغالية، واما منطقة رأس الخيمة (جلفار) فقد كانت تحت تصرف شخص فارسي يدعى ناصر الدين[٧٥].

تصفية الوجود البرتغالي :

كان للحروب والجهود التي قام بها الامام (ناصر بن مرشد اليعربي) من اجل توحيد البلاد اثرها الفعال في الاستعداد لتصفية الوجود البرتغالي الدخيل في مدينة مسقط والمدن العمانية الساحلية الاخرى ولذلك فقد ارسل جيشا بقيادة (الشيخ مسعود بن رمضان) لاسترداد (مسقط) و (مطرح) من ايدي المحتلين حيث انتهى القتال بعقد اتفاقية صلح بين الطرفين وكانت شروطها في جانب العمانيين حيث وافق البرتغاليون على دفع الجزية المطلوبة للامام مما يمكن اعتباره تسليما ضمنيا بتبعيتهم للامام من ناحية، وتشجيعا للعمانيين لمواصلة تحرير بلادهم من الاجانب من الناحية الاخرى، حيث توجه الجيش العماني بقيادة (علي بن احمد) نحو رأس

---

(٧٥) دولة اليعاربة المرجع السابق صفحة ٤٦ وذلك نقلا عن BADGER, Goerge Percy : History of Imams and Sayyids of Oman. (وهو كتاب مترجم من العربية ويشمل الفترة من سنة ١٦٦١ الى سنة ١٨٥٨ وبعد ترجمته الى الانكليزية اضيفت اليه مقدمة كما اضيف اليه تسجيل الفترة التالية حتى عام ١٨٧٠ وقد طبع الكتاب في لندن عام ١٨٧١).

الخيمة التي كانت تدعى آنذاك (جلفار) وخاض معركة مع الجيش الفارسي الذي كان يحتل (حصن الصير) وهو احد حصنين يحتلهما الفرس (اما الحصن الآخر فيحتله البرتغاليون الذين اخذوا يساعدون الفرس) الا ان شجاعة القوات العربية وبطولاتها حققت النصر المنشود واجلت الفرس عن (جلفار) رغم استمرار وجود البرتغاليين داخل القلعة الثانية لفترة قصيرة الا ان اليعاربة تمكنوا من احتلالها وطرد البرتغاليين بعدئذ[٧٦]..

وقد امتدت حركة التحرير اليعربية نحو (صحار) عام ١٦٣٣ حيث كان البرتغاليون يتمركزون فيها وفي مدينة (هرمز) التي كانت تعتبر معقلهم القوي في الخليج العربي والتابعة لامامة عمان حيث استسلمت قواتهم للقوات العربية وطلبت مهلة قصيرة لكي تتمكن من نقل بعض ممتلكاتها ثم الجلاء عنها بصورة نهائية وقد منحهم الامام المهلة اللازمة الا انهم لم يبتعدوا عن عمان بل نقلوا امتعتهم سرا الى مدينة مسقط وتمركزوا فيها بعد ان حصنوها تحصينا قويا واستعدوا لمقاومة من سيحاربهم..

وقد قامت القوات العربية بقيادة (سلطان بن سيف) ابن عم الامام ناصر بحملات عسكرية ناجحة ضد الغزاة الفرس والبرتغاليين، وبذلك رفرفت رايات الامام ناصر فوق عمان باجمعها ولم يبق بيد البرتغاليين الا مدينتي (مسقط) و (مطرح)[٧٧]..

الامام سلطان بن سيف

عندما توفى الامام (ناصر بن مرشد اليعربي) عام ١٦٤٩ نودي بابن عمه (سلطان بن سيف) اماما على عمان خليفة للامام الراحل. وقد صرف الامام الجديد همة لتقوية الاسطول العماني من ناحية ولاستعادة (مسقط) و(مطرح) من ايدي البرتغاليين .من ناحية أخرى

---

(٧٦) DENNIS. OP. cit. pp. 154.161

(٧٧) المسألة العمانية المرجع السابق ص٤٠

وقد وجه الامام الجديد قواته لاستعادة هاتين المدينتين وحاصرهما حصارا شديدا دون جدوى الا ان المرأة لعبت دورها الفعال كالمعتاد في هذا الميدان وصح القول المشهور (فتش عن المرأة) وكانت السبب في اقتحام العمانيين لقلعتي مسقط الحصينتين . .

وبصدد احتلال مسقط يحدثنا السالمي قائلا[٧٨] :

لما مات الامام ناصر بن مرشد رحمه الله نصب المسلمون سلطان بن سيف اماما في اليوم الذي مات فيه الامام ناصر بن مرشد . قالوا :وكان سلطان بن سيف ايام دولة الامام ناصر بن مرشد سيفا وكفا يبيد به الاعداء ولما مات الامام ناصر بن مرشد نكثت النصارى (ويقصد البرتغاليون) العهد وقطعت الجزية ومنعت المسلمين عن الوصول الى مسقط وعتوا عتواً كبيراً، قالوا ، ونصب الامام سلطان لهم الحرب وسار اليهم بنفسه بجمع كثير فاقام بطوي الرولة من المطرح[٧٩] . وبلغ معسكره الى (سيح الحرمل) فجعل عسكره تارة يغزون مسقط وتارة يضربون من رؤوس الجبال النصارى القابضين على حصن المطرح وجعلت النصارى على رأس كل جبل بمسقط اشد رجالهم من اهل التفق (حملة البنادق)، فلم يقدر المسلمون على دخول مسقط من كثرة جنود المشركين ورميهم المسلمين بالمدافع والبنادق وقد مدوا سلسلة حديد في رأس الجبل المشرف على (ميابين) وعلى الوادي الذي يمر على (برزنجي) الى الجبل الذي به الان البرج المربع وهو الجبل المشرف على حلة (الاوغان) وجعلوا على هذه السلسلة سورا من حديد واكمنوا فيها رجالا من قومهم ليصدوا المسلمين عن الوثبة على السور وقد ملأوا الخندق بماء البحر الصغير[٨٠] الذي هو شرقي الباب الصغير[٨١] وجعلوا على السور عساكر جمة . وكان

---

(٧٨) تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان ـ المرجع السابق ج٢ صفحة ٦٥ .

(٧٩) مطرح مدينة جميلة قرب مسقط وتعتبر احد ضواحيها وامتدادا لها في الوقت الحاضر حتى تصل الى (روى) ثم الى مطار السيب الدولي فمدينة السيب في طريق مبلط جميل في سهل الباطنة على ساحل البحر حتى يصل دولة الامارات العربية المتحدة . .

(٨٠) كانت تسمى ـ الغيلة ـ وتقع بالضبط في موضع ملعب (نادي عمان) الحالي في مسقط العاصمة (المؤلف).

(٨١) لا يزال السور وابوابه الاربعة والخندق الذي يحيط بالمدينة قائما حتى الان وقد تولتها الحكومة الحالية بالصيانة والعناية ـ المؤلف .

للنصارى وكيلان من البانيان[٨٢] فخطب امير النصارى القابض في الكوت الشرقي[٨٣] بنتا من بنات احد الوكيلين وكانت ذات جمال فائق وبذل لابيها من المهر مالا كثيرا من الذهب والفضة وسائر الجوائز. فكان جواب الاب : لستم في القديم ولا في الحديث تتزوجون ببناتنا ولا نحن نتزوج منكم وهذا شيء لا يكون . .

فلما اغلظ النصراني عليه الكلام وعلم انه ان لم يطاوعه ياخذ ابنته منه كرها قال : امهلني الى كذا من المدة حتى اصوغ للابنة حليا مما يصاغ لكل عروس من بناتنا الابكار خاصة . فاذا تم الصوغ ووصلني دفعت اليك الابنة . فامهله النصراني ورفع منزلته ، فكان لا يحدث شأنا الا يشاوره فيه . ولما رأى البانياني التمكن من النصراني ، قال له ان الماء الذي في الحصنين[٨٤] قديم فيه دود واخشى ان يطول الحصار علينا من المسلمين ، فالرأي تجديد الماء وكذا الباروت (البارود) فانه قد فسد ، والرأي تجديده بالدق ثانية . فاجابه الى ذلك فاخلى الماء وانزل الباروت وكتب للامام واخبره عما جرى مع كبير النصارى ودله على الوثبة الى السور وبين له وقت الوثبة وذلك يوم الاحد عند طلوع الشمس في اليوم العاشر من شهر رجب سنة تسعة وخمسين بعد الالف . وكان ذلك اليوم عيد النصارى يشربون فيه الخمور ويضعون فيه السلاح ويشتغلون بطربهم وملاهيهم ، فوثب عليهم الامام وثبة واحدة وقتلوا من فيهما من النصارى . . وقد كافأ الامام الهنديين ورفع الجزية عنهما وعن عيالهما نظير مساعدتهما للمسلمين . . » .

---

(٨٢) البانيان طائفة من الهنود (المؤلف) . .

(٨٣) الكوت الشرقي والمقصود به قلعة الجلالي التي لا تزال قائمة حتى الان وكانت تتخذ سجنا (المؤلف) . .

(٨٤) الحصن الثاني هو قلعة الميراني وهي القلعة الغربية التي لا تزال قائمة بعظمتها حتى اليوم ـ المؤلف . .

وهكذا نجحت تلك الخطة وتمكنت القوات العمانية العربية المسلمة من احتلال مسقط ومطرح بعد القيام بمغامرات وتضحيات جسيمة حيث خسر العمانيون حوالي خمسة آلاف شهيد، اما البرتغاليون فانهم لم يبق منهم اكثر من سبعين شخصا على قيد الحياة آثروا اعتناق الديانة الاسلامية وانصهروا في المجتمع الجديد[٨٥] .

وبعد هذا الانتصار العظيم عاد الامام (سلطان بن سيف) الى عاصمته (نزوى) بعد ان عين ولده (بلعرب) حاكما على مسقط حيث استقبل استقبالا رائعا وانصرف الى تقوية اسطوله للجهاد ضد البرتغاليين على امتداد سواحل المحيط الهندي حتى اصبحت اساطيل عمان البحرية في القرن الثامن عشر من القوة بحيث تخشاها الاساطيل البريطانية والهولندية في المحيط الهندي لانها جهزت بمدافع يتراوح عددها بين ٣٠ - ٧٣ مدفعا في كل سفينة[٨٦] .

مظاهرة برتغالية :

لقد اثار تسليح اليعاربة وازدياد قوتهم البحرية حنق البرتغاليين الذين احتفظوا بمستعمراتهم في الهند/فقاموا بمظاهرة بحرية قرب مسقط وتحرشوا بحصونها، فما كان من الامام الا ان امر بالهجوم على احدى المستعمرات البرتغالية في الهند ونهبها دون ان يجرؤ البرتغاليون على صد ذلك الهجوم او مهاجمة مدينة مسقط التي تحيط بها الجبال الشامخة مما توفر لها الحماية والامن.

وواصل الامام حملاته البحرية ضد البرتغاليين في المحيط الهندي وهاجم مستعمراتهم على سواحل (بومباي) و(مدراس) عام ١٦٩٥، بل ان قواته وصلت الى (جوا) العاصمة البرتغالية في الهند وهددت باحتلالها اكثر من مرة مما ادى الى شل الحركة التجارية البرتغالية. وبذلك اصبحت قوة العرب العمانيين البحرية في القرن الثامن عشر مثار خشية البريطانيين والهولنديين بالاضافة الى البرتغاليين[٨٧] .

---

(٨٥) للاطلاع على التفصيلات يراجع كتاب (دولة اليعاربة) سابق الذكر صفحات ٥٣ - ٦١ نقلا عن السالمي - ج٢ ص٦٦ وكتاب :

HAMILTON, Aexander : OP.Cit. P.44.

(٨٦) لوريمر - المرجع السابق - ج١ ص١٢٦ .

(٨٧) زنجبار - صلاح العقاد وجمال زكريا - القاهرة ١٩٥٩ - ص٣١

ويقول مايلز : (كان اليعاربة يحكمون كل المحيط الهندي حيث كانت سفنهم تنشر قلوعها وتثير الرعب في قلوب الاهالي والاوربيين على السواء لمدة قرن ونصف من الزمان[٨٨] .

وهكذا ما ان بدأ القرن الثامن عشر حتى كان اليعاربة يحكمون دولة يمتد نفوذها السياسي عبر منطقة الخليج كله الى سواحل افريقيا الشرقية والجنوب العربي غربا والى مشارف وادي الانديز (سواحل الهند الغربية) في الشرق. كما برز نشاط العمانيين التجاري وامتد عبر شواطىء الخليج الى داخل ايران والعراق والجزيرة العربية، اما على الجهة الغربية فقد وصل هذا النفوذ الى البحيرات الوسطى في افريقيا، بينما وصل هذا النفوذ على الجانب الشرقي الى نهر الكنج .

وعلى الرغم من ارتياد سفن الدول الاوربية لمياه الخليج من وقت لآخر فان هذه الدول كانت مشغولة بتوطيد نفوذها في شبه القارة الهندية مما هيأ للدول الواقعة على ضفاف الخليج ، ومنها عمان، الفرصة للمناورات السياسية والطموح في انشاء امبراطورية عظيمة[٨٩] .

التوسع اليعربي في افريقيا :

لقد كان لسقوط (ممباسا) الواقعة في القسم الشمالي من ساحل افريقيا الشرقي بيد اليعاربة اثر حاسم في انهاء الوجود البرتغالي في تلك البلاد. فقد بدأت محاولات الامام (سيف بن سلطان) الذي خلف شقيقه (الامام بلعرب بن سلطان) للاستيلاء على تلك المدينة منذ اذار (مارس) ١٦٩٦ عندا ارسل اسطولا عمانيا لمهاجمتها ومحاصرة قلعتها المسمّاة قلعة (يسوع) حيث استمر حصارها مدة (٣٣) شهرا انتهت بسقوط تلك القلعة المنيعة بيد العمانيين في ١٤ كانون الاول (ديسمبر)

(٨٨) دولة اليعاربة ـ المرجع السابق نقلا عن :

MILES : On the Border of the Great, a Jurney in Oman.P.161

(٨٩) عمان منذ سنة ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ـ تأليف جيرالد لاندن ـ وترجمة محمد امين عبدالله ـ القاهرة ١٩٧٠ .

١٦٩٨، وبذلك وضعت دولة اليعاربة حدا للتفوق البرتغالي في تلك الربوع وطردت البرتغاليين من كل المناطق التي سبق لهم احتلالها في شرق افريقيا مثل الجزيرة الخضراء (بيمبا) و(كلوة) و(باتا) و(زنجبار) التي خضعت للحكم العماني في (ممباسا) الا ان البرتغاليين لم يسلموا بهزيمتهم هذه فجهزوا لحملة قوية عام ١٧٢٨ واعادوا احتلال ممباسا بعد عامين، وذلك نتيجة لانشغال اليعاربة بتجدد منازعاتهم الداخلية من جهة، والى الاضطرابات المحلية التي نشبت في (ممباسا) من الناحية الاخرى..

ومع ذلك فلم يرض اهالي (ممباسا) بالاحتلال البرتغالي واعلنوها ثورة عارمة ضد الحامية البرتغالية وقضوا عليها. ثم ارسلوا وفدا الى امام عمان يطلبون اليه حمايتهم. فوافق الامام على ذلك. وبهذا اصبحت ممباسا وزنجبار خاضعتين لامام عمان الذي امتد نفوذه من (مقديشيو) في الصومال شمالا حتى جزر (رأس دلجادو) جنوبا. إلا ان السيطرة العمانية لم تكن قوية بسبب المشاكل والمنازعات الداخلية مما لم يتح للأئمة العمانيين ممارسة سلطاتهم الفعلية على تلك المناطق، بل اكتفوا بتعيين حكام عليها استغلوا سطوتهم من ناحية، وسقوط دولة اليعاربة من ناحية اخرى، وظهور اسرة (آل بو سعيد) الحاكم الجديد لعمان للتحرر حتى من السلطة الاسمية للاسرة العمانية الحاكمة الجديدة..

بدء انهيار اليعاربة:

لقد كان لسقوط هذه الدولة في كل من عمان وشرق افريقيا خلال اربعينات القرن الثامن عشر عدة عوامل تمثلت في المنازعات الداخلية وفي الغزوات الفارسية لتلك الدولة العربية. وبعد وفاة الامام (سيف بن سلطان) اختلف الرأي حول من سيخلفه فرشح البعض ولده الصغير (سيف بن سلطان الثاني) وبايعوه على الامامة. ورشح الأخرون (مهنا بن سلطان بن ماجد) الذي رجحت كفته الا انه ما لبث ان اغتيل..

وبالرغم من ان اهالي (الرستاق) عاصمة الامامة، كانوا يفضلون (سيف بن سلطان الثاني) الا ان كفة مرشح جديد وهو (يعرب بن بلعرب) قد رجحت. ونشبت

حرب دامية بين انصاره وبين انصار الامام الصغير (سيف بن سلطان الثاني) بقيادة خاله (بلعرب بن ناصر) الذي استطاع اجبار القبائل المعارضة، وخاصة (بنوهناة) على المبايعة بعد ان تم له اخضاع مسقط ونخل وازكي وسمائل ونزوى. الا ان عقلاء القوم طلبوا من (يعرب بن بلعرب) التنازل، وبذلك اصبح (سيف بن سلطان الثاني) اماما تحت وصاية خاله (بلعرب بن ناصر) وهو لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره..

وعندما جاءت القبائل من بني غافر لمبايعة الامام الجديد، حدث انشقاق بين المهنئين تطور الى حرب اهلية وتكتلات عشائرية تزعمها (محمد بن ناصر الغافري) ضد الامام الجديد الصغير وخاله الوصي الذي فشل في القضاء على تلك الفتنة مما ادى الى شق المجتمع العماني الى قسمين:

قسم موال لمحمد بن ناصر الغافري والقسم الاخر موال للامام ولخاله الوصي بلعرب بن ناصر..

وقد جرت معارك عديدة سالت فيها دماء مئات الضحايا وانهزمت قوات الامام الصغير بقيادة خاله واستطاع (محمد بن ناصر الغافري) احتلال الرستاق[٩٠]..

وفي الوقت الذي استطاع فيه (محمد بن ناصر الغافري) من الانتصار على جيوش الامام الصغير واحتلال جميع حصون وقلاع المنطقة، واسر (بلعرب بن ناصر) وسجنه، نجده يبايع الامام الصغير ويثبته في منصبه مستترا وراء اسمه في ممارسة سلطاته الفعلية حيث بدأت بعض القبائل العربية في التوجه الى الرستاق لمساعدته ضد قبيلة (بني هناة) التي برز من ابنائها (خلف بن مبارك) الملقب (بالقصير) وخاض معركة انتصر فيها على خصومه، فانقسمت البلاد عندئذ الى طائفتين كبيرتين متنافستين هما (حزب الغافرية) برئاسة (محمد بن ناصر الغافري) و (حزب الهناوية) برئاسة (خلف بن مبارك الهنائي) حيث دارت معارك رهيبة بين الطرفين في البر والبحر وكانت نتيجتها انتصار (الغوافر) الا ان ذلك الانتصار لم يثن من همة الهناويين الذين تمكنوا بعد معارك طاحنة من الاستيلاء على (الرستاق) بيد

---

(٩٠) MILES, OP. Cit. P.242

ان (الغافريين) تمكنوا من استردادها وعادوا منتصرين الى جبرين. وقد وقر في اذهان القبائل الاخرى بان حركة (الهناويين) ليست الا حركة تمرد ضد الامام الشرعي الذي كان (محمد بن ناصر الغافري) يصطحبه معه في معاركه لاضفاء الصفة الشرعية عليها . .

وعندما وصل (محمد بن ناصر الغافري) الى (نزوى) وهي العاصمة الروحية للاباضية الح عليه علماؤها وزعماؤها بقبول الامامة بدلا من الامام الصغير، حيث تم ذلك في اليوم الثاني من تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٢٤، الا ان اختياره لهذا المنصب الكبير كان موقوتا ولاجل محدد[٩١] . .

وقد دانت معظم القبائل للامام الجديد (محمد بن ناصر الغافري)، عدا تلك التي كانت تعيش في منطقة (صحار) فقد ظلت على ولائها للهناويين الذين قامت قواتهم بقيادة (خلف بن مبارك) بغارة مفاجئة على قوات الغافريين الذين يقودهم (محمد بن ناصر).

والتقى الجمعان عند حصن (صحار) حيث قتل (خلف) وجرح محمد بن ناصر جرحا بليغا مات على اثره في آذار (مارس) عام ١٧٢٨ . .

ولقد انتهز (الهناوية) فرصة وفاة محمد بن ناصر فاعادوا مبايعة الامام المخلوع (سيف بن سلطان الثاني) باعتباره الوريث الشرعي، وسلموه حصن (صحار) ثم نودي به، وقد اصبح شابا قويا، اماما للمرة الثانية في نزوى حيث تمت مبايعته في ١٢ نيسان (ابريل) عام ١٧٢٨ وبذلك انتهى الانقسام القبلي الى (غافرية) و(هناوية)[٩٢] وظهر الانقسام بين اليعاربة انفسهم، وهم الاسرة الحاكمة، ذلك ان (بلعرب بن حمير) احد اقرباء الامام (سيف) عارض في اعادة انتخابه إماماً وقام بحملات ضده، واستطاع اقناع اهل (نزوى) بالتخلي عن سيف ومبايعته هو بدلا عنه رغم انقضاء خمس سنوات على مبايعتهم للامام (سيف).

---

(٩١) BADGER : OP. Cit. P. 122

(٩٢) Ibid. P.144.

وقد استطاع (بلعرب بن حمير) الاستيلاء على المناطق الداخلية من عمان ولم يبق تحت سلطة الامام الشرعي (سيف) الا (الرستاق) وساحل الباطنة و مسقط، مما اضطره مع الاسف للاستنجاد بالفرس من اجل القضاء على تلك الخلافات العائلية. فأنجده والي (مكران) الفارسي بجنود من البلوش الا ان قوات (بلعرب بن حمير) تمكنت من دحرهم وقتل قائدهم. ولم يتمكن من بقي منهم على قيد الحياة من العودة الى (بلوجستان) فاستقروا في منطقة خاصة بهم في عمان تسمى (المأزم)[٩٣]. واصبحوا منذ ذلك الحين مواطنين عمانيين ومن اهم العناصر المكونة لجيوش السلاطين النظامية في عمان[٩٤].

بداية النهاية :

وعندما اشتد الامر بالامام السيد سيف بن سلطان الثاني، أخذ يبحث عن رجل قوي يعتمد عليه، فأرشده اصدقاؤه الى (أحمد بن سعيد) الذي عينه واليا على (صحار). وعندما وجد الامام ان نجم أحمد بن سعيد بدأ بالصعود خشى منه، وساورته الظنون في انه يدبر خطة لخلعه عن الامامة، بعد أن رأى التفاف العمانيين حوله مما اضطر معه الامام (سيف) الى مهاجمة واليه (في صحار). وقد انتهت المناورة البحرية التي قام بها (الامام سيف) على صحار باعلان (أحمد بن سعيد) ولاءه للامام وارسال ولده (هلال) ليكون رهينة عند الامام[٩٥]

الاستعانة بالفرس :

ولقد اتخذت الاحداث في عمان ١٧٣٦ اتجاها غير متوقع، وذلك عندما دعا الامام (سيف بن سلطان) الحاكم الفارسي (نادر شاه)، الذي تولى حكم بلاده فارس عام ١٧٢٢، لمساعدته ضد اعدائه من أهله وأبناء عمومته.

وقد استغل (نادر شاه) هذه الفرصة لتحقيق طموحه في السيطرة على مسقط والساحل العماني بأسره[٩٦]، تحقيقا لسياسته التوسعية. فبادر بارسال حملة

---

(٩٣) MILES : OP.Cit.P.252

(٩٤) دولة اليعاربة ـ المرجع السابق ص١٩٢

(٩٥) نفس المصدر

(٩٦) دولة آل بو سعيد : جمال زكريا ـ المرجع السابق ـ ص٤٠

عسكرية بحرية قوية وصلت الى (جلفار) (رأس الخيمة) في السادس عشر من شهر نيسان (ابريل) عام ١٧٣٧، حيث استقبل الامام سيف قائدها وقدم له هدية ثمينة، مما يدل على عدم الوعي بمصلحة البلاد. وقد أشار الى ذلك الكاتب المؤرخ (لورنس لوكهارت) حيث وصف الامام سيف بانه شخص ضعيف الارادة خائر العزيمة سيء الاخلاق(٩٧).

وقد سارت الحملة العسكرية الفارسية متجهة الى (نزوى) حيث دحرت قوات (بلعرب بن حمير) في معركة (السميني) وعاثت في البلاد فسادا واعتدت على الحرمات والاعراض وأخذت مئات الاسرى من العرب وباعتهم نساء ورجالا في اسواق الرقيق بشيراز(٩٨) كما أخذت تتصرف وكأنها صاحبة الامر والنهي في البلاد مما احدث جفوة بين تلك القوات الحليفة، وبين (الامام سيف) الذي استنجد بها، الا ان تململ الشعب ضده، اضطره لاستدعاء تلك القوات الفارسية مرة أخرى(٩٩)، فوصلت حملة فارسية جديدة عام ١٧٣٨، بدأت أعمالها العسكرية ضد الدولة اليعربية، فاحتلت الساحل ومعظم المدن وعبثت بالبلاد وقتلت حوالي الف طفل(١٠٠). كما حاصرت مدينة (مسقط) وقلعتي الجلالي والميراني بطريقة خسيسة، فقد قيل بأن القائد الفارسي (تقي خان) أراد ان يستعين باسم الامام (سيف بن سلطان الثاني) للتغلب على بقايا المقاومة العربية في القلعتين. لذلك فقد دعى الامام الى وليمة على ظهر احدى السفن الفارسية، حيث قدم له الشراب. وبعد ان لعبت الخمر برأسه استولى القائد الفارسي على خاتمه ووقع به وثيقة تدعو حامية القلعة الى التسليم(١٠١).

وبعد ان وضحت نية الفرس في الاستيلاء على البلاد وانهم جاءوا فاتحين لا حلفاء، تنبه الامام (سيف بن سلطان الثاني) الى سوء عمله وندم ولات ساعة مندم

---

(٩٧) LOCKHART, Laurance : NADIR SHAH'S CAMPAIGN IN OMAN - 1737 - 1744. Paris, 1748. P.165.

(٩٨) BADGER : OP. Cot. P.142

(٩٩) دولة آل بو سعيد ـ المرجع السابق ص٤٠

(١٠٠) BADGER : OP.Cit. P.141

(١٠١) دولة اليعاربة ـ المرجع السابق ـ ص١٩٦..

على فعلته الشنعاء واستعانته بالاجانب على ابناء بلده واخوانه، فعقد صلحا مع منافسه (بلعرب بن حمير) واتفقا على مجابهة الفرس، عدوهما المشترك، فهزموهم في معارك متعددة في بهلا وبركاء وغيرها من المدن العمانية، كما هزموهم في معارك أخرى خارج عمان حيث هجموا على جزيرة (قشم) وقضوا على فلول الفرس هناك، كما حاصروا الفرس في البحرين وقضوا على الحامية المرابطة فيها.

وبذلك اصبح الامام (سيف بن سلطان الثاني) سيد الموقف من جديد إلا ان المشايخ والزعماء وقد ساءهم سلوكه، اتفقوا على خلعه وعقدوا البيعة للسيد (سلطان بن مرشد اليعربي) وذلك في شهر شباط (فبراير) ١٧٤٢، مما اثار حفيظة الامام المخلوع فعاد الى طريقته القديمة واستنجد بالفرس مرة ثالثة طالبا مساعدة (نادر شاه) العاجلة مقابل اعترافه بالسيادة الفارسية على بلاده والممتلكات التابعة لها. فبادر (نادر شاه) بارسال حملته العسكرية الثالثة في شهر أيلول (سبتمبر) ١٧٤٢ حيث احتلت (جلفار) و (خصب).

ونظرا لان قوات الامام المخلوع لم ترض عن تصرفاته هذه وعن دعوته للفرس، فقد اتصلوا بالامام الجديد (سلطان بن مرشد اليعربي) في (مطرح) وانضموا الى قواته التي بدأت حربها ضد الفرس الغزاة الذين حاصروا (صحار) و (مسقط) بستين الفا من جندهم.

وقد استمر حصار الفرس لميناء (صحار) حوالي سبعة أشهر، وكان قائد القوة المدافعة عن (صحار) وحاكمها هو (أحمد بن سعيد) مؤسس أسرة آل بو سعيد في عمان الذي انجده الامام (سلطان بن مرشد) حيث استطاع شق طريقه عبر خطوط الحصار وهو يقود جحافله من بني غافر وأهالي الرستاق وعرب الظاهرة، والانضمام الى قوات (احمد بن سعيد) المدافعة. الا ان الامام (سلطان بن مرشد) أصيب خلال المعارك اصابة قاتلة توفي على اثرها.

وأما الامام المخلوع (سيف بن سلطان الثاني) فقد تراجع عن تحالفه مع الفرس بعد ان شعر بخطئه وبأوزاره وانزوى وحيدا في الرستاق يجتر آلامه النفسية حتى توفاه الموت في (قلعة الحزم) بعد ان قال لأحد اعوانه:

(ان هذه قلعتي وقبري، فقد اصبحت ثلما في أعين الناس، وان راحة

الموت افضل عندي من أية سعادة اعطانيها المُلْك).

ظهور اسرة آل بو سعيد

تعتبر وفاة الامام (سلطان بن مرشد) علامة بارزة لانهيار ونهاية عصر دولة اليعاربة في عمان، وذلك بالنظر لانقسام اليعاربة على انفسهم من ناحية، ولظهور قوى جديدة ليست من اليعاربة تقود النضال ضد الوجود الفارسي، وهي قوة (احمد بن سعيد) الذي حاصر الفرس مدينته (صحار) الواقعة على مسافة مائة ميل شمال مسقط لمدة سبعة اشهر انتهت بعقد اتفاقية بينه وبين القائد الفارسي الذي اعترف بحكم (احمد بن سعيد) على (صحار) وعلى منطقة (بركاء)، مع احتفاظ (نادرشاه) بمدينة مسقط وعلى ان يدفع (احمد بن سعيد) الجزية الى السلطات الفارسية فيها(١٠٢).

ولكن ما ان غادرت القوات الفارسية بلاد عمان حتى اتبع (احمد بن سعيد) اسلوبا جديدا في التعامل مع الفرس في مسقط وحاصرها برا وبحرا، مما اضطر الحامية الفارسية التي انقطعت مواردها المالية ولم يعد في استطاعتها دفع رواتب جنودها الى الاستسلام للقائد العربي (خميس بن سالم البوسعيدي) الذي كان قائدا لقوات (احمد بن سعيد).

ونظرا لان (احمد بن سعيد) تجاهل اثناء مفاوضاته مع الفرس وجود الامام (بلعرب بن حمير) الذي كان موجودا في الرستاق والذي يمثل البقية الباقية من الحكام اليعاربة، والذي كان من حقه وحده الدخول في المفاوضات مع الدول الاجنبية، فقد عز على اليعاربة ان يسيطر (احمد بن سعيد) على البلاد.

غير ان كثيرا من القضاة والشيوخ من اهل الرأي اعلنوا اهلية (احمد بن سعيد) واحقيته في تولي الامامة فتم انتخابه اماما في مسقط بعد ان أيدته قبائل (الهناوية)، الا ان قبائل (الغافرية) واهل الظاهرة لم يوافقوا على هذا الرأي واستمروا في تأييدهم لامامة (بلعرب بن حمير).

---

(١٠٢) MILES, S.B.: The Countries and Tribes of the Persian Gulf. 2Vols. LONDON, 1919, op.cit.p.160

وهكذا استطاع (اليعاربة) ان يجمعوا صفوفهم وصفوف حلفائهم من القواسم والنعيم وغيرهم حيث دارت بين الطرفين معركة رهيبة عند (الجبل الاخضر) ووادي (كلبوة) انتهت بمقتل (بلعرب بن حمير). وبذلك زالت دولة اليعاربة وانتهى حكمهم وظهرت دولة جديدة في عمان عرفت باسم (دولة البوسعيد) وذلك عام ١٧٤٤، إلا أن والي اليعاربة في شرق افريقية (ممباسا) ويدعى (محمد بن عثمان المزروعي) رفض الاعتراف بالدولة الجديدة، واعلن استقلاله عن التبعية العمانية[١٠٣] مما دفع الامام الجديد (احمد بن سعيد) الى ايفاد من اغتاله هناك، الا ان اخاه (علي بن عثمان المزروعي) الذي خلفه اتبع ما سبق لاخيه القتيل اعلانه حيث اعلن استقلاله كذلك عن عمان في سنة ١٧٤٦ كما اعلنت جزيرة (باتا) في شرق افريقيا بزعامة النبهانيين استقلالها عن التبعية العمانية. وهكذا واجهت (دولة البوسعيد) حركات انفصالية منذ نشوئها. الا ان (زنجبار) و (كلوة) و (بركاء) اعلنت ولاءها للحاكم الجديد رغم ان ممباسا ظلت توجه الشعور في الشرق الافريقي للثورة ضد عمان والانفصال عنها، وكان الموجه لهذا التحريض تاجر بريطاني يدعى (كوك) يعمل في ممباسا. وقد هدف الى الافادة من الدعوة الانفصالية لكي يظل المجال حرا للتجارة البريطانية في الشرق الافريقي.

وهكذا يتضح ان سقوط دولة اليعاربة في عمان كان سببا للانفصال الذي وقع في ولايات افريقيا الشرقية عن الوطن الام عمان..

الامام احمد بن سعيد:

يقول السالمي في كتابه بان اليعاربة لما غيرت مسيرة السلف الصالح وظنوا بغباوتهم ان الدولة ميراث وتكالبوا على الملك اذهب الله ذلك من ايديهم وجعله التي غيرهم. ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم. وقد اصبح اول هذه الدولة الجديدة (احمد بن سعيد بن احمد بن محمد البوسعيدي) المولود في قرية ادم وهو ابو ملوك العصر، فكانت ايامه ايام راحة واستراحة بعد الفتن والمحن حيث عني

---

(١٠٣) دولة آل بو سعيد ـ المرجع السابق ص ٩٥

بتوطيد حكمه واهتم اهتماما كبيرا بمشاكل رعيته فازدهرت التجارة وازدادت الثروة ومخرت السفن العمانية في البحر العربي الى سواحل افريقيا الشرقية وفي المحيط الهندي حتى وصلت الى الصين وهي تنقل البضائع من بلد الى آخر.

وكان احمد بن سعيد صاحب همة عالية ومطلب سام وجرأة واقدام، فصار ملك عمان كله اليه الا ما شاء الله، ودانت له القبائل وسكتت الحركات واطفأ كثيرا من الفتن وقام بامر الدولة واعطى المملكة حقها ودافع العجم واستراحت الرعية[١٠٤].

وقد اشتهر الامام احمد بن سعيد بادارته الحازمة في المجالين الداخلي والخارجي على السواء ففي المجال الداخلي وضع كثيرا من القوانين لادارة جهاز حكومته مهتما بصفة خاصة بالنواحي الاقتصادية والادارية والقضائية. واليه يرجع الفضل في تكوين جيش دائم اشرف هو بنفسه على اعداده وتنظيمه، في نفس الوقت الذي كلف فيه احد اتباعه المخلصين بتقوية اسطوله البحري.

وفي مجال السياسة الخارجية اتسمت علاقته مع جيرانه ومع الدول الغربية بحزم وقدرة فائقتين، وادت هذه السياسة الى ابعاد عمان عن اي اعتداء خارجي نظرا لسمعة هذا الامام الحربية، وانه هو الذي قاد الثورة الشعبية ضد الفرس، مما ادى الى انتخابه قائدا شعبيا وإماماً على عمان في عام ١٧٤٤، واما علاقته مع العراق العثماني فقد استمرت ودية وكان الاسطول العماني ينقل البن سنويا الى العراق وكذلك ظلت علاقته قوية مع حكومة الهند ومع الحكومة البريطانية ومع الحكومة الفرنسية، غير ان العلاقات مع (رأس الخيمة) التي يحكمها القواسم لم تكن ودية في غالب الاحيان الا في حين ظهور العدو المشترك فانها تعود ودية.

وقد حدثت في زمان الامام احمد بن سعيد بعض الثورات المحلية التي واجهها بكل حزم، كثورة الغافريين التي قام بها (ناصر بن محمد) والتكتلات القبلية التي اغارت على مدينة (مطرح) والتمرد الذي قام به ولداه (سيف وسلطان) سنة

(١٠٤) تحفة الاعيان ـ المرجع المساق ـ ص١٦٨

١٧٨١م ضده مما اتاح الفرصة لامير جلفار (رأس الخيمة) ابن رحمة الهولي فحاصر (الرستاق) بقوات كبيرة مهددا باحتلالها مما اعاد الصفاء بين الامام احمد وولديه فاضطر (ابن رحمة) الى الانسحاب.

هذا.. ويقول السفير البريطاني في عمان (دونالد هولي) في الصفحة الرابعة والاربعين من كتابه (عمان ونهضتها الحديثة)، بانه على الرغم من ان (احمد) وجد في البداية بعض الصعوبات في تحقيق السلام الداخلي بعد الحرب الاهلية، الا ان عمان كانت في عهده دولة هامة يحسب حسابها على الصعيد الخارجي. ففي سنة ١٧٧٥ كان اسطوله يتألف من ٣٤ سفينة حربية بينها اربع في كل منها ٤٤ مدفعا، وخمس بوارج تحمل كل منها بين ١٨ ـ ٢٤ مدفعا، اما البقية فكانت سفنا شراعية تحمل كل منها ٨ ـ ١٤ مدفعا.

وقد تمكن احمد بفضل قوته البحرية من فرض نفوذ عمان في الخارج ونقل الحرب ضد الايرانيين الى مواقع ابعد.

وعندما حاصر الايرانيون البصرة عام ١٧٥٦ كتب اهلها الى احمد يطلبون منه العون والمدد فما كان منه الا ان ارسل حملة بحرية بقيادة ولده الاكبر هلال ضمت عشر سفن كبيرة وعددا من السفن الصغيرة وقوة قوامها عشرة الاف مقاتل تمكنت من طرد الايرانيين من البصرة بعد ان تمكنت سفينة القيادة المسماة (رحماني) وهي السفينة الخاصة بالسلطان، من قطع السلسلة الحديدية التي كان الفرس قد مدوها في عرض نهر شط العرب. وقد سر السلطان العثماني الذي كانت البصرة تابعة له، من صنيع (احمد) سرورا كبيرا وامر واليه على البصرة بان يدفع خراج البصرة للامام (احمد). وقد ظلت البصرة تدفع هذا الخراج حتى عهد السيد سعيد بن سلطان بن الامام احمد

ولم تقتصر مساعدات الامام احمد على والي البصرة فحسب، بل شملت امبراطور المغول المسلم المسمى (شاه علم) الذي ظل ممتنا للمساعدات القيمة التي قدمها اسطول الامام احمد بن سعيد لسفنه التي كانت تتعرض لغارات القراصنة قرب ساحل الهند الغربي مما حدا به الى ارسال مبعوث خاص من قبله الى عمان يعرض بذل العون للامام احمد بالمال والرجال ضد اعدائه وانشاء بعثة

تقيم في مسقط في مبنى اصبح يعرف باسم (بيت نواب).

وعلى الرغم من ان الامام احمد كان مشهورا بتسامحه، الا انه كان يحافظ على مظاهر الابهة في موكبه، وكان له حرس خاص يضم الف رجل من الزنجباريين ومئة من العبيد النوبيين. وعند انتقال موكبه، من مكان الى اخر كان يرفع اربع رايات مثبتة على الصواري، منها اثنتان برأس ذهبي واثنتان برأس فضي، وكانت حاشيته تضم كذلك عددا من القضاة والوجهاء.. بل والجلادين

ونظرا لانه جعل (الرستاق) مقر حكمه، فانه كان يزور (مسقط) زيارة سنوية تستغرق اثني عشر يوما، حيث يتلقى كل الرسوم الجمركية المستوفاة عن البضائع والتي كانت تبلغ احيانا حوالي ثلاثمائة الف وخمسمائة روبية.

وقد توفي الامام احمد بن سعيد ودفن في الرستاق عام ١٧٧٥ دون ان يتمكن من الاستيلاء على قلعة (الحزم) اليعربية حتى بعد ان ساد الاستقرار ربوع عمان في عهده[١٠٥].

سعيد بن أحمد:

وعندما توفي الامام (احمد بن سعيد) عام ١٧٨٣م انتخب ابنه (سعيد بن احمد) اماما خلفا له وذلك لان ابنه الاكبر هلال كان ضعيف البصر ذهب الى السند للعلاج ولم يعد منها.

وقد اتسمت سياسة سعيد بن احمد بالضعف والوهن ولم يكن عادلا في ملكه، كما يقول السالمي، لذلك لم يرض عنه الغافرية بسبب ميله للهناوية.

لقد كان الامام سعيد بن احمد اديبا وشاعرا، وله قصيدة غزلية مشهورة يقول فيها:

يا من هواه اعـــزّه واذلنـــي	كيف السبيل الى وصالك دلّني
وتركتني حيران صباً هائمـــا	ارعى النجوم وانت في نوم هني
عاهدتني ان لا تميل عن الهوى	وحلفت لي يا غصن ان لا تنثني

الى ان يقول:

(١٠٥) دول شرق الجزيرة العربية - صادق حسن عبدواني - رسالة ماجستير في التاريخ القاهرة ١٩٧٣.

لما ملكت قياد سري بالهـــوى وعلمت انى عاشق لك خنتني
فلأ قعدنّ على الطريق واشتكي واقول مظلوم وانت ظلمتني
ولأ شكينّك عند سلطان الهوى ليعذبنّك مثلمـا عذّبتني

وبـالـرغم من ان (سعيـد احـمـد) ظل محتفظاً بلقب الامـامة ومقيما بمدينة (الرستاق) الا ان الشعب انتخب ابنه (حمد) الذي اتخذ مسقط عاصمة له[106]. وكان (حمد) مشهورا بصلاحه وتقاه، كما كان مشهورا بشجاعته، فقد حدث ان اسر الفرنسيون سفينة من الاسطول العماني اسمها (الصالح) في صحار عام ١٧٨١ على ساحل الباطنة، فلم يكن من أحمد الا ان اسر الفرنسيين ووضعهم في السجن. وبعد مضي تسع سنوات على هذا الحادث ارسلت الحكومة الفرنسية سفينة الى (حمد) بدلا من فرقاطته الاسيرة، وبذلك ارتفعت سمعة عمان بين الدول.

وعندما توفي (حمد) عام ١٧٩٢ رثاه والده (سعيد بن احمد) بقصيدة يقول في مطلعها:

لهفي على عيشٍ مضى ما ذقت احلى منه شي
لمـا ذكرت عهوده جرت الدموع وقلت أي

وبالرغم من وجود الامـام سعيد الذي استمر في زعامته الدينية في مدينة الرستاق، الا ان وفاة ولده (حمد) احدثت فجوة سياسية كبيرة، ونزاعا عائليا بين اعمام (حمد) اخوة (الامام سعيد). وقد توصل المتنازعون الى تسوية ودية لذلك النزاع حيث تولى (قيس) الحكم في صحار بينما تولى (سلطان) الحكم في مسقط وبركاء محتفظا بسيطرته السياسية فيها.

سلطان بن احمد

لقد اتسمت الفترة التي حكم فيها (سلطان بن الامام احمد) من (١٧٩٣ - ١٨٠٤) بوجود مرحلتين سياسيتين، تميزت اولاهما بمحاولات بريطانية لفرض سيطرتها على عمان في الفترة من ١٧٩٣ الى ١٨٠٠ وتميزت ثانيتهما بمحاولات الدولة السعودية الاولى لفرض سيطرتها على عمان وعلى البقية الباقية من شبه

(١٠٦) منذ أن اتخذ (حمد) مسقط عاصمة له بدلاً من الرستاق، تغير اسم البلاد واصبحت تدعى (سلطنة مسقط وعمان).

الجزيرة العربية في الفترة ١٨٠٠ ـ ١٨٠٤ . وقد قاسى الحاكم الجديد السيد سلطان فترات حرجة بسبب الصراع الفرنسي البريطاني في الخليج ، فقد كتب (مستر واردن) مساعد المقيم السياسي في الخليج عام ١٨١٩ تقريرا عن سياسة حكومته جاء فيه :

«ولما كانت سياستنا في تلك الفترة موجهة بنشاط لمقاومة دسائس بونابارت في فارس والخليج والتي كان يرمي من ورائها الى تحقيق اهدافه فيما يتصل بالهند فقد ثارت الشكوك حينئذ بان حكومة مسقط اكثر ميلا الى التحالف مع الفرنسيين منها الى الانجليز، اذ ان مفاوضات تجارية قام بها الامام مع (مورشيوس) جعلته على اتصال دائم مع الدولة الفرنسية ، لذلك رؤى من المناسب اقامة اتصال مع مسقط فامر مهدي علي خان الذي عين مقيما في بوشهر لينزل بميناء مسقط في طريقه الى مقره . وتحقيقا لاوامر تلقاها بهذا الصدد عقد مع الامام بتاريخ ١٢/١٠/١٧٩٧ معاهدة غايتها استبعاد كل من الفرنسيين والهولنديين من احراز اية وكالة تجارية في بلاده او في جومبروم (بندر عباس) ومنع سفن كل من الدولتين المذكورتين من دخول الخليج وطرد من كان من الفرنسيين في خدمته»[١٠٧] .

وهكذا نجد انه في عام ١٧٩٨ (ايام الثورة الفرنسية) وقعت عمان اول معاهدة لها مع بريطانيا ، كما اسلفنا واعلنت بموجبها انه ستمنع مرور السفن الفرنسية في المياه العمانية في نفس الوقت الذي تمنح فيه بريطانيا ممثلة لشركة الهند الشرقية امتيازا لانشاء مصنع في (بندر عباس) على الساحل الفارسي الذي كان تابعا للسلطنة العمانية آنذاك . .

وما ان انتهى السيد سلطان من مشاكله تلك حتى جدد صراعه مع القواسم ، فقام بهجوم بحري على (دبي) سنة ١٧٩٧ صده اهالي (الشارقة) بعد ان كبدوه خسائر جسيمة ، ذلك لان نشاط القواسم في الخليج ادى الى اضطراب الملاحة البريطانية والفارسية فيه ، فقامت بريطانيا بشن سلسلة من الحملات البحرية ضدهم شارك فيها الاسطول العماني بقسط وافر وانتهت تلك الحملات بنجاح الانجليز وسيطرتهم على المنطقة . كما ان السيد سلطان قام بحملات بحرية على

---

(١٠٧) دول شرق الجزيرة العربية ـ المرجع السابق ـ ص٣٥

البحـرين واحتلهـا احتـلالا كاملا وعين ابنه (سالم) نائبا عنه فيها في الفترة ١٧٩٩ ـ ١٨٠٢ وقد اسر السيد سلطان في حملته هذه (٢٥) شخصا من ابناء الاسر البحرينية الكبيرة، اخذهم رهائن الى مسقط. كما وضع حامية كبيرة في قلعة (عراد) بجزيرة المحرق). ونظـرا لصغـر سن ابنـه (سـالم) الـذي جعله نائبا عنه في البحرين فقد اشرك معه في الحكم احد زعماء الشيعة المناهضين لآل خليفة ويدعى (محمد بن خلف) كمـا انـه طارد القـوات الهـاربـة من البحـرين وتعقبها الى (الزبارة) في قطر وحاول احتلال الكويت في سنة ١٨٠٠، الا انه فشل في ذلك..

وقـد استنجـد (العتـوب) حكـام البحـرين بالفرس وارسلوا خطابا الى حاكم بوشهر عارضين استعدادهم الى ان يصبحوا رعايا للشاه الفارسي ان انجدهم ونتيجة لذلـك فقـد قام المبعـوث الفارسي (الشيخ نصر) بزيارة رسمية الى البحرين وتسلم منهم الضـريبـة عن السنـة السـابقـة، الا ان الفرس لم يتخذوا اية اجراءات حاسمة لضمـان سلامـة البحرين من اي اعتداء خارجي [١٠٨]، ولذلك فقد استنجد العتوب بالـوهـابيين الـذين بدأوا هجـومهم على عمـان سنـة ١٨٠٠ بقيـادة (سالم بن بلال الخـارق) الـذي احتـل واحـة البريمي حيث تمكن (آل خليفة) العتوب من استرداد البحرين بعد ذلك.

---

(١٠٨) المرجع السابق ودولة البو سعيد ـ للدكتور جمال زكريا ـ ص٧٩

لقد أعقبت وفاة (السيد سلطان) مشكلة عائلية مهمة ذلك انه لم يخلف عند موته الا ولدين قاصرين هما سالم وسعيد اللذين كانا تحت وصاية (محمد بن ناصر الجبري) قريب والدهما. ولقد كان في طليعة المعارضين لحكم القاصرين عمهما (قيس بن الامام أحمد) الذي كان واليا على صحار فقام بشن هجوم سيطر من خلاله على اقليم الباطنة كله واحتل (مطرح) وفرض الحصار على مسقط، غير ان (محمد بن ناصر الجبري) و(موزة بنت الامام احمد) عمة القاصرين وجدا فيما قام به (قيس) اضعافا لنفوذهما، فاتصلا (ببدر بن سيف بن الامام احمد) الذي كان من منافسي السيد سلطان في الحكم والذي كان حليفا للوهابيين وطلبا اليه الوقوف ضد طموح قيس فهاجمه بمساعدة الوهابيين وهزمه الا انه منحه بعض المواقع الصغيرة في اقليم الباطنة علاوة على صحار، مقابل اعترافه بسلطة (بدر بن سيف) على مسقط غير ان المعارك تجددت بين الطرفين وانتهت الى تسوية مؤداها ان يتخلى (قيس) عن مدينة مطرح مقابل راتب شهري قدره الف روبية يدفعه اليه (السيد بدر)، ولما شعر الوهابيون بان اي انتصار ساحق لحليفهم (بدر) سيدفعه الى الاستغناء عن طلب مساعدتهم، عمدوا الى ابقاء التوازن بين (بدر) و(قيس) وعقدوا معاهدة مع بدر نصت على البنود الآتية :

١ ـ ان يساعد السعوديون بدر بن سيف في حكمه على عمان مقابل دفع مبلغ سنوي من المال الى الدرعية (عاصمة الوهابيين).

٢ ـ ان يقيم الامير سعود وكيلا عنه في مسقط لجباية الزكاة.

٣ ـ ان يحتل اربعمائة فارس سعودي الاراضي المجاورة لمنطقة (بركاء).

وقد واجه (بدر) بعد استقراره في الحكم ظروفا معقدة تمثلت في العلاقات مع بريطانيا حيث اعادت بريطانيا فتح (المقيمية البريطانية) في مسقط ورفع الكابتن

(سيتون) المقيم البريطاني الجديد العلم البريطاني فوق بنايتها لاول مرة حيث لم يكن يسمح بذلك في عهد السيد سلطان[١٠٩]، بالاضافة الى اضطرار (بدر) الى اصدار تأكيدات تؤيد تقيده باتفاقيات عام ١٨٠٠ المعقودة مع بريطانيا وذلك نتيجة للصراع الدولي الدائر في الخليج العربي من ناحية ولتجدد غارات القواسم البحرية من ناحية اخرى.

وقد قام (السيد بدر بن سيف) بحملة بحرية بمؤازرة السفينة البريطانية (مورننج ستون) وعلى ظهرها (الكابتن سيتون) واستطاع استرجاع بندر عباس واحتلال جزيرة قشم مما اضطر القواسم الى عقد الهدنة بموافقة الكابتن (سيتون) في تموز (يوليو) ١٨٠٥ حيث تم توقيع القواسم والاطراف المعنية الاخرى عليها في ٦ شباط (فبراير) ١٨٠٦ وصادق عليها الحاكم العام في الهند بتاريخ ٢٩ نيسان (ابريل) ١٨٠٦ واطلق عليها اسم المعاهدة البريطانية الاولى مع القواسم.

ولقد تعرضت علاقات السيد (بدر بن سيف) للتدهور مع الوهابيين نتيجة قيامه بشن الحرب ضد بني معن والقواسم وحلفائهم، الا ان قيام (السيد بدر) بإعلان خضوعه للوهابيين وايمانه بمذهبهم وتشجيعه لانتشاره في عمان اعاد العلاقات الودية بين الطرفين حتى قيل بان الاباضيين قد انكروه[١١٠].

وكذلك فقد تعرضت العلاقات العائلية للتدهور نتيجة الصراع المتجدد بين (بدر) وعمه (قيس) الذي حاول استعداء الوهابيين والقواسم ضده. فبالرغم من احتلال (قيس) لمدينة مطرح ومحاصرته (مسقط) من البر، الا ان النصر كان حليف (بدر) حيث استطاع الشاب (سعيد بن سلطان) احتلال السيب و(بدبد) مما رفع

---

(١٠٩) عندما توفي المقيم البريطاني في مسقط الدكتور بوجل في عام ١٨٠٠ وهو لفيهة نتيجة قسوة المناخ خلفه الكابتن دافيد سيتون الذي اضطر الى غلق المقيمية عام ١٨٠٣ نتيجة اعتلال صحته، الا ان الاحداث الجديدة في عمان دفعت الحكومة البريطانية الى الايعاز للكابتن سيتون باعادة فتح المقيمية ففتحها في شهر نيسان (ابريل) ١٨٠٥ وكان السيد بدر قد استقر فعلا في الحكم بمؤازرة الوهابيين..

(١١٠) دول شرق الجزيرة العربية - ص٨٨ - ص٨٩

الـروح المعنـويـة للحـاميـة المـدافعة عن مسقط وكانت نتيجة ذلك خسارة (السيد قيس) لكثير من مواقعه وطلبه اجراء المفاوضات . .

ونتيجـة للحـالة المتردية التي وصلت اليها عمان نتيجة للصراع المستمر فقد قرر الداعون لاجراء المفاوضات وعلى رأسهم (السيد سعيد بن سلطان) الذي كان واليـا على (بـركـا) التخلص من السيد (بدر) الذي اصبح تحت أمرة الوهابيين، فما كاد (السيـد بدر بن سيف) يصـل الى (بـركـا) ويحتل قلعتهـا حتى تقدم المتآمرون وطعنوا ضيفهم حتى الموت وذلك في التاسع من تموز (يوليو) ١٨٠٦م .

سعيد بن سلطان :

لقد قدر لهذا الحاكم الفذ ان يلعب دورا هاما في تاريخ عمان في الفترة من (١٨٠٦) الى (١٨٥٦) حيث شهدت فترة حكمه احداثا سياسية ضخمة ولم تعترف به الحكومة البريطانية في الهند حتى ربيع سنة ١٨٠٧ . .

ولقـد بذل (السيـد سعيـد بن سلطان) جهودا مضنية لفرض سيطرته على كل اجـزاء عمـان والتخلص من السيطـرة الوهابية السعودية وحماية الممتلكات العمانية على الساحل الفارسي من الخليج العربي وحتى الساحل الشرقي لافريقيا . .

وفي خضم استعـداداتـه لمـلاقـاة الـوهابيين كانت علاقته تتدهور مع جيرانه (القـواسم) حيث قام الشيخ (سلطـان بن صقـر) حاكم رأس الخيمة بحملة بحرية ضد الممتلكات العمانية مما اعتبره السيد سعيد خرقا لمعاهدة ١٨٠٦ ، ولذلك فقد قام بتجهيـز حملة لم يكتب لهـا النجاح بسبب معـارضـة عمه (قيس) حاكم صحار والذي لم يكن اعلن بيعته للسيد سعيد بعد . ولكنه بعد ان استطاع الحصول على تأييـد عمـه المـذكـور، قام بتجهيز حملة من اجل استرداد (خورفكان) التي استولى عليهـا القـواسم بعـد اغتيال (السيد بدر بن سيف) حيث استطاعت تلك الحملة ان تحقق هدفها في بادىء الامر الا ان القواسم بقيادة (سلطان بن صقر) استطاعوا ان يغيـروا وجـه المعـركـة ممـا اضطـر (السيـد سعيد) الى الالتجاء الى احدى السفن والنجاة من المذبحة الرهيبة . اما عمه (السيد قيس) فقد كان احد الضحايا في تلك المعـركـة التي جمـع فيها (الشيخ سلطان) غنائم كثيرة ارسل خمسها الى الوهابيين

في الدرعية مما جعل (السيد سعيد) يحرص على حسن علاقته بالوهابيين بعد ذلك حيث طلبوا منه التدليل على حسن نواياه بمساعدتهم في المشاركة بحملة بحرية ضد البصرة والكويت او ضد سفن اعدائهم في الهند فأجابهم برسالة ابدى فيها استعداده للمشاركة في حملة ضد البصرة[١١١].

وقد امتدت ايام سعيد بن سلطان فاستمر في حكمه (٥٢) سنة مؤسسا بداية الاسرة الحاكمة الحالية حتى اطلق عليه اسم (سعيد الكبير) حيث كان يعتبر من اهم شخصيات الخليج العربي طيلة النصف الاول من القرن التاسع عشر . وقد ظلت (مسقط) عاصمته من اهم المراكز التجارية والسياسية في حوض الخليج العربي باسره وازدهرت السلطنة في عهده الى اقصى درجات الازدهار، فدانت له البلاد ومد نفوذه الى الشرق الافريقي وحارب القواسم ، كما غزا البحرين عام ١٨٢٨ متعاونا في ذلك مع الانجليز ثم احتل جانبا من ارض فارس واستولى على اقليم (ظفار) عام ١٨٢٩ وخاض معارك ضارية ضد الوهابيين[١١٢].

هذا ويمكن القول بان (السلطان سعيد الكبير) كان اول حاكم عماني انفتح على العالم الخارجي بذكاء معززا مكانته وفارضا شخصيته الطموحة على الدول

---

(١١١) نفس المصدر - ص٩٧ - ص١٠١

(١١٢) القواسم او الجواسم قبيلة عدنانية اخبرني الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم امارة الشارقة الاسبق بانها انحدرت من سامراء في العراق قبل ثلاثة قرون وصرفت اهتمامها الى البحر وتمكنت من بناء اسطول قوي اقلق مضاجع الانجليز في الخليج العربي ودخل في معارك حامية معهم استمرت من عام ١٨٠٩ حتى عام ١٨٢٠ . وقد ساعد سلطان مسقط السيد سعيد بن احمد الانجليز في القضاء على نفوذ القواسم الذين ظلت اسرتهم تحكم حتى الان في امارتي رأس الخيمة والشارقة (للتفصيلات انظر كتابنا : الخليج العربي في ماضيه وحاضره، مار الذكر، صفحات ٣١١ - ٣١٢ (المؤلف)

الاجنبية (وقد وافق على وجود مقيم بريطاني في مسقط مدللا في ذلك على قيام صداقة مع بريطانية لن تتزعزع ما دامت الشمس والقمر يسيران في فلكهما الى الابد[١١٣] . ولقد قابل (السلطان سعيد) كثيرا من البحارة والتجار الامريكيين في مسقط مما عزز لديه امكانية عقد معاهدة مع الولايات المتحدة الامريكية.

العلاقات الامريكية ـ العمانية :

ولقد بدأ اهتمام الامريكيين بالتجارة في غرب المحيط الهندي عام ١٨٢١ حيث رست اول سفينة امريكية، وكانت تدعى (لوريل)، في زنجبار في شهر تموز (يوليو) عام ١٨٢٥ عندما كانت زنجبار لا تزال تحت سيطرة السلطنة العمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان.

وفي شهر ايلول (سبتمبر) عام ١٨٣٣ وصل المبعوث الامريكي (ادموند روبرتس) الى مسقط واستطاع اقناع السيد سعيد بن سلطان حيث تم التوقيع على معاهدة (صداقة وتجارة) مع الولايات المتحدة الامريكية كان من بنودها ان لا يزيد الرسم الكمركي الذي يدفعه التجار الامريكان على نسبة تزيد على ٥٪.

وقد تمت المصادقة على هذه المعاهدة من قبل الرئيس الامريكي (جاكسون) في عام ١٨٣٤ واصبحت التجارة الامريكية مع السلطنة تقوم على شرط الدولة الاكثر رعاية، مما حدا بالولايات المتحدة الى تعيين (ريتشارد ووترز) قنصلا عاما لها في زنجبار عام ١٨٣٧ وتعيين (هنري مارشال) قنصلا عاما لها في مسقط عام ١٨٣٨، حيث نشطت التجارة بين البلدين، وتمثلت الصادرات الامريكية في الاواني المنزلية والساعات والبنادق والاحذية ومخزونات السفن والاقمشة القطنية، وتمثلت الواردات الامريكية من عمان بالصمغ ولب جوز الهند والقرنفل والعاج.

---

(١١٣) كتاب الفجر فوق عمان ـ المرجع السابق ـ ص١٧ ان هذه العبارة مدونة في الاتفاقية المعقودة بين السلطان والكابتن جون مالكولم والمؤرخة ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٠٠ بالنص الآتي:

«وتبقى الصداقة بين الولايتين ثابتة غير مضطربة حتى يوم الدين، والى ان تكف الشمس والقمر عن الدوران».

ومن اجل تنشيط العلاقة بين البلدين فقد ارسل السلطان سعيد سفينته الخاصة (سلطانة) الى الولايات المتحدة الامريكية بقيادة القبطان البريطاني (وليم سليمن) وعلى ظهرها صديقه الحاج احمد بن نعمان ممثلا شخصيا له في الولايات المتحدة.

وعند وصول هذه السفينة الى ميناء نيويورك عام ١٨٤٠، استقبلت والحاج احمد بن نعمان بحفاوة بالغة حيث قام الحاج بتسليم هدايا السلطان سعيد المكونة من جوادين عربيين وبعض المجوهرات وعطر الورد وسيفا مطعما بالذهب الى الرئيس الامريكي (فان بورين) الذي ارسل هدايا الى السلطان تمثلت في اربعة مسدسات تلقائية الدوران بسعة خمس طلقات وبندقيتين من طراز (كولتس) تلقائيتي الدوران كذلك. اما حمولة السفينة (سلطانة) فقد كانت تشتمل على (١٣٠٠) كيس من التمر واحدى وعشرين بالة من السجاد الايراني ومئة كيس من القهوة و (١٠٨) قطعة من انياب الفيل و (٨١) كيسا من الصمغ و (١٣٥) كيسا من القرنفل والف جلد حيواني جاف وقد بيعت هذه الحمولة بمبلغ قدره (٢٦١٧٥) دولارا.

اما حمولة السفينة عند العودة فقد تألفت من (١٢٥) بالة من الملاءات الرمادية و (٢٤) ثوبا من قماش قرمزي اللون و (١٣) حقيبة من الخرز الابيض والاحمر والازرق وعشرين درزينة من القماش المطبوع و (٣٠٠) بندقية وكميات من البارود والورق والاواني الزجاجية والصيني (الفرفوري) وذلك بعد ان ظلت السفينة مدة ثلاثة اشهر راسية في ميناء نيويورك.

وقد استغرقت رحلة العودة الى زنجبار عشرة اشهر من تاريخ اقلاعها من نيويورك يقودها الربان الأمريكي (سانويث درنكى).

هذا ومن الجدير بالذكر الاشارة هنا الى ان حمولة السفينة في الذهاب والاياب، كانت لحساب السلطان الذي كان يشتغل بالتجارة في نفس الوقت حتى اطلق عليه اسم (السيد البحار) حيث كانت لديه شخصيا حوالي عشرين سفينة يستخدمها في تجارته الخاصة.

ولقد اولى السيد سعيد بن سلطان القوة البحرية العمانية عناية خاصة وكان يشعر بسعادة غامرة وهو يقود بنفسه سفينته الخاصة، كما انه اهدى الملك (وليم

الـرابـع) ملك بريطـانيـا الـذي كان يلقب بـ (الملك البحار) سفينة حربية اصبحت تسمى (ليفربول) بعدئذ[١١٤]

انقسام السلطة

. . وبينمـا كان (السلطـان سعيـد) في رحلة متجهـا الى زنجبـار في سفينتـه الخاصة المسماة (شاه علم)، وافته منيته، فسار اصحابه بجثمانه حيث دفن في بيته في زنجبار عام ١٢٧٣هـ (١٨٥٦).

وقـد تضـاءلت اهميـة السلطنـة بعـد وفاة سلطانها الحازم السيد سعيد وذلك لعـدم ظهـور شخصيـة قويـة من (آل سعيد) توحد صفوف الأبناء المتنازعين وتعمل على الافـادة من التراث الاقتصـادي والسيـاسي الذي تركه السيد سعيد فقد تنازع ولداه (ماجد) و (ثويني) على الحكم من بعده ونشبت حرب وراثة عربية توسط في اخمـادهـا (اللورد كاننـج) نائب الملك في الهنـد الـذي ساهم في وضع اتفاق بين الاخوين حصل (ثويني) بموجبه على سلطنة مسقط، بينما اصبحت زنجبار وممباسا ومـدغشقـر والممتلكـات الاخـرى في افريقيا الشرقية من حصة (ماجد) الذي تعهد بدفع اتاوة سنوية الى اخيه ثويني[١١٥].

---

(١١٤) عمـان ونهضتهـا الحـديثة ـ المرجع السابق ـ ص١٨٧ (انظر كذلك كتاب : الفجر فوق عمان ـ مار الذكر ـ ص١٩

(١١٥) الخليج العربي والعلاقات الدولية ـ د . محمود علي الداود ص٢٠

وندون فيما يلي نص الرسالة التي ارسلها اللورد (كاننج) الى السيد ثويني بن سعيد ـ سلطان مسقط ـ في هذا الشأن بتاريخ ٢ شباط (أبريل) عام ١٨٦١.

« صديقي العزيز المحترم

أكتب لسموكم في موضوع الخلاف المؤسف الذي شجر بينكم وبين شقيق سموكم حاكم زنجبار، وتعهدتم سموكم أن تقبلوا تحكيم نائب الملك والحاكم العام للهند. وتقديرا للعلاقات الودية التي ظلت قائمة بين حكومة صاحبة الجلالة الملكة، وحكومة عمان وزنجبار، ورغبة مناً في منع الحرب بين الاهل والاقارب فقد قبلت مهمة التحكيم بينكما، وحرصا مني على جمع أكبر قسط من المعلومات عن جميع نقاط الخلاف فقد طلبت الى حكومة بومباي أن توفد ضابطا الى مسقط وزنجبار لاجراء الاستعلامات اللازمة. وقد أختير البريجادير (كوهلان) لهذه الغاية، وهو ضابط تضع حكومة الهند كل ثقتها في حكمته وذكائه وحياده. وقد قدم البريجادير (كوهلان) تقريرا كاملا أوضح فيه جميع المسائل التي هي موضع الخلاف بين سموكم وأخيكم وقد أعرت كامل اهتمامي لكل واحدة من هذه المسائل، وفيما يلي القرار الذي وصلت اليه:

أولا ـ ان ينادي بصاحب السمو السيد (ماجد) حاكما لزنجبار والممتلكات الافريقية التابعة للمرحوم سمو السيد سعيد.

ثانيا ـ ان يدفع حاكم زنجبار سنويا الى حاكم مسقط اعانة قدرها أربعون الف كراون.

ثالثا ـ ان يدفع سمو السيد ماجد الى سمو السيد ثويني متأخرات الاعانة عن سنتين أي ثمانين الف كراون.

واني على ثقة بأن هذه الشروط عادلة ومشرفة لكليكما، ولما كنتم قد قبلتم تحكيمي راضين مخلصين، فاني اتوقع منكم ان تقبلوا ما حكمت به ببشر ووفاء، وان يوضع موضع التنفيذ من غير تأخير لا مبرر له. «على انه لا ينبغي أن يفهم من دفع اربعين ألف كراون سنويا انه اعتراف بتبعية زنجبار لمسقط، أو انه مسألة شخصية بين سموكم وبين أخيكم السيد ماجد، بل هو ينسحب على خلفاء كل منكم، ويجب اعتباره على انه تسوية نهائية ودائمة تعويضا لحاكم مسقط عن تنازله

عن كل دعوى له في زنجبار وتصحيحا لعدم المساواة فيما ورثتماه عن والدكما المرحوم سمو السيد سعيد، الصديق المبجل للحكومة البريطانية وبذلك يصبح نصيب كل منكما في تركته منفصلا وقائما بذاته منذ اليوم».

صديق سموكم المخلص الذي يتمنى لكم كل خير. .

(كاننج)

قلعة وليام ـ في ٢ ابريل سنة ١٨٦١

وقد اجاب السيد ثويني بن سعيد بن سلطان ـ حاكم مسقط ـ بالرسالة الآتية بتاريخ ٤ ذي القعدة سنة ١٢٧٧ هجرية، ١٥ مايو سنة ١٨٦١م:

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب السعادة المعظم اللورد كاننج ـ الحاكم العام للهند.

بعد التحية في أحسن الاوقات وأسعدها، تشرفنا بتلقي رسالتكم الكريمة وقد سررنا بما تضمنته، فان ما قررتموه سعادتكم يرضينا أتم الرضا، ولا سيما ما يتعلق بحكمكم بيننا وبين أخي ماجد. ونحن نقبله من قلبنا وان كنا لا ندري كيف نعبر لكم عن أسفنا لما سببناه لكم من ازعاج، وعن تقديرنا لعطفكم الذي ابديتموه نحونا في هذه المسألة.

اننا نحمد الله على جهودكم من أجلنا ونسأله ان يجزيكم خيرا عن حسن مقصدكم وان يحفظكم عونا لنا دائما. ونرجو أن يظل حبنا ووفاؤنا موجها دائما نحو الحكومة (البريطانية) العظمى، وان يظل دائما في نمو وازدياد، وان نحظى فوق ذلك بودكم المقيم وعطفكم الكريم وأن لا نحرم منها ابدا.

أما فيما يتعلق بأخينا ماجد فانا نسأل الله الا يرى منا مدى حياتنا الا كل حب ونية خالصة ونحن نعتمد اعتمادا كليا على أن ينفذ حكمكم الذي حكمتم به بيننا. ويكفينا اشارة منكم في كل ما تحتاجون اليه سعادتكم من صديقكم الوفي كي نلبيه ونحن فخورون بذلك. حفظكم الله في اعلى درجات الشرف وفي أكمل صحة. وتقبلوا منا السلام كأحسن خاتمة.

الاعلان الدولي باحترام استقلال مسقط وزنجبار :

بمناسبة انقسام الامبراطورية العمانية نتيجة خصومة الاشقاء وعوامل الضعف الاخرى، وما افتعله الاستعمار والقوى الاجنبية الخفية المتصارعة فقد أصدرت الحكومتان البريطانية والفرنسية الاعلان الآتي :

« رأت صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندة وصاحب الجلالة الامبراطور الفرنسي، تقديرا منهما لما للمحافظة على استقلال صاحب السمو سلطان مسقط، وصاحب السمو سلطان زنجبار، من اهمية، أن يتعهد كل منهما قبل الآخر باحترام استقلال هذين الحاكمين.

والموقعان ادناه، سفير صاحب الجلالة البريطانية فوق العادة والمفوض بكامل الاختصاصات لدى البلاط الفرنسي، ووزير خارجية صاحب الجلالة امبراطور الفرنسيين، بما عهد اليهما من السلطات اللازمة، يعلنان بناء عليه، وبمقتضى هذا ان جلالتيهما قد تبادلا هذا العهد قبل بعضهما البعض.

واشهادا على ذلك فقد وقع المندوبان على هذا الاعلان ووضعا خاتميهما عليه.

« حرر في باريس اليوم العاشر من شهر مارس ١٨٦٢ »

وهكذا انقسمت تلك الامبراطورية عام ١٨٦٢ الى شطرين حيث اصبح (ماجد) سلطانا على ممتلكات شرق افريقيا، كما أسلفنا، وأسس سلطنة (زنجبار) ثم ملك من بعده (برغش بن سعيد) ثم (خليفة بن سعيد) ثم (علي بن سعيد) ثم (حمد بن ثويني بن سعيد) ثم (حمود بن محمد بن سعيد) ثم (علي بن حمود بن محمد) مما لا مجال لسرد تفصيلاته حيث انتهى حكم هذه الاسرة العريقة نهاية مأساوية عام ١٩٦٤ اثر انقلاب دموي في زنجبار برئاسة (كرومي) أول رئيس لمجموعة جزر زنجبار حيث قضى على الآلاف من العرب هناك وعاد من استطاع منهم العودة الى عمان الام ثم تفرق المثقفون الآخرون في المنفى هربا من الحكم الدكتاتوري بعد أن تم تكوين دولة متحدة بين زنجبار وتنجانيقا بإسم جمهورية (تنزانيا) التي احتفلت بذكرى مرور عشرين عاما على تأسيسها برآسة (جوليوس نايريري) علما بان (زنجبار) تتمتع باستقلال ذاتي ويرأسها (عبود جومبي) الذي يشغل منصب نائب رئيس جمهورية (تنزانيا) في نفس الوقت.

تطور الامور بعد الانفصال

تطورت الامور بعد تولي (ثويني بن سعيد) مسؤولية الحكم في عمان الى الاسوأ، حيث قام ولده (سالم) باطلاق النار عليه واغتياله اثناء قيلولته في حصن (صحار)، واعلانه نفسه حاكما خلفا لوالده، مما جلب عليه نقمة الناس، حيث قام (عزان بن قيس) بالهجوم على (بركا) و(مسقط) و(مطرح) في عام ١٨٦٨ وارغم (سالما) على مغادرة البلاد، وتم تنصيب (عزان) اماما من قبل رجال الدين (المطاوعة) واصبحت البلاد تحت نظام حكم ذي طابع ديني وسياسي، فاستبدل علم البلاد الاحمر بآخر دي لون ابيض وحرّم التدخين وشددّ في تحريم شرب المسكرات والتأكيد على اقامة الصلوات في المساجد.

ولقد ظهرت كفاءة الامام (عزان بن قيس) وقوة شخصيته عندما استطاع ان يبسط نفوذه على جميع ارجاء عمان وان يطرد (الوهابيين) من منطقة (البريمي) كما اتفق مع حليفه (شيخ ابوظبي) على حماية الحدود العمانية مقابل مكافأة مالية يدفعها اليه، الا ان (تركي بن سعيد بن سلطان) الذي كان يطمع في تولي الحكم في السلطنة، تحالف مع شيوخ (دبي وعجمان ورأس الخيمة) فنزلت قواتهم المشتركة في (خور فكان) وتوجهت نحو (البريمي) لاحتلالها.

وفي سنة ١٨٧٠ التقت قوات (عزان) بقوات (تركي) في معركة رهيبة في (وادي ضنك) كان النصر فيها حليف (تركي) الذي اعترفت به بريطانيا سلطانا على عمان سنة ١٨٧١.

وكنتيجة لبعض المشاكل الداخلية في البلاد، ولتردي صحة (تركي)، فقد، اعتزل الحكم وتوجه الى (جوادر) في الهند (والتي كانت من املاك سلطنة عمان آنذاك)، للاستشفاء وأناب عنه شقيقه (عبد العزيز)، حيث قضى بضعة شهور في (جوادر) ثم عاد الى مسقط وقضى على حركة تمرد كان يقودها (صالح بن علي) وبعض المطاوعة الذين اتهموه في أمور دينه ودنياه.

وفي سنة ١٨٨٨ توفي (تركي) فخلفه نجله (فيصل) الذي لقي ترحيبا واسعا من شعبه بالرغم من محاولة عمه (عبد العزيز) زحزحته عن العرش.

وفي سنة ١٩١٣، توفي (فيصل) فخلفه نجله (السيد تيمور)، الا ان الامام المنتخب من قبل رجال الدين (المطاوعة)، وهو (سالم بن راشد الخروصي) شق عصا الطاعة عليه وقام بهجوم واسع على العاصمة، متعاونا في ذلك مع قوات (عيسى بن صالح) المندفعة من المنطقة الشرقية وذلك في سنة ١٩١٥، غير ان قوات السلطان السيد تيمور، تعاونها القوات البريطانية الهندية تمكنت من دحرها.

نماذج من الضغوط البريطانية على الحكام في مسقط

الضغط البريطاني على السيد ثويني بن سعيد

لما اشتد الضغط البريطاني على السلطان (السيدثويني بن سعيد بن سلطان) سلطان مسقط وقع على اتفاقية مع بريطانيا في اليوم السابع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٤ حدد فيها سلطاته على ابسط مظهر من مظاهر السيادة حتى فيما يتعلق (بنصب الخطوط التلغرافية) مثلا، حيث وقع على تلك الاتفاقية بحضور اللفتانت كولونيل (لويس بيلي) المقيم السياسي البريطاني في الخليج واللفتنانت كولونيل (هربرت دسبراو) الوكيل السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في (بركاء) بمسقط..

وتنص الاتفاقية على ما يلي:

مادة (١):

يكون لحليفتي القديمة المخلصة، الحكومة البريطانية، الحرية في انشاء خط او اكثر من خطوط المواصلات التلغرافية في اية جهة داخل الاراضي التابعة لولاية مسقط..

مادة (٢):

وللحكومة البريطانية كذلك الحرية في انشاء خط او اكثر من خطوط المواصلات التلغرافية في اية اراضي يمكن ان استأجرها من شاه فارس.

مادة (٣) :

اتعهد عن نفسي وعن ورثتي وخلفائي بان احترم ما جاء بهذا، وان امتنع عن كل تدخل، وأي تدخل في العمليات التلغرافية التي تقوم بها الحكومة البريطانية داخل اراضي مسقط او على مقربة منها..

الضغط البريطاني على السلطان فيصل بن تركي :

عندما تولى (السيد فيصل بن تركي بن سعيد) الحكم وأصبح سلطانا لمسقط وعمان، أبدت الحكومة البريطانية رغبتها في الغاء معاهدة سنة ١٨٣٩ التي سبق لها عقدها مع جده (سعيد بن سلطان) وابدالها بمعاهدة جديدة اطلقت عليها اسم (معاهدة صداقة وتجارة وملاحة بين بريطانيا العظمى ومسقط لعام ١٨٩١). وقد وقعت هذه المعاهدة في مسقط بتاريخ ١٩ آذار (مارس) ١٨٩١ وتم تبادل التصديق عليها في سنة ١٨٩٢..

لقد جاء في ديباجة المعاهدة المذكورة ما يأتي :

«لما كانت صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندة وامبراطورة الهند، وصاحب السمو السيد فيصل بن تركي بن سعيد سلطان مسقط وعمان - يرغبان في دعم علاقات الصداقة القائمة بين بلديهما وتوثيقها وفي تعزيز علاقاتهما التجارية وتوسيع نطاقها، فقد اختارا كمفوضين عنهما في ابرام معاهدة لهذا الغرض كلا من :

عن جلالة ملكة المملكة المتحدة - بريطانيا العظمى - وايرلندا وامبراطورة الهند، الكولونيل ادوارد شارل روس، حامل وسام نجمة الهند، والمقيم السياسي لجلالتها البريطانية في الخليج..

صاحب السمو سلطان مسقط عن نفسه

وتقع هذه المعاهدة في (٢٣) مادة جاء في المادة الاولى منها ما يأتي :

«المعاهدة المبرمة بين الحكومة البريطانية والسلطان سعيد بن سلطان - سلطان مسقط وعمان - في ٣١ مايو سنة ١٨٣٩ الموافق ١٧ ربيع أول سنة ١٢٥٥ هجرية قد ألغيت بمقتضى هذا واصبحت باطلة، وتحل المعاهدة التالية محلها بعد التصديق عليها»..

ولقد اصبح بموجب هذه المعاهدة للرعايا البريطانيين والهنود حق التجارة والعمل في جميع ممتلكات السلطان دون قيد او شرط ولا يسمح للسلطان في منح اي نوع من الاحتكارات او الامتيازات التجارية في ممتلكاته لاية حكومة او مؤسسة او فرد اجنبي، كما يسمح للرعايا البريطانيين حق التملك والارث بأية طريقة قانونية في الاموال والعقار، وان لا تزيد الضريبة الحكومية عن ٥٪ باي حال من الاحوال مع الاعفاء من هذه الضريبة في حالات معينة وبضائع معينة، واتاحة استيراد جميع انواع السلع الى السلطنة وعدم عرقلة سير البضائع العابرة (الترانسيت)، كما ان رعايا اية دولة (مسيحية) ليس لها تمثيل قنصلي في السلطنة، يتمتعون بنفس الحماية التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون.

وقد بينت هذه المعاهدة اجراءات محاكمة الرعايا البريطانيين والمسيحيين ورعايا الدول المسيحية المشار اليها امام محاكم خاصة. كما نصت المادة (٢٠) من المعاهدة، على تمتع رعايا الطرفين بحرية العقيدة والتسامح الديني، وبناء الاماكن المخصصة للعبادة.

ولقد شدد الاستعمار البريطاني من قبضته على (السيد فيصل بن تركي بن سعيد) سلطان مسقط وعمان وحدد تصرفاته بموجب الاتفاقية الموقعة في اليوم العشرين من آذار (مارس) سنة ١٨٩١ حيث نصت على ما يأتي:

« الحمد لله وحده

الغرض من تحرير هذا الميثاق الشرعي هو اثبات ما اعتمده ووافق عليه صاحب السمو (السيد فيصل بن تركي) سلطان مسقط وعمان، من ناحية، والكولونيل ادوارد شارلز روس - حامل وسام نجمة الهند، والمقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطاني في الخليج الفارسي بالنيابة عن الحكومة البريطانية من الناحية الاخرى، وهو ان السيد فيصل بن تركي بن سعيد المذكور، سلطان مسقط وعمان، يتعهد ويرتبط عن نفسه وورثته وخلفائه، بالا يتنازل او يبيع او يرهن او يسمح باحتلال اي جزء من اراضيه في مسقط او عمان او اي من ملحقاتهما لغير الحكومة البريطانية. واثباتا لابرام هذا الميثاق فان السيد فيصل بن تركي بن سعيد سلطان مسقط وعمان والكولونيل شارلز روس - حامل وسام نجمة الهند والمقيم السياسي

لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج الاول بالاصالة عن نفسه وعن ورثته وخلفائه، والثاني بالنيابة عن الحكومة البريطانية ـ قد وقع عليه كل منهما بامضائه بوجود الشهود في يومنا هذا التاسع من شعبان سنة ١٣٠٨ هجرية الموافق لليوم العشرين من شهر مارس سنة ١٨٩١..».

وقد صدق على هذه الاتفاقية (لاندون) نائب الملك والحاكم العام للهند في سملا في اليوم الحادي والثلاثين من شهر مايو سنة ١٨٩١..

عهد السلطان تيمور بن فيصل:

وعندما تولى السيد تيمور بن فيصل بن تركي بن سعيد الحكم، بدأ ظل سلطته ينحسر عن المناطق الداخلية من عمان وعادت السلطة الدينية الى الظهور مجددا بشكل واضح في تلك المناطق حيث قام ثلاثة آلاف مقاتل من ابناء المنطقة الداخلية في عام ١٩١٥ بمهاجمة مسقط، فتصدى لهم السلطان (تيمور بن فيصل) ودحرهم في معركة (بيت الفلج) قرب مسقط متعاونا في ذلك مع الهنود والبريطانيين[١١٦].

ولم تمض سنتان على هذه الاضطرابات الداخلية حتى انحسر نفوذ السلطان عن (نزوى)، العاصمة الدينية للأمامة، وعن (ازكى) و(سمائل) وغيرها من المناطق الداخلية.

وفي عام ١٩٢٠ عقدت معاهدة بين السلطان (تيمور) وبين الشيخ (عيسى بن صالح الحارثي)، ممثلا للزعامة الدينية (الامامة) في المناطق الداخلية من عمان، حيث وافق (السلطان تيمور) بموجب هذه المعاهدة التي اطلق عليها اسم (معاهدة السيب)[١١٧]، نسبة الى مدينة السيب الواقعة في سهل الباطنة شمال

---

(١١٦) السالمي ـ المرجع السابق ـ ص٢٢٨ ـ ٢٢٩. ولقد اصبح (بيت الفلج) في عهد السلطان قابوس، ضاحية جميلة من ضواحي مسقط في منطقة (روى)، حيث اتصل العمران بين العاصمة وهذه الضواحي (المؤلف).

(١١٧) يقول السفير البريطاني (رونالد هولي) في كتابه (عمان ونهضتها الحديثة) بان اطلاق اسم (معاهدة) على (معاهدة السيب) انما هي تسمية مغلوطة. (وبموجب هذه المعاهدة وافق السلطان على عدم التدخل في الشؤون الداخلية في مناطق اواسط عمان وعلى عدم فرض ضرائب تزيد على خمسة في المئة على البضائع التي تجلب من الداخل وعلى السماح للقبائل بدخول مسقط والمدن الساحلية بحرية وامان. ووافقت القبائل من طرفها بان تبقى في حالة سلام وتصالح مع حكومة السلطان). المؤلف.

مسقط على قيام حالة سلم بين الطرفين بشرط عدم تدخل السلطان في الشؤون الداخلية لقبائل تلك المناطق. وقد اصبحت (معاهدة السيب) حجر الزاوية في توتر العلاقات بين السلطان وبين نظام الأئمة الذين اعلنوا انفصال (عمان) عن (مسقط) في وقت اصبح فيه مركز السلطان (تيمور بن فيصل) ضعيفا كل الضعف نتيجة الثورات الداخلية في عمان بعد ان فقدت الامبراطورية العربية جميع ممتلكاتها في الخارج واصبح اقتتال الاخوة فيما بينهم عملا كاد ان يكون يوميا، مما اضطر السلطان لتلبية اوامر السلطة البريطانية الحاكمة في كل صغيرة وكبيرة حفاظا منه على عرشه المتأرجح خاصة بعد ان اشيع خبر وجود البترول في البلاد..

ولان البترول (نار ونور) ولانه (مستعبد الشعوب)، ولانه سلاح فتاك في اليد التي تحسن استعماله واستغلاله لمصلحة البلاد والشعب، فقد خشيت بريطانيا تطلع (السلطان تيمور بن فيصل) الى مثل هذه المزايا التي تتمثل بالثروة الجديدة للبلاد، لذلك فقد عمدت الى ربط السلطان بعهد يتعهد فيه بعدم استغلال البترول من قبله اومن قبل اية جهة اجنبية اخرى، فكتب الرسالة التالية المؤرخة في ٢١ جمادي الاول سنة ١٣٤١ هجرية الموافق لليوم العاشر من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٣ الى الميجور (راي) قنصل بريطانيا في مسقط:

« بعد التحية: رداً على رسالتكم رقم ١٧٥١ بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ نحيط سعادتكم علما باننا نوافق على ان لا نقوم باستغلال اي بترول قد يوجد في اي مكان داخل اراضينا، او نمنح تصريحا باستغلاله دون مشاورة الوكيل السياسي في مسقط وموافقة حكومة الهند السنية..

ان ما سمعناه عن وجود الزيت بجهة (مصيره) لم يتأكد بعد. وقد اخذنا نتحرى عن وجود هذا المعدن فيها، فاذا علمنا شيئا عنه اعقب ذلك مباحثات بين سيادتكم وبيننا حول استغلاله واتخاذ الاجراءات والتدابير اللازمة للعمل والشروط الضرورية، وسيكون امره بطبيعة الحال احتكارا، فنحن نثق بالمساعدة التامة من حكومة الهند السامية في هذه المسألة الهامة على نحو ما سبق ان امدتنا به دائما[118].

---

(١١٨) للامانة العلمية نبين باننا قد نقلنا معظم نصوص الاتفاقيات من كتاب (عمان والامارات السبع) لمؤلفه الاستاذ عبد القادر زلوم، وقد اشرنا الى ذلك في الهوامش.

هذا ولقد تميز حكم السلطان تيمور (شأنه في ذلك شأن ابيه، بالمصاعب المالية التي ادى الى تفاقمها الكساد التجاري في سنتي ١٩٢٣ و١٩٢٤. وقد عين (برثرام توماس) المؤلف والخبير في الشؤون العربية، مستشارا ماليا ليساعده في التغلب على تلك الصعاب[١١٩].

وفي عام ١٩٣٢ اجبر الانجليز السلطان (تيمور بن فيصل) الذي كان حينذاك في الهند على التنازل عن الحكم لولده (سعيد) الذي كان شابا في الحادية والعشرين من عمره آنذاك. وقد اعترفت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بالسلطان الجديد.

عهد السلطان سعيد بن تيمور ومجيء قابوس بن سعيد

دخلت عمان منذ عهد السلطان سعيد بن تيمور في دوامة من الاضطرابات والثورات والخصومات والتقوقع نتيجة ما درج عليه السلطان من التقتير وعدم الانفاق على رفاه شعبه رغم اكتشاف النفط وزيادة ايرادات الدولة.

وقد كانت من اهم المشكلات التي جابهها السلطان سعيد، مشكلة الصراع في ظفار[١٢٠]، ذلك الصراع المرير الذي كان وليد الانغلاق والحكم الاوتوقراطي والتخلف الثقافي والاجتماعي والصحي الذي مارسه السلطان وابتعاده عن كل مظهر من مظاهر الحضارة الحديثة، رغم ما يقال عن سعة ثقافته ودراسته في العراق والهند وغيرهما ومعرفته بعدد من اللغات الاجنبية، ذلك ان العزلة التي فرضها على نفسه بالبقاء في صلالة وعدم زيارة شمال عمان بعد سنة ١٩٥٨، ربما كانت نتيجة حتمية للاضطرابات التي حدثت في المنطقة مما اضطر ولده الوحيد (قابوس) للقيام بحركته التصحيحية عام ١٩٧٠ وتولى مسؤولية الحكم حيث آزرته جميع قوى الشعب المخلصة.

هذا وقد توفي السلطان سعيد بن تيمور في منفاه بانكلترا عام ١٩٧٢ ودفن في المقبرة الاسلامية بمدينة (ووكنج) القريبة من لندن.

---

(١١٩) عمان ونهضتها الحديثة ـ المرجع السابق.

(١٢٠) للاطلاع على تفصيلات النزاع وجذوره واسبابه، يراجع كتاب (تثمين الصراع في ظفار) تأليف الاستاذ رياض نجيب الريس ـ منشورات شركة بورتيكو للنشر ـ المملكة المتحدة ـ لندن.

الفصل الخامس

صراع في المنطقة الجنوبية

هذا ولقد تميز حكم السلطان تيمور (شأنه في ذلك شأن ابيه) بالمصاعب المالية التي ادى الى تفاقمها الكساد التجاري في سنتي ١٩٢٣ و١٩٢٤. وقد عين (برترام توماس) المؤلف والخبير في الشؤون العربية، مستشارا ماليا ليساعده في التغلب على تلك الصعاب[٢٣٩]

وفي عام ١٩٣٢ اجبر الانجليز السلطان (تيمور بن فيصل) الذي كان حينذاك في الهند على التنازل عن الحكم لولده (سعيد) الذي كان شابا في العشرين من عمره آنذاك. وقد اعترفت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بالسلطان الجديد.

عهد السلطان سعيد بن تيمور وخلفه قابوس [illegible]

دخلت عمان في عهد السلطان سعيد بن تيمور في دوامة من الاضطرابات والثورات والخصومات والتقوقع نتيجة ما درج عليه السلطان من التقتير وعدم الانفاق على [illegible] ادارات الدولة.

وقد كانت من أهم المشكلات التي جابهها السلطان سعيد [illegible] الصراع في ظفار[٢٤٠]، ذلك الصراع المرير الذي كان وليد الانغلاق والحكم الاوتوقراطي والتخلف الثقافي والاجتماعي والصحي الذي مارسه السلطان وابتعاده عن كل مظهر من مظاهر الحضارة الحديثة، رغم ما يقال عن سعة ثقافته ودراسته في العراق والهند وغيرهما ومعرفته بعدد من اللغات الاجنبية، ذلك ان العزلة التي فرضها على نفسه بالبقاء في صلالة وعدم زيارة شمال عمان بعد سنة ١٩٥٨، ربما كانت نتيجة حتمية للاضطرابات التي حدثت في المنطقة مما اضطر ولده الوحيد (قابوس) للقيام بحركته التصحيحية عام ١٩٧٠ وتولي مسؤولية الحكم حيث ايدته جميع قوى الشعب المخلصة.

هذا وقد توفي السلطان سعيد بن تيمور في [illegible] عام ١٩٧٢ ودفن في المقبرة الاسلامية بمدينة (ووكنج) القريبة من لندن.

---

(٢٣٩) [illegible]

(٢٤٠) [illegible] كتابه (التمرد أو الصراع في [illegible] المملكة المتحدة [illegible]

الصراع في ظفار

يقول الاستاذ عبدالله النفيسي في كتابه (تثمين الصراع في ظفار)[121] بان قصة هذا الصراع لم تتعد قصة ظلم وجوع وعدمية في الحركة الاجتماعية لظفار وكافة اشكال التبسيط والتحقير له الواضح في المناشير التي توزع في الظلام في بعض القرى النائية في الخليج وجنوب الجزيرة، بقدر ما هي قصة اقتصاد عالمي ومضائق واستراتيجية عسكرية وميزان قوي اقليمي وامتداد دولي نشط للاراضي النامية، وهذا قول صحيح ذلك ان الصراع العالمي بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي من ناحية، وبين الثنائي الدولي في هذه البقعة من العالم ـ منطقة الشرق الاوسط ـ ذات الحساسية المرهفة وظهور القوى الوطنية والقومية في ميزان المعادلات السياسية لحفظ التوازن العالمي، كل هذه العوامل ادت الى قيام صراع خفي تارة وواضح تارة اخرى في المنطقة، فكانت ظفار احدى المناطق الحساسة في هذه الصراعات المتنافرة حيث التهبت المنطقة واستعرض كل من الطرفين الكبيرين المتنافرين عضلاته لدعم الايديولوجية التي يؤمن بها ويدعو الى تحقيقها. ومن خلال ذلك كانت حركة ظفار تمر بارهاصات داخلية حددت بعد ذلك (هويتها الفكرية ومن ثم خطها السياسي، فلقد اندمجت مجموعة من التنظيمات في عام ١٩٦٤ من اجل اقامة جسر على ما يبدو بين الكفاح المسلح في جنوب اليمن الذي اندلع في جبال ردفان بقيادة (الجبهة القومية) في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٣ وبين منطقة عمان والخليج. وكان من نتائج هذا الاندماج ظهور ما اطلق عليه اسم (جبهة تحرير ظفار) التي بدأت اعمالها الحربية في التاسع من حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٥..

---

(121) تثمين الصراع في ظفار صفحة ٤٢.

متاعب جبهة تحرير ظفار:

لقد عانت هذه الجبهة ازمات خانقة خلال النصف الثاني من عام ١٩٦٦، وطوال عام ١٩٦٧ (حيث لم يكن ثمة طريق لاختراق الحصار الشديد الذي فرضته القوات العمانية حول المناطق التي يتواجد فيها الثوار لايصال السلاح والذخيرة كما لم يكن للثورة تموين ثابت. ولذلك فقد ظلت ظفار تعاني من ثغرة قتالية وذلك لعدم ارتباطها بامتداد ثوري في المنطقة يحمي ظهرها ويمد نشاطها فوق مساحة اكبر من الارض العمانية والخليج العربي ويساعدها على تهريب الاسلحة والمقاتلين وعلى القيام بالتدريب العسكري في مناطق آمنة[١٢٢].

وقد نظر البريطانيون والسلطان السابق الى هذه الجبهة على انها حركة قبلية انفصالية تهدف الى سلخ اقليم ظفار عن السلطنة واعلان استقلاله، ولم ينظروا اليها على انها حركة سياسية ترتبط بتنظيمات تمخضت عن ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ في مصر حيث ان التنظيم المركزي (لحركة القوميين العرب) التي تشعبت فروعها في بعض البلاد العربية. واخذت الحركة تجند الشباب الظفاري المهاجر الى اقطار الخليج للقيام بالثورة هناك، وذلك قبل حدوث التحولات الاشتراكية اليسارية في صفوف (حركة القوميين العرب) مما ادى الى قيام بعض الشباب الظفاري في التنظيم المحلي للحركيين للانفصال عن الحركة عام ١٩٦٢ وتأسيس جمعية خاصة هي (الجمعية الخيرية الظفارية)، التي اعلنت بان هدفها هو (العمل على بناء المساجد ومساعدة الفقراء) مما لا يتفق والمنطلقات الفكرية لحركة القوميين العرب..

وهكذا فقد كان التنظيم المحلي لحركة (القوميين العرب) و(الجمعية الخيرية الظفارية و(منظمة الجنود الظفاريين)، الاساس الذي قامت عليه (جبهة تحرير ظفار) سابقة الذكر، والتي اعلنت انها تقود ثورة مسلحة اعتبارا من تاريخ اول

---

(١٢٢) يراجع كتاب : ظفار - دراسة في الجغرافية الاقليمية - الدكتور فاضل السعدي - دار الانوار للطباعة والنشر والتوزيع - بغداد ١٩٧٦ «نقلا عن التقرير الصحفي لسفارة العراق في الكويت. العدد ١٩٦٨/١/٩ في ١٩٧٠/٧/٨»

عملية عسكرية مارستها في التاسع من حزيران (يونيو) ١٩٦٥ في جبل القمر في المنطقة الغربية من ظفار، بعد ان انظمت اليها بعض القبائل هناك. وذلك عندما عقدت الجبهة مؤتمرها الاول في الوادي الكبير (لظفار الوسطى) بتاريخ ١٩٦٥/٦/١ لاعلان الكفاح المسلح. .

ولقد ساندت بعض الدول العربية هذه الجبهة ودعمتها ماليا واعلاميا وافتتحت لها مكاتب في عواصمها. .

وعندما استقل الجنوب اليمني وظهرت (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) الى الوجود وتسلمت (الجبهة القومية) بقيادة (قحطان الشعبي وجماعته) مقاليد السلطة السياسية في عدن، كسبت (الجبهة) المزيد من الدعم وازدادت المساعدات العسكرية والمالية والاعلامية واصبحت المحافظة السادسة (المهرة) في خدمتها. وبذلك دخلت الحركة في ظفار مرحلة جديدة من تاريخها. غير ان التناقضات الايديولوجية في داخلها بدأت تطفو على السطح فتزيد من مشاكلها. .

مؤتمر حمرين :

وكنتيجة للتناقضات العقائدية بين قادة (جبهة تحرير ظفار) عقدت الجبهة مؤتمرها الثاني في وادي حمرين وذلك في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٨ لانتشال الجبهة من حالات الجمود والانغلاق ولوضع استراتيجة على كافة المستويات الطبقية والايديولوجية والاستراتيجية والتنظيمية. .

وقد حضر هذا المؤتمر ستون مندوبا يمثلون جيش التحرير والميليشيا والتنظيم السياسي في الخليج العربي (حيث اتضح من سير اعمال المؤتمر بان هناك مجموعة من الماركسيين يحاولون بدعم من عدن السيطرة على المؤتمر والقفز على القيادة وتغيير المفاهيم الاساسية التي كانت في البدء ركيزة العمل السياسي للجبهة. وقد تقدمت هذه المجموعة بطروحات على صيغة قرارات ليعتمدها المؤتمر تتلخص في تغيير اسم الجبهة وتبنى الماركسية اللينينية ومحاربة الافكار الموروثة ومحاربة الدين على وجه الخصوص. ولم يوافق القادة القوميون غير الأمميين على هذه المقررات وآثروا الانسحاب والهجرة الى بعض البلدان

المجاورة، الا ان العناصر الماركسية في الجبهة، واصلت اجتماعاتها لمدة عشرين يوما وانتخبت قيادة جديدة ضمت اربعين عنصرا معظمهم من عناصر (حركة القوميين العرب) بعد ان نحت مجموعة (الجمعية الخيرية) وكان من اهم القرارات التي اتخذتها القيادة الجديدة[١٢٣] ما يلي:

١ - تغيير اسم الجبهة من (جبهة تحرير ظفار) الى (الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي المحتل) وذلك لربط نضال ظفار بنضال الجماهير في الخليج العربي المحتل لتكسب الثورة المعنى الحقيقي لها.

٢ - الالتزام بالعنف الثوري باعتباره المسلك الوحيد لدحر الامبريالية والرجعية والبرجوازية والاقطاع.

٣ - العمل على توحيد الادارة الثورية الجماهيرية الشعبية في الخليج العربي المحتل باعتبارها المدخل الثوري والصحي لوحدة المنطقة..

٤ - تبني الاشتراكية العلمية باعتبارها الاطار التاريخي الذي تخوض من خلاله الجموع الفقيرة النضال للقضاء على الاستعمار والامبريالية والبرجوازية والاقطاع وباعتبارها الاسلوب العلمي لتحليل الواقع وفهم المتناقضات بين صفوف الشعب..

وهكذا بعد ان ظهر (الخط الجديد) في (الجبهة)، دخلت الثورة منعطفا جديدا حيث تحول ابناء (القبائل المتمردة) الى (رفاق) يرتبطون بتنظيمات سياسية ونقابية، عالمية وعربية، واصبحوا يتلقون المساعدات العسكرية والمالية من الصين الشعبية وكوريا الشمالية والاتحاد السوفيتي وبدأت شحنات الاسلحة والاغذية تتوالى عن طريق اليمن الجنوبية التي اصبحت القاعدة الانطلاقية لاعمال (الجبهة الشعبية).

محصلات مؤتمر حمرين الثاني:

لقد كان لقرارات مؤتمر (الجبهة الشعبية) في وادي حمرين ردود فعل بالنسبة لاوروبا عامة وبريطانيا على وجه الخصوص حيث سبق لهارولد ويلسون ان اعلن

---

(١٢٣) تثمين الصراع في ظفار- المرجع السابق - ص٤٢.

في مجلس العموم البريطاني بتاريخ ١٦/١/١٩٦٨ قرار الانسحاب البريطاني من منطقة الخليج. غير ان قرارات مؤتمر حمرين هذا جعل (مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية في واشنطن) يقوم بدراسة لقرار ويلسون المذكور والانتهاء الى رأي صريح يقضي بضرورة اعادة بريطانيا النظر في القرار والتوصل الى اتفاقية دفاعية مع امارات الخليج قبل التنفيذ الفعلي للقرار، خاصة وان الاحداث في ظفار تطورت الى غير ما ترغب به بريطانيا من الناحية العسكرية، حيث كان لجبهة تحرير ظفار (قبل استقلال اليمن الجنوبي) ثلاثة مراكز ثابتة في اودية (ارزوق، عموت، حمرين) في المنطقة الوسطى حيث كانت قوات الجبهة تنطلق منها لمهاجمة منشآت شركة النفط وقوات الجيش السلطاني.

وبعد استقلال اليمن الجنوبي، انتقل مسرح العمليات العسكرية (للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي المحتل) من المنطقتين الوسطى والشرقية المجاورة لعمان الى المنطقة الغربية المحاذية لليمن الجنوبي، حيث دفع جيش السلطنة بقوات كبيرة للحيلولة دون ارتباط الثورة في ظفار بمؤخرتها في اليمن الجنوبية.

وقد حذرت جريدة (الديلي ميل) بعددها الصادر في ١٧ آذار (مارس) عام ١٩٧٠ من مغبة تجاهل ما يدور في ظفار خاصة وان الاعمال العسكرية للجبهة الشعبية قد امتدت الى (رأس مسندم) المطل على مدخل الخليج العربي وذلك في شهر حزيران (يونية) عام ١٩٧٠، وكذلك الى منطقة (ازكي) على الطريق الرئيسي بين نزوى والعاصمة مسقط. ولذلك فقد استحدثت وزارة الخارجية البريطانية منصبا جديدا هو منصب (المبعوث الخاص) وعينت (وليام لوس) فيه من اجل ان يتولى خصيصا دراسة الوضع في المنطقة وتقديم الحلول اللازمة..

مؤتمر رخيوت:

نظرا للانتصارات العسكرية التي حققتها الجبهة الشعبية فقد عقدت مؤتمرها الثالث في رخيوت في الفترة من ٩ ـ ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٧١ اصدرت بيانا سياسيا تضمن ما يلي:

١ ـ ان الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل تلتزم من خلال مؤتمرها الثالث بضرورة تأسيس حزب ثوري جماهيري يقود الثورة في كافة مراحل تطورها مسترشدا بالنظرية الجذرية العلمية (الماركسية اللينينية) ولخدمة مصلحة واهداف اوسع الجماهير الكادحة والفقيرة في المجتمع . .

٢ ـ ان المؤتمر الثالث للجبهة يؤكد ويشدد على ان المهمة المركزية الملحة امام الفترة الراهنة من تطور الاوضاع في منطقة الخليج والرد الحاسم على ما يحاك ويدور في الساحة هو توسيع رقعة الكفاح المسلح ومضاعفة عدد البنادق الموجهة .

٣ ـ ان المؤتمر يؤكد على ضرورة العمل الجاد والسريع لوحدة الفصائل الوطنية الجذرية في الساحة .

٤ ـ انطلاقا من طبيعة الظروف الموضوعية السائدة، مربوطة بالاهداف والتطلعات الجذرية للثورة، فقد خرج المؤتمر بقرار تحويل الارض في المناطق الريفية المحررة الى ملكية عامة للشعب.

مسيرة الصراع في عهد السلطان قابوس :

لقد واجه السلطان قابوس الثورة التي كانت تمزق بلاده بسلوك طريقين اولهما مدني وثانيهما عسكري (١٢٤) . .

فبالنسبة للطريق المدني ـ نجده قد اهتم اهتماما كبيرا بدعوة الثائرين والشباب العماني في داخل البلاد وخارجها للتعاون معه من اجل القضاء على اسباب التخلف والانغلاق الذي كانت تعيشه السلطنة قبل مجيئه الى الحكم في ١٩٧٠/٧/٢٣ وقد استطاع ان يحقق التعاون مع الفئات الشابة العمانية المتعلمة التي توافدت على البلاد وكثير منهم من خريجي الجامعات العربية والاوروبية والامريكية بالاضافة الى خريجي جامعات موسكو ولينينغراد وبخارست . .

وقد تمثلت جهود السلطان قابوس المدنية في تقديم الخدمات الطبية والتعليمية وشق الطرق وخدمات الماء والكهرباء والمواصلات لابناء ظفار، وابناء

---

(١٢٤) نفس المصدر ص٦٢

السلطنة عامة، فبالاضافة الى العناية بالثروة الزراعية والحيوانية والمعدنية والسمكية وبناء الموانىء العصرية مما يمكن ان يطلق على هذه الخدمات اسم (الثورة المضادة) [حيث سنبحث ذلك في القسم الثاني من هذا الكتاب غير ناسين الاشارة الى قيامه بجهود دبلوماسية على المستوى العربي والعالمي، وطلبه توسط بعض الدول العربية للوصول الى حلول للمشاكل السياسية القائمة في بلاده..]

واما من الناحية العسكرية ـ فان الامور قد تطورت تطورا جديدا، ذلك ان (الجبهة الشعبية) في ظفار وان كانت قد تمكنت من تركيز عملياتها في سهل (صلالة) واحتلال مدينة (سدح) والسيطرة على ما يقرب من ثلاثة ارباع اقليم ظفار، فقد تعرضت لهزة كبيرة في ١٩٧٠/٩/١٢ عندما حاولت قيادة كوادر الجبهة في المنطقة الشرقية من ظفار الانفصال عن عمل الجبهة الشعبية كليا واعتقلت اربعين كادرا من جيش التحرير الشعبي والميليشيا واعضاء القيادة العامة المتواجدين بالمنطقة الشرقية وسيطرت على اموال وممتلكات الجبهة ثم تبعت ذلك محاولات عديدة لاحياء العمل المسلح في شمال البلاد الا ان الحالة التنظيمية للجبهتين (الشعبية والوطنية) كانت تدعو الى قلق قيادتيهما وذلك في صيف عام ١٩٧١ بعد فشل الهجوم على (ازكي) و(نزوى) وكذلك فشل هجوم (الجبهة الشعبية) على (مرباط) في ١٩٧٢/٧/١٩ حيث قتل سبعون شخصا من مجموع مائة مهاجم مما اضطر الجبهة الشعبية الى التمركز في الجبل..

الدعوة الى مؤتمر عام للجبهة :

بعد هذه الانحسارات السياسية والعسكرية التي منيت بها الجبهة الداعية الى (اشعال حريق العنف الثوري) في الخليج، عقدت الجبهة مؤتمرها العام في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٧٤ حيث تمخض ذلك المؤتمر عن تغيير اسم الجبهة من (الجبهة الشعبية لتجرير عمان والخليج العربي) الى (الجبهة الشعبية لتحرير عمان) واصبحت استراتيجيتها الجديدة تقوم اساسا على العمل السياسي الذي يدعو لتشكيل (جبهة وطنية) تجمع كافة القوى المضادة للسلطنة وتطبيق اساليب المقاومة التي تتمثل في عقد التجمعات السياسية والدعوة الى المظاهرات

والمسيرات والعصيان المدني. ويقول الاستاذ النفيسي في هذا الصدد بان التأثير المادي واضح في طريقة تفكير الجبهة الجديدة، ذلك ان (المعروف ان الصين تعتبر واجهة اسناد رئيسية للجبهة، الا ان زيارة وزير الخارجية الصيني السيد تشي بنغ فاي ـ لطهران في حزيران ١٩٧٣ والتصريحات التي تخللت تلك الزيارة، كانت تعد تخليا سياسيا صينيا عن الجبهة قاست من اثره الكثير[١٢٥].

الاستعانة بالقوات الايرانية:

واذا ما عدنا الى الوراء قليلا وجدنا بان (الجبهة الشعبية) كانت تسيطر على رقعة شاسعة من ظفار عندما تسلم السلطان قابوس سلطاته. ولم تكن سلطته الحكومية تتعدى العاصمة صلالة والسهل المحيط بها وكثيرا ما تعرضت صلالة نفسها للقصف المدفعي من مكامن الثوار في الجبال القريبة..

وقد واكب تسلم السلطان قابوس للسلطة فعالية واضحة في نوع وحجم المواجهة العسكرية بين الحكومة والجبهة..

وفي ١٩٧٣/١٢/٣٠ وصلت اراضي عمان قوات ايرانية قدرت بثلاثة آلاف ضابط وجندي تلتها بعد ذلك قوات اخرى حيث اوكلت الى القوات الايرانية مهمة اعادة فتح الخط الاحمر[١٢٦] (المنطقة الوسطى) وهو الطريق الاستراتيجي الذي يربط صلالة بقطاع (ثمريت) ويصلها بمسقط، ويبلغ طول هذا الطريق حوالي (٧٢) كيلومترا. وقد استطاعت قوات السلطنة بمعاونة القوات الايرانية من قلب المعادلة العسكرية وجعلها في صالح السلطنة حيث استطاعت تلك القوات قطع الطريق الموصل بين قوات الثوار في الشمال وقواتهم في الجنوب[١٢٨].

---

(١٢٥) لقد صرح الوزير الصيني بتخلي الصين عن اسناد جميع الحركات التخريبية حسب تعبيره ـ التي تحاول تعكير صفو السلام في الخليج وتعكير صفو العلاقات الايرانية الصينية ـ المرجع السابق ـ ص٦٠ و١٣٢.

(١٢٦) لقد اطلق على هذا الخط بعدئذ اسم (الخط الاخضر).

(١٢٧) مجلة الدستور بتاريخ ٦ ـ ١٩٧٥/١/١٢ ص٢٦ ـ ٢٧.

(١٢٨) ظفار ـ دراسة في الجغرافية الاقليمية ـ المرجع السابق ص٨٨.

وبعد ان ازداد عدد القوات الايرانية حتى اصبحت حوالي ١١ الف ضابط وجندي استطاعت هذه القوات والقوات السلطانية من استرجاع المناطق التي احتلتها قوات الجبهة عبر عشرة سنوات (٦٥ - ١٩٧٥) وذلك في مدة خمسة عشرة شهرا حيث تم استرجاع (رخيوت) في اول اسبوع من كانون الثاني عام ١٩٧٥.

وتمكنت القوات السلطانية والحليفة من استعادة جميع المناطق التي سبق للثوار احتلالها فاصبحت مدن وقرى ظفار الرئيسية وهي (صلالة، سدح، مرباط، طاقة، ارزات، ريسوت، مغسيل، اورنيت، رخيوت، كيرون حيرتي، جبجات، صرفيت، خيصال، شَرخ) من المناطق التي تخضع لارادة حكومة السلطنة. وكذلك أصبحت (صرفيت) في اقصى الحدود العمانية الغربية الواقعة على حدود اليمن الجنوبي، المركز المهم الذي يتولى التصدي لقطع امدادات وتموين جيش التحرير من جمهورية اليمن الشعبية..

وهكذا اجتمع للسلطنة ثلاثة خطوط حصينة ذات استحكامات متينة وهي:

١ - الخط الاخضر الذي يمتد بين صلالة وثمريت..

٢ - خط هورنبيم الذي يبدأ من مغسيل الى الغرب من ميناء ريسوت.

٣ - خط ديمافند وهو الذى يمتد من (رخيوت) حتى (كيرون حيرتي) بالاضافة الى الموقع العسكري الهام في (صرفيت) القريبة من حدود اليمن الجنوبيه.

وبصدد الاستعانة بالقوات الايرانية فقد وجه احد الصحفيين اسئلة الى السلطان قابوس للتعرف على رأيه في هذه المبادرة، وقد اجاب السلطان على ذلك بقوله[١٢٩]:

« ان استعانتنا بالقوات الايرانية كانت ردا على تحالف (الجبهة) مع حزب (تودة) الشيوعي في ايران. نحن لا نواجه مجموعة من الثوار داخل منطقة ظفار، كما يحلو لبعض الصحف ان تتصور. بل نواجه حركة عالمية لها دولها ولها مؤسساتها واحزابها، ولها حلفاء في كل مكان في العالم، نحن هنا وحدنا نواجه هذه المؤامرة

---

(١٢٩) عمان من خلال الصحافة العربية، من منشورات وزارة الاعلام العمانية، صفحات ٥ - ١٥.

الدولية التي تستنزف عشرين في المائة من موازنتنا السنوية . وحتى الذين تستهدفهم هذه المؤامرة لم يروا بعد كل اخطارها . لقد نشرت (لوموند) الفرنسية بتاريخ ٢٢ مايس (مايو) ١٩٧٣ تصريحا للناطق الرسمي للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي قال فيه «اذا استبعدنا الصحراء فنحن نحتل سدس سلطنة عمان، ان مساحة السلطنة تبلغ ثلاثة اضعاف مساحة الكويت والبحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة، وعدد السكان عندنا يبلغ اربعة اضعاف سكان هذه البلاد مجتمعة، وعندما تسقط عمان في ايدينا، فلن يستطيع احد في الخليج ان يقف في وجهنا».

وبصدد اسباب الثورة ومبرراتها قال السلطان قابوس استمرارا لحديثه السابق :

«لقد كان للثورة في ظفار ما يبررها في الماضي . كان الوضع غير طبيعي في عهد والدي، وقد بدأت حركة التمرد من حالة التذمر والاستياء والكبت، ولكن الحركة هذه لم تلبث ان تعرضت لتجربتين، الاولى عام ١٩٦٧ عندما وصلت الجبهة الشعبية الى الحكم في عدن وتحولت حركة ظفار من حركة وطنية الى حركة شيوعية اممية وبذلك ادخلت بلادنا ضمن استراتيجية الحرب الباردة القائمة بين الدول الكبرى. . .

والتجربة الثانية عام ١٩٧٠ عندما قمنا بحركتنا الاصلاحية التي تنطوي على كل المطالب المشروعة للجماهير، ولكن بدون شيوعية، وهكذا لم يعد للثورة من مبرر فاصبحت قوتها مستمدة من دعم حكومة عدن لها، ولذلك فسوف ينتهي كل شيء عندما تنهى حكومة عدن مساعدتها ودعمها للمعتصمين في اعماق الكهوف ورؤوس الجبال». .

هذا ولقد كان للوساطة العربية مع اليمن الجنوبي بعدئذ دورها الهام في وقف نزيف الدم العربي في هذه البقعة الهامة من وطننا العربي الكبيير، فقد تدخلت بعض الدول العربية كل بطريقتها الخاصة مما لا يسعنا الافاضة فيه في كتابنا هذا. .

جهود جامعة الدول العربية :

اما بالنسبة لجهود جامعة الدول العربية فقد اتخذ مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي عقد في تونس في شهر آذار (مارس) من عام ١٩٧٤ قرارا بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق شاركت فيها ست دول عربية هي :

مصر، الجزائر، سورية، تونس، الكويت، ليبيا

وقد زارت اللجنة المذكورة برئاسة الامين العام لجامعة الدول العربية سلطنة عمان واستقبلها السلطان قابوس في مسقط في شهر مايس (مايو) ١٩٧٤ حيث عرضت وجهة النظر العمانية التي تتلخص بعدم وجود (ثورة) في ظفار، وانما (حركة تمرد) تغذيها اليمن الجنوبية بكل امكانياتها المادية والعسكرية والاعلامية والعقائدية الشيوعية متعاونة مع الاتحاد السوفييتي وكوبا والمانيا الشرقية[١٣٠].

وبعد ان استمعت لجنة الوساطة او تحري الحقائق الى وجهة النظر هذه حاولت السفر الى (عدن) للتعرف على وجهة نظرها، الا ان حكومة عدن رفضت استقبال اللجنة المذكورة مدعية بانها (ليست طرفا في النزاع) اما (الجبهة الشعبية لتحرير عمان) التي رفضت كذلك الاجتماع الى اللجنة المذكورة سواء في عدن او في مقر الجامعة العربية، فقد اصدرت بيانا في شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٤ حددت فيه موقفها من لجنة الوساطة ومن الصراع وقالت بان ما يدور في ظفار ليس نزاعا بين حكومة مسقط وبين اليمن الجنوبي بشأن الحدود التي تمتد الى مسافة ٦٠٠ ميلا، وانما هي حرب وطنية بين الشعب العماني ممثلا بالجبهة الشعبية لتحرير عمان من طرف والاستعمار البريطاني والقوات الايرانية وقابوس من طرف آخر، وطلبت من اللجنة ان لا تتجاهل هذه الحقائق الاساسية[١٣١].

---

(١٣٠) انظر تفصيلات ذلك في كتاب ـ تثمين الصراع في ظفار ـ صفحة ٧٥ ـ ٧٦ .

(١٣١) ظفار ـ المرجع السابق ـ ص٧٧ .

عودة السلام

ولما لم تجد محاولات جامعة الدول العربية نفعا، استمر الجيش العماني متعاونا مع القوات الايرانية والقوات الاردنية في عملياته العسكرية فاحتل مدينة (ضلكوت) القريبة من حدود اليمن الجنوبي في اليوم الاول من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٧٥ وبذلك انتهت آخر الحركات العسكرية وعاد الهدوء الى ربوع البلاد.

القسم الثاني

عمان في مسيرتها الجديدة

عودة السلام

ولما لم تجد محاولات جامعة الدول العربية نفعاً، استمر الجيش العماني متعاوناً مع القوات الايرانية والقوات الاردنية في عملياته العسكرية فاحتل مدينة (ضلكوت) القريبة من حدود اليمن الجنوبي في اليوم الاول من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٧٥ وبذلك انتهت آخر الحركات العسكرية وعاد الهدوء الى ربوع البلاد.

الفصل السادس

التنظيم الاداري في السلطنة

سلطنة عمان اليوم

الحديث عن سلطنة عمان اليوم هو الحديث عن بلد عربي شقيق كان جزءا من حضارة واسعة امتدت عبر بلاد فارس الى افغانستان من ناحية، والى السواحل الافريقية من الناحية الاخرى، وهو الحديث كذلك عن بلد شقيق يحاول ان يستجمع قواه بكل الوسائل والسبل الممكنة وبرغم كل الصعاب والظروف ليستعيد ما كان له عبر التاريخ الطويل العريض، من عراقة مجد واهمية تاريخية وحضارة سادت ثم بادت، ثم تعاود اليوم ممارسة ما كان لها من دور حضاري واهمية عبر التاريخ، وفي ما مضى من سنين حملت في طياتها ذكريات تحكيها كل ذرة تراب هناك وكل نسمة هواء تهب من اعالي جبالها الشم الخضراء الغنية بالثمار وبالجمال.. حيث الطبيعة تبدو لمن يشاهدها في كثير من مناطقها الجبلية والساحلية على مدى اتساع رقعتها، جميلة فريدة.. فضلا عما فيها من آثار الاقدمين وفتوحات الفاتحين ومعالم الحضارة التي تمتد جذورها في بطن التاريخ الى الوف من السنين منذ بدأت بالفينيقين، وتعاملت مع السومرين والاكديين وتفاعلت مع الحضارة الفارسية القديمة وجاب تجارها وبحارتها مياه البحر العربي والمحيط الهندي حتى وصلوا حدود الصين وتوغلوا في القارة الافريقية السوداء حيث نقلوا الحضارة والدين الاسلامي الى تلك الربوع جمعاء.

الموقع الجغرافي

تشغل سلطنة عمان اليوم الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية حيث تمتد سواحلها على خليج عمان والبحر العربي مسافة تبلغ (١٧٠٠) كيلومترا من حدود جمهورية اليمن الديمقراطية في الجنوب الى دولة الامارات المتحدة العربية شمالا حيث تفصلها عن المملكة العربية السعودية صحراء الربع الخالي، كما تفصل امارة (الفجيرة) بينها وبين منطقتها الشمالية التي تمتد حتى مضيق هرمز، وهي منطقة رأس مسندم التي تتكون من ثلاث ولايات هي ولاية بخا وولاية دبا وولاية خصب وبذلك تقع السلطنة على خطي عرض بين (١٦) درجة و(٤٠) دقيقة و(٢٦) درجة و(٢٠) دقيقة شمالا وخطي طول بين (٥١) درجة و(٥٠) دقيقة و (٥٩) درجة و (٤٠) دقيقة شرقا.

المساحة :

تبلغ مساحة عمان (٣٠٠) الف كيلومترا مربعا من الاراضي الجبلية الوعرة ومن السهول والوديان الخضراء الممرعة التي تحولت بفضل وسائل الري القديمة (الافلاج) الى مناطق زراعية خصبة تزرع فيها النخيل والفواكه والحبوب على انواعها المختلفة ترفدها انهار تكونت من مياه الامطار في وديانها تكاد تكون مستديمة الجريان وتبلغ مساحة الاراضي الجبلية في السلطنة (٤٥) الف كيلومتر مربع أما الاراضي الساحلية المأهولة فتبلغ مساحتها (٩) آلاف كيلومتر مربع بينما تبلغ مساحة المناطق الصحراوية (٢٤٦) الف كيلومتر مربع.

السكان :

لم تجرعملية تعداد لسكان البلاد حتى الان غير ان اجراء احصاء لعينات من مدن فيها لاغراض التخطيط جعل من الممكن القول بان عدد السكان يقارب مليون ونصف مليون نسمة معظمهم من العرب المسلمين.

هذا الى وجود جاليات من الهنود والباكستانيين وجاليات اجنبية اخرى صغيرة.

الجزر الرئيسية :

ان اهم الجزر التي تقع في السلطنة جزيرة مصيرة التي يبلغ طولها ٦٠ كيلومترا وجزر الحلانيات (كوريا موريا) الاربع وهي : الحلانية والسودة والقبلية والحاسكية، وجزيرة الغنم وجزيرة سلامة وابنتيها حيث يطلق على هذه الجزيرة اسم (سلامة وبناتها) وهي جزيرة تتحكم في مضيق هرمز وفيها مركز ارشاد عماني وفنار لدلالة السفن وناقلات النفط العابرة.

هذا ومن الجدير بالاشارة ان عدد سكان جزيرة (الحلانية) وهي الجزيرة الوحيدة المأهولة من جزر (كوريا - موريا) لا يزيد على (٦٥) رجلا و (١٥) امرأة[١٣٢].

---

(١٣٢) سنتحدث عن معظم المناطق والمدن والجزر التي زرناها بصورة مستفيضة في الصفحات القادمة.

التقسيمات الجغرافية للبلاد :

تنقسم عمان جغرافيا الى عدد من المناطق المتميزة وهي :

اولا ـ منطقة العاصمة :

وتعتبر هذه المنطقة من اكثر المناطق العمانية ازدحاما بالسكان وتشتمل على الاقسام الآتية :

١ ـ مسقط :

وهي مقر الحكم وتشتمل على الاحياء السكنية الآتية : كلبوة ـ الدوحة ـ ريام ـ سداب ـ البستان ـ قنتب ـ يتي ـ الخيران.

٢ ـ مطرح :

وتشتمل على المناطق السكنية الآتية : روي ـ الوطية ـ وادي عدي ـ العامرات ـ البجرية ـ الاخضر ـ المحج ـ البيرين ـ الحاجر ـ المنظرية ـ جحلوت ـ وادي الميح ـ الرجع.

٣ ـ بوشر :

وتشتمل على المناطق السكنية الآتية : الـ[illegible]م ـ الصاروج ـ الخوير ـ مدينة قابوس ـ الغبرة ـ العذيبة ـ غلا ـ فلج الشام ـ الحمام ـ المسفاة.

٤ ـ السيب :

وتشتمل على المناطق السكنية الآتية : الموالح ـ الحيل ـ الخريص ـ الغشب ـ المعبيلة.

ثانيا ـ المنطقة الشمالية (منطقة مسندم) :

وهي المنطقة الشمالية من البلاد وتشتمل على الولايات الثلاث الآتية :

١ ـ ولاية خصب، ٢ ـ ولاية دبا، ٣ ـ ولاية بخا.

حيث تطل هذه المنطقة على مضيق هرمز وتوجد فيها الجزر الاستراتيجية الهامة وهي جزيرة (الغنم) وجزيرة سلامة وبناتها التي تتحكم في مياه المضيق العميقة ذات التيارات المائية القوية.

ثالثا ـ منطقة الباطنة :

يمتد سهل الباطنة من حدود السلطنة مع دولة الامارات العربية المتحدة لمسافة تصل الى حوالي (٢٧٠) كيلومترا الى الجنوب الشرقي حتى حدود مدينة مسقط تقريبا. وتقع هذه المنطقة بين الساحل وبين الحجر الغربي حيث يتراوح عرضها بين ١٠ ـ ٣٠ كيلومترا من الاراضي الخصبة والبساتين العامرة وحيث تنحصر الزراعة في هذا الشق الساحلي الضيق بما لا يتجاوز الثلاث كيلومترات عرضا محاذيا في ذلك ساحل البحر في منطقة تعتبر من اخصب مناطق شبه الجزيرة العربية حيث تزدهر البساتين التي يزرع فيها الموز والمانجو والتين والرمان والنخيل والسدر (النبق) وانوع الفواكه، علاوة على زراعة القطن والخضراوات وغيرها.

ومن اهم مدن هذه المنطقة : بركاء ـ المصنعة ـ السويق ـ الخابورة ـ صحم ـ صحار ـ لوي ـ شناص.

رابعا ـ منطقة الحجر الغربي :

تتشابه هذه المنطقة مع سهل الباطنة. حيث تمتد سلاسل الجبال على امتداد الساحل من الحدود المتاخمة لدولة الامارات العربية المتحدة في الشمال حتى وادي سمائل في الجنوب.

وتقع اعلى قمة في سلسلة الجبال في الجنوب الشرقي على (الجبل الاخضر) حيث يبلغ ارتفاع بعض القمم فيه ما يقرب من ثلاثة الاف متر. ومن اشهر قمم الجبل الاخضر قمة (شام) التي تبلغ ارتفاعها (٣١٠٧) امتار، حيث تغطي ذراها الثلوج في موسم الشتاء. وبفعل درجة الحرارة المنخفضة فان الابخرة تتكاثف وتسقط امطارا غزيرة تساعد على نمو النباتات والغابات والاحراج بصورة مستديمة حيث تنمو وتنتشر الخضرة الجميلة مما كانْ مدعاة لاطلاق اسم (الجبل الاخضر) عليه وهو الجبل الغني بزراعته وبساتينه الغناء، حتى ان بعضهم يطلق عليه جبل رضوى (وهو احد الجبال في الجنة) نظرا لجمال طبيعته وغناه بالاشجار والفواكه والمناظر الطبيعية الخلابة حتى اصبح مصيفا لكثير من العمانيين. هذا وهناك مجموعات من مناطق الاستيطان الكبيرة على جانبي جبال (الحجر الغربي) من اهمها مدن الرستاق ـ العوابي ـ نخل ـ وادي المعاول.

خامسا منطقة الحجر الشرقي :

وتعد هذه المنطقة امتدادا للتجمعات الجبلية الرئيسية لعمان من وادي (سمائل) حتى جبل (خميس) شرقا وهي مسافة تربو على مائتي كيلومتر. اما في الناحية الشمالية من المنطقة فان الجبال تمتد حتى الساحل حيث يبلغ ارتفاع أعلى قمة في السلسلة الشرقية ما يقرب من (١٢٠٠) مترا.

واهم مدن منطقة الحجر الشرقي هي : صور ـ طيوي ـ قريات الواقعة على الساحل.

سادسا ـ منطقة الظاهرة :

تكاد هذه المنطقة تكون اشبه بسهل صحراوي، ينحدر من الاجنحة الجنوبية للحجر الغربي في اتجاه الربع الخالي، ويحدها من الشمال اقليم (جو) و(البريمي)، اما من الجنوب فيفصلها عن عمان الام او عمان الداخلية جبل (الكور). ومن اهم مدنها التي تقع على واديها الرئيسيين وهما (وادي ضنك) و(وادي العين) مدن : ضنك ـ عبري ـ ينقل.

سابعا : منطقة الجو والبريمي :

ان الامتداد الشمالي لسهل الظاهرة يسمى (الجو)، ففي هذه المساحة الصغيرة الواقعة بين منطقة الحدود مع دولة الامارات العربية المتحدة ومنطقة الحجر الغربي، يتركز السكان في المناطق المزروعة بالنخيل على واحة البريمي.

ثامنا ـ منطقة داخلية عمان او (عمان الام) :

وهي هضبة وسطى تنخدر من سفوح الجبل الاخضر من الشمال في اتجاه الصحراء جنوبا حيث يحدها من الغرب منطقة (الظاهرة) ومن الشرق منطقة (الشرقية) وتوجد في داخلية عمان التي تمتاز بكثرة مياهها وافلاجها اربعة وديان رئيسية هي الوادي الكبير ـ وادي حلفين ـ وادي بهلا ـ وادي سمائل.

ويشكل وادي حلفين ووادي سمائل معا فجوة طبيعية في سلسلة جبال الحجر الغربي.

هذا وتعتبر منطقة (داخلية عمان) من اكثر مناطق عمان كثافة سكانية. اما

اهم مدنها فهي : ازكي ـ سمائل ـ بهلا ـ نزوى ـ أدم ـ بركة الموز ـ بدبد ـ الجبل الاخضر.

تاسعا ـ المنطقة الشرقية :

وهي عبارة عن سهل رملي تتخلله الاودية وتقع على الجانب الداخلي من الحجر الشرقي. يحدها من الجنوب الشرقي منطقة (جعلان) ومن الجنوب (رمال وهيبة) واهم مدنها : ابراء ـ المضيبي ـ سمد ـ بدية ـ مضيرب.

عاشرا ـ منطقة جعلان :

وهي سهل ساحلي يشكل الامتداد الجنوبي للمنطقة الشرقية ويمتد حتى البحر العربي. يحدها من الشمال (الحجر الشرقي) ومن الجنوب (رمال وهيبة) واهم مدنها بلاد بني بوعلي وبلاد بني بوحسن والوافي والكامل.

احد عشر ـ المنطقة الجنوبية :

ويطلق عليها اسم (اقليم ظفار) وهي تشغل حوالي ثلث مجموع مساحة السلطنة. ومن اهم مدنها صلالة ومرباط ورخيوت وضلكوت وثمريت.

الاحوال الجوية :

يتميز مناخ سلطنة عمان بشدة حرارته في السهول الداخلية والمنطقة الساحلية صيفا وباعتدال شتائه، في حين تتصف الاقسام الجبلية بانخفاض درجة حرارتها شتاء وباعتدالها صيفا.

وقد حددت الارقام الشهرية لمتوسط درجات الحرار العظمى والصغرى والرطوبة النسبية لمدينة مسقط على اساس متوسط ارقام الدرجات الصغرى والعظمى الشهرية بعشر سنوات، اما الارقام الخاصة بمدينة (صلالة) فانها قد حددت على المتوسط اليومي لدرجات العظمى والصغرى الذي يحسب على اساسه المتوسط الشهري على مدى ثلاثين سنة واما ارقام معدل درجات الرطوبة النسبية لمنطقة صلالة فانها محسوبة على اساس القراءة اليومية التي تجري في كل من الساعة الثالثة صباحا والثانية عشرة ظهراً.

هذا وتتراوح درجة الحرارة في مسقط بين (١٦) و(٤٠) درجة مئوية[١٣٣].

أما بالنسبة للامطار وكمياتها فيمكن القول بان الامطار السنوية في السلطنة تعتبر اكثر كمية من الامطار التي تنزل في أواسط شبه الجزيرة العربية. وهي تهطل شتاء بين شهري تشرين الاول (اكتوبر) وآذار (مارس) بمعدل ثلاثة او اربعة ايام في الشهر بالنسبة لمدينة مسقط وضواحيها، اما في المنطقة الجنوبية (صلالة) فان موسم الامطار يمتد فيها من حزيران (يونية) حتى تشرين الاول (اكتوبر) وذلك بسبب هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية عليها حيث بلغت الكمية خلال موسم ١٩٦٨ حوالي (٦٢٥) مليمترا.

ونظرا لان سلطنة عمان تمتد في خطوط عرض كثيرة، فمنها ما يقرب من خط عرض (١٧) درجة شمالا بالقرب من ساحل ظفار، ومنها ما يصل الى (٢٦) درجة شمالا في الشمال، فان سقوط الامطار يتفاوت في هذه البلاد حيث ان خط عرض (٢٠) درجة شمالا هو الحد الجنوبي لتأثير الانخفاضات الجوية التي تجتاح مناطق البحر البحر المتوسط شتاء، ولكن الرياح التي تهب شتاء من الشمال عبر خليج عمان تصطدم بجبالها فتسقط حيث يتراوح المتوسط السنوي للمطر في المرتفعات العمانية بين ٣٥٠ و ٥٠٠ مليمتراً،وهي تسقط على المنحدرات الشمالية المواجهة للرياح. أما السهول الضيقة المطلة على خليج عمان فان امطارها اقل من (١٥٠) ولذلك فان الزراعة فيها تعتمد على الري[١٣٤].

---

(١٣٣) للتفصيلات انظر (كتاب الاحصائي السنوي الصادر عن مجلس التنمية العماني لعام ١٩٧٥).

(١٣٤) جغرافية الوطن العربي - فيليب رفلة واحمد سامي مصطفى مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٦٢ صفحة رقم ٣٦٧.

التقسيمات الادارية في السلطنة

كان التنظيم الاداري في سلطنة عمان حتى عام ١٩٧٠ متسماً بالناحية القبلية الضاربة في اعماق تاريخ عمان حيث لم تكن هناك وزارة للداخلية بالمعنى المفهوم، بل كانت هنالك هيئة محدودة من الاداريين والمسؤولين يطلق عليها عنوان (نظارة الداخلية) يديرها شخص يتصف بحسن الادارة والمعرفة بشؤون القبائل واحوالها وتجنيب ابنائها الدخول في حروب محلية او غزوات او منازعات حول الاراضي الزراعية وتقسيم المياه او الرعي في الفلوات.

وكانت (نظارة الداخلية) هذه تتحكم في ادارة الشؤون الداخلية للبلاد كذلك عن طريق الولاة والقضاة والمحاكم الشرعية ومحكمة الاستئناف يعاونها في ذلك شيوخ القبائل، حيث يتم الفصل في المنازعات الفردية والجماعية بمقتضى الشريعة الاسلامية ونصوصها الشريفة، حيث ينفذ الوالي الاحكام التي تصدرها المحاكم الشرعية ان لم يستأنفها احد الطرفين المتازعين.

وأما شيوخ القبائل فقد كان لهم دورهام في حل الخلافات القبلية وحفظ الامن والاستقرار في البلاد حيث يتلقون اوامرهم من الولاة ومن (نظارة الداخلية) كما يتلقونها من السلطات العليا.

هذا ولم يكن دور الولاة يقتصر على تنفيذ الاحكام الشرعية آنذاك فحسب، بل يتعدى ذلك الى مراقبة المشتبه بهم ممن يهددون أمن البلاد وطمأنينتها من المواطنين، أما بالنسبة للاجانب والمتسللين فان دائرة الهجرة والجوازات التي كانت تتبع (محافظة العاصمة) كانت هي المسؤولة عن دخولهم وخرجهم ونشاطهم.

وعندما نجحت الحركة التصحيحية في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٠، وبدأت البلاد تدخل عهدا جديدا من التنظيم العصري للدولة حيث استحدثت وزارة الداخلية التي كانت في باديء الامر تتضمن مسؤوليات وزارة العدل كذلك وشؤون الشرطة اخذت الوزارة الوليدة على عاتقها القيام بمسؤولياتها في تحقيق العدالة والامن والطمأنينة للمواطنين...

وفي ١٨ تشرين الثاني (نوفبر) عام ١٩٧٤ صدر مرسوم سلطاني باستحداث وزارة العدل وفصل اعمالها عن اعمال وزارة الداخلية وكذلك فصل شؤون الشرطة عن وزارة الداخلية حيث استحدثت ادارة خاصة للشرطة سميت باسم (شرطة عمان السلطانية).

هذا وتنقسم سلطنة عمان الى سبع مناطق ادارية تشتمل على (٣٩) ولاية تنتشر في ارجاء السلطنة المترامية الاطراف يدير كلا منها (والي) تعينه وزارة الداخلية بموافقة السلطان ويعاونهم (نواب) يديرون القرى التابعة لولاياتهم بتوجيه من الوالي وارشاده حيث يتسع المجال امام هؤلاء (النواب) للترقية الى منصب (الوالي) بعد ثبوت جدارتهم وكفاءتهم.

اما (محافظة العاصمة) باقسامها الثلاثة (مطرح وبوشير والسيب) والمنطقة الجنوبية (ظفار) فان لكل منها نظامها الخاص حيث يدير المنطقة الجنوبية وال بدرجة (وزير دولة) ويدير العاصمة سمو السيد ثويني بن شهاب المستشار الخاص لجلالة السلطان.

واما المناطق الادارية السبع في السلطنة فهي :

١ ـ المنطقة الشمالية (منطقة مسندم) وتتبعها ولايات خصب، بخا، دباء.

٢ ـ منطقة الباطنة ـ وتتبعها ولايات بركاء، المصنعة، السويق، الخابورة، صحم، صحار، شناص ولوي.

٣ ـ منطقة الحجر الغربي الشمالي ـ وتتبعه ولايات نخل، ووادي المعاول، والرستاق، العوابي، ووادي بني خروص.

٤ ـ المنطقة الشرقية ـ وتتبعها ولايات صور، جعلان، بلاد بني بو حسن، بلاد بني بو علي، الكامل، الوافي، وادي بني خالد، بدية، القابل، المضيبي، ابراء ووادي دماء والطائيين، قريات، مصيرة.

٥ ـ منطقة الظاهرة ـ وتتبعها ولايات عبري، ضنك، ينقل، وادي فدى.

٦ ـ المنطقة الغربية ـ وتتبعها ولايات البريمي، محضة.

٧ ـ المنطقة الداخلية ـ وتتبعها ولايات نزوى، الجبل الاخضر، بركة الموز، بهلاء، الحمراء، ومنح، ادم، سمائل، بدبد.

القبائل العمانية :

القبائل العمانية هي من القبائل العربية الضاربة في بطون التاريخ وقد هاجرت معظمها من اليمن بعد انهيار سد مأرب وكان من اشهرها قبيلة الازد التي قادها (مالك بن فهم) ونزل بها بلاد عمان كما سبق لنا ان بينا ذلك في القسم الاول من كتابنا هذا[١٣٥].

وتعتبر قبيلة (آل سعيد) التي تعود الى (البو سعيد) المنحدرة من الازد والتي أرسى دعائمها الامام احمد بن سعيد بن خلف مؤسس الاسرة الحاكمة الحالية اعرق القبائل العمانية واقواها شكيمة وبأسا. اما القبائل العمانية الاخرى وقد ذكرناها في (الولايات) التي تعيش فيها فهي.

ـ الشحوح : وتسكن في ولايات خصب وبخا ودبا في منطقة مسندم ومنهم قبيلة الكمازرة ويقال ان هذه القبيلة من الازد غير اننا لاحظنا عند زيارتنا للمنطقة بان الكمازرة لهم لغة خاصة تختلط فيها الكلمات العربية بكلمات فارسية وانجليزية وبرتغالية وبعض اللغات القديمة ولذلك فان من المتعذر على الغريب فهم لغة هذه القبيلة.

ـ النعيم واهل بوشامس : وتسكن هذه القبائل في منطقة البريمي.

ـ آل عزيز والشكور : ومواطنها في ضنك.

ـ بني علي : ومواطنهم في ينقل.

ـ الدروع وبني كلبان وبني عاقر : ومواطنهم في عبري.

ـ بني هناة وبني شكيل : ومواطنهم في بهلا والغافات

ـ العبريون : ويسكنون في الحمراء.

ـ بني غافر وبني حراص : ومواطنهم في الرستاق.

ـ بني خروص والذهول : ويسكنون في العوابي.

ـ المعاول وبني ريام النباهنة : وموطنهم في نخل ووادي المعاول وازكى

---

(١٣٥) اعتمدنا في ذكر القبائل على تقرير قدمته الينا وزارة الداخلية العمانية مشكورة.

ونزوى وبركا والجبل الاخضر وبركة الموز.

ـ الهدادبة والسيابيون : ويسكنون في بدبد.

ـ بنو رواحة وبنو جابر : ويسكنون في سمائل وازكى.

ـ الجنبة : وموطنهم في منح وصور ومصيرة.

ـ المحاريق : ويسكنون في أدم.

ـ آل وهيبة والحبوس : وموطنهم في المضيبي.

ـ الحرث : ويسكنون في القابل والمضيرب.

ـ المساكرة : وموطنهم ابرا.

ـ الحجريين : وموطنهم بدية.

ـ بني شهيم والحنضلي : وموطنهم في دماء.

ـ المصالحة وبني راشد : ويسكنون في وادي بني خالد.

ـ الهشم : ويسكنون في الكامل.

ـ بني راسب : ويسكنون في الوافي.

ـ بني تمام : ومساكنهم في بلاد بني بو علي.

ـ بني بوحسن : ويسكنون في بلاد بني حسن.

ـ بني بطاش : ومساكنهم في قريات.

ـ بني حسن : ويسكنون في بوشر.

ـ آل حديد والعوامر : ويسكنون في السيب.

ـ آل بدر : ومنازلهم في بركاء.

ـ آل سعد : ومنازلهم في السويق والمصنعة.

ـ الحواسنة : ويسكنون في الخابورة.

ـ البداة والنزراء : ومنازلهم في صحم.

ـ المقابيل وبني جابر : ويسكنون في صحار.

ـ الريايسة : ويسكنون في لواء

ـ بني سعد وبني عمر : ومنازلهم في شناص.

ـ بني كعب : ويسكنون في محضة.

هذا وتتفرع من هذه القبائل فروع اخرى لا مجال لذكرها هنا. اما قبائل المنطقة الجنوبية (ظفار) فسوف نذكرها عند بحثنا المنطقة المذكورة في فصل قادم.

تنظيم الجهاز الاداري للدولة :

لم يكن توجد قبل عام ١٩٧٠ وزارات بالمعنى الحديث للوزارت، انما كانت توجد دوائر واجهزة حكومية محدودة. وعلى ذلك فقد كان من اهم متطلبات النهضة العمانية التي بدأت في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٠ العمل على انشاء جهاز حكومي قادر على القيام بواجباته المختلفة والعمل بصفة خاصة على تكوين الجهاز القادر على تخطيط وتنفيذ مشروعات التنمية الاقتصادية في البلاد، فتم تشكيل اول مجلس للوزراء بالمفهوم الحديث تولى رئاسته السيد طارق بن تيمور عم جلالة السلطان.

وقد توالى انشاء الوزارات حتى بلغ عددها في سنة ١٩٧٦ سبع عشرة وزارة هي :

١ - وزارة شؤون الديوان السلطاني.
٢ - وزارة الداخلية.
٣ - وزارة شؤون الاراضي والبلديات.
٤ - وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية.
٥ - وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل.
٦ - وزارة العدل.
٧ - وزارة التجارة والصناعة.
٨ - وزارة المواصلات.
٩ - وزارة الصحة.
١٠ - وزارة التربية والتعليم.
١١ - وزارة الاعلام والثقافة.
١٢ - وزارة الزراعة والاسماك والنفط والمعادن.
١٣ - وزارة الاشغال العامة.

١٤ ـ وزارة الخارجية .

١٥ ـ وزارة التراث القومي .

١٦ ـ وزارة شؤون الشباب .

١٧ ـ وزارة الدفاع .

هذا بالاضافة الى المديرية العامة للمالية والامانة العامة لمجلس التنمية وذلك علاوة على الاجهزة الاخرى كالمحافظات والبلديات والولايات .

وقد صدر في ٢٨ حزيران (يونية) ١٩٧٥ المرسوم السلطاني المرقم (٢٦) لسنة ١٩٧٥ بخصوص اصدار قانون التنظيم الاداري لاجهزة الدولة، حيث حدد هذا القانون اصول تنظيم الجهاز الاداري للدولة واختصاصات وحداته المختلفة وقواعد انشاء او تعديل او الغاء الوحدات الادارية وسلطات واختصاصات المسؤولين عن وحدات الجهاز الاداري للدولة .

هذا ويتكون الجهاز الاداري للدولة في الوقت الحاضر من مجلس الوزراء برئاسة جلالة السلطان، ومن مجالس متخصصة برئاسة جلالته كذلك وهي : مجلس التنمية ومجلس الشؤون المالية ومجلس الغاز الطبيعي ومجلس الدفاع ومجلس التربية والتعليم والتدريب المهني ومجلس مصادر ثروة المياه ومن الوزارات ومن عدد من الوحدات التنفيذية الاخرى .

ولعل من اهم الوزارات في السلطنة (وزارة شؤون الديوان السلطاني) التي تضم اجهزة فنية متخصصة هي (مجلس الخدمة المدنية) و(ديوان عام شؤون الموظفين) و (دائرة تدقيق الحسابات) و(ديوان التشريع) و (مكتب مستشار حفظ البيئة) و (مكتب المستشار الصحفي لجلالة السلطان) .

هذا وتتفرع من هذه القبائل فروع اخرى لا مجال لذكرها هنا، اما قبائل المنطقة الجنوبية (ظفار) فسوف نذكرها عند بحثنا المنطقة الجنوبية في فصل قادم.

تنظيم الجهاز الاداري للدولة :

لم يكن يوجد قبل عام ١٩٧٠ وزارات بالمعنى الحديث للوزارات، انما كانت توجد دوائر واجهزة حكومية محدودة. وعلى ذلك فقد كان من أهم متطلبات النهضة التي حدثت في ٢٣ [illegible] (يوليو) ١٩٧٠ التركيز على انشاء جهاز حكومي قادر على القيام بواجباته المختلفة والعمل بصفة خاصة على تكوين الجهاز القادر على تخطيط وتنفيذ مشروعات التنمية الاقتصادية في البلاد، فتم تشكيل أول مجلس للوزراء بالمفهوم الحديث تولى رئاسته السيد طارق بن تيمور عم جلالة السلطان.

وهكذا [illegible] الوزارات حتى عام ١٩٧٧ [illegible] عشرة وزارة [illegible] هي :

١ - وزارة [illegible] الديوان السلطاني.

٢ - وزارة [illegible]

٣ - وزارة شؤون الاراضي والبلديات.

٤ - وزارة [illegible] والشؤون [illegible]

٥ - وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل.

٦ - وزارة [illegible]

٧ - وزارة التجارة والصناعة.

٨ - وزارة المواصلات.

٩ - وزارة الصحة.

١٠ - وزارة التربية والتعليم.

١١ - وزارة الاعلام والثقافة.

١٢ - وزارة الزراعة والأسماك والنفط والمعادن.

١٣ - وزارة الأشغال العامة.

الفصل السابع
تخطيط التنمية في السلطنة

انطلاقا من المفاهيم الجديدة للحكم فقد اصدر السلطان قابوس مرسوما سلطانيا بتشكيل مجلس للتنمية برئاسته يضم وزير الدولة للشؤون الخارجية مساعدا للرئيس، وعضوية وزراء الشباب والمواصلات والداخلية ووزير الدولة، والى المنطقة الجنوبية (ظفار) ووزير الصحة و (التجارة والصناعة) و (الزراعة والاسماك والنفط والمعادن) والتربية ووكيل المديرية العامة للمالية، كما عين أمانة عامة لهذا المجلس. وقد نشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية بعددها المرقم ١٠٩ الصادر في ١٩٧٦/٩/١.

ومن أجل تطبيق هذا المفهوم الجديد في الحكم، فقد صدر المرسوم السلطاني المرقم (٢٢) لعام ١٩٧٦ باعتماد اول خطة خمسية للتنمية في السلطنة للسنوات ١٩٧٦ / ١٩٨٠ وهي الخطة التي يهتدي (مجلس التنمية بموجبها للدولة من اجل تأكيد النمو الاقتصادي في البلاد واستمراره والى تحديث الاقتصاد الوطني وتنويع مصادر الدخل فيه والى رفع مستوى المعيشة في مختلف المناطق وبين مختلف فئات الشعب.

وندون في ادناه بيانا تقديريا شاملا لموارد واستخدامات خطة التنمية المذكورة مقدرة بملايين الريالات العمانية :

بيان	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	الجملة
أولا ـ الموارد :						
١ـ ايرادات النفط	٤٧٠	٤٥٨	٤٤٧	٤٣٦	٤٢٥	٢٢٣٦
٢ ـ ايرادات أخرى	٢٥	٢٧	٣٠	٣٥	٤٠	١٥٧
٣ـ معونات وقروض*	١٥٥	١٣٦	٦٦	٢٨	١٩	٤٠٤
٤ ـ جملة الموارد	٦٥٠	٦٢١	٥٤٣	٤٩٩	٤٨٤	٢٧٩٧
ثانيا : الاستخدامات						
٥ـ الدفاع والامن القومي **	٢٧٥	٢١٩	١٧٩	١٥٤	١٤٤	٩٧١

* ـ يقصد بالمعونات المنح التي لا ترد.

** ـ يدخل فيها نفقات انشائية ذات طابع مدني تقدر بنحو ٤٠، ٤٠، ٢٠، ١٥، ١٠ مليون ريال عماني في سنوات ١٩٧٦ حتى ١٩٨٠ على التوالي.

٦ ـ مصروفات متكررة مدنية .	١٠٣	١١٥	١٢٩	١٤٥	١٦٣	٦٥٥
٧ ـ حصة الحكومة في المصروفات المتكررة لشركة النفط .	١٢	١٥	١٥	١٥	١٥	٧٢
٨ ـ مشروعات رأسمالية مدنية .	١٩٢	١٩٠	١٤٠	٩٦	٨٢	٧٠٠
٩ ـ مساهمة في مشروعات استثمارية مع القطاع الخاص .	٦	٥	٤	٤	٤	٢٣
١٠ ـ حصة الحكومة في مشروعات رأسمالية لشركة نفط عمان .	١٨	٢٠	٢٠	٢٠	١٠	٨٨
١١ ـ سداد القروض وفوائدها .	٤٤	٥٣	٤٦	٥١	٤٧	٢٤١
١٢ ـ احتياطي عام ***	ـ	٤	١٠	١٤	١٩	٤٧
١٣ ـ جملة الاستخدامات .	٦٥٠	٦٢١	٥٤٣	٤٩٩	٤٨٤	٢٧٩٧

*** الاحتياطي العام مخصص لمقابلة أية زيادة طارئة في أي من بنود الاستخدامات

اختصاصات مجلس التنمية :

لقد تحددت اختصاصات مجلس التنمية بموجب قانون التنمية الاقتصادية لعام ١٩٧٥ الذي صدر بموجب المرسوم السلطاني المرقم (٩) والمؤرخ في ٢/١ سنة ١٩٧٥ . وهذه الاختصاصات هي :

١ ـ تحديد الاهداف والسياسة العامة للتنمية الاقتصادية، واقتراح السياسات والاجراءات اللازمة لتنفيذها ووضع خطط تنمية متفقة مع الاهداف والسياسة العامة للدولة .

٢ ـ مناقشة واقرار الميزانية الانمائية السنوية واحالتها الى مجلس الشؤون المالية .

٣ ـ تحديد اولويات مشروعات التنمية التي تقدم اليه من الوزارات الحكومية، والموافقة عليها قبل تنفيذها بما يكفل الالتزام بهذه الاولويات وبما يحقق تكافل المشروعات وتوافقها موضوعيا وزمنيا .

٤ ـ تحديد اولوية الدراسات الاستشارية التي تقدم اليه من الوزارات والدوائر الحكومية والموافقة عليها قبل الارتباط بها .

٥ ـ وضع الشروط والقواعد العامة المنظمة للقروض والمساهمات التي يوافق عليها المجلس ضمن الميزانية الانمائية السنوية .

٦ ـ الموافقة على امتيازات الحماية التي يقترحها الوزير المختص طبقا لقانون حماية الصناعات النامية رقم ١٩٧٤/٤ ، اذا ما كانت الامتيازات المقترحة تنطوي على اية مزايا او حقوق اختيارية .

٧ ـ تنسيق انشطة الوزارات والدوائر الحكومية فيما يتعلق بتنفيذ خطة التنمية .

٨ ـ تلقى تقارير متابعة تنفيذ المشروعات والدراسات الاستشارية من الوزارات والدوائر الحكومية .

٩ ـ اصدار تقرير سنوي عن متابعة تنفيذ خطة التنمية .

١٠ ـ اية موضوعات اخرى يحيلها السلطان الى المجلس .

ويتبين مما سبق ان مجلس التنمية ليس له اختصاصات تنفيذية وانما تتركز هذه الاختصاصات فى مجال تخطيط وتوجيه التنمية الاقتصادية . وتمشيا مع ذلك

تنص المادة الرابعة من قانون التنمية الاقتصادية على ان تظل الوزارات والدوائر الحكومية مسؤولة، كل في حدود اختصاصها، عن اجراء ومتابعة التنفيذ الفعلي للمشروعات والدراسات الاستشارية بعد اقرارها من مجلس التنمية ضمن الميزانية الانمائية السنوية.

وكذلك تنص المادة السابعة على ان تكون الوزارات والدوائر الحكومية مسؤولة في حدود اختصاصها عن اجراء الدراسات الاقتصادية والفنية للمشروعات والدراسات الاستشارية وكذلك تقدير تكلفتها قبل التقدم بها الى مجلس التنمية.

وقد تم تخصيص مسؤول في كل وزارة ودائرة حكومية ليتابع تنفيذ قرارات مجلس التنمية وليقوم بتسهيل اعماله.

وعلاوة على ما سبق فقد قام مجلس التنمية بالواجبات التالية :

أ - قام المجلس بمراجعة تفصيلية لجميع مشروعات التنمية الجارية والمعتمدة في ميزانية سنة ١٩٧٥ بواسطة لجنة فرعية.

ب - اقترح المجلس انشاء لجنة لدراسة تنظيم الجهاز الاداري للدولة ونظام الخدمة المدنية وقد صدر المرسوم السلطاني رقم ١٩٧٥/٣ في ١٩ يناير ١٩٧٥ بانشائها، وقرر المرسوم ان تنتهي اللجنة من اعمالها خلال ستة اشهر. وقد انتهت اللجنة فعلا من اعداد تقرير باعمالها متضمنا مشروع قانون تنظيم الجهاز الاداري للدولة ومشروع قانون الخدمة المدنية وقدمته الى المجلس. وتم فعلا صدور القانونين المشار اليهما.

جـ - ناقش المجلس عددا من المشروعات الهامة الاقتصادية في مختلف مناطق السلطنة.

د - قام المجلس بتكوين عددٍ من اللجان المتخصصة لمعالجة موضوعات ذات اهمية للتنمية الاقتصادية وهي لجنة متابعة مشروع منطقة الخابورة، ولجنة متابعة توفير الوقود اللازم للسلطنة، ولجنة متابعة موضوع الري وصيانة الافلاج، ولجنة تخطيط المناطق الصناعية والمدن.

هـ - تم بناء على اقتراح مجلس التنمية بتشكيل مجلس مصادر ثروة المياه.

بنك تنمية عمان

ولقد نص قرار مجلس التنمية باهداف وسياسة التنمية الاقتصادية في سلطنه عمان على ان يكون اساس السياسة الانمائية استكمال مقومات قيام اقتصاد وطني حر يرتكز على نشاط القطاع الخاص الذي يتميز بالكفاءة والمقدرة.

ومن اهم وسائل دعم وتشجيع القطاع الخاص مساعدته على تمويل مشروعاته بواسطة (بنك تنمية عمان) الذي انشىء لهذا الغرض بموجب المرسوم السلطاني المرقم (٣١) لعام ١٩٧٦ والذي يتكون رأسماله من اكتتاب الحكومة والمواطنين العمانيين والمؤسسات المالية الأجنبية او الدولية او الاقليمية على اعتبار ان الحكومة هي راعية البنك وسنده الرئيسي، أما المواطنون العمانيون فانهم القطاع الذي من اجله انشىء البنك، وأما المؤسسات المالية الأجنبية والدولية فانها تعتبر حلقة الاتصال بين البنك والاسواق النقدية والمالية الدولية.

هذا ويبلغ رأسمال البنك عشرة ملايين ريال عماني تم الاكتتاب فيها على الوجه الآتي :

٤٠٪ على الاقل لحكومة السلطنة التي تنوب عنها المديرية العامة للمالية و

٤٠٪ على الاكثر لاشخاص اعتبارية اجنبية اودولية او اقليمية، اما الباقي فقد ساهم فيه المواطنون العمانيون من الاشخاص الطبيعية او الاعتبارية

وتتحدد اهم اغراض البنك بما يأتي :

١ ـ ضمان أو تقديم القروض متوسطة وطويلة الأجل الى الشركات العمانية المسجلة في السلطنة بشرط أن تكون مخصصة لتمويل الانفاق الاستثماري في قطاعات الصناعة والزراعة او النفط او الاسماك.

٢ ـ المساهمة في رؤوس اموال شركات المساهمة العمانية الهامة للتنمية الاقتصادية في سلطنة عمان.

٣ ـ تقديم المعونة الفنية الى الشركات العمانية فيما يتعلق بدراسة المشروعات الاستثمارية واعدادها للتنفيذ.

وتمكينا للبنك من تجميع الموارد المالية اللازمة لممارسة نشاطه فانه يقوم بقبول الودائع الادخارية سواء كانت حسابات توفير او باخطار او لاجل وهو بذلك يصبح اداة رئيسية في تجميع المدخرات المحلية وتوجيهها نحو التنمية الاقتصادية.

كذلك فان البنك يستطيع الاقتراض من الحكومة اومن الغير بما في ذلك المنظمات والمؤسسات الدولية والاقليمية سواء كان ذلك في صورة اقتراض مباشر او في صورة سندات تطرح للاكتتاب العام وتضمن الحكومة القروض التي يحصل عليها البنك في حدود اربعة امثال رأسماله المدفوع واحتياطاته العامة.

هذا وقد خصصت الحكومة سنويا اعتمادا في موازنتها العامة تودع قيمته لدى البنك في حساب خاص يستخدمه البنك في تخفيض سعر الفائدة على بعض القروض التي منحها والتي تقتضي ظروف واهمية المشروع الممول بواسطتها ان تمنح فائدة متخصصة.

واخيرا وليس آخرا، فان البنك يعفى وما يوزعه من الارباح السنوية من جميع الضرائب والرسوم الحالية والمستقبلة باستثناء الضرائب والرسوم الكمركية.

الرسوم الكمركية فى البلاد:

لقد بلغت ايرادات الحكومة من الجمارك والواردات الاخرى جميعها (فيما عدا البترول) مبلغا قدره (٢٥) مليون ريال عماني في عام ١٩٧٦! ذلك ان الرسوم الجمركية تفرض ومنذ عام ١٩٧٤ بنسبة ٧٥٪ على جميع انواع المشروبات الكحولية، أما بالنسبة للحلي الذهبية والفضية والبذور والاسمدة والنباتات ومعدات الزراعة ومبيدات الحشرات لاستعمال الزراعة والكتب والمطبوعات والحليب (ويشتمل المعلب والسائل والبودرة والمعقم ولكن لا يشمل الحليب المسكر) وجميع انواع الدهون للطبخ (ما عدا الزبدة الصافية والزبدة النباتية) والسكر والشاي، واللحم ومنتجات مصفاة البترول والبضائع المستوردة عن طريق الحكومة او المقاولين للاعمال الحكومية فانها كلها معفاة من الرسوم الجمركية اما الاخرى غير ما ورد ذكره هنا على سبيل الحصر كالسيارات والملابس مثلا فان الرسم الجمركي عليها يبلغ ٢٪ فقط..

هذا وقد بلغت المصروفات الراسمالية لمختلف القطاعات لعام ١٩٧٦ مبلغا قدره (٦ر٢٥٥) مليون ريال عماني منها (٢ر١٧٥) مليون ريال موزعة على انشاء الطرق والموانىء والمطارات والبريد والمواصلات والكهرباء والمياه والاسكان والاعمال المدنية والتعمير و(٢ر٤٠) مليون ريال موزعة على قطاعات مختلفة منها (٧ر٣) مليون ريال للتعليم (٤ر٩) مليون ريال للصحة و (٣ر٧) للشؤون الثقافية و (٨ر٠) للشؤون الاجتماعية و (٠ر١٩) مليون ريال للادارة العامة.

هذا وينقسم الريال العماني الى (١٠٠٠) بيسة وهو يساوي (٩ر٢) دولار امريكي.

[illegible] تقوم [illegible]

[illegible]

او في صورة سندات [illegible]

[illegible]

هذا وقد خصصت الحكومة سنويا اعتمادا في موازنتها العامة تودع قيمته لدى البنك في حساب خاص يستخدمه البنك في تخفيض سعر الفائدة على بعض القروض التي منحها والتي تقتضي ظروف واهمية المشروع الممول بواسطتها ان تمنح فائدة مخفضة.

واخيرا وليس آخرا، فان البنك يعفى وما يوزعه من الارباح السنوية من جميع الضرائب والرسوم الحالية والمستقبلة باستثناء الضرائب والرسوم الكمركية.

الرسوم الكمركية في البلاد :

لقد بلغت ايرادات الحكومة من الجمارك والواردات الاخرى جميعها (فيما عدا البترول) مبلغا قدره (٢٥) مليون ريال عماني في عام ١٩٧٦ ذلك ان الرسوم الجمركية تفرض ومنذ عام ١٩٧٤ بنسبة ٧٥٪ على جميع انواع المشروبات الكحولية، اما بالنسبة للحلي الذهبية والفضية والبذور والاسمدة والنباتات ومعدات الزراعة ومبيدات الحشرات لاستعمال الزراعة والكتب والمطبوعات والحليب (ويشمل المعلب والسائل والبودرة والمعقم ولكن لا يشمل الحليب المسكر) وجميع انواع الدهون للطبخ (ما عدا الزبدة الصافية والزبدة النباتية) والسكر والشاي والملح ومنتجات مصفاة البترول والبضائع المستوردة عن طريق الحكومة او المقاولين للاعمال الحكومية فانها كلها معفاة من الرسوم الجمركية اما الاخرى غير ما ورد ذكره هنا على سبيل الحصر كالسيارات والملابس مثلا فان الرسم الجمركي عليها يبلغ ٢٪ فقط.

الفصل الثامن

الثروات الطبيعية في السلطنة

الثروة الزراعية والحيوانية

عندما انشئت وزارة الزراعة والاسماك والنفط والمعادن في السلطنة عام ١٩٧٥ جعلت من اول واجباتها العمل على الاستغلال الأمثل للامكانات الزراعية وتسخير مواردها لخدمة الاهداف العامة للسلطنة والارتفاع بمستوى الشعب. فعمان بلد زراعي تتوفر فيه المياه التي تجري من (افلاج) انشأها الفلاح العماني منذ مئات السنين حيث لا تزال تدر الخير والبركة على البلاد بعد ان عمل العهد الجديد على صيانتها وتنظيمها. ولولا هذه المياه لكانت سلطنة عمان جرداء قاحلة[١٣٦].

---

(١٣٦) الافلاج، جمع فلج (بفتح الفاء واللام) او (فلى)، حيث يقلب العمانيون وسكان الخليج العربي الجيم ياء عند النطق، وهو عبارة عن مجرى مائي ينبع من الجبال ثم يجري في باطن الارض حينا وعلى سطحها حيناً اخر مكونا جدولاً مائيا صغيرا ذي جدران طينية او كونكريتية ومتخذا طريقة (السيفون) في جريانه تحت الارض او فوقها حيث يظل مستوى المجرى واحدا، وبذلك فانه يروي البساتين والمزارع كما يستعمل للشرب والغسيل ولشتى الاغراض الاخرى.

ومن بدائع صنع الله سبحانه وتعالى ان ميّاه بعض الافلاج حارة وبعضها الآخر بارد لا تتغير درجة حرارته صيفا او شتاء وقد شاهد المؤلف احد ينابيع المياه الحارة عند زيارته لمدينة الرستاق وهي (عين الكسفة) التي تبلغ عند درجة حرارتها ٨٠ درجة مئوية. وتنعكس مهارة العمانيين ومقدرتهم على الابتكار في التحكم في مياه هذه الينابيع منذ القدم وذلك بحفر القنوات الجوفية مما اتاح اقامة مثل هذا النظام الفني للري الدائم حيث لا تتغير منسوب المياه في هذه الافلاج على مدار السنة الا قليلا مما يجعل الزراع يطمئنون على زراعتهم وعلى مصدرهم المائي. ويعتبر هذا النظام المائي من اقدم انظمة الري التي عرفها الانسان واستخدمه العمانيون بمهارة بي مجال الري والزراعة.

ومن الطبيعي ان هذه الثروة المائية من المياه العذبة تعتبر مثارا للدهشة والروعة حيث لا يوجد ما يضارعها في اي مكان آخر، اللهم الا في جزء من المنطقة الساحلية في الاحساء وفي بعض مناطق البحرين.

وتنبع مياه الافلاج من الجبال المحيطة بمنطقة (الجبل الاخضر) وغيرها في عمان حيث تأخذ مجراها في الافلاج العجيبة التي ابدعتها يد الانسان العربي من عمان منذ آلاف السنين على مر العصور.

انهار عمان :

هذا وتجري في عمان عدة انهار ذات مياه عذبة رائقة اشهرها نهر (دارس) من الجبل الاخضر. ونهر (الغنتق) المعروف باسم نهر (الحلاه) حيث تمر هذه الانهار بمدينة نزوى العريقة.

كما وتوجد انهار اخرى منها نهر (فرق) الذي يمر بمدينة (فرق) الواقعة الى الجنوب من نزوى ونهري (العين) و(المالح) اللذين يخترقان (أدم) ونهر (الميتا) الذي يمر بمدينة (بهلا) ونهر الخابورة ومحيدث في منطقة الظاهرة حيث يرويان مدنية عبري بالاضافة الى انهار اخرى تكاد تكون مستديمة الجريان في وديان بدبد وسمائل وفنجا وابرا في الجبال القريبة من مدينة صور ووادي بني خالد.

جبال عمان :

ان من اهم الجبال في عمان هي :

١ - الجبل الاخضر

٢ - جبل الشحوح

٣ - جبال حطاط

٤ - جبل الفهود

٥ - جبل حفيت

٦ - جبال الكور

أودية عمان :

تزخر عمان بوديان خصبة من اهمها :

١ - وادي سمائل

٢ - وادي المعاول

٣ - وادي الطائيين

٤ - وادي بني خالد

٥ - وادي الرستاق

٦ - وادي مجلاص

٧ - وادي السرين.

هذا بالاضافة الى الجبال والوديان الاخرى الموجودة في المنطقة الجنوبية (ظفار) مما سنتحدث عنه في موضعه من هذا الكتاب.

طبيعة الارض :

واذا ما علمنا ان عمان تنقسم من حيث طبيعة ارضها الى مناطق صحراوية ومناطق جبلية ومناطق ساحلية، لدركنا سر تفاوت الانتاج فيها، فسهل الباطنة الذي يقع بين الجبل والبحر يشتهر بعذوبة مائه ووفرته، كما يشتهر بكثرة زرعه ونخيله وهو يمتد على شكل هلال يبتدىء من بلدة (خورفكان) في الشمال ويسير نحو الجنوب

فالجنوب الشرقي حتى ينتهي عند مسقط بعد ان يضم مدن شناص وصحار والخابورة ومطرح اضافة الى (امارة الفجيرة) احدى امارات دولة الامارات العربية المتحدة التي تعتبر منطقة تعترض اتصال سلطنة عمان بالمنطقة الشمالية (منطقة مسندم) التي تضم ثلاث ولايات.

هذا ويطل سهل الباطنة كذلك على منطقة سهلية تحفها الجبال التي تشمل

تشمل مدن (سمائل) و(بهلا) حيث تزرع النخيل واشجار (الليمون الحامض)[137] والموالح بكثرة في هذه المنطقة كما يزرع البطيخ والرقي (الجح) والتين والعنب والزيتون علاوة على الحنطة والشعير والخضراوات بكثرة تكاد تسد حاجة المنطقة. وأما اشجار النارجيل (جوز الهند) والموز والباباي والمانجو وكذلك الخضراوات فانها تزرع في المنطقة الجنوبية (ظفار) في القسم السهلي الممتد بين الجبل والبحر العربي في مدينة (صلالة) التي تعتبر العاصمة الثانية لسلطنة عمان.

وأما منطقة الجبل الاخضر التي تعتبر من المناطق الخصبة في السلطنة فانها تشتهر ببساتينها المثمرة وبمدرجاتها الزراعية وبوفرة منتجات المنطقتين المعتدلة والحارة حيث تنمو فيها الحمضيات والمانجو والموز والنخيل والرمان والحبوب والبقول وبعض انواع الخضراوات، كما يزرع (التبغ) في مدرجاتها الجبلية رغم قلة استعماله، حيث ان المذهب الاباضي يعتبر التدخين من المكروهات شرعا. هذا وتختلف عمان عن بقية اجزاء شبه الجزيرة العربية التي يغلب عليها الطابع الصحراوي في انها الى جانب المناطق الصحراوية تتمتع بوديان خضراء واراضي خصبة ترفدها مياه الافلاج الجارية مما جعل هذا البلد يشتهر بزراعته منذ القدم.

مجالات تنمية الانتاج الزراعي:

واذا ما علمنا بان الزراعة تمثل القطاع الهام في الاقتصاد القومي بعد قطاع النفط ادركنا اهمية الجهود الحكومية التي تبذلها الوزارة المعنية نتيجة للضرورة الملحة لتنمية القطاع الزراعي الذي يبلغ مجموع العاملين فيه قرابة ٧٢ر٧٪ من اجمالي سكان السلطنة. واذا ما علمنا ان الواردات من السلع الغذائية ارتفعت من

---

(١٣٧) يطلق عليه في العراق (نومي بصرة) غير انه يستورد من عمان وهو يشبه في حجمه وطعمه الليمون المصري المسمى (بنزهير)، (المؤلف).

(٥ر٦) مليـون ريـال عمـاني في عام ١٩٧٢ الى (٢٥) مليـون ريال عماني في عام ١٩٧٥ ، ادركنـا ما يمثله هذا الاستنـزاف لحصيلة البـلاد من العملات الأجنبية في استيـراد المـواد الاستهـلاكيـة هذا بالاضافة الى ارتفاع استهلاك المواد الغذائية في السلطنة نتيجة لازدياد عدد السكان ولارتفاع دخل المواطنين.

ولقـد قامت سلطنـة عمـان في بدايـة نهضتهـا الجـديـدة عام ١٩٧٠ بالعناية بالناحية الزراعية في البلاد حيث انشأت (دائرة الزراعة) التي مرت بمراحل متعددة حتى انتهى الامـر الى انشـاء (وزارة الـزراعة والاسماك والنفط والمعادن) وذلك في عام ١٩٧٤ حيث رسمت الهيـاكـل التنظيمية لهذه الوزارة الجديدة واستحدثت فيها ادارات متخصصة بلغت خمس عشرة دائرة.

هذا وتتمثل مجالات التنمية بما يأتي:

١ ـ الاستغـلال الامثـل لامكـانـات الثـروة الزراعية والسمكية والحيوانية في سلطنة عمان.

٢ ـ الاستغلال الامثل للثروة النفطية والمعدنية وادارة سياستها بصورة تنسجم والمصلحة العليا للبلاد وتسخيرها لخدمة الاهداف العامة للسلطنة في جميع القطاعات.

٣ ـ تنمية الثروة السمكية والحيوانية توسيعا لقاعدة الاقتصاد العمانية وتحريره من الاعتمـاد الـرئيسي على النفـط وبصـورة تسـاهم في دعم القـاعـدة الانتـاجيـة للاقتصاد الوطني وتسعى به نحو الاكتفاء الذاتي.

٤ ـ اجراء المسوحات اللازمة لمصادر الثروة الزراعية والسمكية والنفطية والمعدنية.

٥ ـ اعـداد مشاريع التنمية الزراعية والسمكية والنفطية والمعدنية على اسس من دراسات الجدوى الاقتصادية والفنية لها ومتابعة تنفيذها.

٦ ـ مكافحة الآفات الزراعية بافضل الطرق العلمية.

٧ ـ العمـل على زيـادة انتاج المحاصيل المختلفة عن طريق اجراء التجارب لاختيار افضل البذور مع ادخال محاصيل جديدة.

٨ ـ تطوير الارشاد الزراعي وتنمية البيئة.

٩ ـ تنمية موارد المياه وتنظيم استخدامها.

١٠ ـ تشجيع قيام الجمعيات في مجال الزراعة وصيد الاسماك حيث عقد المؤتمر التعاوني الاول للجمعيات التعاونية في مدينة نزوى في شهر حزيران ١٩٧٧ علما بان اول جمعية تعاونية انشئت في البلاد كانت في عام ١٩٧٦.

١١ ـ منح التصاريح اللازمة للتنقيب عن موارد النفط والمعادن في السلطنة واستخراجها او استغلالها او خزنها او توزيعها.

١٢ ـ تشجيع العمل على توفير الاسمدة والمبيدات في المجال الزراعي وتشجيع استخدامها.

١٣ ـ القيام بالدراسات اللازمة لتطوير وصيانة نظام الافلاج وتحديد المشاريع اللازمة لذلك ومتابعة تنفيذها.

١٤ ـ العمل على تأهيل وتدريب الموظفين العمانيين في الوزارة كل في مجال تخصصه.

مساحة الارض الزراعية:

وما دمنا بصدد الحديث عن النهضة الزراعية في البلاد فاننا نقول بان مساحة الاراضي الزراعية في السلطنة تبلغ (١٠٠) الف فدان وهي تشكل نصف المساحة القابلة للزراعة في البلاد، ومن ذلك يتضح بان هناك تحديا يواجه المواطن العماني يتمثل في ضرورة رفع انتاجية الارض الزراعية من ناحية وزيادة مساحة الارض المنزرعة من ناحية اخرى، وبالتالي مواجهة الاستهلاك المتزايد املا في تخفيف اعباء المعيشة عن كاهل المواطنين حيث ان تنمية.هذا القطاع تعمل ولا شك على تخفيض اسعار المواد الغذائية.

ومن أجل تحقيق الاهداف التي رسمتها الخطة الخمسة للتنمية الشاملة في البلاد بانشطتها في مجالات البحوث الزراعية والحيوانية والارشاد الزراعي وانشاء المزارع الانتاجية النموذجية وتقديم الخدمات الزراعية والعمل على زيادة الانتاج الحيواني كتربية العجول ومشاريع انتاج الحليب ومشتقاته وحفر الآبار وصيانة الافلاج وانشاء محطات بحوث الثروة الحيوانية والزراعية واقامة السدود لحجز مياه

الامطار والافادة منها وانشاء المستشفيات البيطرية ومخازن مصانع التمور ومعاونة المزارعين وتزويدهم بمضخات المياه والمعدات الزراعية والمبيدات الحشرية وقطع الغيار وتوسيع مشاريع انتاج البيض ومصانع تبخير التمور وتصنيعها. وتحقيقا لهذه الاغراض فقد قسمت المناطق الزراعية في البلاد على النحو الآتي :

١ ـ منطقة الباطنة الشمالية

٢ ـ منطقة الباطنة الجنوبية

٣ ـ المنطقة الداخلية

٤ ـ المنطقة الشرقية

٥ ـ منطقة الظاهرة

٦ ـ المنطقة الجنوبية (ظفار)

وفي ختام حديثنا عن الثروة الزراعية والحيوانية في السلطنة لابد لنا من القول بان الطلب المحلي على الانتاج الزراعي والحيواني مستمر مما يستوجب تحسين الانتاج كماً ونوعاً والعمل على زيادة رقعة الارض المنزرعة، ذلك ان مساحة الارض المنزرعة بالنخيل حاليا تبلغ (٥١) الف فدان والمزروعة بالليمون تبلغ خمسة آلاف فدان والمزروعة بالمانجو تبلغ (١٦٠٠) فدان والمزروعة بالموز تبلغ (٢٣٠٠) فدان والمزروعة بالخضراوات تبلغ (١٣) الف فدان والمزروعة بالبرسيم تبلغ (١٦) الف فدان أما بالنسبة لاشجار جوز الهند (النارجيل) فان مساحة الارض المزروعة بها تبلغ (١٥٠٠) فدان.

تقديرات الثروة الحيوانية :

اما في مجال الثروة الحيوانية التي تعتبر احدى الركائز الهامة للانتاج الزراعي حيث تبذل الدولة جهدا كبيرا لتنمية الانتاج المحلي من اللحوم والدواجن والمنتجات الحيوانية، فان الدخل السنوي من هذه الثروة يصل الى حوالي (١٩) مليون ريال سنويا (طبقا لاسعار عام ١٩٧٥) وهو يمثل ٤٠٪ من اجمالي الانتاج الزراعي الكلي لعام ١٩٧٥.

ولقد جرى احصاء تقديري في العام المذكور بالنسبة لعدد الحيوانات

الموجودة في السلطنة حيث قدرت بـ (١٥٥) الف رأس ماعز و(١٢٦) ألف رأس بقر و(٤٨) الف رأس غنم و(١٢) الف جمل.

ونظرا للتحول السريع الذي تمر به السلطنة فقد ارتفعت وارداتها من المنتجات الحيوانية بنسبة اكثر من الضعف ما بين عامي ١٩٧٤ و١٩٧٥ حيث بلغت الواردات من اللحوم الحية والمذبوحة عام ١٩٧٤ ما قيمته (١ر١) مليون ريال وبلغت قيمة الواردات في عام ١٩٧٥ (٥ر٤) مليون ريال. وبلغت قيمة الواردات من الالبان عام ١٩٧٣ حوالي (٦ر١) ريال ارتفعت الى (٨ر٢) مليون ريال في عام ١٩٧٤.

عسى ان يجيء اليوم الذي تحقق فيه السلطنة اكتفاءها الذاتي من الثروة الحوانية ومنتجاتها.

الثروة النفطية

الحديث عن النفط هو الحديث عن أهم مصدر للدخل القومي في سلطنة عمان فهو يمثل ما يقرب من ٩٥٪ من الايرادات العامة للحكومة حيث بلغت الطاقة الانتاجية في اليوم حوالي (٣٥٠) الف برميل في عام ١٩٨٣ كما علمنا مؤخرا.

ويعتبر شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٦٤ عيد الاعلان الرسمي عن وجود النفط في البلاد بكميات تجارية وقد توالت اكتشافات النفط منذ ذلك الحين في البلاد وبلغت اوجها منذ بدأ العهد الجديد فأخذ معدل الانتاج اليومي يتزايد عاما بعد عام حيث يجري تسييل النفط الخام من مواطنه الى المستودعات القائمة في ميناء (الفحل) بالعاصمة ومنها الى ناقلات النفط عن طريق انابيب تحت البحر.

هذا ولقد قامت شركة تنمية نفط عمان بحفر البئر (جبال ١) ثم البئر (جبال ٢) ثم حفر البئر (ناطح ١). وقد جرى اكتشاف النفط في هذين البئرين معا. وبعد تقييم نتائج التنقيب لمنطقة (فهود) جرى حفر بئر (فهود ٢) حيث اكتشف النفط هناك في عام ١٩٦٤، ثم بدأ التصدير المنتظم للنفط من عمان اعتبارا من اول آب (أغسطس) عام ١٩٦٧ بحيث تم تصدير (٩ر٢٠) مليون برميل في تلك السنة واخذ رقم صادرات النفط في الارتفاع حتى بلغ (٣ر١٢١) مليون برميل في سنة ١٩٧٠ ثم

(*) لم نقم بتحديث المعلومات حول الثروة النفطية في سلطنة عمان وانما ظلت كما سجلناها عند كتابة هذا الكتاب في عام ٦٩٧

انخفض في سنة ١٩٧١ الى (١٠٧) برميل والى (٢ر١٠٣) مليون برميل في سنة ١٩٧٢ .

وفي خلال عام ١٩٧٢ تم اكتشاف النفط في حقول اخرى هي : قرن علم . المنطقة الشمالية.شعيبة . حوش. سيح . فهايدة . والهبور.

وقد بدأت صادرات النفط بالزيادة من جديد حيث بلغت (١٠٧) مليون برميل سنة ١٩٧٣ و(٨ر١٠٥) مليون برميل في سنة ١٩٧٤ و (٦ر١٢٤) مليون برميل في سنة ١٩٧٥ و(٩٨٩٠٠٧٠ر٩) برميلا في شهر كانون الثاني (يناير) و (٨ر٣٧٣ر٧٣٢) برميلا في شهر شباط (فبراير) من عام ١٩٧٨ .

أما عائدات الدولة من هذا المورد الهام للسنوات المذكورة فهي (٥ر٩٤) و (٣٨٩) و (٧ر٤٧٣) مليون ريال عماني على التوالي .

هذا وتظهر تقديرات انتاج النفط انخفاضا تدريجيا اعتبارا من عام ١٩٧٧ . ولما كان النفط هو المصدر الاساسي للدخل القومي في عمان فان هذا الانخفاض لابد وان ينعكس اثره في صورة انخفاض في تقديرات اجمالي الناتج القومي مالم تعمل خطة التنمية الخمسية ٧٦/ ١٩٨٠ على زيادة القيمة المضافة في القطاعات الاخرى بدرجة تعوض هذا الانخفاض المحتمل في قطاع النفط.

وتدل التقديرات على ان القيمة المضافة في قطاع النفط ستنخفض من (٥٠٥) مليون ريال عماني في سنة ١٩٧٦ الى (٩ر٤٦١) مليون ريال عماني في سنة ١٩٨٠ (مقوم بالاسعار الثابتة لسنة ١٩٧٦) اي بنسبة ٥ر٨٪ . وبناء على ذلك فان هدف خطة التنمية الخمسية يكمن في تعويض هذا الانخفاض وتحقيق زيادة اضافية بحيث تبلغ الزيادة الصافية في اجمالي. الناتج القومي مقوما بتكلفة عوامل الانتاج في نهاية السنوات الخمس نحو ٦ر١٢٪ اي بمتوسط صافي للنمو السنوي هو ١ر٣٪ حيث اخذت الخطة الخمسية في اعتبارها العناصر الآتية :

١ ـ ان جملة الاستثمارات الحكومية المدنية التي بلغت (١٩٢) مليون ريال عماني في عام ١٩٧٦ و(١٩٠) مليون ريال عماني في عام ١٩٧٧ ، لا يمكن الاحتفاظ بها عند هذا المستوى المرتفع ويرجع ذلك الى الانخفاض المتوقع في ايرادات النفط والى ان سياسة الدولة تقضي بعدم التوسع في الاعتماد على القروض

ومن ثم تقدر الخطة أن تبدأ الدولة في تخفيض حجم صافي مديونيتها اعتبارا من سنة ١٩٧٩ والى ان السنوات السابقة وبخاصة ١٩٧٥ قدشهدتحجما كبيرا من المعونات (المنح) التي تم الحصول عليها من الدول الشقيقة ويصعب ادراج حجم مؤكد من هذه المعونات للسنوات المقبلة حيث يتوقف ذلك على اعتبارات كثيرة.

٢ ـ ان الاستثمارات في السنوات الخمس السابقة قد انتجت حجما كبيرا من مشروعات التنمية الاساسية وهي على اهميتها وضرورتها للتنمية الاقتصادية قد استدعت بالتالي زيادة سريعة في حجم المصروفات المدنية المتكررة لمقابلة صيانة وتشغيل هذه المشروعات.

٣ ـ يترتب تلقائيا على انخفاض ايرادات النفط ومن ثم انخفاض حجم الاستثمارات السنوية انخفاض في حجم القيمة المضافة الناتج في قطاع التشييد والبناء وكذلك في قطاع النقل. ومن ثم فان تعويض الانخفاضات في هذه القطاعات هو في حد ذاته هدف من اهداف خطة التنمية.

وبناء على ذلك فانه يتبين انه من المقدر ان تنخفض القيمة المضافة في ثلاثة قطاعات رئيسية على الوجه التالي:

بيان	١٩٧٦ مليون ريال	١٩٨٠ مليون ريال	نسبة الانخفاض
النفط الخام	٥٠٥	٤٦١	ـ ٨ر٧٪
التشييد والبناء	٧٦	٤٩	ـ ٥ر٣٥٪
النقل والمواصلات	٢٥	١٩	ـ ٠ر٢٤٪

ومن أجل تلافي هذا الانخفاض في القطاعات المذكورة في اعلاه فان خطة التنمية تهدف الى تنمية القيمة المضافة في القطاعات الرئيسية في ميادين الزراعة والاسماك والتعدين (النحاس) والغاز الطبيعي والصناعة والكهرباء والمياه والتجارة الداخلية خاصة بعد ان تم توقيع اتفاقية بين السلطنة وبين المملكة السعودية لاستغلال مناجم النحاس في منطقة (صحار) وذلك في شهر تموز (يوليو) ١٩٧٧ حيث تقدر الايرادات من هذا المعدن بحوالي ستة ملايين ريال عماني في عام ١٩٨٠.

هذا وقد تم تشكيل مجلس مشروع النحاس وبدأ باتخاذ خطواته التنفيذية لتشغيل المشروع.

آبار النفط :

بلغ عدد الابار التي انتهت شركة تنمية نفط عمان (المسؤولة عن الانتاج) من حفرها حتى عام ١٩٧٦ (٤٣ بئرا) وذلك في منطقة عمان الشمال والجنوب ولقد بلغ عدد الابار التي تم حفرها حتى تشرين الثاني (نوفمبر) (٣١) بئرا تشتمل على ٨ آبار استكشافية و ٤ آبار تقييمية و ١٦ بئرا تطويريا لتحسين مستوى الانتاج النفطي، كما تم تعميق واعادة تنظيم ٦ آبار تطويرية. وتقوم شركة تنمية نفط عمان حاليا بالتركيز على دراسة منطقتي (امل) و (مرمول) في المنطقة الجنوبية بهدف تقييم كميات النفط الموجودة في هذين الحقلين من اجل الانتاج، حيث تتراوح التقديرات ما بين (١٠ ـ ٣٠) الف برميل يوميا، ومن المؤمل ان يبدأ الانتاج التجاري من هذه المنطقة في عام ١٩٧٩، وحول مسألة استغلال النفط في منطقة مسندم فقد قامت المديرية العامة للنفط بالتوقيع على اتفاقية مشاركة مع شركة الف عمان في ١٩٧٦/٩/٢٣ مدتها ثلاثين عاما تحصل بموجبها الحكومة على ما نسبته ٨٠٪ من الانتاج النفطي المتوقع حيث ثبت وجود النفط في منطقة الامتياز المذكورة وتقوم الشركة حاليا بحفر البئر الاستكشافية الاولى. اما بالنسبة للنشاط النفطي في منطقة جزيرة مصيرة فتقوم مجموعة (صن اويل) الامريكية التي سبق وان وقعت الاتفاقية معها في ٤ شباط (فبراير) ١٩٧٣ بحفر البئر الاستكشافي الثاني.

هذا وقد بدأت شركة كوينتانا خلال الربع الاول من عام ١٩٧٦ بحفر اول بئر استكشافية لها في منطقة امتيازها التي تقع في (سنينة) وتتابع حاليا شركة الف سوميتومو الفرنسية اليابانية مسوحاتها الجيولوجية في منطقة ام الطبول ولديها برنامج لحفر بئر استكشافية في عام ١٩٧٨.

خصائص النفط العماني :

يعتبر نفط السلطنة من حيث النوعية من النوع الخفيف الجيد الذي تتراوح كثافته بين ٣٢ و ٣٤ درجة بموجب معيار معهد البترول الامريكي العالمية وتبلغ الحقول المنتجة في السلطنة حاليا تسعة حقول على النحو التالي :

اسم الحقل	تاريخ اكتشافه
جبال	عام ١٩٦٢
ناطح	عام ١٩٦٣
فهود	عام ١٩٦٤
الخوير	عام ١٩٦٧
الحويصة	عام ١٩٧٠
غابة الشمالية	عام ١٩٧٢
قرن علم	عام ١٩٧٢
سيح نهيدة	عام ١٩٧٢
سيح رول	عام ١٩٧٣

مناطق الانتاج :

ولقد بدأ الانتاج من حقول فهود، جبال، ناطح في عام ١٩٦٧ وذلك بعد استكمال مد خط انابيب النفط بين هذه الحقول وميناء الفحل، حيث سيجري تصدير النفط الى الخارج. وان الشركة التي تقوم حاليا بالانتاج والمسؤولة عنه هي (شركة تنمية نفط عمان) التي تملك حكومة السلطنة ٦٠٪ من اعمالها وتملك شركة شل ٣٤٪ وشركة البترول الفرنسية ٤٪ وشركة بارتكس ٢٪.

والسلطنة تبيع حاليا نفطها لثلاث شركات تسويق عالمية هي :

١ ـ شركة شل العالمية.

٢ ـ شركة جلف آويل.

٣ ـ شركة سيتو اليابانية.

ولقد قامت باعمال التنقيب عن البترول في السلطنة مجموعة من الشركات الاجنبية العالمية منذ الخمسينات الا ان بعضها انهت اعمالها نتيجة فشلها في العثور على النفط في تلك الفترة، ومن الشركات التي أنهت اعمالها شركة (سيتي سيرفز الامريكية) وشركة (وينترشال الالمانية) الا انه مازال هناك بعض الشركات العاملة حاليا في السلطنة وهي :

١ ـ شركة تنمية نفط عمان ومنطقة امتيازها تمتد من جنوب منخفض سنينة الى المنطقة الجنوبية.

٢ ـ مجموعة الف اكوينتين الفرنسية ومنطقة امتيازها تقع في المناطق البحرية من مسندم.

٣ ـ الف سوميتومو الفرنسية اليابانية ومنطقة امتيازها ام الطبول.

٤ ـ مجموعة صن ومنطقة امتيازها جنوب خليج مصيرة البحرية.

٥ ـ شركة كوينتانا العالمية ومنطقة امتيازها سنينة.

٦ ـ شركة جلف مسندم للبترول المحدودة.

والجدير بالذكر ان هناك شركات اخرى تقوم بالتفاوض للحصول على مناطق امتياز للتنقيب عن النفط وخاصة في المناطق الجنوبية والمناطق البحرية الاخرى.

كذلك دخلت السلطنة في اتفاقيات قائمة على اساس مبدأ المشاركة في الانتاجية محافظة على ثروتها وللحصول على اقصى عائد ممكن، وفيما يلي بيان بالنسبة المئوية لحقوق المشاركة في الانتاج بالنسبة للشركات وتاريخ توقيع تلك الاتفاقيات او تعديلها:

الشركة	حصة حكومة السلطنة	حصة الشركة	تاريخ توقيع او تعديل الاتفاقية
تنمية نفط عمان	٦٠٪	٤٠٪	عدلت في عام ١٩٧٤
الف اكوينتين	٨٠٪	٢٠٪	عدلت٢٣/١٢/٩٧٦
الف سوميتومو	٨٠٪	٢٠٪	وقعت ١٩٧٥
كوينتانا	٨٠٪	٢٠٪	وقعت٧/١٢/١٩٧٥
مجموعة صن	٨٠٪	٢٠٪	وقعت٤/٢/١٩٧٣م

هذا وقد جرى تعديل في اتفاقيات بعض شركات النقل العاملة في السلطنة بموجب مراسيم سلطانية اطلعنا عليها منشورة في جريدة (عمان) بعددها الصادر بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٧٨ .

مصفاة النفط :

ومن الجدير بالذكر القول في هذا المجال بانه لا توجد مصفاة للنفط في السلطنة عند قيامنا بزيارتها في حين يتزايد استخدامها لمنتجات النفط بمعدلات مرتفعة حيث يبلغ سعر اللتر الواحد من البنزين المحسن (٦٢) بيسة . ولذلك فقد تضمنت الخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٧٦ - ١٩٨٠) مشروعا لاقامة مصفاة يهدف اساسا لمقابلة الاحتياجات المحلية ويجري في الوقت الحاضر اجراء دراسة للجدوى الاقتصادية . هذا وقد علمنا بانه قد تم انشاء المصفاة عام ١٩٨٢ بطاقة تبلغ (٥٠) الف برميل لانتاج البنزين والكيروسين والزيوت الثقيلة في ميناء (الفحل) قرب مسقط العاصمة .

مشروع خط انابيب الغاز الطبيعي :

ويتكون الخط من انابيب قطرها ٢٠ بوصة لنقل الغاز الطبيعي غير المصاحب للنفط من منطقة جبال الى الساحل بمنطقة العاصمة ، وقد ثبت وجود الغاز الطبيعي غير المصاحب للنفط بكميات تجارية . وسوف تمتد تلك الانابيب لمسافة ٣٢٥ كم ، حيث يستهدف المشروع استخدام الغاز في توليد الطاقة الكهربائية وتحلية مياه البحر بالاضافة الى الاغراض الصناعية مثل صناعة السمنت ، وتبلغ تكاليف انشاء هذا المشروع حوالي ٩٠ مليون دولار تشارك حكومة سلطنة عمان بـ (٣٠) مليون دولار ويقوم بتمويل الجزء الباقي كل من الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية بمبلغ ٢٥ مليون دولار والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي الذي سيساهم بمبلغ (٢٠) مليون دولار وصندوق ابو ظبي للتنمية الاقتصادية الذي سيساهم بمبلغ (١٥) مليون دولار . وهناك خطة لانتاج الغاز السائل لتلبية احتياجات المواطنين بدلا من الاعتماد على استيراده من الخارج وقد اوشك مشروع خط الغاز من (بيال) الى العاصمة على الانتهاء وهويمتد (٣٢٠١)كم كما تجري خطوات مد الغاز نفسه من العاصمة الى (صحار) لخدمة المنشآت الصناعية ومشروع النحاس .

الثروة المعدنية

تم توقيع اتفاقية بين حكومة سلطنة عمان وشركة برسبكشن المحدودة (كندية) ومارشال عمان (امريكية) في شهر شباط فبراير ١٩٧٣ وبمقتضاها منحت الشركة امتيازا للعمل في جبال عمان الشمالية وفي منطقة بالقرب من جزيرة مصيرة ومنحت هذه الاتفاقية الحق للشركة في البحث عن المعادن فيما عدا النفط والفحم والغاز والاسبستوس.

ولقد بدأت اعمال الشركة في اوائل عام ١٩٧٣ واستمر العمل لمدة ٣ شهور اوقف العمل الجيولوجي في اشهر الصيف الحارة لصعوبة العمل في تلك الفترة في الجبال ولقد اجريت ابحاث جيوكيمائية وابحاث جيوفيزيقية وجمعت عينات من الصخور والاتربة وحللت في المعمل الذي اقيم في (صحار) لهذا الغرض. وقد ادت هذه العمليات التقنية الى اكتشاف عدة اماكن للمعادن ومناجم قديمة للنحاس والكروم والمنجنيز والقصدير والزنك. ولقد دخلت حكومة السلطنة في مشاركة مع شركة برسبكشن ومارشال عمان حيث تحققت المشاركة بنسبة ٥١٪ من الاسهم لصالح السلطنة. ولقد زادت ميزانية الشركة مرتين لمواجهة عملية الحفر الاستكشافي في منجم (الاصيل)، ولمواجهة متطلبات العمل تم احضار حفارتين كبيرتين قادرتين على الحفر لاعماق كبيرة تتناسب ومتطلبات العمل، كذلك اجريت دراسة جيوفيزيقية بالطائرة لجزء كبير من جبال عمان هذا بالاضافة الى زيادة عدد العاملين الفنيين وشراء منازل متنقلة لايوائهم. هذا وقد تم حفر حفر عميقة في كل من الاصيل وعرجة وصمدة وبيضة وطاوي عرجة، ودلت الابحاث كلها على وجود النحاس في كل هذه الاماكن بنسب وكميات مختلفة تبلغ ٩٩٫٩٧٪ من النحاس الخالص في بعض الاماكن.

واهم هذه المواقع الان هي الاصيل وعرجة والبيضاء بمنطقة صحار فقد ثبت وجود ما يناهز خمسة ملايين طن نحاس في الاصيل كما ان هناك كميات من الزنك في ذلك المنجم، اما في عرجة فلم يتم تحديد كميات النحاس رغم انه ليس في جودة نحاس منجم الاصيل وكذلك فقد تم العثور على نسبة لا بأس بها من الزنك

وكميات من الذهب، اما في منجم بيضة فقد ثبت وجود النحاس والزنك بنسب جيدة.

هذا وقد عقدت اتفاقية بتاريخ ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٨ بين الحكومة وبين شركتي مارشال الامريكية وبروسيكشن الكندية لانشاء الشركة العمانية للتعدين بهدف استغلال النحاس في (صحار) حيث بلغ نصيب الحكومة في الشركة ٧٥٪ من رأسمالها الذي ساهمت المملكة العربية السعودية فيه بمبلغ (١٠٠) مليون دولار. ومن المؤمل ان يبلغ الانتاج للنحاس الصافي في السلطنة ما يقرب من (٢٠) الف طن سنويا.

ولذلك فان الخطة الخمسية (١٩٧٦ - ١٩٨٠) تتضمن مشروعا لتعدين النحاس وتركيزه ويهدف المشروع اساسا الى التصدير. وتقدر خطة التنمية تكلفة تنفيذ هذا المشروع بـ (٤٧) مليون ريال عماني تتحملها مع القطاع الخاص في صورة مشروع. وقد تم تحديد وجود ١٧ مليون طن متري من الخام ولا زالت اعمال التنقيب مستمرة.

وبهذه المناسبة لابد لنا من القول بانه سبق للسومريين الوصول الى بلاد عمان التي كانوا يطلقون عليها اسم (ماجان) كما اسلفنا حيث كانوا يستخرجون النحاس من مناجمها الى بلاد ما بين النهرين ويدل النيكل الموجود في الاواني والمزهريات النحاسية المكتشفة هناك على انها من النحاس العماني. هذا وقد ذكر المؤرخ (بليني) في كتابه الموسوم (التاريخ الطبيعي) بانه كانت توجد مناجم للذهب والنحاس في ساحل الباطنة، وهو الشريط الممتد الى مسافة مائتي ميل شمال مسقط كذلك فقد ثبت توفر معدن الحرير الصخري (الاسبستوس) في السلطنة بكميات تجارية وهناك دلائل قوية على توفر وجود معادن اخرى مثل الكروم والمنجنيز والنيكل والفحم وسيجري التنقيب عنها بشكل موسع.

ويقوم جيولوجيو الوزارة حاليا بدراسات جيولوجية تفصيلية لتحديد كميات المنجنيز والفحم المتوفرة بالسلطنة اضافة الى عدد من أساتذة الجامعات الالمانية الذين يقومون باجراء تنقيباتهم عن الفوسفات في المنطقة الجنوبية.

الثروة السمكية

لقد كانت عمان دائما موطنا للتجارة والصيادين وكانت اسماكها تباع في اسواق الهند وشرقي افريقيا مجففة اومملحة، كما كانت زعانف سمك القرش تجد سوقا رائجة في الشرق الاقصى.

وبالنظر لاختلاف ساحلي عمان على محاذاة خليج عمان والبحر العربي، فقد توفرت انواع متميزة من الحيوانات البحرية من الاسماك والرخويات (اي الاسماك الهلامية او المحار) بالاضافة الى سمك السردين المتوفر بكميات كبيرة حتى اصبح يستعمل علفا للماشية بعد تجفيفه اوسمادا لاخصاب الارض. ولقد دلت الدراسات الميدانية التي قامت بها شركات متخصصة الى ان معظم عمليات الصيد التي كانت تقوم بها سفن اجنبية قبل عام ١٩٧٠ كانت تجري في منطقة تقع الى الجنوب من رأس الخد وخاصة في خليج (كوريا موريا) حيث تعمل سفن صيد ضخمة تصل حمولتها الى ثلاثة آلاف طن متري. كما تبين ايضا ان السفن العاملة في خليج (مصيرة) تتمكن من اصطياد اسماك متنوعة تبلغ ثمانية اطنان في الجرفة الواحدة بينما تتمكن سفن اخرى من اصطياد كميات هائلة من اسماك (الاسقمري) بمعدل عشرة اطنان في الساعة. وتشمل انواع الاسماك في هذه المياه انواعا محببة مثل (الابراميس) او (الشبوط) و (البراكودا) و(الخفش) و (العضاض) او (النهاش الاحمر والجبار) و الصبيدح بل وحتى الاخطبوط والجمبري (الروبيان).

هذا وتملك سلطنة عمان شواطىء يبلغ طولها ١٧٠٠ كم على الساحل، حيث يعتبر قطاع الثروة السمكية ثالث قطاع من القطاعات الاقتصادية بعد قطاعي النفط والمعادن والزراعة وترجع اهمية هذا القطاع الى ان عدد المشتغلين به يبلغ ١٥٪ من الايدي العاملة بالسلطنة بالاضافة الى ان السمك يعتبر وجبة غذائية شعبية رئيسية لدى سكان السلطنة، كما ان الشواطىء العمانية تعتبر الشواطىء الزاخرة بالثروة السمكية ولذلك فقد قدرت خطة التنمية الخمسية ٧٦/ ١٩٨٠ استثمارات حكومية قيمتها (١٤٫٤) مليون ريال عماني لمشروعات الاسماك.

الانتاج السمكي :

وبعد ان فرغت الوزارة (المديرية العامة للاسماك) من دراستها انتقلت الى مرحلة الانتاج السمكي المكثف بغرض مواجهة الاستهلاك المحلي من ناحية وزيادة الصادرات من ناحية اخرى.

وفي هذا المجال قامت بتوقيع اتفاقيتين متكاملتين، الاولى مع شركة (ارابكو) النيوزلندية لبناء التسهيلات الانتاجية والتسويقية السمكية في منطقتي مطرح وصلالة بتاريخ ١٩٧٥/٦/٢٤، حيث قدرت الجهات المختصة بان كميات السردين مثلا التي يصطادها الصيادون بواسطة الشباك اليدوية يقدر بـ (٤٠) الف طنا يمكن زيادتها الى (٦٠٠) الف طنا باستعمال الطرق الحديثة في الصيد التي ستؤدي كذلك الى زيادة صيد سمك (التونة) الى ما يتراوح بين ١٠ ـ ٦٠ ألف طن، وكذلك زيادة صيد (اللوبستر) والمحار والاسماك الصدفية وتصديرها.

اما الاتفاقية الثانية فهي اتفاقية امتياز لصيد الاسماك مع شركة (تايونيشوا أبوا) اليابانية على اساس المشاركة التي عقدت في ١٩٧٦/٤/١٢.

وبمقتضى هذه الاتفاقية تمنح الحكومة الشركة اليابانية امتيازا خاصا لصيد الاسماك في المياه العمانية لمدة عام قابل للتجديد لمدة ثلاثة اعوام كحد اقصى. ويحق للشركة بمقتضى هذه الاتفاقية القيام بعمليات صيد الاسماك بواسطة المراكب الجارفة في المنطقة الواقعة بين جزيرة مصيرة وجزر كوريا موريا.

هذا وتهتم الجهات المعنية في السلطنة بتشجيع صيادي الاسماك بموجب قرار وزاري صدر في ١٩٧٦/١٠/٢٦ انشيء بموجبه صندوق خاص للصيادين لمساعدتهم في الحصول على احتياجاتهم من الزوارق والشباك ومعدات الصيد الحديثة.

ومن أجل تحقيق هذه الاهداف فان الصندوق يتولى ما يأتي :

١ ـ توفير كافة معدات الصيد للصيادين على صورة قرض بدون فائدة علاوة على تحمل الصندوق نسبة ٦٠٪ من ثمن المعدات وتقسيط الباقي على اقساط شهرية مع مراعاة الظروف الاقتصادية والاجتماعية للصياد.

٢ ـ اقامة موانىء للصيادين في كل من منطقة العاصمة وصور وصحار ومسندم وجزيرة مصيرة.

٣ ـ اقامة ورشة بحرية في كل منطقة من مناطق الصيد الست الرئيسية في السلطنة التي تشتمل على مسقط ومطرح وصور وصحار وصلالة ومسندم ومصيرة.

٤ ـ وضع البرامج الارشادية لتعريف وتدريب الصيادين العمانيين على احدث اساليب الصيد، وطرق استخدام القوارب والمعدات المتطورة.

اما بالنسبة للاتجاه الثاني المتعلق بزيادة الانتاج السمكي لمواجهة احتياجات الاستهلاك المحلي وتصدير الفائض فان مشروع الخطة يتضمن :

١ ـ توسيع نواة اسطول الصيد العماني لتشمل تسع سفن للصيد (ترولرز) بالاضافة الى السفن الثلاث الموجودة حاليا.

٢ ـ اقامة مشروعات التبريد، ومصنع الثلج، ومراكز تسويق للسمك المبرد في كافة مناطق السلطنة، وكذلك اقامة مصنع تنظيف وتغليف السمك في جميع انحاء البلاد.

٣ ـ اقامة مصنع لتعليب سمك السردين والتونة بطاقة انتاجية قدرها (٤٠٫٠٠٠) علبة من السردين و (٣٠٫٤٠٠) علبة من التونة يوميا.

ومن هذا يتضح بان الخطة الخمسية تراعي اعتبارات التوازن في توزيع المشروعات السمكية، بحيث تشمل مشروعاتها كافة المناطق بالسلطنة[١٣٨].

---

(١٣٨) تعتبر السلطنة اول دولة خليجية تقوم بتصدير الاسماك الى الدول الاخرى مثل الكويت وايران والاردن والامارات العربية وقطر والسعودية، وقد علمنا بان الاتفاق قد تم على تصدير كمية من الاسماك الى العراق، وهي تشحن في صناديق تتراوح سعتها بين (١٨ ـ ٢٤) كيلوغراما مغلفة من الداخل بطبقة من البلاستك. وتوجد حاليا في السلطنة ثلاث سفن عصرية لصيد الاسماك وهي (خصب) و(ضلكوت) و(بخا) وتستوعب كل منها ما يقرب من عشرين طناً من الاسماك التي من اشهرها (الكنعد) و(الهامور) و(السهوة) و(الشارخة)، (المؤلف).

الاهتمام بتربية السلاحف البحرية :

في حديثنا هذا عن الثروة السمكية في السلطنة، لن يفوتنا الحديث عن السلاحف التي تزخر بها الشواطىء العماني حيث استحدث المسؤولون (مشروع السلاحف البحرية) التابع للصندوق العالمي للحياة البرية، حيث تكثر السلاحف البحرية في السلطنة وبانواع نادرة كادت تنقرض من العالم. ولقد قامت المديرية العامة للاسماك باعداد دراسة عن هذه السلاحف لاستغلال لحومها.

ومن المعلوم ان السلاحف البحرية هي زواحف كبار تتنفس الهواء وتعيش في البحر فلا تخرج منه الا للتنفس ولتضع مئات البيض الذي يأكله الطير والاسماك وبعض الاحياء المائية والناس.

هذا وهناك خمسة انواع من السلاحف في عمان وهي (الرماني) والسلحفاة الخضراء التي يطلقون عليها اسم (الحمسة) باللهجة المحلية. وهما موجودتان بكثرة في مياه السلطنة. وسلاحف (الشرفاف) والتكثار والسلحفاة المسماة (اليف ردلي) والسلحفاة الجلدية الموجودة باعداد قليلة في المياه العمانية. اما السلحفاة (الرمانية) وهي كبيرة الحجم بنية اللون فانها تعيش باعداد كبيرة في جزيرة (مصيرة) حيث يجمع السكان بيضها لطعامهم. واما السلحفاة الخضراء التي يصطادها المواطنون بالشبك وبالرمح فان لحمها يشبه لحم البقر كما يقولون..!

ويقوم المسؤولون في مديرية الاسماك العامة بدراسة علمية لتربية هذه السلاحف وخاصة السلحفاة الخضراء في زرائب مصنوعة خصيصا لهذا الغرض من اجل تكثيرها وتصديرها مع العناية بحماية الانواع الاخرى ومنع قتلها عند تعشيشها على السواحل.

الفصل التاسع
الخدمات في السلطنة

الاهتمام بتربية السلاحف البحرية :

في حديثنا هذا عن الثروة السمكية في السلطنة ، لن يفوتنا الحديث عن السلاحف التي تزخر بها الشواطىء العماني حيث استحدث المسؤولون (مشروع السلاحف البحرية) التابع للصندوق العالمي للحياة البرية ، حيث تكثر السلاحف البحرية في السلطنة وبأنواع نادرة كادت تنقرض من العالم . ولقد قامت المديرية العامة للاسماك باعداد دراسة عن هذه السلاحف لاستغلال لحومها

ومن المعلوم ان السلاحف البحرية هي زواحف كبار تتنفس الهواء وتعيش في البحر فلا تخرج منه الا للتنفس ولتضع مئات البيض الذي يأكله الطير والاسماك وبعض الاحياء المائية والناس

هذا وهناك خمسة انواع من السلاحف في السلطنة هي (الرماني) والسلحفاة الخضراء التي يطلقون عليها اسم (الحمسة) باللهجة المحلية . وهما موجودتان بكثرة في مياه السلطنة . وسلاحف (الشرفاف) والركار والسلحفاة المسماة (اليف ردلي) والسلحفاة الجلدية الموجودة باعداد قليلة في المياه العمانية . اما السلحفاة (الرمانية) وهي كبيرة الحجم بنية اللون فانها تعيش باعداد كبيرة في جزيرة (مصيرة) حيث يجمع السكان بيضها لطعامهم . واما السلحفاة الخضراء التي يصطادها المواطنون بالشباك وبالرمح فان لحمها يشبه لحم البقر كما يقولون . . . !

ويقوم المسؤولون في مديرية الاسماك العامة بدراسة علمية لتربية هذه السلاحف وخاصة السلحفاة الخضراء في زرائب مصنوعة خصيصا لهذا الغرض من اجل تكثيرها وتصديرها مع العناية بحماية الانواع الاخرى ومنع قتلها عند تعشيشها على السواحل .

المجال الاعلامي

تضطلع وزارة الاعلام والثقافة بمهمتها الاعلامية المعتادة للدولة حيث تقوم، على المستوى الداخلي، بتوعية المواطن العماني وتبصيره بما يدور حوله اما على المستوى الخارجي فقد دأبت على تعريف العالم بما يجري في سلطنة عمان من انجازات مستعينة بوسائل الاعلام المتنوعة كالصحافة والاذاعة والتلفزيون.

ففي مجال الاذاعة والتلفزيون تم افتتاح التلفزيون الملون في مسقط بمناسبة العيد الوطني الرابع في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٤ كما افتتح التلفزيون الملون الذي يعمل بنظام (سيكام) الفرنسي ومبنى الاذاعة الجديدة ومحطة ارسالها في صلالة في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٥ بمناسبة العيد الوطني الخامس. وقد اصبحت هذه المحطة الاخيرة تغطي المنطقة الجنوبية وتساهم الى جانب اذاعة وتلفزيون مسقط في اسعاد وتثقيف المواطنين حيث يغطي الانتاج المحلي العماني ما نسبته ٨٠٪ من البرامج التلفزيونية وما يزيد على ٨٥٪ من برامج الاذاعة اليومية التي تذيع باللغة العربية اضافة الى اذاعة ساعتين يوميا باللغة الانجليزية من اذاعة مسقط من اجل ايصال الصوت الاعلامي الى ابناء الجاليات الاجنبية المقيمة في البلاد وربطها بمجريات الاحداث وتطوراتها في السلطنة وفي الخارج.

اما في مجال المطبوعات والنشر فقد اصدرت الحكومة القانون الخاص بذلك عام ١٩٧٥ من اجل تنظيم الوسائل اللاعلامية وجعلها في خدمة المواطن.. هذا الى جانب دعمها للصحافة المحلية وتشجيعها حيث تصدر في عمان الصحف والمجلات الآتية:

١ ـ مجلة النهضة ـ وهي مجلة سياسية اجتماعية مصورة نصف شهرية.

٢ ـ مجلة الاسرة ـ وهي مجلة سياسية مصورة نصف شهرية.

٣ ـ مجلة العقيدة ـ وهي مجلة اسبوعية سياسية جامعة.

٤ ـ مجلة جند عمان ـ وهي مجلة عسكرية شهرية مصورة يصدرها قسم التوجيه المعنوي بوزارة الدفاع

٥ ـ مجلة الوحي ـ وهي مجلة دينية شهرية جامعة تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الدينية .

٦ ـ جريدة عمان ـ وهي جريدة اسبوعية تصدرها وزارة الاعلام والثقافة مرتين في الاسبوع .

٧ ـ جريدة الوطن ـ وهي جريدة اسبوعية تصدرها المؤسسة العمانية للصحافة والنشر .

كما اصدرت الوزارة مجلة الدراسات الاثرية العمانية وهي مجلة متخصصة تصدر في كل عام لتغطية النشاط الآثاري الذي تقوم به الوزارة في الحفر والتنقيب عن الآثار القديمة .

هذا بالاضافة الى قيام الوزارة باصدار مطبوعات اعلامية انيقة باللغة العربية وبعض اللغات الاجنبية كالانجليزية والفرنسية .

واذا ما علمنا بان الصحافة العمانية لم يتجاوز عمرها سبع سنوات بعد ، ادركنا الخطوات المهمة التي قطعتها هذه الصحافة في هذا المدى القصير ولا شك ان من اكثر ادلة التقدم على طريق الصحافة ونهضتها انشاء المطابع الحديثة في السلطنة حيث اصبحت هذه الصحف والمجلات تطبع في عمان نفسها بعد ان كانت تطبع في القاهرة وبيروت .

وأما في مجال الاعلام الخارجي فقد انشأت الوزارة مكتبا للاعلام في نيويورك يعني بنشاط الدولة الاعلامي سواء في الولايات المتحدة الامريكية اوفي نطاق الاسرة الدولية ، كما افتتحت مراكز اعلامية اخرى في بعض الدول الاوروبية والآسيوية .

واما في المجال الثقافي فقد عنيت الوزارة باحياء المواسم الثقافية كل عام حيث دأبت على دعوة بعض ارباب الفكر من عمان وخارجها لالقاء محاضرات عامة في شتى الموضوعات .

وفي مجال المعارض الدولية حرصت الوزارة على المشاركة في معظمها من اجل التعريف بالواقع الحضاري للسلطنة كوسيلة من وسائل الاعلام الهامة التي تحظى باهتمام قطاعات واسعة من الناس في كل مكان في العالم .

وقد كان من المعارض الدولية التي شاركت فيها الوزارة (معرض رين التجاري) الذي اقيم في فرنسا في شهر نيسان ١٩٧٦ و(معرض باريس الدولي) الذي اقيم في شهر مارس ١٩٧٦ و(معرض الفنون الاسلامية) الذي اقيم خلال المهرجان الاسلامي في لندن من شهر نيسان حتى شهر حزيران من العام نفسه و(معرض بغداد الدولي) عام ١٩٧٨ وغيرها، حيث كانت الاجنحة العمانية موضع تقدير من شهودها كما جاء في اقوال الصحافة الاجنبية التي اطلعنا عليها.

هذا وقد نظمت الوزارة اسبوعا ثقافيا عمانيا في تونس في الفترة من ٢٦ تموز الى ٢٠ آب عام ١٩٧٦ كان موضع تقدير من شهدوه حيث قامت (فرقة الفنون الشعبية العمانية) بعرض انواع من انشطتها هناك بالاضافة الى العروض الفنية التي قدمتها خلال الدورة الرياضية الخليجية الرابعة التي اقيمت في دولة قطر او العروض التي تقدمها في المناسبات الوطنية.

وفي سبيل تدعيم الحركة الادبية وتطويرها في البلاد فقد نظمت الوزارة مهرجانا للشعر عام ١٩٧٦ شارك فيه عدد من الشعراء العمانيين واسفر عن فوز خمسة منهم بجوائز قيمة تعكس مدى اهتمام الوزارة باحياء الحضارة العمانية ورعاية الادب والفن العماني الاصيل كما وضعت الوزارة اللبنات الاولى لبناء المسرح العماني المعاصر وتدعيمه بالخبرات العربية في الاخراج والموسيقى والديكور ومحاولة ايجاد النصوص الملائمة لمسرحيات تعالج مشكلات البيئة العمانية بالتعاون مع بعض الممثلين العمانيين الناشئين وذلك بالاضافة الى المسرح المدرسي الذي انشأته وزارة التربية والتعليم حيث يتم عرض بعض المسرحيات المدرسية في التلفزيون العماني في مناسبات مختلفة.

واخيرا.. وليس آخرا.. لابد لنا من الاشارة الى المتحف العماني الحديث الانيق الذي يقع في مدينة الاعلام، والذي توليه وزارة الاعلام والثقافة عنايتها واهتمامها وفتحه للزائرين علامة مضيئة في تاريخ الانسان العماني، ذلك ان هذا المتحف رغم صغره وحداثة عهده قد ضم بين اجنحته في طابقين، تاريخ عمان وامجادها ممثلة في التحف والآثار القديمة والخرائط والرسوم التوضيحية والنماذج

المجسمة التي تمثل التطور الحضاري والثقافي لعمان الفينيقية . العربية الاسلامية عبر التاريخ . منذ العصر الحجري حتى الان. كما نشير الى المساهمات البناءة التي تقدمها الوزارة في مجال المشاركة في المؤتمرات والاجتماعات الاعلامية والثقافية على المستويين العربي والعالمي ومنها مؤتمرات وزراء الاعلام العرب واجتماعات اللجنة الدائمة للاعلام العربي واجتماع مسؤولي الاعلام في دول عدم الانحياز واجتاع الجمعية العامة لاتحاد الاذاعات العربية وغيرها من الاجتماعات والمؤتمرات .

المجال العمراني

لاشك ان النهضة العمرانية التي حققتها سلطنة عمان في هذه الفترة الوجيزة من عمرها منذ اواسط عام ١٩٧٠ تعتبر تجربة ناجحة انتشلت عمان من التخلف والكساد وقادتها الى الحضارة والرفاهية.

واذا ما علمنا بان البلاد كانت تقاسي من التخلف في جميع مظاهر الحياة قبل عام ١٩٧٠ وانها كانت تفتقر الى المباني الحكومية افتقارا شديدا، ادركنا عظم النهضة العمرانية التي يلمسها كل زائر لهذا البلد الشقيق.

وقد كان لوزارة الاشغال العامة التي انشئت عام ١٩٧٤ دور كبير في انجاح خطة التنمية الشاملة فمع كل خطوة من خطوات التنمية نجد ان هذه الوزارة تساهم بقسط كبير فيها متعاونة في ذلك مع جميع الاجهزة والدوائر الحكومية انطلاقا من ايمانها بالدور الفعال الذي يمكنها تأديته في تنفيذ خطط التنمية التي تتم في السلطنة بمعدلات عالية.

كما وتقوم الوزارة بالاشراف على جميع المنشآت الحكومية التي تقام في جميع انحاء السلطنة بما في ذلك اعداد التصميمات المعمارية والانشائية لمعظم المشروعات التي تزمع السلطنة انشاءها بالاضافة الى قيامها بمسؤولية صيانة جميع المستشفيات والمدارس ومباني الوزارات والدوائر الحكومية في ارجاء البلاد.

هذا ولقد قدرت خطة التنمية الخمسية المبالغ اللازمة في مجالي الاستثمارات الحكومية والقطاع الخاص بما تبلغ جملته (٧ر٦٨٣) مليون ريال عماني منها (٧ر٥٣٨) مليون ريال عماني استثمارات حكومية و (١٤٥) مليون ريال عماني استثمارات القطاع الخاص في مشروعات الاسكان. واما استثمارات الحكومة فانها تشمل ثمانية قطاعات فرعية هي:

الطرق - الموانىء - المطارات - البريد - المواصلات الكهرباء والمياه - الاسكان - الاعمال المدنية والتعمير - الانشاءات المدنية لوزارة الدفاع.

ومن هذا يتضح بان هذه الاستثمارات الحكومية تتكون من مشروعات مستمرة بدىء بتنفيذها قبل عام ١٩٧٦ حيث تم انجاز الكثير منها ومنها شق الطرق وتبليطها بين بعض المدن وانجاز مطار صلالة وصوامع الغلال في ميناء قابوس

ومحطة الغبرة لتحلية المياه وتوليد الكهرباء والهاتف الجديد وانجاز تحسين مطار السيب الدولي وميناء قابوس وميناء ريسوت ومشروعات المياه في الداخل والمنطقة الجنوبية وخدمات اخرى بمنطقتي الخوير والقرم واذاعتي وتلفزيون مسقط وصلالة ومستشفى صلالة وتوسيع مستشفى النهضة ومستشفى خولة في العاصمة.

اما المشروعات المستمرة التي لم يتم انجازها بعد فان من اهمها طريق مسقط - مطرح الجديد (الكورنيش البحري) وكهربة حوالي (٢٦) قرية وكهربة وتحلية مياه جزيرة مصيرة وتزويد قرى مسندم بالمياه وتحسين موانىء صور وصحار وشق طرق جبلية في المنطقة الجنوبية والمناطق الاخرى وبناء المدارس وغير ذلك حيث تستمر الحركة العمرانية في البلاد وكأنها ورشة عمل نشيطة ذلك ان المصروفات الرأسمالية للحكومة قد وزعت على وزارات الدولة بموجب الخطة الخمسية وبلغت جملتها (٩٣٤٫٧) مليون ريال عماني للسنوات ٧٦ و٧٧ و٨٧ و٧٩ و١٩٨٠.

وتقوم دائرة تخطيط المدن في الوزارة بتخطيط الاراضي في جميع مناطق السلطنة وفقا لاحدث النظم بحيث يتم تقسيم جميع الاراضي الى اربعة اقسام: سكنية او تجارية او صناعية اوزراعية مع القيام بتحديد مواقع الاسواق ومواصفات وشروط المباني وتخطيط الشوارع.

اما فيما يختص بشؤون البلديات فان هذه الوزارة تشرف على جميع البلديات في السلطنة حيث تقوم وحدات النظافة فيها ومكافحة الحشرات ومراقبة المواد الغذائية التي ترد الى الاسواق وامداد الاهالي بمياه الشرب وتوسيع وتحسين الطرق وبناء القناطر عليها وانشاء المجازر (المسالخ) الحديثة وغير ذلك من الاعمال التي تقوم بها البلديات.

مجال الطرق والمواصلات

ان تأمين شبكة حديثة من المواصلات يعتبر مظهرا حضاريا في كل دولة من اجل تدعيم الاقتصاد الوطني وتعميم التنمية في البلاد. وعندما انشئت وزارة المواصلات في عمان عام ١٩٧٢ عنيت بهذه الناحية عناية واضحة.

ففي ميدان الطرق يكاد يكون ما انجزمنها في هذا الوقت القصير نوعا مما تفخر به السلطنة خاصة اذا ما علمنا بانه لم يكن فيها قبل عام ١٩٧٠ اكثر من عشرة كيلومترات من الطرق المسفلتة حيث كان من الصعوبة بمكان الوصول الى مدن السلطنة المختلفة التي ظلت معزولة عن بعضها طوال العهد السابق.

هذا وان رصف طريق مسقط ـ خطمة ملاحة حتى حدود دولة الامارت العربية المتحدة (٣٣٨) كم والذي بدأ العمل فيه في عام ١٩٧١ وانتهى في عام ١٩٧٤، يعتبر انجازا ضخما في مجال شق الطرق ورصفها حيث ان هذا الطريق الستراتيجي يربط بين مختلف مدن ساحل الباطنة كما يربط السلطنة بدولة الامارات العربية عن طريق (الفجيرة) مما سهل عملية النقل بين السلطنة وجاراتها الشقيقة.

ولقد تم رصف جميع الطرق المؤدية الى المدن الهامة في السلطنة في نهاية عام ١٩٧٤ حيث كان لمناطق مسقط ـ مطرح ـ روى ـ السيب ـ صحار ـ نزوى ـ صور ـ صلالة نصيبا اوفر في شبكة الطرق العصرية الحديثة التي تم انجازها:

وفيما يلي اهم الطرق التي تم رصفها وكاد العمل ان يتم فيها:

١ ـ طريق مسقط / خطمة ملاحة وطوله ٣٨٨ كم.

٢ ـ طريقة طاقة ـ المعمورة في المنطقة الجنوبية وطوله ٢٦ كم.

٣ ـ طريق بدبد ـ صور وطوله ٢٦٣ كم.

٤ ـ السيب ـ نزوى وطوله ١٣٩ كم.

٥ ـ طريق روى ـ البستان وطوله ٧٫٥ كم.

٦ ـ الطرق الداخلية في صلالة وطولها ٣٥ كم.

٧ ـ طريق صلالة ـ ريسوت وطولها ١٥ كم.

٨ ـ طريق المصنعة ـ الرستاق وطوله ٤٣ كم.

٩ ـ طريق صحار ـ البريمي وطوله ١٧٥ كم .

١٠ ـ طريق روى ـ السيب المزدوج وطوله ٥٥ كم .

١١ ـ طريق مسقط ـ مطرح البحري وطوله ٦ كم .

١٢ ـ الطرق الداخلية لمطرح الكبرى وطولها ٤٢ كم .

١٣ ـ طريق مرتفعات القرم وطولها ١٣ كم .

١٤ ـ طريق صلالة ـ مدوي (الجزء الشمالي) وطوله ٥٠ كم .

١٥ ـ طريق صلالة ـ مدوي (الجزء الجنوبي) وطوله ٢١ر٥ كم .

١٦ ـ طريق روى ـ قريات وطوله ٨٨ كم .

كل ذلك بالاضافة الى الطرق العديدة التي يجري شقها في الجبال والتي تمثل الجهد الكبير في هذا العمل الهام الذي يجري تحت ظروف مناخية وطبيعية قاسية جدا حيث بلغ مجموع الطرق المرصوفة بالاسفلت في نهاية عام ١٩٧٦ اكثر من (١٢٧٢) كيلومترا بالاضافة الى (٨٥٠٠) كم من الطرق الترابية التي تم شقها وتمهيدها .

واذا ما علمنا ان البلاد كانت تفتقر الى الطرق الحديثة في العهد السابق حيث لم يكن هناك الا طريق واحد ضيق مبلط يربط مدينة مسقط بمدينة مطرح فقط ادركنا عظم الجهود التي يقوم بها العهد الحالي في هذا المجال حيث اتسع العمران ونشأت مدن جديدة في العاصمة مثل مدينة روى ومدينة القرم ومدينة قابوس ومدينة الاعلام وغيرها من المدن العصرية التي وان كانت قد بنيت على عجل في عهد النهضة ولم تقم (وخاصة مدينة روى التي انشئت في منطقة بيت الفلج) على اساس من التخطيط الهندسي ، الا انها تحفل بالعمارات الضخمة والدور السكنية العصرية الحديثة حيث تعتبر هذه المدينة منطقة السفارات والاحياء السكنية الراقية والمخازن العامرة والفنادق العصرية ومنها فندقي (الفلج) وملحق الفلج وفندق (روى) بالاضافة الى منطقة الفحل او (رأس الحمراء) التي تقع فيها فيلات موظفي (شركة تنمية نفط عمان) وناديها الفخم وميناء (الفحل) الذي يصدر منه النفط بالناقلات وعلى مقربة منه مدينة القرم وهي المنطقة السكنية العصرية الجديدة التي

يزينها (فندق الخليج) الرائع.

هذا وان من الاعمال الهامة التي تقوم بها الدولة حاليا شق كورنيش جديد في الجبال يصل بين منطقة روي على البحر وبين كورنيش مدينة مطرح الذي يقع عليه (ميناء قابوس) ثم ربط هذا الكورنيش بمدينة مسقط.وان من يطلع على هذا الكورنيش الجديد السياحي ويتطلع الى الجبال الصم السوداء في هذه المنطقة، يقدر عظمة الجهد الانساني المبذول في هذا المجال والذي ارتفع من جرائه عدد السيارات من (٨٤٠) سيارة عام ١٩٧٠ الى (٤٤٫٩٥٢) سيارة عام ١٩٧٦.

المطارات:

لم يكن في السلطنة قبل نهضتها الجديدة الامطار واحد صغير في منطقة (بيت الفلج) الواقعة في وادي روى قرب مطرح حيث تحيط به الجبال السوداء الصماء من كل جانب مما يعتبر خطرا على الملاحة الجوية ومن ثم كان توجيه السلطان قابوس بانشاء مطار عصري في منطقة السيب التي تقع في شمال مسقط بحوالي (٤٥) كيلومترا حيث اطلق عليه اسم (مطار السيب الدولي) وتم افتتاحه رسميا في شهر كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٧٣.

وقد زود هذا المطار باحدث المعدات وشيدت به اربعة مواقف للطائرات، ثلاثة منها للطائرات الكبيرة والرابع يتسع لحوالي (١٥) طائرة صغيرة كما انه يستقبل العديد من الطائرات العملاقة التي تتسع الواحدة منها لما يزيد على (٢٧٠) راكبا وتربو حمولتها على خمسة وثلاثين طنا من البضائع وباتساع العمل في هذا المطار ازداد عدد الشركات الجوية حتى بلغ عام ١٩٧٧ حوالي (١٦) شركة تربط بين عمان وبين بقية انحاء العالم.

ومن اجل مواجهة حركة الطائرات التي ازدادت بمعدل ٩٧٪ فقد ادخلت على هذا المطار تحسينات كبيرة وشيدت بقربه ساحة لسلاح الجو السلطاني بالاضافة الى انشاء مواقف خاصة بطائرات شرطة عمان السلطانية ومطار خاص بالسلطان كما تم تزويد جميع مواقع وقوف الطائرات بالاضواء الكاشفة وانارة جميع الممرات وساحات الوقوف وبذلك اصبح هذا المطار من المطارات الدولية المرموقة في المنطقة حيث قاعات الانتظار والترانزيت الانيقة النظيفة ومحلات بيع التحف

والسلع للمسافرين علاوة على الخدمات الاخرى.

هذا ولقد ازدادت حركة النقل الجوي في السلطنة وبلغ عدد المسافرين (١٧١٫٩) الف قادم و(١٥١٫٨) الف مغادر عام ١٩٧٦. والى جانب (مطار السيب الدولي) في العاصمة، فقد انشأت الدولة مطارا دوليا جديدا في صلالة عاصمة المنطقة الجنوبية وذلك الى جانب مطارها العسكري المستخدم حاليا. وقد افتتح هذا المطار الدولي الجديد افتتاحاً رسمياً في العيد الوطني السابع للسلطنة رغم ان شركات الطيران العالمية بدأت في استخدامه قبل بضعة شهور من افتتاحه الرسمي.

الموانىء :

لقد كانت عمان تعتمد قبل نهضتها الجديدة في عام ١٩٧٠ في الاتصال البحري والتجارة الخارجية على ميناء صغير يقع في خليج مسقط حيث لم يكن هذا الميناء يتسع لغير السفن الصغيرة ذات حمولة تتراوح بين ٢٥ ـ ٣٥ طنا والتي تحمل للسلطنة كميات ضئيلة من البضائع. ولم تكن هناك مخازن او مظلات لحفظ تلك البضائع بل كانت تترك في العراء عرضة لتقلبات الطقس والضياع، كما كانت مهمات الشحن والتفريغ تدار بالعمل اليدوي وحده.

ميناء قابوس :

يقع في خليج (مطرح) حيث تم افتتاحه رسميا في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٤ واصبح بامكانه استقبال جميع السفن من جميع الاحجام..

هذا وتبلغ مساحة ميناء قابوس (١٧) الف مترا مربعا وفيه احد عشر مرفأ ساعدت على ازدياد حجم البضائع الواردة الى السلطنة زيادة هائلة ذلك ان في وسع هذا الميناء استقبال ما وزنه مليون ونصف مليون طن سنويا من البضائع والمؤن والمواد اللازمة للانشاء والتعمير حيث يبلغ اعمق مرفأ فيه (٤٥) قدما، كما ان في الميناء صوامع للغلال تبلغ سعتها (٣٠) الف طن من الحبوب.

ولقد استقبل هذا الميناء (٥٦٣) باخرة من عابرات المحيطات في عام ١٩٧٥ حملت الى السلطنة ما زنته (١٫١٣٧٫٦٢٣) طنا من البضائع المختلفة

اضافة الى استقباله (٦٨٤) سفينة صغيرة بلغت زنة ما ورد عليها (٣٠) الف طنا من المواد. وبذلك تكون حركة الشحن والتفريغ قد ارتفعت في البلاد ارتفاعا كبيرا حيث ازدادت من (٧١) الف طن في عام ١٩٧١ (حيث بوشر باستخدام ميناء قابوس بصورة اولية قبل افتتاحه رسميا) الى (١٫١٧٩٫٠٠٠) طنا في عام ١٩٧٦.

ميناء ريسوت :

كان هذا الميناء الذي يقع على مقربة من مدينة صلالة في المنطقة الجنوبية، يعمل فيما مضى عملا موسميا ويتوقف العمل فيه اثناء موسم الرياح، وكان لا يتسع لغير السفن الصغيرة واللنشات وقد عملت الدولة على تعيمقه وتحسين مستوى الخدمات فيه فاصبح الان مدينة قائمة بحد ذاتها يستقبل السفن على مدار السنة حيث بلغت الحمولة المفرغة فيه من البضائع (٢٢٢) ألف طنا في عام ١٩٧٦ وبالاضافة الى هذين المينائين الهامين فان هناك موانىء اخرى في السلطنة، منها ميناء (الفحل) الخاص بشحن النفط الخام وميناء مدينة (صور) الذي تمخر سفنه عباب البحر من شرق افريقيا حتى الهند والخليج العربي.

المجال التعليمي

لقد عكس اقبال المواطنين الشديد على التعليم منذ عام ١٩٧٠ تاريخا مجيدا وحضارة راسخة احتفظت بجذوتها في الكتاتيب والمدارس القرآنية على الرغم من عهود التخلف والعزلة والحكم الرجعي المنغلق التي مرت بها السلطنة.

هذا وقد بلغت قيمة الاعتمادات المرصودة لاغراض التربية والتعليم منذ عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٧٥ وهي الفترة السابقة على وضع الخطة الخمسية للوزارة للفترة ٧٦/ ١٩٨٠ مبلغا قدره (٩ر٧٨٥ر٠٠٦) ريال عماني انفقت على بناء المدارس والمنشآت التعليمية هذا بالاضافة الى بعض المدارس التي بنيت من مساعدات بعض الدول العربية الشقيقة، علما ان المبالغ التي خصصت للتعليم كانت بنسبة ٢ر٧٠٩٪ من مجموع الميزانية العامة حيث استطاعت وزارة التربية والتعليم خلال السنوات السابقة لخطتها الخمسية، ان تنتشر بالتعليم في جميع انحاء السلطنة فتطور عدد التلاميذ الذي ازداد بصورة واضحة كما ازداد اقبال البنات على المدارس اقبالا ملحوظا رغم عدم وجود اية مدرسة للبنات في جميع انحاء السلطنة قبل عام ١٩٧٠.

واذا ما تحدثنا عن النهضة التعليمية في هذه السلطنة، فكاننا نتحدث عن ظاهرة غريبة لم يكن حتى التفكير في تحقيقها مستساغا. فبعد ان لم تكن توجد في السلطنة اكثر من ثلاث مدارس ابتدائية للبنين في مسقط وصلالة ومطرح حتى عام ١٩٦٩ لم يزد عدد تلاميذها على (٩٠٠) تلميذ يدرسهم ثلاثون معلما فقط ومدرسة تبشيرية واحدة في مسقط لا يزيد عدد طلابها على (٥٠) تلميذا وثلاث مدارس اخرى خاصة، وفي الوقت الذي لم يكن فيه اي نصيب للفتيات للمساهمة في هذا الحقل المهم، نجد ان عمان الحديثة قطعت اشواطا واسعة في مجال التربية والتعليم. في الفترة بين اعوام ٦٩/ ١٩٧٠ و٧٦/ ١٩٧٧ كالآتي:

عدد المدارس	٦٩/ ١٩٧٠	٧٦/ ١٩٧٧
للذكور	٣	١٢٦

للاناث	—	٥٨
مختلط	—	٧٧

عدد التلاميذ

ذكور	٩٠٩	٤٦٥١٠
اناث	—	١٨٤٦٥

عدد المدرسين

ذكور	٣٠	٢١٦٨
اناث	—	١٧٠

ومن هذا يتضح ان عدد المدارس بلغ (٢٦١) مدرسة وان عدد التلاميذ بلغ (٦٤٩٧٥) تلميذاً وتلميذة وان عدد المدرسين بلغ (٢٨٧٨) مدرسة ومدرسا في عام ١٩٧٧/٧٦ .

وبمناسبة الحديث عن التعليم نقول بان الوزارة قد تعاقدت للعام الدراسي ٧٦/٧٥ مع مدرسين من البلاد العربية لمواجهة احتياجات الصفوف الجديدة والمدارس الجديدة بلغ عددهم (٥٦٩) مدرسا ومدرسة منهم (٣٨٥) من جمهورية مصر العربية و (١٢٩) من المملكة الاردنية الهاشمية و (١٠٠) مدرس من المملكة العربية السعودية و (٤٨) من جمهورية السودان الديمقراطية و (٧) مدرسين من البحرين .

ولقد الغت وزارة التربية والتعليم امتحان الشهادة الابتدائية اعتبارا من العام الدراسي ٧٧/٧٦ وقررت اعتبار المرحلة الاعدادية (المتوسطة) الحد الادنى من التعليم الذي يناله الفرد العماني ورغم ان هذا القرار لا يعني الزامية التعليم الا ان ظروف السلطنة وحاجتها الماسة الى اعداد كبيرة من المواطنين لشغل معظم المراكز الفنية ، املت مثل هذا القرار بالاضافة الى ضرورة فتح المدارس امام الطلبة بدون قيود .

كما أجرت وزارة التربية والتعليم وللمرة الاولى في تاريخ السلطنة امتحانات شهادة الدراسة الثانوية العامة للبنات في عام ١٩٧٧/٧٦ بعد ان اجرى في العام الماضي اول امتحان لشهادة الدراسة الثانوية بقسميها العلمي والادبي .

هذا ومن الجدير بالذكر ان وزارة التربية والتعليم تقدم كل تشجيع ممكن للطلبة من اجل مواصلة تعليمهم واجتيازهم المرحلة الثانوية وارسالهم في بعثات تعليمية جامعية الى خارج البلاد.

كما وتبذل اهتماما ملموسا بالمناطق النائية لتوفير ما قد يحتاج اليه الطلبة في تلك المناطق نظرا لعدم توفرها بالشكل الذي تتوافر في بقية الاماكن كالمدن مع عدم التمييز في العلم والمناهج الدراسية بين ابناء الشعب.

المناطق التعليمية :

لقد قسمت السلطنة الى سبع مناطق تعليمية يدير كل منها مدير عام للتربية والتعليم وندون فيما يلي اسماء هذه المناطق وعدد مدارسها حسب احصائيات عام ١٩٧٧/٧٦ :

١ ـ العاصمة :

وتوجد فيها (٤٥) مدرسة منها (٣٣) ابتدائية و (١٠) اعدادية ومدرستان ثانويتان احداهما للبنين والاخرى للبنات. اما المدارس الابتدائية فان منها (١٥) مدرسة للبنين و (١٥) للبنات، و (٣) مدارس مختلطة.

٢ ـ الباطنة :

وتوجد فيها (٥٦) مدرسة منها (١٢) مدرسة ابتدائية للبنين و (٧) مدارس ابتدائية للبنات و (٢٩) مدرسة مختلطة و (٧) مدارس اعدادية للبنين ومدرسة اعدادية واحدة للبنات.

٣ ـ الشرقية :

وتوجد فيها (٤٠) مدرسة منها (١٠) مدارس للبنين و (١٠) مدارس ابتدائية للبنات و (٨) مدارس مختلطة و (١١) مدرسة اعدادية للبنين ومدرسة اعدادية واحدة للبنات.

٤ ـ الداخلية :

وتوجد فيها (٣٦) مدرسة منها (١٦) مدرسة ابتدائية للبنين و (٨) مدارس

ابتدائية للبنات و(٥) مدارس مختلطة و (٦) مدارس للبنين ومدرسة اعدادية واحدة للبنات .

٥ ـ الجنوبية :

وتوجد فيها (٥١) مدرسة منها (٢٨) مدرسة ابتدائية و (٦) مدارس ابتدائية للبنات و (١٣) مدرسة مختلطة ومدرستان أعداديتان للبنين ومدرسة اعدادية واحدة للبنات ومدرسة ثانوية واحدة للبنين .

٦ ـ الظاهرة :

وتوجد فيها (٢٤) مدرسة منها (٣) مدارس ابتدائية للبنين ومدرستان ابتدائيتان للبنات و (١٦) مدرسة مختلطة ومدرستان اعداديتان للبنين ومدرسة واحدة للبنات و

٧ ـ الشمالية :

وتوجد فيها (٩) مدارس منها مدرسة ابتدائية واحدة ومدرستان اعداديتان للذكور و(٣) مدارس ابتدائية للاناث و (٣) مدارس مختلطة .

وبذلك يكون المجموع الكلي لمدارس السلطنة (٢٦١) مدرسة منها (٢١٣) مدرسة ابتدائية و (٤٥) مدرسة اعدادية و (٣) مدارس ثانوية .

انواع جديدة من التعليم :

تعتبر الخطة الخمسية الاولى التي اعدتها وزارة التربية والتعليم للاعوام ٧٦/ ١٩٨٠ بداية حسنة لتنويع التعليم من أجل مواجهة متطلبات التنمية في السلطنة فقد استمر التعليم حتى عام ١٩٧٦/٧٥ قاصرا على التعليم العام ، ثم بدأ التنويع في عام ١٩٧٧/٧٦ بافتتاح اول معهد لاعداد المعلمين (البرنامج المعجل) حيث افتتح فصل لاعداد المعلمين في (ثانوية جابر بن زيد) بلغ عدد تلاميذه (٢٦) تلميذا من الناجحين في الصف الاول الاعدادي . ويعتبر هذا (البرنامج المعجل) مقدمة لمعهد اعداد المعلمين الذي افتتح عام ١٩٧٩/ ٧٨ ويشترط الالتحاق به الحصول على الشهادة الاعدادية ، كما تم افتتاح معهد لاعداد المعلمات يلحق باحدى المدارس الثانوية للبنات بالعاصمة وذلك ابتداء من عام ١٩٧٨/٧٧ .

وقد اشتملت الخطة كذلك على انشاء مدرسة ثانوية زراعية في (نزوى) مدة

الـدراسـة فيهـا ثلاث سنـوات بعـد الاعـدادية وتستوعب (٢٠٠) طالب كما تضمن مشـروع البنـك الـدولي واليـونسكـو انشـاء مدرستين اعـداديتين ذات طابـع عملي احدهما في (صحار) للبنين والثانية في (روى) للبنات ويعتبران بمثابة نموذج لتطوير التعليم الاعـدادي بالسلطنـة بحيث تتكـامـل فيـه الجوانب الاكاديمية مع الانشطة العمليـة ذات الطـابـع المهني وتـدخل كلفة هذه المدارس تحت بند مشروع البنك الدولي واليونسكو.

هذا ولقـد ادى التـوسـع الكبيـر في التعليم الى استخـدام المبنى المـدرسي فتـرتين وذلـك في بعض المنـاطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة، الامر الذي ادى الى قصر الفترة التي يقضيها التلميذ في المدرسة وبالتالي الى اختزال كثير من اوجه النشاط التربوي مما يؤثر على العملية التربوية.

ولقد راعت الخطة الخمسية لوزارة التربية والتعليم الاتجاه الواضح في زيادة معدلات تسجيل البنات في مختلف مراحل التعليم، ولذلك فانها اخذت في الاعتبار استمرار وجود المدارس المختلطة حتى الصف الرابع الابتدائي بشكل عام في هذه المرحلة وذلك مراعاة للظروف الاجتماعية في السلطنة على ان يؤخذ بنظر الاعتبار موضوع زيادة عدد مدارس البنات في المستقبل بصورة تتناسب وزيادة الرغبة في التعليم.

(*) لقد علمنا مؤخراً أن جلالة السلطان قابوس قد وضع حجر الاساس لبناء جامعة تحمل اسمه في مسقط، وستفتح ابوابها في عام ١٩٨٦ وتضم خمس كليات هي كلية العلوم والهندسة والطب (والزراعة والاسماك) والتربية. (المؤلف)

المجال الاجتماعي

تتولى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والتي انشئت لاول مرة في تاريخ سلطنة عمان في منتصف عام ١٩٧٢ مسؤولية النهضة الاجتماعية باعتبارها وزارة الاسرة والمجتمع ولذلك فقد تضمنت اختصاصاتها النواحي الآتية :

١ - اجراء الدراسات العلمية والبحوث الفنية والتجارب والمشروعات التطبيقية في مختلف المجالات الاجتماعية بالسلطنة من اجل تهيئة فرص التطور الاجتماعي للمواطنين وتوفير مقومات الحياة الكريمة لهم بما يؤدي الى التفاعل الايجابي المشترك بين الجهود الاهلية والجهود الحكومية في التنمية الشاملة .

٢ - تولي مسؤولية اقتراح التشريعات الكفيلة بحماية العمال وتنظيم علاقاتهم مع اصحاب الاعمال على اساس من التكافل والتعاون .

٣ - التخطيط لاستثمار وتنمية القوى البشرية العمانية والعمل على اتاحة فرص العمل المناسبة لكل مواطن .

٤ رسم السياسة العامة للرعاية الاجتماعية للاسر المحتاجة بالسلطنة بسبب المرض او العجز او الشيخوخة او الترمل او اليتم وتقديم المعونات المادية المناسبة لكل حالة من الحالات .

٥ - تقديم المساعدات العاجلة للمتضررين من الحرائق او الكوارث .

٦ - النهوض بالمجتمعات بشتى انحاء السلطنة بما يتناسب مع ظروف كل منها والعمل على ايجاد الترابط بين جهود المواطنين مع الجهود الحكومية في مختلف المجالات .

٧ - الاهتمام بالبرامج والمشروعات التي تهدف الى رعاية الطفولة والامومة .

٨ - توفير المساكن الصحية باسعار مناسبة للمواطنين من ذوي الدخل المحدود والمتوسط في حدود الامكانات المتاحة مع ضمان عدالة التوزيع .

٩ - تلقي طلبات الاجانب والترخيص لهم بالعمل وتجديد هذه التراخيص بناء على اللوائح الموضوعة .

١٠ - الاشراف على الشركات ومراقبتها من حيث تنفيذ قانون العمل وتقديم

الخدمات الصحية والمساكن وتخصيص اوقات الراحة وتوفير مستلزمات الامن الصناعي للعمال والعاملين بها.

١١ ـ التخطيط لتنمية القوى البشرية الفنية اللازمة بمختلف دوائر الوزارة والوحدات الميدانية وتنظيم الدورات التدريبية لهم رفعا لكفاءتهم الفنية في تنفيذ الخطة.

وانطلاقا من هذه الاهداف التي تعمل الوزارة على تحقيقها، فقد انشئت في الوزارة مديرية عامة لشؤون العمل والعمال، كما انشئت بعض مراكز للتدريب المهني حيث يتدرب منتسبوها على اعمال الميكانيك والنجارة والكهرباء وتصليح السيارات وكذلك على الآلة الكاتبة ومسك الدفاتر والسجلات التجارية هذا بالاضافة الى المديرية العامة للشؤون المالية والادارية.

وهكذا وضعت الحكومة العمانية خطة شاملة للتنمية الاجتماعية وللوصول الى الاستخدام الامثل للقوى العاملة في البلاد وتنمية المجتمعات المحلية في سائر انحاء السلطنة على ضوء التفهم الكامل للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في عمان.

وفي خلال الاعوام الستة من عمر السلطنة حققت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل نجاحا ملحوظا في تقديم خدمات الضمان الاجتماعي كما بذلت جهودا ملموسة في تقديم الرعاية للعمال وتنفيذ قانون العمل بما يحقق المساواة في تهيئة فرص العمل امام المواطنين وفي تقديم المساعدات الطارئة لهم في حالات الكوارث الناجمة عن الامطار والحرائق والاعاصير مما يتكرر حدوثه في البلاد.

هذا وتقوم الوزارة بمشروعات اخرى لخدمة المواطنين منها:

١ ـ مشروعات التأهيل المهني ومساعدة الاسر المنتجة حيث خصصت الوزارة اماكن في المراكز الاجتماعية التي انشأتها تعتبر كنواة لمراكز التدريب والتأهيل النسوي للقيام ببعض الاعمال المناسبة كالخياطة والتطريز وغيرها مع ايجاد مشروعات تأهيلية بهدف ايجاد مورد دائم للرزق للاسر المحتاجة.

٢ ـ مشروعات الوحدات أو المراكز الاجتماعية حيث تم انشا وحدات للشؤون الاجتماعية في العاصمة والمنطقة الجنوبية ومنطقة الباطنة والمنطقة

الداخلية والمنطقة الشرقية وغيرها من المناطق.

٣ ـ مركز التدريب المهني : انشىء هذا المركز ليسهم في توفر الايدي الفنية الماهرة العمانية اللازمة لخطة التعمير والبناء في البلاد.

ومع ان انشاء المركز يعود الى عام ١٩٦٧ حيث استحدثته (شركة تطوير نفط عمان) كمدرسة صناعية الا انه تطور عام ١٩٧٤ ويسمى (معهد عمان الصناعي) ثم افتتح مبناه الجديد عام ١٩٧٥ ليكون مركزا للتدريب المهني يحتوي على (١٦) صفا دراسيا الى جانب المكتبة والادارة ويضم خمسة اقسام للكهرباء والسيارات والميكانيك والنجارة وصناعة الاثاث والادارة العامة حيث يدرس طلبته الكتابة على الآلة الكاتبة والحسابات التجارية ومسك الدفاتر.

وقد افتتح في هذا المركز قسم لتدريب الطلبة على صيانة الراديو والتلفزيون ومبادىء المواصلات السلكية واللاسلكية الى جانب تدريبهم على البناء والرسم الهندسي.

هذا وتبلغ مدة الدراسة في هذا المركز ثلاث سنوات حيث يبلغ عدد طلبته (١٥١) طالبا اما عدد المدرسين فيبلغ (١٨) مدرسا.

المساكن الشعبية

منذ ان استصدرت الوزارة قانون المساكن الشعبية عام ١٩٧٤ وهي تبذل جهدها في ايجاد المساكن المناسبة لمتوسطي الدخل ومحدوديه حيث تم انشاء (٦٧٦) مسكنا شعبيا حتى نهاية عام ١٩٧٦ في مختلف انحاء البلاد وزعت على المستحقين من ابناء الشعب.

وقد اطلعت في العدد المؤرخ ٢١ مارس ١٩٧٨ من جريدة (عمان) على تصريح لوزير الشؤون الاجتماعية والعمل العماني جاء فيه ان وزارته ستبدأ في تنفيذ مشروعات جديدة في مجال الاسكان الشعبي في العديد من مناطق السلطنة حيث تم توزيع (٣٤٠) مسكنا شعبيا في منطقة العاصمة و(١٠٠) مسكن في مدينة صحار بالاضافة الى (٢٠٠) مسكن تم توزيعها في مدينتي (نزوى) و(البريمي) في اوائل عام ١٩٧٨.

وقد اضاف الوزير قائلا بان هناك (١٦٠) بيتا يجري تنفيذها منها (٧٢) بيتا في مدينة (خصب) و (٤٨) بيتا في مدينة (دبا) و (٤٠) بيتا في مدينة (محضة)، كما قال بانه سيتم خلال هذا العام انشاء اكثر من الف مسكن شعبي موزعة على النحو الآتي :

(٦٠٠) بيتا في جزيرة مصيرة وذلك تنفيذا لالتزام الحكومة بتعويض المواطنين الذين تضررت مساكنهم بالاعصار الذي ضرب الجزيرة في شهر حزيران (يونيو) عام ١٩٧٧ و (١٠٠) بيتا في (صلالة) و (١٠٠) بيتا في (صور) و (٨٠) بيتا في (عبري) و (٨٠) بيتا في (طاقة) و (٢٨) بيتا في (حفيت) و (٢٨) بيتا في (ضنك) و (٢٨) بيتا في (تنعم).

هذا وتمنح الحكومة العمانية قروضا للمواطنين تصل الى ٩٠٪ من كلفة البناء من بنك الاسكان العماني وتسدد القروض على مدى (٢٠) سنة بفائدة قدرها ٣٪ ويدفع المواطن العماني المقترض مبلغا رمزيا نظير الارض التي يحصل عليها. وقد بدىء بتنفيذ المشروع منذ عام ١٩٧٤.

رعاية شؤون العمال :

تعمل الوزارة عن طريق مديرية العمل والعمال على تنظيم سوق العمالة وتشغيل العمال وحل المنازعات بين العمال واصحاب الاعمال، كما تولي اهتماما خاصا لموضوع دفع تعويضات اصابات العمل.

هذا وتبلغ نسبة العمال العمانيين حتى اخر احصاء لشهر تموز (يوليو) ١٩٧٦ ٤٥٪ في قطاع التشييد والبناء و ٢٣٪ في قطاع النقل والمواصلات والتخزين و ١٨٪ في قطاع التجارة والمطاعم والفنادق و ١٢٪ في قطاع التمويل والتأمين والعقارات، مما يعني انعدام البطالة في البلاد حيث تم استيعاب جميع العمانيين طالبي العمل في الاعمال المناسبة علاوة على العمال الاجانب.

هذا وهناك بعض الخدمات والاعمال الاخرى التي تقدمها الوزارة ومنها مشروع ايواء مرضى الجذام المعدي حيث تم عزلهم في مجمعين احدهما في (الرستاق) والآخر في (سمائل) مع تقديم الرعاية الطبية والاجتماعية اللازمة لهم وقد بلغت تكاليف ايوائهم (٩٢٤٠) ريالا في عام ١٩٧٦.

ولا ننسى ونحن في ختام حديثنا هذا ان نشير الى المشروع الرائد الذي بدأت الوزارة في تنفيذه عام ١٩٧٦ وهو مشروع تنمية المجتمع حيث اختيرت بعض القرى العمانية في منطقة نزوى لتكون قرى تجريبية يشرف على تنفيذ التجربة الاجتماعية فيها شباب عمانيون من (الباحثين الاجتماعيين) حيث بدأ العمل الميداني منذ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٦ من اجل تطوير المجتمع العماني .

المجال الصحي

لقد دلت احصاءات وزارة الصحة، على ان عدد المستشفيات في مناطق السلطنة بلغ (١٣) مستشفى تضم (٧٨٦) سريرا بالاضافة الى (١٢) مركزا صحيا تضم (١٩٨) سريرا و (٤٠) مستوصفا تضم (١٦) سريرا وذلك في اواخر عام ١٩٧٦.

كما تشير تلك الاحصاءات الى ان عدد المرضى المعالجين في الاقسام الداخلية من الوحدات الصحية بلغ (٥٦١٢٩) مريضا بالاضافة الى معالجة (٥٦٩ر٣٤٢ر٣) حالة في الاقسام الخارجية وقد بلغ عدد العمليات الجراحية التي اجريت في الوحدات الصحية (٥٥١ر٣٦) عملية خلال عام ١٩٧٥ بالاضافة الى معالجة حوالي (٤٠) مرضا من الامراض المعدية.

وقد ركزت الوزارة جهدها على اوجه النشاطات الصحية المتمثلة في مكافحة الامراض المعدية وتقديم الخدمات الصحية والوقائية والعلاجية وانشاء وحدات فرعية صحية جديدة في القرى وانشاء مستوصفات متنقلة لخدمة المناطق النائية سواء كانت في الجزر او على قمم الجبال والوديان باستخدام نظام (الطبيب الطائر) مع توفير المستوصفات العائمة والتوسع في الامكانات الطبية الموجودة حاليا في بعض المستشفيات ومن اهمها مستشفى النهضة ومستشفى خولة ومستشفى الرحمة في العاصمة ومستشفى قابوس في صلالة والذي سنتحدث عنه في فصل قادم عند الحديث عن المنطقة الجنوبية.

هذا ويقع مبنى وزارة الصحة الذي كلف انشاؤه (٥ر١) مليون ريال في منطقة (الغبرة) في الطريق الى مطار السيب الدولي وهو بمنى يتسع لكافة الاجهزة الرئيسية المكونة للادارة المركزية للوزارة حيث يضم قاعة كبرى للاجتماعات ومكتبة حديثة بالاضافة الى شبكة حديثة من وسائل الاتصال السريع التي تيسر للوزارة اتصالا سريعا مع داخل البلاد وخارجها حيث تتعاون الوزارة مع المؤسسات الصحية الدولية ومع منظمة الصحة العالمية التي افتتحت مكتبا لها في مسقط عام ١٩٧٥ مما يساهم في تعزيز العلاقات مع هذه المنظمة الدولية التي تقوم بتنفيذ حملة مركزة

لمكافحة الملاريا في البلاد ويمولها برنامج الامم المتحدة للتنمية بالاضافة الى قيام مستشار المنظمة بوضع خطة لتطبيق الاجراءات الصحية تتولى الوزارة تنفيذها في (ميناء قابوس) كما يواصل صندوق اغاثة الطفولة الدولي تقديم مساعداته في مجال رعاية الامومة والطفولة في السلطنة وبالاضافة الى ما تقوم به هذه الوزارة على المستوى القطري فانها تسهم اسهاما واضحا في المؤتمرات الطبية التي تعقد على المستويات العالمية والاقليمية والعربية.

وهكذا يتضح مدى الجهد الذي تبذله الدولة في مجال نهضتها الصحية وتقديم خدماتها للمواطنين مستعينة في ذلك بخبرة بعض الاطباء العرب والاجانب اضافة الى خبرة بعض شبابها الذين درسوا في كليات الطب العربية والاجنبية ثم عادوا الى بلادهم وهم مزودون بالعمل والرغبة الصادقة لخدمة وطنهم في هذا المجال وهم يتولون اعمالهم في جميع الاقسام القائمة بالخدمات الصحية سواء كانت وقائية او علاجية وتدريب المواطنين العمانيين على تلك الخدمات مع التوسع في اقامة وحدات رعاية الامومة والطفولة في المناطق والعمل على نشر تلك الخدمات مع التوسع في اقامة وحدات الامومة والطفولة في المناطق والعمل على نشر الثقافة الصحية في المدارس والتجمعات السكانية على اوسع نطاق ممكن.

مجال العدل

إن من بعض سمات الفرد العماني شدة تمسكه بالدين الاسلامي ومحافظته على المفاهيم السامية التي انطوت عليها السنة النبوية الشريفة، اضافة الى احترامه ومحافظته على ما رسمه له المذهب الاباضي من قيم مستمدة من الكتاب والسنة النبوية الشريفة.

ولقد عكست السياسة التي رستمها الحكومة العمانية هذا الاعتزاز بالشريعة

الاسلامية والعناية بقضايا الاسلام والمسلمين، حيث احترمت حرية العقيدة والعبادة وحاربت الطائفية والعنصرية واقامت العدل بين المواطنين ورعت مصالحهم عن طريق محاكمها الشرعية التي كانت تتبع (نظارة الداخلية) حتى عام ١٩٧٠ ثم وزارة الداخلية بعد ذلك حيث كانت مسؤوليات العدل والقضاء من بعض اختصاصاتها فكانت المحاكم الشرعية تنظر في القضايا التي تعرض وتصدر احكامها بموجب الشرع الشريف وتعتبر تلك الاحكام نهائية ما لم يعترض احد الطرفين عليها حيث تعرض عند ذلك على محكمة الاستئناف في العاصمة، وهي هيئة قضائية مستقلة تتكون من خمسة او ستة قضاة مشهود لهم بالكفاءة والنزاهة وتكون احكام هذه المحكمة نهائية.

وفي ١٧ تشرين الاول (نوفمبر) ١٩٧٤ تم استحداث وزارة للعدل لاول مرة في السلطنة وهي تتألف من الادارات الآتية:

١ - الادارة المركزية.

٢ - الادارة المالية.

٣ - ادارة المحاكم في الولايات.

٤ - ادارة المحكمة الشرعية في العاصمة.

٥ - ادارة محكمة الاستئناف.

وتقوم ادارة المحاكم في الولايات بمهمة تنظيم المحاكم على اساس عصري يتلاءم مع تطور البلاد. اما ادارة المحكمة الشرعية بالعاصمة فانها تشرف على قسم الدعاوي وقسم الصكوك وقسم الارشيف بالاضافة الى عملها الاساسي، واما ادارة محكمة الاستئناف فانها تتولى النظر في القضايا التي ترفع لها وتبت فيها بصورة نهائية.

وتشرف وزارة العدل حاليا على (٤٣) محكمة منتشرة في ولايات السلطنة حيث يوجد في كل محكمة قاضي او اكثر، مهمته الفصل في الخصومات وحل المشاكل والمنازعات ايا كانت طبيعتها، حقوقية او جنائية. ومن الجدير بالذكر ان عدد القضايا التي عرضت على المحاكم في عام (١٩٧٦) بلغت قرابة (٨٦٢٦٨) قضية بين حقوقية وجنائية، كما بلغ الصكوك الشرعية التي اصدرتها تلك المحاكم

حوالي (٩٦٤٦٦) صكا من اقرار وسندات تمليك وهبة ورهن وغيرها.

وفي الوقت الذي تبذل فيه الوزارة جهدها للانصاف بين المواطنين، فانها نرعى القضاة وتعمل على انصافهم وتهيئة مساكن السكن المريحة لهم حيث انشأت قرابة (١٨) دارا للقضاة ومحكمة في ثمانية عشرة ولاية وفي كافة ارجاء السلطنة، وهي بصدد اتخاذ ما يلزم لانشاء مبنى خاص بها يتسع لاعمالها المتزايدة وتوسعاتها بعد ان ضاق بمكاتبها واقسامها المبنى الكبير في العاصمة وهو مبنى (مجمع الوزارات) الذي انشأ في العهد الجديد حيث سيضم المبنى الجديد مكاتب الوزارة وادارتها علاوة على المحكمة الشرعية في العاصمة ومحكمة الاستئناف والمحكمة العليا ودار الفتوى.

وكرغبة من الوزارة في توفير الراحة للقضاة فقد انشأت دارا لاستضافتهم عند مجيئهم الى العاصمة في مهمات رسمية.

ولقد حدثني السيد وزير العدل عند لقائي معه في مكتبه بان الوزارة قد عزمت على تدريب واعداد الشباب العماني للعمل القضائي ليقوموا بالدور الملقى على عاتقهم للنهوض بالمحاكم نهضة مباركة ولذلك فقد تم اختيار اثني عشر شابا ممن يدرسون في الجوامع من اجل تدريسهم علوم الشريعة بصورة واسعة وعلى اسس متينة تتيح لهم القيام بمهماتهم هذا بالاضافة الى الشباب العماني الذي يدرس في كليات الحقوق العربية حيث سيعودون الى بلادهم مزودين بالثقافة القانونية الجديدة التي تؤهلهم لاشغال مناصب القضاء.

هذا ولقد كنت بحثت مع السيد الوزير موضوع تطوير النظام القضائي في البلاد واستحداث محاكم خاصة بالقضايا المدنية ومحاكم اخرى خاصة بالقضايا الجنائية اضافة الى المحاكم الشرعية التي يديرها قضاة متمرسون مما يتيح المجال لاعمال المحاماة ويفسح الطريق للمحامين من الاقطار العربية الاخرى للعمل في السلطنة اسوة بما يجري اليوم في الدول الخليجية الشقيقة. فاجابني بان هذا التطوير في موضع النظر من قبل المسؤولين خاصة وان في الوزارة مستشارين من السودان والاردن يعملون على تنظيم الجهازين الاداري والقضائي في المحاكم كما

ان دائرة (الافتاء العام) برئاسة مفتى عام السلطنة قد الحقت بالوزارة في عام ١٩٧٦ وهي تقوم بواجباتها الملقاة على عاتقها حيث لا قيمة لاي انجاز اقتصادي او ثقافي في البلاد اذا لم يقترن ذلك الانجاز بتحقيق العدالة بين المواطنين فان العدل هو اساس الملك.

ومن الجدير بالذكر ان هناك محكمة جنائية هامة وهي محكمة الشرطة الجزائية في روى تختص بنظر جميع القضايا التي تقدمها الشرطة من مخالفات قانونية وجرائم في جميع انحاء السلطنة.

وقد نظرت هذه المحكمة (١٩٨٣) قضية خلال عام ١٩٧٥ رغم ان ملاكها يتكون من ثمانية اشخاص بالاضافة الى رئيسها.

وأما بالنسبة للعناية بالاسلام وشؤون المسلمين، فلقد استحدث العهد الجديد وزارة للاوقاف والشؤون الاسلامية في شهر مارس ١٩٧٣ حيث انطلقت الوزارة الجديدة تبني صرح البلاد على اسس راسخة من الايمان بالله والعقيدة الاسلامية فافتتحت ما يزيد على (٦٥٠) مدرسة لتعليم القرآن الكريم تضم (٢٤٠٠) طالبا وطالبة وخصصت معلما في كل منها تولي هذه المهمة، كما توسعت في انشاء المساجد الجديدة حتى بلغت اكثر من ثلاثين مسجدا كما قامت بترميم واصلاح ما يزيد على مائة مسجد قديم ووفرت الخطباء والأئمة اللازمين لتلك المساجد ووحدت أسس (خطبة الجمعة) بما ينسجم والاهداف المتوخاة منها.

وقد اوفدت الوزارة عددا من الطلاب للدراسة في الجامعات الاسلامية وعينت وعاظا في جميع مناطق البلاد كما دأبت على استقدام كبار رجال الدين والعلماء والمسلمين لالقاء المحاضرات الدينية في مختلف ارجاء السلطنة واصدرت مجلة (الوحي) التي تعني بالشؤون الاسلامية في عام ١٩٧٥ مما يساعد على ترسيخ مفاهيم الاسلام في نفوس المواطنين اضافة الى قيامها برعاية الايتام والارامل واستثمار ايرادات واملاك الاوقاف وانشاء المكتبات الاسلامية وافتتاح مراكز لتحفيظ لقرآن الكريم ضمن خطتها الخمسية.

مجال التراث القومي

ومن اجل احياء التراث القومي العماني فقد انشئت في السلطنة وزارة للتراث القومي عام ١٩٧٦ شملت اختصاصاتها المجالات الآتيه :

اولا - المخطوطات والمؤلفات العمانية :

وهي تختص في البحث عن المخطوطات القديمة في مجالات الدين والعلوم والطب والتراجم والعمل على جمعها وتصنيفها والتعريف بها.

وتشتمل هذه الوزارة على الاقسام الآتية :

١ - قسم التراجم : ويعني بالقيام بالبحوث والدراسات لتحديد اهمية الشخصيات التي كان لها دور بارز في حياة الوطن العماني وبيان ما قامت به تلك الشخصيات من اعمال ومنجزات كان لها الاثر الواضح في تاريخ عمان.

٢ - قسم التوثيق والتسجيل : ويعني بالبحث عن المخطوطات الاثرية والوثائق التاريخية التي لها صلة بالتراث القومي وجمعها وتصويرها وتصنيفها وتحليل المعلومات الواردة فيها ومعاونة الباحثين وتزويدهم بالمعلومات عن تلك المخطوطات والوثائق وتبادلها مع الجهات المماثلة في الدول الاخرى.

٣ - قسم الانتاج الادبي : ومهمته اعداد البحوث والدراسات عن المخطوطات والوثائق وبيان قيمتها واثرها في تاريخ البلاد مع القيام بانتاج المؤلفات الادبية المتعلقة بالسلطنة وما فيها واعداد المسابقات لتأليف الكتب حول الموضوعات والاحداث الهامة في التاريخ العماني.

٤ - قسم المكتبات : ويعني بنشر الوعي المكتبي بين المواطنين واقامة معارض للكتب والمخطوطات والوثائق ووضع السياسة الخاصة بانشاء المكتبات العامة على مستوى السلطنة وتزويدها بما تصدره الوزارة من مطبوعات.

ثانيا - الآثار :

وتختص بالكشف عن الآثار وحمايتها وصيانتها والاشراف على اعمال البعثات الآثارية والقيام بترميم القلاع التاريخية وصيانتها. وتتألف من الاقسام الآتية

١ ـ قسم البعثات الاثرية : ومهمته تتلخص في الاتصال بالبعثات والمراكز الاثارية والجامعات وتنسيق العمل معها لتنظيم اعمال التنقيب.

٢ ـ قسم التنقيب عن الآثار : ويختص بالاشراف المباشر على البعثات الاثرية العاملة في السلطنة وتوفير احتياجاتها.

قسم الصيانة والحفظ : ومهمته العمل على صيانة الآثار القديمة وترميمها والمحافظة عليها وابرازها من الناحيتين التاريخية والحضارية.

ثالثا ـ المتاحف :

وتختص باقامة المتاحف التاريخية التي تكشف عن ماضي عمان الحضاري وتضم الاقسام الآتية :

١ ـ قسم المتاحف التاريخية : الذي يقوم برسم سياسة اقامة المتاحف التاريخية في مختلف انحاء السلطنة والاشراف عليها من النواحي الفنية والادارية مع القيام بصيانتها وادامتها وتزويدها بما يستحدث من الاكتشافات التاريخية.

٢ ـ قسم الانتاج الفني : وهو الذي يقوم باعداد اللوحات التي تمثل اهم المعارك التاريخية العمانية وانتاج الوسائل التي تعمل على نشر الوعي والتعريف بالتراث القومي.

رابعا ـ الحصون والقلاع التاريخية :

وتختص بالاشراف على الآثار الحضارية العمانية القديمة وصيانتها وتضم الاقسام الآتية :

١ ـ قسم صيانة الآثار : ومهمته الاشراف على القلاع والحصون التاريخية وترميمها وحمايتها والمحافظة على ابراز الناحيتين الجمالية والاثرية فيها.

٢ ـ قسم الدراسات الآثارية : ويقوم باعداد الدراسات العلمية والتاريخية حول القلاع والحصون في السلطنة.

٣ ـ قسم الاتصالات الدولية : ومهمته الاتصال بالمنظمات الدولية لتبادل الخبرات والمعلومات والمشاركة في المؤتمرات الدولية المتخصصة.

وبمناسبة الحديث عن وزارة التراث القومي واستحداثها دائره خاصة بالحصون والقلاع العمانية التاريخية لابد لنا من القول بان عمان، وهي البلاد التي

تتميز بكثرة جبالها بين دول الخليج العربي تتميز بكثرة الحصون والقلاع . . صغيرها وكبيرها حتى لتكاد تجد حصنا على رأس كل جبل ذي موقع ستراتيجي . . . ولعل من اشهر قلاعها في مسقط العاصمة رغم انها ليست بقلاع عمانية الاصل، قلعة الجلالي وقلعة الميراني والاولى فارسية اما الثانية فبرتغالية وكذلك قلعة مطرح غير أن أشهر القلاع العمانية الاصيلة هي قلعة (جبرين) التي تتولى وزارة التراث القومي ترميمها وصيانتها حاليا، اما القلاع الاخرى فهي :

قلعة قصرى او (كسرى) في مدينة الرستاق.

قلعة بهلاء في مدينة بهلاء

قلعة الحزم في الرستاق

قلعة بني بوعلي

قلعة صحار

قلعة نزوى

ومن أجل اعطاء فكرة للقارىء الكريم عن كيفية بناء هذه الحصون والقلاع واهميتها العسكرية ندون فيما يلي وصفا مختصرا عن اهم تلك القلاع وهي قلعة جبرين.

قلعة جبرين :

ويطلقون عليها اسم (يبرين) حيث يقلب بعض العمانيين حرف (الجيم) (ياء) كما في جنوب العراق.

قلعة جبرين تعتبر من اجمل القلاع التي جسدها ذهن المهندس العماني المبدع فهي تضم الى جانب فخامة هيكلها، بصمات جمالية في طراز بنائها وهندسة اروقتها.

وتقع هذه القلعة في منطقة (عبري) على مسافة خمسة كيلومترات من مدينة (بهلا) واليها نسبت. وتبعد هذه المنطقة قرابة (٢٥٠) كيلومترا عن العاصمة مسقط. وقد بنيت منذ (٣٠٦) سنوات لتكون قصرا للحكم ومعقلا حربيا لحماية القيادة المركزية للدولة اليعربية حيث تم بناؤها في زمن الامام (سيف بن سلطان اليعربي).

تعتبر قلعة (جبرين) واحدة من مئات القلاع التي تنتشر في المدن العمانية الا انها تعتبر اجملها زخرفة في جدرانها وسقوفها.

وتتكون هذه القلعة من اربعة طوابق وفيها غرف وسراديب واسعة.

ان اتساع الباب الرئيسي للقلعة لا يزيد على قدمين وهو مصنوع من الخشب والحديد وبعد الدخول من هذا الباب الضيق وعلى مسافة مترين فقط يفاجأ الزائر بباب ثان وثالث حتى يصل البهو الداخلي الذي يجري فيه نهير تتوسطه بئر عميقة ثم تقود السلالم الزائر الى الطابق الثاني وفيه مرافق سكنية وسراديب مظلمة ثم الى الطابق الثالث الذي يؤدي الى غرفة مستطيلة منحنية السقف، مليئة بالنقوش والخطوط يتوسطها باب ينزل منه سلم طويل منحني وفي كل انحناء توجد سراديب مظلمة وغرف مخفية الابواب وفي نهاية السلم اي في الطابق الارضي يوجد ضريح الامام (سيف بن سلطان اليعربي) اما الطابق الرابع فان فيه غرفة ذات سقف منقوش وكأنه قطعة من السجاد الثمين الملون باجمل الالوان.

ان هذه القلعة التي كانت تتخذ حصنا عسكريا وسكنا تمتاز بتوفر كافة الشروط العسكرية فيها فالى جانب الابواب المخفية والغرف المجهولة تمتاز بهندسة عسكرية ممثلة في فتحات لفوهات المدافع ومنافذ لاطلاق الرصاص اضافة الى ضخامة الجوانب الخارجية كالابراج والجدران والاسوار الشاهقة والابواب والنوافذ السميكة التي بنى بعضها لغرض التضليل بحيث لا تطل على اي منفذ.

هذا وقد اشتهر اليعاربة ببناء الحصون حيث بنى الامام سلطان بن سيف، وهو والد بلعرب قلعة (نزوى) الشهباء.

ولقد دارت حول حصن جبرين احداث تاريخية هامة عندما خرج (سيف بن سلطان) على اخيه الامام (بلعرب بن سلطان) ودارت بينهما معارك مريرة حيث حاصر (سيف) الحصن فترة طويلة حتى انقضى النزاع بوفاة الامام (بلعرب) ودفن في الحصن نفسه.

وتدور حول وفاة بلعرب اسطورة تقول بان النزاع لما اشتد بين الاخوين، رأى عقلاء القوم ضرورة اغماد السيوف وان يتبارز الاخوان، فمن انتصر منهما اطاعه الناس واصبح هو الامام.

وحينما بلغ (بلعرب) خبر هذا الاتفاق، توضأ وصلى ركعتين وسأل الله سبحانه وتعالى ان يميته قبل المبارزة، فما ان انتهى من دعائه حتى سقط ميتا على بساطه، واصبح اخاه اماما حاكما على عمان دون ان يلتقي الاخوان بسيفيهما.

وتمضي الايام والحصن مع اليعاربة حينا ومع غيرهم حينا اخر حتى كانت الحادثة التي نالت من الحصن مالم تنل منه الحروب والفواجع.

وتلخيص الحادثة ان عبداً لراشد بن حميد الغافري، دخل الى اليعاربة خادما لهم، حيث بقي ستة اشهر في خدمتهم ثم خدع الجند واغلق القلعة، فقاتله الجند واجتمعوا عليه وحاصروه ثم احرقوا الباب ودخلوا عليه، فلما احس بالهلاك، رمى جذوة من النار على مستودع البارود فاشتعل القصر كله واحترق من احترق.

هذا ولقد كان الحصن يعيش اكتفاءه الذاتي، ففيه نهر جار (فلج) يمكن سحب الماء منه بواسطة الدلاء حتى من اعلى مكان فيه، كما ان فيه مخازن للمؤونة من التمر والدقيق وغيرهما، علاوة على مخازن للبارود والذخيرة ومسجدا خاصا بالامام (بلعرب) حيث كان يختلي فيه للعبادة، هذا بالاضافة الى غرف واماكن اخرى كثيرة خاصة بالجند وبالعبيد وبالنساء..

وفي الحصن الموضع الذي دفن فيه الامام (بلعرب) بالقرب من مجرى النهر، وقد كتب عليه بيتان من الشعر هما :

أتعبت نفسي في عمارة منزلي زخرفته وجعلته لي مسكنا

حتى وقفت على القبور فقال لي عقلي : ستنقل من هناك الى هنا

ونظرا لما كان يمتاز به هذا الحصن من جمال في البناء والريازة، فقد كان ولا يزال ذا اثر كبير على الشعراء العمانيين حيث نظم فيه الشاعر (على بن ناصر الريامي) ابياتا نذكر منها :

الله اكبر من قصر علا وسما وحصن يبرين في صرح العلا رسما

اكرم به انه الصرح الذي ثبتت اصوله وله فرع سما لسما

تصاغرت دونه الشهباء راسخة مجداً وفخراً فما ابقى به إرما

ويبدو ان الشاعر قد قصد (بان ذلك الحصن انما يطاول قصر «ارم ذات العماد» المذكور في القرآن الكريم)

هذا وقد بدأت الوزارة بترميم هذه القلعة المهمة اسوة بالحصون والقلاع الاخرى التي سعدنا بزيارتها .

خامسا ـ الحرف الوطنية :

وتعني بالصناعات الشعبية التقليدية مثل السيوف والخناجر والحلي واباريق القهوة والقدور النحاسية والسجاد والمنسوجات والحصر والسلال والابسطة ، والعمل على الحفاظ على هذا التراث الشعبي (الفلكلور) وتضم الاقسام الاتية :

١ ـ قسم البحث والاعداد : ومهمته القيام بالمسوح الميدانية فيما يتعلق بالحرف الشعبية التقليدية والعمل على انعاشها ورعاية اصحابها ووضع المشروعات اللازمة لتنشيطها وزيادة انتاجها .

٢ ـ قسم مراكز الانتاج : ويعني باقامة المراكز الخاصة بهذه الصناعات وتشجيع النشيء على تعلمها ومزاولتها ومعاونة محترفيها في تسويق منتجاتهم محليا وخارجيا ومساعدتهم في شراء المعدات اللازمة .

وقد تم فتح بعض هذه المراكز التي تعرض منتوجاتها للبيع في الفنادق الكبيرة في العاصمة مثل فندق الخليج وفندق الفلج وفندق روى وتشمل هذه المعروضات نماذج للسفن العمانية المشهورة والخناجر والسيوف والصناديق الخشبية ولقد علمت في اثناء تجوالنا في مبنى الوزارة الانيق واقسامه في (روى) بان هذه الوزارة رغم حداثة عهدها ورغم ان بعض دوائرها لم تستكمل تنظيمها الاداري ، الا انها تحاول القيام بواجباتها المناطة بها ما وسعها الجهد حيث زرت دوائرها المتخصصة وهي دائرة المخطوطات والمؤلفات العمانية التي تعني بجمع المخطوطات وفهرستها على النظام الحديث تبعا لميادين الاختصاص كما تقوم بتحقيقها ونشرها لتيسير الانتفاع بها حيث انشأت مكتبة لحفظ هذه المخطوطات التي وصل عددها الى (٢٥٠٠) مخطوطا منها المصاحف النادرة وكتب الحديث الشريف وتفسير القرآن الكريم والفقه الاباضي خاصة والادب والتاريخ والشعر والطب والعلوم البحتة كالفلك والرياضيات وغير ذلك .

وتعد بعض هذه المخطوطات التي اطلعنا عليها اثناء زيارتنا للمكتبة آية من

آيات الفن العربي الاسلامي سواء من حيث جمال الخط او الزخرفة بالالوان الذهبية الرائعة التي ما زالت تحتفظ بجمالها حتى الان . ومن هذه المجموعات ما كتب بخط مؤلفها نفسه مما زاد في قيمتها التاريخية والعلمية .

وتجري الى جانب عملية جمع المخطوطات وشرائها من مالكيها باسعار عالية ، عملية اخرى لا تقل عنها اهمية وهي اقتناء النسخ المصورة بطريقة (المايكروفيلم) والتصوير من المخطوطات الموجودة خارج السلطنة في مكتبات ومتاحف العالم وجامعاته في انجلترا وفرنسا وهولندة وغيرها من دول العالم التي تهتم بالتراث العربي القديم .

ولقد اطلعت اثناء تجوالي في هذه المكتبة الغنية رغم صغرها على كتاب (قاموس الشريعة) لمؤلفه جميل بن خميس السعدي وهويتكون من (٨٩) مجلدا وقد تم نسخه في عام ١٢٨٤ هجرية .

هذا ولا تزال في ايدي الافراد وفي المكتبات الخاصة بسلطنة عمان ثروة كبيرة من المخطوطات تقدر بحوالي (٣٠) الف مخطوط تبذل الوزارة جهدها لتجميعها في مكتبة قومية تكون مركزا حضاريا للفنون والعلوم ومركزا للدارسين والباحثين .

مجال رعاية الشباب

تعني الحكومة العمانية عناية ملموسة بالشباب انطلاقاً من ايمانها بالدور الذي يقوم به الشباب في بناء وطنه.

وعلى هدي من هذا الايمان فقد كانت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل تقوم بدورها الهام عندما استحدثت دائرة لشؤون الشباب ضمن تشكيلاتها.

وبالنظر الى انعدام التمييز بين الجنسين في عمان فان عضوية النوادي مفتوحة امام الفتيان والفتيات على حد سواء حيث تمارس الشابات نشاطهن الاجتماعي والرياضي والثقافي جنبا الى جنب مع الشباب.

وبحلول عام ١٩٧٥ كان عدد النوادي الاجتماعية الرياضية التي تأسست في العاصمة والولايات يربو على اربعين ناديا بعد تأسيس اربعة وعشرين ناديا خلال عام ١٩٧٤ وحده.

هذا وتضم العاصمة عشرة نوادي لها دورها الهام في تنشيط الحركة الاجتماعية والثقافية والرياضية في البلاد وهي نوادي (عمان ـ سداب ـ مطرح ـ النهضة ـ الاهلي ـ روي ـ بوشر ـ السيب ـ قريات ـ النادي الثقافي الوطني) كما تضم منطقة ساحل الباطنة تسعة نوادي والمنطقة الجنوبية اربعة نوادي كما فتحت نوادي جديدة في ولايات (خصب ـ بخا ـ دبا) بمنطقة مسندم اقصى حدود البلاد الشمالية وبذلك بلغ مجموع النوادي في السلطنة (٤٣) ناديا وكلها مبنية بناء عصريا ومزودة بالملاعب والادوات والاجهزة الرياضية علاوة على مكتبة ادبية ثقافية.

ولقد قمت بزيارة بعض هذه النوادي في العاصمة وخارجها واطلعت على النشاط الاجتماعي والرياضي الذي تمارسه علاوة على اقامتها ندوات تثقيفية وعرضها لمسرحيات وتمثيليات على مسارحها الخاصة حيث يشترك الشباب والشابات في تلك التمثيليات.

وبالنظر لما تظهره هذه النوادي من نشاط رياضي فقد منح جلالة السلطان كل ناد من نوادي السلطنة سيارة باص كبيرة لاستخداماتها الخاصة ولنقل لاعبيها من مكان الى آخر كما تم انفاق (٢٥) الف ريال عماني اعانات لدعم الاندية في عام

١٩٧٥ .

ونظرا للاهمية التي لمسها المسؤولون عن رعاية الشباب فقد صدر مرسوم سلطاني بتاريخ ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٧٦ نص على استحداث وزارة للشباب رسمت اهدافا متكاملة لرعاية الشباب تتجلى في النشاط المتعدد الذي يتمثل في تقديم المساعدات السنوية للاندية ومعاونتها في الحصول على الاراضي اللازمة لملاعبها ومبانيها، وفي تنظيم المسابقات الرياضية على المستوى المحلي والعناية بالنواحي الاجتماعية والثقافية للاعضاء وفي اعداد الفرق القومية لتمثيل السلطنة في الالعاب المختلفة في المباريات والمهرجانات العربية مما يتيح للشباب العماني فرصة التعرف على الشباب العربي والانفتاح على شباب العالم.

هذا ويعتبر (نادي عمان) من اشهر النوادي في السلطنة واقدمها حيث اسس سنة ١٩٤٢ .

وتتناول فعاليات هذا النادي والنوادي الاخرى، الميادين الرياضية المتنوعة مثل الهوكي والتنس وكرة المنضدة وكرة الريشة وكرة القدم وكرة الطائرة والسباحة والشطرنج وسلاح الشيش بجانب الالعاب الداخلية كالدومنة وغيرها.

اما بالنسبة للنشاط الثقافي والاجتماعي لهذه النوادي فانها قد اعتادت اقامة الندوات وتقديم المحاضرات الاجتماعية والتربوية والدينية والاقتصادية بالاضافة الى النشاط المسرحي وغيره كما تشارك هذه النوادي في الخدمات الاجتماعية كدرء اخطار الحرائق والعواصف وكوارث السيول والامطار حيث كان لها دور مهم في التخفيف من كوارث الاعاصير التي اجتاحت البلاد خلال شهر حزيران (يونية) ١٩٧٧ بما قدمت من معونات عينية ونقدية للمنكوبين والمعاونة في اسكانهم. واخيرا وليس آخرا فان هذه النوادي تشارك في حملات مكافحة الامية والحملات الصحية وفي المسيرات والاحتفالات الوطنية.

هذا ولن ننسى ونحن نتحدث عن الشباب وعن رعاية المسؤولين لهم وتشجيعهم ان نشير الى ان الكثير من طلبة المدارس العمانيين سواء كانوا يدرسون في عمان اوفي خارجها قد اتيحت لهم الفرصة للعمل في مختلف الوزارات والدوائر الحكومية اثناء العطلة الصيفية لكي يتعلموا ويتدربوا على تحمل المسؤولية

وليعدوا انفسهم لخدمة بلدهم في المستقبل بالاضافة الى مشاركتهم في المعسكرات الصيفية التي تقيمها الوزارة في بعض الاماكن العمانية السياحية الجميلة .

حركة الكشافة والمرشدات :

تعتبر الحركة الكشفية وجها آخر من وجوه استغلال اوقات فراغ الشباب واستثمار طاقاته من اجل البناء .

ولقد اتاح قانون الحركة الكشفية والمرشدات الفرصة لعمان للاشتراك في الحركة الكشفية العالمية والمشاركة في انشطتها على المستوى المحلي والدولي حيث يتمثل ذلك في اقامة المخيمات واجراء السباقات والمباريات بين مختلف المناطق .

هذا وان الاهتمام الواسع الذي اكتسبته الحركة الكشفية بين الشباب وحركة المرشدات بين الشابات يبرر رصد المبالغ الكثيرة التي اعتمدتها الدولة لسفر وفود كشفية ومرشدات عمانيات للاشتراك في مخيمات ومهرجانات كشفية عربية ودولية فقد حضر الكشافة العمانيون كثيرا من المخيمات الكشفية في الخارج ومنها المهرجان الكشافي الذي عقد في الكويت عام ١٩٧٣ والمخيم الكشافي الذي اقيم في لبنان عام ١٩٧٥ كما قام الكشافة العمانيون باداء فريضة الحج على نفقة الوزارة عام ١٩٧٤ .

ولقد قام الكشافة العمانيون بتنظيم مهرجان كشفي في منطقة بوشر عام ١٩٧٦ دام ثلاثة ايام حيث قامت فصائل كشافة منطقة العاصمة باستضافة خمسمائة من الضيوف الزائرين من مناطق اخرى من البلاد .

كما اقامت المرشدات مخيماتهن للمرة الاولى في تاريخ السلطنة في اوائل عام ١٩٧٥ في منطقة فنجا الجميلة ذات المياه الجارية والاشجار الظليلة ، وقد استمر ذلك المخيم لمدة ثلاثة ايام شاركت فيه المرشدات من مختلف ارجاء البلاد .

ولقد اظهرت المرشدات العمانيات نشاطا ملحوظا عند مشاركتهن في مخيم

المرشدات الذي عقد في الجمهورية التونسية في شهر اب (أغسطس) عام ١٩٧٦ اثناء فترة انعقاد المخيم العربي السادس للمرشدات حيث تم قبول عضوية جمعية مرشدات سلطنة عمان في المكتب العربي للمرشدات.

هذا وقد بدأت حركة المرشدات العمانيات في السلطنة منذ عام ١٩٧٢ واعتبرت احدى العلامات المضيئة على اقبال الفتاة العمانية على الخدمة العامة عندما شكلت فرقتان للمرشدات اولاهما بمدرسة الزهراء الثانوية للبنات بمسقط والثانية بمدرسة اسماء الاعدادية للبنات في مطرح ثم توسعت هذه الحركة في ارجاء السلطنة واصبح لها ادارة نشيطة في قسم النشاط المدرسي والخدمة الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم العمانية وتلقى هذه الحركة التشجيع والرعاية من قبل المسؤولين العمانيين حيث صدر في شهر تموز (يوليو) ١٩٧٧ مرسوم سلطاني بتشكيل هيئة قومية للكشافة والمرشدات وذلك تعديلا لقانون تنظيم الحركة الكشفية في البلاد.

هذا ولقد اعتمد المكتب العالمي للكشافة سلطنة عمان ضمن الاسرة الدولية وذلك بعد عام واحد من صدور المرسوم السلطاني عام ١٩٧٦ بانشاء الهيئة القومية للكشافة والمرشدات وقد اشتركت السلطنة في المؤتمر الدولي للكشافة الذي عقد في مونتريال في صيف عام ١٩٧٨ حيث قام المجلس الدولي للكشافة بتسليم السلطنة وثيقة اعتماد الاسرة الكشفية العالمية اثناء انعقاد المؤتمر المذكور.

المرأة العمانية في ميادين العمل

برزت في التاريخ العماني القديم اسماء نسائية مشرفة ساهمت في المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية، ففي القرن الخامس عشر اعتلت سدة الحكم في عمان امرأة تدعى (غالية بنت ناصر) حيث قادت الجيوش وبرعت باسلوبها المتميز في تسيير دفة الحكم كما ظهرت شاعرات مجيدات منهن (ثريا بنت راشد الوائلية) و (الشعثر بنت ناصر بن زين). .

اما في الحياة الاجتماعية والدينية فقد برزت (جوخة بنت محمد) و (زوينة بنت علي الحارثية) و (الشعثاء بنت الامام جابر بن زيد) التي اشتهرت كزعيمة روحية وكمرجع في الشورى والافتاء. كما لم تفت المرأة العمانية المساهمة في الميدان الهندسي، فاشتهرت (ميثاء) كمهندسة ساهمت في شق العديد من القنوات والآبار والافلاج حيث لا يزال احد الافلاج في مدينة (بهلا) يسمى باسمها (فلج ميثاء).

ويمضي التاريخ في مساره وقد اقفر من ذكر المرأة العمانية ومساهماتها البناءة ردحاً طويلاً من الزمن حتى عام ١٩٧٠، حيث لم يكن يعترف للمرأة قبل ذلك العام بمنزلة في المجتمع ولم يكن يفسح لها «مجال العمل او التعلم باستثناء تعلم القرآن الكريم الذي يتم في بيت اسرتها اوفي بيوت خاصة بهذا النوع من التعليم الديني، والى جانب ذلك فقد كانت هناك مدرسة تبشيرية (ارسالية) واحدة تسمى (الامانة) يتم فيها التعليم المختلط في مسقط حتى مرحلة الصف الخامس الابتدائي فقط.

وبالرغم من كل العقبات التي كانت قد وضعت امام تعليم النساء الا انه توجد في عمان سيدات وفتيات مثقفات ومتعلمات كن يدرسن في خارج السلطنة ثم عدن اليها بعد عام ١٩٧٠ ليسهمن في حركة التطور والبناء فيها ومنهن من وصلت الى درجة مدير عام في سلم الوظائف الحكومية، كما ان فيهن من يعملن مدرسات وموظفات وسكرتيرات في الشركات والمؤسسات الحكومية وفي التمريض وسلك الشرطة والقوات المسلحة.

وبالاضافة الى التعليم النظامي للفتيات الذي تتولاه وزارة التربية والتعليم

فقد افتتحت صفوف لمحو الامية تنتمي اليها الفتيات والنساء اللواتي فاتهن سن التعليم النظامي والى جانبهن ربات البيوت حيث لم تعد مسؤولية رعاية الزوج والابناء تقف عقبة امامهن للالتحاق بالدراسة حيث ان بعضهن يصطحبن اطفالهن معهن للعب في فناء المدرسة اثناء دراستهن .

وكذلك فقد افتتحت مراكز للارشاد النسوي تهدف الى تدريب ربات البيوت على الاعمال المنزلية كالخياطة والتطريز والطهي ، كما تقوم وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بدورها في هذا المضمار حيث استحدثت قسماً لرعاية شؤون الامومة والطفولة منذ عام ١٩٧٥ . ويقوم هذا القسم بدوره في دراسة مشاكل الطفولة في السلطنة وفي توعية الامهات وتعليمهن الاقتصاد المنزلي وتحسين وضعهن الاجتماعي كما افتتح فصولا لمكافحة الامية بين النساء وشارك في مؤتمرات محلية ودولية بالتعاون مع الامم المتحدة للنهوض بالانشطة النسائية في السلطنة ومنها المؤتمر الاول لقيادات الانشطة النسائية في العاصمة الذي افتتح في ١٩٧٨/٣/٧ وشاركت فيه مندوبات عن الوزارات المعنية وخبراء من الامم المتحدة.

جمعية المرأة العمانية :

تعتبر هذ. الجمعية من العلامات المضيئة لنهضة المرأة العمانية منذ تأسيسها في ١٩٧٠/٩/١٣ والاعتراف بها رسميا في ١٩٧١/١/١٩ حيث بدأت تمارس اعمالها الخيرية والانسانية في مكافحة الامية وفي اقامة الاسواق الخيرية عندما افتتحت اول سوق لها في عام ١٩٧٣ بالاضافة الى مشاركتها السنوية في اسبوع الصحة العالمي وفي جمع التبرعات لصالح المجهود الحربي لحرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ وفي تدريب عضواتها على التمريض والاسعافات الاولية بتوجيه من وزارة الصحة العمانية ورعاية المرضى الراقدين في المستشفيات وتوزيع الهدايا عليهم في الاعياد والمناسبات الوطنية.

وقد شاركت هذه الجمعية في الدورة الثالثة للجنة المرأة العربية التي عقدت في القاهرة عام ١٩٧٤ كما شاركت في الحلقة الاقليمية لدراسة دور التنظيمات والهيئات النسائية في برامج التثقيف الغذائي التي عقدت في سوريا عام ١٩٧٥ واشتركت متعاونة مع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في الاحتفال بيوم (طفل

الخليج) وفي القيام بدراسات ومسوح اجتماعية في العاصمة وبعض المناطق الاخرى في البلاد وعقد الندوات الاجتماعية والدينية والصحية. وقد برز نشاط هذه الجمعية على وجه الخصوص منذ تسملها بنايتها الجديدة الخاصة بها في مسقط.

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية

تعتبر الثقافة بمختلف جوانبها المرآة الحقيقية التي تعكس مدى أصالة الشعب وعمق جذوره في التاريخ ومقدار اسهامه في تطور الحياة البشرية على مر العصور والاجيال، ولذلك فان الطاقة التي تحرك الانسان العماني اليوم لها اساس من الحضارة والفكر والاصالة. فالعمانيون الذين رفعوا راياتهم فوق سفنهم وهي تجوب بحار الدنيا وقد برعوا في بناء السفن واستخدامها، براعتهم في العلم، أنجبوا شخصيات بارزة في علوم الفقه واللغة والادب والشعر والتراجم ذلك ان منزلة العلم عند المسلمين لا تدانيها منزلة مصداقا لقول النبي محمد (ص) (من ترك وطنه يبتغي علما فقد سلك سبيل الله).

اما الفروسية وهي من مظاهر الرجولة والاقدام، فقد برع فيها الرجل العماني حتى قيل بان عماني يقضي عمره بين سفينتين، سفينة البحر، وسفينة الصحراء.. وهي الجمل، والجمل العماني اشهر من أن يعرف.

وأما بالنسبة للفنون الشعبية والفنون المعمارية فانها تتجلى واضحة في بناء البيوت والمساجد والقلاع وما تشتمل عليه من زخارف ونقوش بارزة لاتزال اثارها ظاهرة للعيان في قلعة (جبرين) وسقفها المزخرف بالالوان الجميلة التي لم تفقد جدتها بعد، وفي القلاع والحصون الاخرى كقلاع (قصرى) و(الحزم) و(صحار) وغيرها، كما تتجلى في المصوغات الفضية المزخرفة باجمل الزخارف - كالخنجر العماني المعقوف المشهور و(دلة) القهوة المزخرفة باجمل النقوش والحلي النسائية الجميلة وادوات الزينة الانيقة وكلها تعكس ماضيا وحاضرا يفتخر به العماني ويعتز.

هذا ولعل من اهم ما يميز الفلكلور العماني هو تلك الرقصات والاغاني التي تؤدي في مختلف المناسبات وكذلك الثياب بتصميماتها الجميلة والوانها الزاهية.

الازياء - الازياء النسائية :

فبالنسبة لازياء المرأة العمانية يمكننا القول بان هذه الازياء تختلف من منطقة لاخرى في انحاء السلطنة فهناك ازياء خاصة بمنطقة الشرقية واخرى لنساء المنطقة الجنوبية في ظفار وغيرها حيث تتفاوت تلك الازياء وتختلف حسب المناطق الا ان معظم النساء يلبسن سروالا مزموم الجهة السفلى عند الكعبين وقد وشيت حافته بنقوش ومطرزات جميلة يلبسن فوقه ثوبا زاهي الالوان ثم يعتمرن فوق رؤوسهن قطعة من القماش ملونة بالالوان الصارخة تسمى (الليسو) تتدلى من فوق الرأس حتى منتصف القامة حيث يغطين بقسم منها وجوههن وبقطعة اخرى بقماش تسمى (حظية) وهناك من يضعن فوق رؤوسهن عباءة سوداء كالعباءة العراقية ويغطين وجوههن بقطعة من القماش الخفيف ذات الوان بهيجة تزينها نقوش او زخارف من لون اخر كما ان هناك من يضعن البرقع الاسود الخفيف الشفاف فوق وجوههن شأنهن شأن بعض العراقيات فيزيد وجوههن جمالا وتألقا، ويشيع هذا الزي بين نساء الطبقة الغنية عادة وبين نساء الموظفين عند خروجهن من منازلهن وهو زي عراقي كما قلنا الا انه منتشر في الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية كذلك اما في داخل بيوتهن فانهن يلبسن الملابس العصرية الحديثة ويتعطرن باغلى العطور ومنتجات شركات التجميل العالمية الشهيرة. ومن النساء من يضعن فوق وجوههن قطعة من الجلد المصبوغ يطلقون عليه اسم (البطّولة) فلا ترى من وجه المرأة الا عينيها السوداوين المكحلتين بالاثمد (الكحل) الثقيل من فتحتين في تلك (البطولة)، وهو الزي النسائي المستعمل عادة في قطر ودولة الامارات العربية المتحدة والقسم الساحلي الشمالي في سهل الباطنة العماني حيث تلبس النساء الملابس الملونة الفضفاضة التي تنسدل حتى اقدامهن الحافية او المنتعلة فعلاً خفيفا من المطاط او الجلد.

أما النساء اللواتي يشتغلن في الدوائر الحكومية وكلهن من المتعلمات حيث اكمل بعضهن تعليمهن الجامعي، فانهن يلبسن عادة قميصا طويل الاكمام مغلق العنق وتنورة (جونلة) طويلة حتى القدمين ويغطين شعرهن بشال انيق يتفنن في ربطه ولفة ولا يضعن المساحيق على وجوههن في اثناء العمل.

ولقد شاهدت بعض البدويات والقرويات، فراعني اللون الاصفر الذي

يدهن به وجوههن وايديهن حتى تبدو صفراء فوق بشْرة سمراء شاحبة ويلطخن جباههن بصبغة حمراء داكنة تستخلص من نبات (الورس) زكي الرائحة يصبغن به وجوههن واجسامهن كنوع من التجميل والتزيين.

أما الصبغة الحمراء الداكنة فانها تستخلص من نباتات اخرى هي (المحلب) و(الزعفران) و(الصندل) تخلط كلها وتداف بالماء ثم تصنع منها تلك الصبغة الغليظة التي توضع على الجباه. وتعتبر هذه الاصباغ النباتية مما تتزين به العروس ليلة زفافها عند البدو والقرويين وبعض سكان المدن..

الازياء الرجالية :

لقد علمت بان هناك شبه التزام بارتداء اللباس القومي الموحد في جميع انحاء السلطنة وهو يكاد يكون واحدا في جميع انحائها الا في المناطق الجبلية من ظفار.

ويتكون اللباس العماني للرجال من (دشداشة) ذات لون واحد غالبا ما تكون بيضاء، وهي عريضة فضفاضة ذات عنق يستدير مع الرقبة ويحيط به شريط حريري رفيع غالبا ما يكون اصفر اللون يستدير مع الرقبة ثم ينحدر مع فتحة العنق الامامية ويدور مع (الازرار) ثم يرتفع ثانية حتى العنق حيث ينتهي (بكركوشة) انيقة تتدلى الى جانب العنق (يسمونها) (طلعة) الا ان بعض الشباب يطلقون عليها اسم (ايريال) تندرا..!! ويتمنطق الرجال بحزام من الجلد فوق (الدشداشة) يصنع القسم الامامي منه من قطع فضية صغيرة مترابطة او يكون مطرزا تطريزا انيقا بخيوط فضية او ذهبية ويضع في مقدمة ذلك الحزام عند البطن خنجرا فضيا مزخرفا معقوف الجانب ذي قبضة انيقة يتراوح ثمنه في الغالب بين ١٥٠ - ١٠٠٠ ريال عماني تبعا لما فيه من فن وزخرفة ودقة صنعة، كما يغمد سكينا صغيرة بجوار الخنجر يستعملها للتقشير او الاستعمالات البسيطة، أما الخنجر فلا يسحبه من قرابة الا لامر خطير فاذا ما سحبه من غمده وجب عليه استعماله لما رصد له من مهام..

وأما لباس الرأس فانه يتألف من عمامة بيضاء او مطرزة او يشماغ او غترة بيضاء او حمراء او زرقاء او خضراء يسمونها (مصَرّ) تلف فوق الرأس بطريقة خاصة

لا اشـك في انهـا كانت تشبـه عمامة اجدادنا العرب في صدر الاسلام وتنسدل منها (عذبة) صغيرة تغطي العنق او جزءا منه كما يغطي جانبها شيئا من الاذنين . .

ويعتبـر هذا اللبـاس بالاضافـة الى العبـاءة (البشت) والنعـل الخفيف في القـدمين اللبـاس الـرسمي للموظفين بشرط اخراج اليدين من كمي العباءة حيث لا يجـوز ان يظـل الكمـان منسـدلين كمـا يفعل الكويتيون عند لبسهم للعباءة دون ان تدخل فيها الذراعان .

وقـد علمت بان الحكـومـة تجهـز كل موظف وصـل الى درجة (مدير) بخنجر وحـزام مجـانـا لاستعمـالـه اثنـاء الـدوام الـرسمي اوعنـد حضـوره الاحتفـالات والاستقبالات الرسمية علما بان هذا اللباس يعتبر اللباس الخاص بغالبية اهل عمان الذين يقدمون الخنجر كهدية رمزية لضيوف السلطنة الاعزاء .

هذا وقـد شاع لبس (الطـاقيـة) التي يطلقون عليها اسم (الكمّة) بين الشباب العمانيين على وجه الخصوص بدلا من العمامة وهم يلبسونها في الغالب في اوقات فراغهم وبعـد الانتهـاء من اعمالهم الرسمية وهي تشبه (العرقجين) العراقي الا انها اكثر اناقة وارتفاعا منه فوق الرأس. وتصنع (الكمة) عادة من قماش ابيض يطرز باليد نقوشا جميلة وزخارف انيقة فتعطيها بعض الصلابة وقد تقضي النساء المتخصصات شهـرا او اكثـر في تطـريزها وصناعتها ولذلك فان ثمن الواحدة منها يتراوح بين عشرة ريالات عمانية واكثر من خمسين ريالا . .

ولقـد علمت بان هذه (الكمـة) ليست عمـانيـة في الاصـل وان اصلهـا من مقـاطعـة (حيـدر آباد) حيث يلبسها معظم الموسرين الذين كان آباؤهم واجدادهم يعيشـون في تلك المقـاطعـة ثم نزحـوا الى عمان لاسباب تجارية او غيرها فجلبوها معهم ومن ثم انتشرت بين الشباب العماني كنوع من (المودة) او اناقة المظهر حيث اصبحت اللباس الرسمي لتلاميذ المدارس .

وأمـا ملابس الـرجـال في ظفار وخاصة البدو الجبليون فانها تتألف من (ازار) غالبـا ما يكـون اسود اللون مصبوغا بالنيلة يلفونه حول القسم الاسفل من اجسادهم بعـد ان يربطـونـه بحـزام جلدي عريض يضعـون فيه الخنجر المعقوف والسكين اما القسم الاعلى من اجسادهم فيظل عاريا في العـادة الا عنـد اشتداد البرد حيث يضعـون ما يشبـه البطـانيـة فوق اكتـافهم ويلبسـون قميصا ملونا في الغالب وينتعل

القليل منهم حذاء خفيفا أما الباقون فيمشون حفاة الاقدام وقد انسدلت شعورهم المدهونة طويلة حيث يربطونها بشريط رفيع من الجلد الاسود يسمونه (مهفيف). وقد يكحل بعضهم عينه بالكحل الاسود ايمانا منهم بان هذا الكحل يقوي البصر ويحفظ عيونهم ضد الامراض، أما لحاهم فانهم لا يحلقونها شأنهم في ذلك شأن الكثير من العمانيين ويعتبر هذا اللباس هو اللباس الرسمي للفرق الوطنية اثناء الاحتفالات والاستعراضات العسكرية والاعياد والمناسبات الوطنية حيث يلبس الازار الاسود الذي يربطونه فوف بطونهم بحزام جلدي عريض ويربطون فوقه (صف الرصاص) المتصل بحمالتين جلديتين عريضتين متقاطعتين عند الصدر حتى الكتفين والظهر مزينتين بقطع من الخرز الملون وهم يسيرون عادة حفاة الاقدام في تلك المناسبات والاستعراضات.

الرقص والاغاني العمانية:

من اهم انواع الفلكلور العماني الرقصات والاغاني التي تتعدد بتعدد المناطق العمانية، فللجبل طابعه المميز وللبحر فنونه وللصحراء اساطيرها وللوديان والافلاج حكاياها الشعبية التي تتسع باتساع البلاد وتنوع عاداتها المتصلة بالزواج والوفاة والميلاد وفصول السنة الاربعة اضافة الى الاثر العميق التي تركته المعارك والغزوات القديمة في نفوس الناس فرقصة (الرزحة)، وهي رقصة شعبية تعد من اوسع الرقصات انتشارا في السلطنة حيث تجد فيها الصلابة والقوة والاعتزاز بالقبيلة. أما رقصة (الهمبل) وهي نوع من (الرزحة) فانها تتميز بوقوف الرجال وهم يحملون اسلحتهم في صفوف متتالية بينما تملأ الطبول الجو بالضجيج والصخب وخاصة عندما يتقدم راقص للمبارزة بالسيوف بطريقة مثيرة على ايقاعات الطبول حيث يتوسط الحلقة مغن حسن الصوت يحمل السيف والترس فيغني ويرقص والرجال يتابعونه بحركاتهم وترديدهم معبرين عن البطولات والمآثر القديمة.

ولقد عنيت الحكومة العمانية في عهدها الجديد بالفلكلور الشعبي فانشأت (فرقة الفنون الشعبية العمانية) عام ١٩٧٤ م دربتها تدريبا حسنا على الرقص الشعبي وخاصة الرقصات العمانية المشهورة وهي:

رقصة (الرزحة) ورقصة (البرعة) ورقصة (البحارة) حيث قامت هذه الفرقة بعرض رقصاتها خلال الاسبوع الثقافي العربي الذي اقيم في المانيا الغربية عام ١٩٧٤م وفي مهرجان الفنون الشعبية الدولي الثالث الذي اقيم بمدينة قرطاج في تونس عام ١٩٧٥م وفي الدورة الحادية والعشرين لدورة الخليج العربي الرياضية التي اقيمت في دولة قطر عام ١٩٧٦ هذا بالاضافة الى العروض التي تقيمها الفرقة في سلطنة عمان ذاتها.

ورقصة البحارة رقصة تعبر عن حركة التجارة البحرية عبر سواحل عمان ونشاط البحارة وصراعهم مع البحر واهواله وعواصفه العاتية. كما ان فيها فرحة اللقاء عند العودة، وهي تعبير عن عراقة الشعب العماني في المجال البحري حيث كان لعمان اقوى اسطول بحري في المنطقة.

ورقصة(البرعة)وهي رقصة تؤدي في المناسبات السارة في بعض المناطق العمانية اذ انها من وحي البيئة، وفيها يتجلى مدى حب الانسان العماني لاخيه الانسان ومدى تعاطفه ومشاركته الوجدانية للغير كما وتظهر فيها ارادة الانسان العماني وصلابته وهو يشهر خنجره المعقوف كرمز للقوة.

وأما رقصة (الهيفة)، فانها لوحة جميلة مأخوذة من التقاليد العمانية القديمة والتي لا تزال سارية المفعول في احتفالات الزواج والافراح والمناسبات السعيدة.

هذا وهناك رقصات اخرى عمانية جميلة منها رقصة (الليوة) ورقصة (الشرح)، حيث تشتهر هذه الرقصات شهرة رقصة (الرزيف) او(العيالة) في بعض اقطار الخليج العربي الاخرى حيث الرقص بالخناجر والسيوف على ايقاع الطبول بخركات رشيقة محببة.

احتفالات الزواج:

لا تكاد تختلف احتفالات الزواج وتقاليده عن مثيلاتها في بقية اقطار الخليج العربي بصورة عامة حيث يكلف العريس والدته او احدى قريباته في التحري عن العروس المنشودة ضمن مواصفات معينة، وبعد ان يتم الاتفاق المبدئي بجانبه النسائي بين عائلة العريس وعائلة العروس يتقدم وفد من الرجال من ذوي العريس واصدقائه الى والد العروس لخطبتها حيث يتم الاتفاق على (المهر) الذي كان

يصل احيانا الى اكثر من ١٥٠٠ ريال عماني ، غير ان السلطان قابوس حدده مؤخرا بما لا يزيد عن ٣٠٠ ريال عماني . ويتم تحديد موعد الزفاف ، وغالبا لا يعرف العروسان بعضهما ولا يتقابلان الا في ليلة (الزفاف)، وفي اثناء فترة (الخطوبة) او الاعداد للزفاف، يقوم اهل العروس بشراء الملابس ولوازم العرس والاثاث من المبلغ الذي دفعه العريس مقدما كما يجهزونها بادوات التجميل وبالعطور وغالبا ما تكون من الحناء والصندل والبخور والعود وماء الورد والورس والزعفران وغيرها في المجتمع القبلي ، أما في المجتمع الحضري فان العروس تجهز باحدث انواع العطور والماكياج واشهرها كما هو الحال في المجتمعات الحضرية الاخرى . .

وعندما يحين موعد الزفاف تقام الافراح ويدور الغناء وتنحر الذبائح ويستمر الاحتفال اياما تتفاوت حسب امكانية العريس المالية ثم تزف العروس الى بيت عريسها يرافقها جهاز عرسها في موكب على نغمات الطبول والموسيقى ، حيث تقضي العروس سبعة ايام في بيت زوجها ثم تعود الى اهلها زائرة حيث يقيم اهلها الاحتفال بهذه المناسبة ، وقد يحدث في بعض المناطق العمانية ان يزف العريس الى عروسه وهي في بيت اهلها حيث يقضي سبعة ايام ينتقل بعدها وعروسه الى بيته حيث يقيم احتفالا لاصدقائه واقربائه الذين يأتون وهم محملون بالهدايا بهذه المناسبة السعيدة . ويبدو ان هذه هي الطريقة المطبقة في منطقة الخليج العربي وجميع البلاد العربية مع بعض الاختلافات الجانبية المظهرية .

الضيافة العمانية :

يشتهر العماني ، بصفته عربيا ، بالكرم والضيافة فهو يرحب بضيفه ويقوم بواجبه تجاهه حسب امكانياته المالية حتى ان بعضهم قد يستدين ثمن خروف او جدي فينحره اكراما لضيفه ثم يقدمه مطبوخا مع الرز والبصل والتوابل والزبيب والمكسرات بعد ان يقطع اللحم قطعا كبيرة يدفنها تحت اكوام الرز في صينية كبيرة ويقدم رأس الخروف على طبق آخر دليل قيامه بذبح (الذبيحة) ويطلقون على هذا النوع من الطعام اسم (قبولي) ويقدمون معه التمر وشرائح الليمون الحامض يعصرونها فوقه حيث يتم الاكل بالايدي ويتولى (رب البيت) اومن ينوب عنه استخراج قطع اللحم الكبيرة وتقطيع اطايبها باصابعه ثم يقدمها للضيف بيده او

وضعها امامه فوق الرز زيادة في اظهار الاعزاز والاكرام . .

وقد لاحظت في بعض المناطق العمانية ان رب البيت لا يشارك ضيفه الطعام حيث يتركه والضيوف الاخرين مع الطعام وحدهم ويجلس هو في غرفة اخرى او مكان اخر، وعندما سألت عن سبب ذلك قيل بان القصد هو عدم احراج الضيف ومنحه الحرية في ان يأكل ما يشاء دون خجل .

هذا وان من المآكل الاخرى الشهية في المنطقة الجنوبية في جبال ظفار، أكلة (المضبي) وتتلخص في تقطيع لحم الخروف او الماعز الى قطع توضع فوق طبقتين من الحصى الذي اشعلت النيران تحته وفوقه حتى اصبح كالجمر بعد تنظيفه من الرماد. وكذلك اكلة (الشواء)، وتتلخص في تقطيع اللحم وتتبيله ثم لفه بطبقات متعددة من اوراق الموز وتغطيته بطبقة من الطين ثم وضعه في (تنور) اشعلت النيران فيه حتى يصبح جسما غليظا وتغطية التنور بعد ذلك لوقت محدد حتى يبرد الجمر ثم تستخرج تلك القطع ويكسر الطين الذي اصبح كالمحجارة وتنزع اوراق الموز ويؤكل اللحم الناضج الشهي .

الحلوى العمانية :

واذا ما زار ضيف احد كبار المسؤولين في الدولة في مكتبه، وجدته يقدم من اجل تكريمك، ما يطلق عليه في الخليج اسم (الفوالة) وهي عبارة عن طبق او طبقين مليئين بنوع من الحلوى اللذيذة المصنوعة من الطحين والنشا مع السكر والسمن والزعفران والهيل (ولكل مدينة في السلطنة حلواها التي تختص بطريقة صنعها مثل الحلوى المسقطية المشهورة وحلوى نزوى وغيرها) حيث يتناول الضيف ومضيفه لقمة او لقمتين بالاصابع او بواسطة ملعقة صغيرة حسب الظروف ثم يدخل (الفراش) بعد ذلك يحمل اناء فيه ماء فيغسل الضيف اصابعه ويمسحها بفوطة يحملها (فراش آخر) على الاغلب وبعد ذلك تقدم القهوة المرة العربية وهي تختلف عن القهوة في بعض اقطار الخليج الاخرى حيث يضعون في تلك الاقطار كميات كبيرة من الهيل بحيث يصبح لون القهوة اصفرا . .

هذا وقد يكتفي بعض المسؤولين بتقديم قطعة من الحلويات او النستلة

الفـاخـرة اوزجاجة من المياه الغازية لضيوفهم او القهوة العربية وحدها وذلك حسب ظروف الزيارة والزائر.

المصوغات والصناعات التقليدية :

وللمصوغـات العمانيـة الفضية على وجه الخصوص، سحر لا يقاوم حيث تولـع به النسـاء العمانيات وخاصة في الارياف والجبال والوديان فتجد احداهن وقد لبست تلك المصوغات من رأسها حتى قدميها ففي الرأس يربطن مصوغات جميلة تسمى (زهـرة نزوى) او (كف فاطمـة) تتدلى علي جباههن اوتنسدل كظفائر تربط بشعـرهن وفي الاذنين اقـراط ثقيلة، وفي الانـوف اقـراط من نوع اخر وعلى النحور قلائـد وسلاسـل و(احـراز) (جمـع حرز) متفاوتة الاحجام ذات فصوص وغير ذات فصـوص، سواء كانت في اصـابـع اليـدين او اصابع القدمين وفي المعاصم اسورة فخمـة وفي الاصابع خواتم ذات فصوص ملونة وفي السيقان خلاخل ودمالج حيث يحفـل السـوق في المـدن الكبيـرة كمسقـط ونزوى على وجه الخصوص بمثل هذه المصـوغات والمكاحل التي تستهوي السياح كما تستهويهم الخناجر المعقوفة التي تعتبـر شعـارا للسلطنـة العـربيـة الاصيلة علاوة على دلـة القهـوة الانيقـة المـزخرفة بالاضافة الى ريال (ماريا تيريزا) الفضي الذي ضرب لاول مرة في فينا عام ١٧٥١ ثم اصبح عملة عالمية عندما عرض في النمسا كما اصبح العملة المتداولة بعد ذلك في سواحـل شبـه الجـزيـرة العـربيـة وشواطـيء الخليج العربي الى ان حلت محله الـروبيـة الهنـديـة كعملة للتـداول ثم العمـلات الجـديدة في الدول الجديدة التي استقلت على شاطيء الخليج كالـدرهم والـدينار والريال العماني الذي اصبح من العملات القوية في العالم في الوقت الحاضر.

وتشتهـر عمـان كذلـك بالمنسوجات المطرزة وبالابسطة والسجاد على وجه الخصوص في مدن نزوى والرستاق حيث تنسج تلك الابسطة من شعر الماعز ولكل من هاتين المدينتين تخصص في تلك الصناعة، ذلك ان الابسطة التي تصنع في (الـرستـاق) تتكون الوانها من اللون الاسود والذهبي والبني اما الابسطة التي تنتجها (نزوى) وعبري فتكون غادة من اللونين الابيض والاسود.

كما يوجد نوع آخر من الابسطة يطلق عليها اسم (السجاد البلوشي) ويتكون

من الوان متعددة.

هذا وتعتبر صناعة الخزف من الصناعات التقليدية في السلطنة حيث يصنعون الجرار لحفظ الماء كما يصنعون، وخاصة في ظفار، (المباخر) الطينية الانيقة المعتادة التي تقف على اربعة ارجل علاوة على مباخر اخرى تكون على شكل طائرة او سفينة او سيارة حيث يضعون البخور فوق جمرات من النار يتطيب برائحتها الضيوف وتعتبر علامة لانتهاء الاستضافة.

الفاخرة او زجاجة من المياه الغازية لضيوفهم او القهوة العربية وحدها وذلك حسب ظروف الزيارة والزائر.

المشغولات والصناعات التقليدية

والمشغولات العقابية الفضية على وجه الخصوص ، حيث لا [illegible] تتزين به النساء العمانيات وخاصة في الارياف والجبال والوديان فتجد احداهن وقد لبست تلك المصوغات من راسها حتى قدميها ففي الرأس [illegible] تسمى (زهرة تروى) او (كف فاطمة) تتدلى على جباههن او تتدلى كقطائر تربط بشعرهن وفي الاذنين اقراط ثقيلة ، وفي الانوف اقراط من نوع اخر وعلى النحور قلائد وسلاسل و (احراز) (جمع حرز) متفاوتة الاحجام ذات فصوص وغير ذات فصوص ، سواء كانت في اصابع اليدين او اصابع القدمين وفي المعاصم اسورة فخمة وفي الاصابع خواتم ذات فصوص ملونة وفي السيقان خلاخل ودمالج حيث يحفل السوق في المدن الكبيرة كمسقط ونزوى على وجه الخصوص بمثل هذه المصوغات والمكاحل التي تستهوي السياح كما تستهويهم الخناجر المعقوفة التي تعتبر شعارا للسلطنة العربية الاصيلة علاوة على دلة القهوة الانيقة المزخرفة بالاضافة الى ريال (ماريا تيريزا) الفضي الذي ضرب لاول مرة في فينا عام ١٧٥١ ثم اصبح عملة عالمية عندما عرض في النمسا كما اصبح العملة المتداولة بعد ذلك في سواحل شبه الجزيرة العربية وشواطىء الخليج العربي الى ان حلت محله الروبية الهندية كعملة للتداول ثم العملات الجديدة في الدول الجديدة التي استقلت على شاطىء الخليج كالدرهم والدينار والريال العماني الذي اصبح من العملات القوية في العالم في الوقت المعاصر.

وتشتهر عمان كذلك بالمنسوجات المطرزة وبالابسطة والسجاد على وجه الخصوص في صحار وفي الرستاق حيث تنسج تلك الابسطة من شعر الماعز ولكل من هاتين المدينتين تخصص في تلك الصناعة ، ذلك ان الابسطة التي تصنع في (الرستاق) تتكون الوانها من اللون الاسود والبني والبني اما الابسطة التي تنتجها (نزوى) وصحار فتكون عادة من اللونين الابيض والاسود.

كما يوجد نوع اخر من الابسطة يطلق عليها اسم (السجاد البلوشي) ويتكون

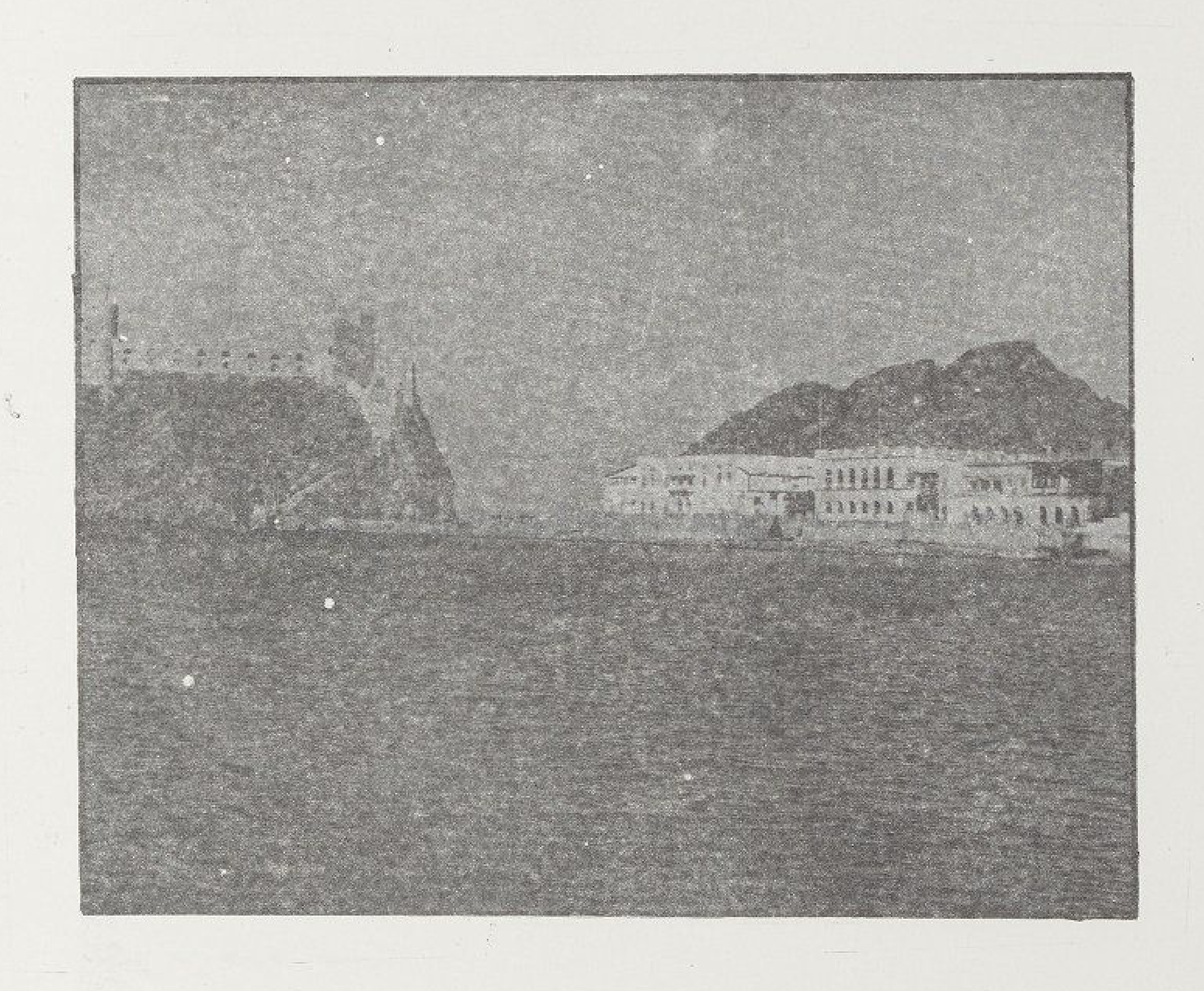
الفصل العاشر

جولات سياحية

واذ أتجول معك عزيزي القارىء في بعض المدن والمناطق العمانية فانما اهدف الى تعريفك بجزء عزيز من وطننا العربي دون ان تكلف نفسك عناء السفر ومشقة التجوال رغم ان في ذلك متعة واي متعة . .

فتعال معي في جولتي هذه الى ما استطعت مشاهدته وزيارته ودراسته . . ولنبدأ الان بالعاصمة مسقط ثم نعرج على ضواحيها . . مطرح وروي وبعدها نسافر بالسيارات وبالطائرات وبالطائرات العمودية الى بعض انحاء هذه السلطنة التي انبعثت من بطن التاريخ وتراكمات العصور، دولة حديثة لما تكمل بعد عامها الثامن من عمرها السعيد . .

جولة في العاصمة وضواحيها



قلعة الجلالي ومبنى والسفارة البريطانية في مسقط

مسقط :

.. وقال المؤرخ العماني المشهور (السالمي) مؤلف كتاب تحفة الاعيان الذي مر بك ذكره في الصفحة «٦٤» من الجزء الثاني يصف مسقط :

«ان مسقط عمرها بعض عرب عمان وهم يمن الانساب، فغرسوا فيها نخيلا واشجارا تسقيها آبار.. وآثار هذه الآبار باقية الى هذه الغاية وهي سنة (١٢٧٥ هـ).. ثم اشتراها النصارى البرتكيسية منهم فسورتها من حد (جبل المكلا) الى جبال السعالي، واحدثت فيها حصنين كبيرين شرقيا وغربيا، فلما اصطلحتها العرب منهم سموا حصنها الشرقي (الجلالي)، وسموا حصنها الغربي (الميراني).

قال.. «واحدثت النصارى فيها صيرتين على وجه البحر الذي يقابله الحصنان المذكوران، واحدثت فيها بروجا على السور وأبنية على رؤوس جبالها، وخمس عقبات : الاولى من اول (مطرح)، والثانية من اخر (ريام) الى اول (مسقط)، والثالثة من اخر (كلبوه) الى اول (مسقط)، والرابعة من اخر (سداب) الى اول (مسقط) من جانب سهيل، والخامسة من اخر جبال (مسقط) الى أول الوادي الذي يفضي الى (دارسيت).

وقد كانت مسقط ولا تزال حصينة الاركان متينة البنيان يصعب اقتحامها حيث انها محاطة بسور متين ذي ابواب ثلاثة يحيط بها خندق يتم املاؤه من ماء (البحر الصغير) الكائن في شرقي الباب الصغير للسور..»

غير ان هذه المدينة التي وصفها (السالمي) قد اتسعت وامتدت بناياتها الى وراء السور وانشئت فيها عمارات كبيرة ودوائر حكومية وقصور ووزارات ومطابع وشقت فيها شوارع جديدة مبلطة بالاسفلت واتصلت بمدينة مطرح باكثر من طريق، فطريق يذهب صعدا في جبالها المحيطة بها حتى ميناء قابوس في مطرح ثم يسير حتى مدينة روي والضواحي الاخرى في الطريق الى مطار المسيب الدولي، ومن ثم الى سهل الباطنة فدولة الامارات العربية المتحدة من ناحية وداخلية عمان من ناحية اخرى، وطريق آخر يتجه الى مطرح من داخلها فيمر بعمارات جديدة ومخازن كبيرة حتى يصل بيت (الفلج) و(روى) ويتصل بالشارع الرئيسي الى مطار السيب وطريق ثالث يخترق منطقة (سداب) وخليجها الهلالي حتى يصل منطقة البستان في

منظر لمدينة مسقط

طريق مبلط عند سفوح الجبال عائدا الى منطقة بيت الفلج ثم (روي) حيث يتصل بالشارع الرئيسي نحو مطار السيب الدولي . .

وثمة طريق اخر جديد لما يستكمل بناؤه بعد وقد شق في قلب الجبال الصماء يمتد من (روي) محاذيا ساحل البحر حتى يتصل بكورنيش مطرح ثم يدور حول الجبال عند الساحل فيصل مدينة مسقط . .

وهكذا اتسعت المدينة وعم فيها الخير وانتشر العمران في كل مكان .

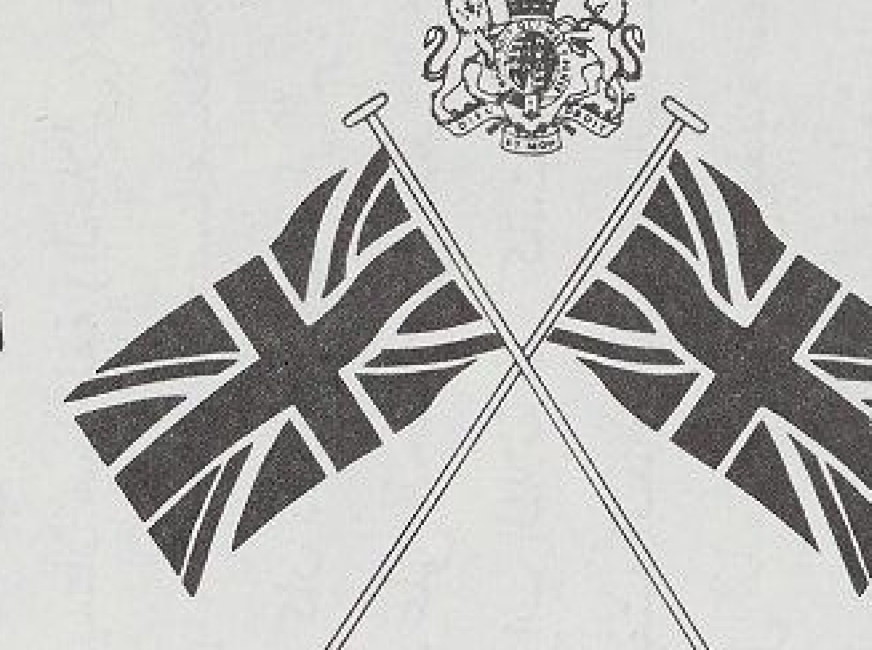
واذا ما عدنا نقلب صفحات التاريخ بالنسبة لهذه المدينة، علمنا بانه قد قيل في هذا الصدد الكثير . . ذلك ان مدينة مسقط وميناءها بالذات قل ان وجد مثله في العالم لما يتمتع به من جمال في الموقع وجمال في التكوين، ذلك ان شكله الهلالي الكامل الذي تحتضن رأسيه قلعتان قديمتان هما قلعة (الجلالي) وقلعة (الميراني) والجبال السوداء التي تحيطها وتربطها، قد كون له حصنا منيعا يجعل من الصعب على اي مهاجم احتلال المدينة سواء كان ذلك من البحر او البر، كما ان السور الذي يطوق المدينة ذاتها والذي يمتد على الجانبين في اعالي الجبال حيث يوجد حصن في كل جانب من جانبيها والابواب الثلاثة التي كانت تغلق عند غروب الشمس كل يوم بعد ان يطلق المدفع قذيفته ايذانا بغلق ابواب السور والخندق المائي الذي لا يزال قائما حتى الان، كل هذه، جعلت من مدينة مسقط حصنا واحدا يصمد لاشد الهجمات واعتاها، وقد استقرت المدينة بازقتها وشوارعها الضيقة واسواقها ومخازنها هادئة ساكنة لا تكاد تحس فيها الحياة في منطقة تحميها الاسوار والقلاع حيث القصر الذي كان يسكنه السلاطين السابقون والذي هدم وشيد في مكانه قصر جديد فخم هو (قصر العلم)، يطل على الخليج الهلالي وتقوم الى جانبه الايمن (قلعة الجلالي) فوق صخرة عالية كبيرة، وقلعة (الميراني) الى جانبه الايسر فوق جبل مرتفع شديد الانحدار يطل على البحر من ناحية ويشرف على المدينة وما جاورها من ناحية اخرى .

ولقد قيل بان سبب تسمية قلعة (الميراني) بهذا الاسم يرجع الى انها بنيت في عهد القائد البرتغالي المدعو (مور) أما سبب تسمية قلعة (الجلالي) بهذا الاسم فيرجع الى انها بنيت في عهد القائد الفارسي الذي كان يحتل المدينة واسمه

نمره ١٩

الذولة البهية القيصرية الأنكليس

ورقـــة العتق



No. .... of 19

BRITISH GOVERNMENT

MANUMISSION CERTIFICATE

لكافة من يراها

وبعد فان حامل هذه الورقة

عمره تخمينا   سنة قد صار حرّاً كساير الأحرار فلهذا

لايكون لأحد عليه الأعتراض في حريته والسلام

حُرِر في   بتاريخ   شهر

سنة   ١٣٢ مطابقا في   شهر   سنة   ١٩

امضاء و رتبة مبعوث الدولة البهية القيصرية الانكليس ....

Be it known to all who may see this that the bearer .... aged about ...... years has been manumitted and no one has a right to interfere with his/her liberty.

Dated ...... this ...... day of 19

Signature & Designation of British Representative ....

شهـادة العتق من العبودية

(جلال) . .

وايا كان سبب هاتين التسميتين فان قلعة الميراني التي اقيمت على الجانب الغربي للميناء قد انشئت في القرن السادس عشر ايام الاحتلال البرتغالي لمسقط وقد سجل تاريخ بنائها على مدخلها بالعبارة الاتية : (في ايام حكم فيليب العظيم ملكنا المفدي وفي السنة الثامنة من حكمه الملكي في البرتغال، امر (دوم دوارات دي مينيزيس) نائبه في الهند بان يبني هذه القلعة وذلك في سنة ١٥٨٨) . .

وبهذه المناسبة تقول مؤلفة كتاب (الفجر فوق عمان) بان هذه القلعة لم تكن اول قلعة بنيت في هذا المكان فقد سبق ان بنيت قلعة قبلها هناك الا ان الاتراك هدموها عند حصارهم البحري لمسقط بقيادة قائدهم بيري باشا وذلك سنة ١٥٥٢ .

هذا وقد كانت هناك في خارج تلك القلعة ساحة لتنفيذ احكام الاعدام ظلت قائمة الى ما قبل بضعة سنوات حيث يمتد منها طريق يوازي البحر في الوقت الحاضر الى منطقة (المكلا) التي كانت مخازن للفحم الحجري الذي تستعمله السفن سابقا والتي اتخذتها البحرية العمانية مركزا لقيادتها واطلقت عليها اسم قاعدة (سعيد بن احمد) البحرية .

وبالرغم من كل التحصينات التي كان البرتغاليون قد اتخذوها للدفاع عن مسقط الا ان قوات الامام (سلطان بن سيف) تمكنت من دخول المدينة عام ١٦٤٩ فهرب حوالي ١٦٠٠ من الجنود البرتغاليين عن طريق البحر اما الاخرون فقد اعتصموا في قلعة (ميراني) ثم اضطروا بعد ذلك الى الاستسلام .

وهكذا اصبحت هذه القلعة في حوزة العمانيين منذ ذلك الحين الا فترة عام واحد ١٧٤٣ / ١٧٤٤ حيث احتلها الفرس الذين اضطروا للجلاء عنها بعد ذلك . .

هذا ويوجد في اعلا ابراج قلعة الميراني مدفع كبير يستخدم في الوقت الحاضر لتحية سفن بحرية الدول الاجنبية التي تزور البلاد . .

أما قلعة (الجلالي) التي كان يطلق البرتغاليون عليها اسم قلعة (سان جوأ) والتي بنيت عام ١٥٨٩ فقد كانت تستعمل كسجن لمعارضي سياسة السلاطين السابقين حيث كانت تقيد ايديهم وارجلهم بالسلاسل الحديدية ثم يربطون في

الجدران . .

هذا ولا تزال السفارة البريطانية بمبناها الجميل تقوم عند اقدام قلعة الجلالي وهي تعتبر من اجمل مباني السفارات في العالم حيث تنتصب سارية العلم البريطاني في ساحتها الرحبة ويقال بان اي عبد مملوك (في السابق) كان يستطيع الوصول الى هذه السارية ويلمسها اويثبت بانه لمسها بيده فانه يمنح حريته الكاملة ويزود بشهادة من السفارة تثبت بانه اصبح حرا لا يجوز التعرض له، وانسجاما مع هذا الاجراء فقد اصدر السلطان السابق مرسوما سلطانيا اعلن بموجبه بان في استطاعة أي (عبد) يبغى الانعتاق من عبوديته ان يذهب الى مكتب الوالي في منطقته ويعلن رغبته هذه حيث يزود فورا بشهادة العتق فلا يتعرض له احد بسوء.

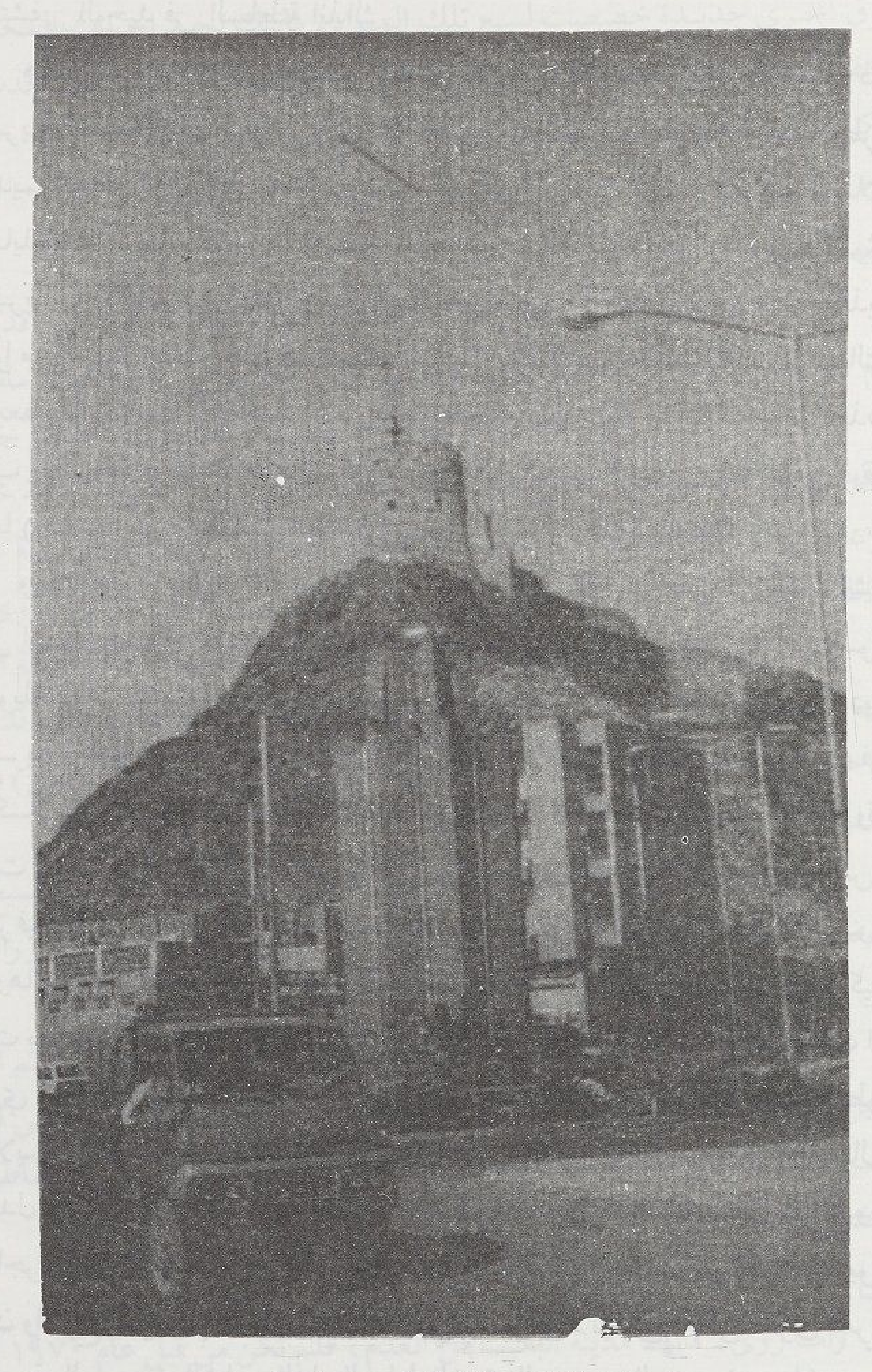
هذا وان من المعالم الشهيرة التي لا تزال قائمة في مدينة مسقط وجود بعض البيوت الاثرية العريقة مثل (بيت جريزة) و(بيت نادر) و (بيت غالية) حيث قامت حكومة العهد الحاضر بصيانتها واتخذت من بيت نادر متحفا وطنيا أما بيت غالية الذي كان مقرا للقنصلية الفرنسية فقد اصبح الان سكنا عائليا لمالكيه. ولزيادة المعلومات نقول بان كلمة (جريزة) مشتقة من كلمة برتغالية (اجريزيا) التي تعني (كنيسة) . .

مطرح :

وأما بالنسبة لمطرح القريبة من مسقط فقد كان من اشهر معالمها التاريخية القديمة حتى عام ١٩٧٣م ما يسمى (الباب الكبير) وهو باب سور المدينة القديم. ومستشفى (حاريس نوكس التذكاري) الذي يطلق عليه اسم (مستشفى الارسالية).

أما (الباب الكبير) الذي يرجع بناؤه الى القرن السابع عشر فقد تهدم في شهر شباط (فبراير) ١٩٧٣م نتيجة اصطدام احد اللوريات به كما قيل فاهتزت اسسه وتهاوى بناؤه وهو بعض اثار البرتغاليين في البلاد حيث كان نهاية محطة طرق القوافل القادمة من الجنوب الشرقي للجزيرة العربية الا انه اصبح يستعمل كموقف للتاكسيات منذ عام ١٩٧٠م وحتى تاريخ انهياره.

اما الاثر الثاني الباقي في مطرح وهو (مستشفى الارسالية) فانه لا يزال قائما وقد ابدل اسمه الى (مستشفى الرحمة) وتديره وزارة الصحة العمانية حيث كان



احدى القلاع الاثرية في مدينة مطرح

المستشفى الوحيد في السلطنة آنذاك.

هذا ولا شك ان ابناء مدينة (مطرح) فخورين بالكورنيش الجميل ذي الممرين المتسعين للسيارات وللمشاة الذي انشىء في مدينتهم امام ميناء مطرح القديم الذي اطلق عليه اسم (ميناء قابوس)، حيث ترتفع صوامع الغلال (السايلوات) الحديثة، وحيث تطل عليه البيوت العريقة ذات الزخارف والنقوش والمشربيات الانيقة التي يطلق عليها اسم (بيوت الحيدر آباديين)وهم التجار الذين قدموا من حيدر آباد واستوطنوا السلطنة حيث يقع السوق خلف تلك البيوت التي هدم بعضها وقامت في مكانه عمارات ضخمة جميلة ذات طوابق متعددة اتخذت مكاتب ومصارف ومطاعم وفنادق وكلها تطل على الميناء الجميل ويرعاها من فوقها جميعا (حصن مطرح) الانيق المعلق فوق جبل يشرف على المنطقة باسرها.

ويمتاز سوق مطرح بانه سوق يمثل روح الشرق القديم حيث لا نجد له مثيلا إلا في اسواق بغداد القديمة والقاهرة وتونس والقيروان ومكناس وفاس وسوق الطويلة في بيروت وبعض اقسام من سوق الحميدية في دمشق واسواق دبي والبحرين والدوحة وجدة وابو ظبي والكويت واستامبول وسوق (زنقة الستات) في الاسكندرية، فهو ضيق متعرج مسقوف في كثير من اقسامه، تتلاصق دكاكينه وقد ارتفعت دككها عن الارض ما تقرب من متر حيث يصطدم المارة بعضهم ببعض، وتسير فيه الاوربية والامريكية وقد ارتدت البنطلون الضيق الى جانب البدوية بخمارها وعباءتها الملونة او السوداء وقد تكدست البضاعة المعروضة في الدكاكين وعلقت بعضها في واجهاتها كنوع من الاعلان وعرض للنماذج حيث يمكنك ان تشتري اي شيء تريده في هذا السوق ابتداء من التوابل وانتهاء باحدث العطور والملابس والاثاث المنزلي، وحيث تستطيع ابدال اية عملة تريدها بعد (الفصال) والجدل مع الصراف. كما تستطيع ان تشتري الحلي الفضية التقليدية البدوية والخناجر والسيوف والمباخر والبضائع الهندية والباكستانية بجانب شرائط التلفزيون الملون وانواع الراديوات والمسجلات التي تنتشر محلاتها في اماكن اخرى تتفرع من السوق الى حيث الشارع العام المبلط الضيق المتعرج والى حيث محلات بيع الفواكه والخضراوات والاسماك على العربات. وبجانب هذه الاسواق العريقة وفي

سوق اخرى جديدة خصصت لبيع تلك المواد، فانك تجد احدث المخازن واحفلها بالبضاعة الاجنبية وهي تضاهي في طريقة عرضها وتنوع بضاعتها احدث ما يمكن ان نجده في عواصم الدول العربية الاخرى. .

سداب :

وهي احدى ضواحي العاصمة مسقط الا انها لا تزال تحافظ على قديمها رغم ان العمران بدأ يزحف اليها حيث وصلت اولى طلائعه الى خطوطها الامامية.

تقع هذه الضاحية في الناحية الشمالية من مسقط ويصل بينهما طريق جديد مبلط شق في الصخر حتى ينتهي عند خليج سداب الهلالي ذي المياه الهادئة حيث بيوت صيادي الاسماك ثم يستدير متجها الى ضاحية (البستان) الرابضة على الشاطىء تحف بها الجبال السوداء ويستدير عائدا الى بيت الفلج ثم الى (روى).

هذا ويوجد في (سداب) بئر رئيسي واحد يزود سكانها بالمياه العذبة التي ينقلها (السقائون) في صفائح (تنكات) على ظهور الحمير بسعر مئة (بيسة) للتنكة الواحدة بالاضافة الى آبار اخرى صغيرة عذبة المياه منها (بئر القاضي) وبئر (الحلوة) و (بئر الرفاعي).

وتحيط بسداب قرى اخرى صغيرة هي حرمل، البستان، قنتب، المسيخ، الروضة حيث يمارس سكانها حرفتي صيد الاسماك والزراعة في مناطق زراعية يطلق عليها اسم (طويان).

يبلغ عدد سكان سداب والقرى التابعة لها حوالي الفي نسمة وهي تنقسم الى قسمين (سداب السفلي) و(سداب العلوية) وتوجد فيها مدرسة واحدة للبنين قبل الظهر وللبنات بعد الظهر كما يوجد فيها نادي رياضي يمارس منتسبوه نشاطهم الرياضي والاجتماعي.

روى :

وأما روى، فانها مدينة انبعثت من العدم، فلم تكن من قبل عام ١٩٧٠ الا واديا اجرد تحف به الجبال الصم السوداء من كل جانب ويتصل بخليج عمان على مسافة تقل عن كيلومترين حيث كان يطلق على ذلك الوادي اسم (بيت الفلج)

الـذي كان فيـه مقـر قيـادة الجيش البـريطـاني ومطـار ترابي صغير كثيرا ما تعرضت الطائرات التي تهبط فيه الى اخطار الاصطدام بالجبال.

وقـد سمي (بيت الفلج) بهـذا الاسم نسبـة الى (فلج) موجود فيه كان الناس يستقون منه الماء على ظهور الحمير والجمال، ثم تجري تلك المياه ومياه الامطار في موسم الامطار مكونة مجرى مائيا في ذلك الوادي حتى يصب في خليج عمان.

وتعتبر روى من احدث المدن العصرية واسرعها بناء في عمان، فقد حدثني الكثيـرون ممن قابلتهم بانـه لم يكن في هذه المنطقـة اي بنـاء اللهم الا مطـار بيت الفلج القـديم (المهجـور حاليـا ـ بعـد انشاء مطار السيب الدولي) وذلك حتى عام ١٩٧٠ حيث ابتـدأ العمـران والبنـاء في كل مكـان وبدأت الحكومة توزع الاراضي مجانا وباسعار رمزية على المواطنين الذين سارعوا بانشاء العمارات السكنية والدور الانيقـة قبـل ان يتم تخطيـط الشـوارع بالطـرق الحـديثة. وهكذا عمرت المنطقة واصبحت مقـرا للسفارات والشركات والفنادق والمخازن الانيقة والاسواق العصرية ودور السينما رغم ان معظم شوارعها لم تبلط بعد. كما قامت بعض الوزارات ببناء بنايات خاصة بها بالاضافة الى (مجمع الوزارات)[١٤٠].

ومن اشهـر الفنـادق المـوجودة في روى فندق (الفلج) وفندق (ملحق الفلج) وفنـدق (روى) هذا بالاضـافـة الى فنـدق (الخليج) المشهور الذي يقع في ضاحية اخـرى من ضواحي العـاصمـة تسمى (القرم) القريبـة من مدينـة روى وفنـدق (انتركونتننتال) الذي تم افتتاحه في عام ١٩٧٨.

هذا ولابـد لنا من القـول بان هذه الفنـادق هي من فنـادق الـدرجـة الاولى المعتـرف بهـا عالميا حيث توجد في فنادق الفلج والخليج والانتركونتننتال حمامات سبـاحـة وفرق موسيقية وحفلات ساهرة ولمعلوماتك عزيزي القارىء اقول بان فندق الفلج مثلا قد استورد جاهزا بعد عام ١٩٧٠م واقيم في هذه المنطقة وكان من طابق ارضي واحـد فقـط الا انـه اضيف اليـه بعد ذلك جناح يتكون من تسعة طوابق بنيت على احـدث ما تكـون عليه الفنادق العصرية بكل ضرورياتها وكمالياتها. اما فندق (الخليج) فقد انجز بناؤه في اواخر عام ١٩٧٥م وهو من احدث الفنادق العالمية في منطقة الخليج العربي والتي اطلق عليها اسم (الخليج) هناك.

---

(١٤٠) بناء يتكون من خمسة طوابق واجنحة جانبية ويضم ست وزارات من وزارات الدولة ويقع في مدينة روى احدى ضواحي العاصمة مسقط

ويمناسبة حديثنا عن ضواحي العاصمة نقول بانه قد بنيت بعد عام ١٩٧٠ ضواحي عصرية تمتد من مدينة مطرح، (واولها ضاحية روى) حتى مطار السيب الدولي في امتداد يبلغ حوالي اربعين كيلومترا على جانبي الطريق المؤدي الى المطار المذكور حيث تطل الكثير منها على خليج عمان الذي يطلقون عليه اسم (بحر عمان).

ومن اهم هذه الضواحي، ابتداء من مدينة او ضاحية (روى) حتى مطار السيب الدولي، منطقة (الوطية) وهي منطقة سكنية عصرية يقع فيها مستشفى النهضة، ومنطقة (رأس الحمراء) وميناء (الفحل) ومستشفى (خولة) في منطقة (القرم) التي يقع فيها المعهد الاسلامي الثانوي ذي المأذنة الصغيرة والقباب الخضراء الثلاث، ومقر (قيادة الشرطة السلطانية) ومبنى (مدرسة الشرطة النسائية) و(الملعب الرياضي الكبير) و(مدينة الاعلام) التي تقع فيها وزارة الاعلام والثقافة ومبنى الاذاعة والتلفزيون ودور موظفي وزارة الاعلام و(مدينة قابوس) وهي مدينة عصرية جميلة يسكنها المواطنون وموظفوا الشركات وفيها مقر مكتب الامم المتحدة. ولا ننسى ونحن في عجالة تعداد هذه الضواحي العصرية ان نشير الى نادي شركة نفط عمان والذي يعتبر عالما قائما بذاته على خليج هادىء رملي صغير على بحر عمان، وكذلك فلن ننسى منطقة (القرم) ببيوتها الجميلة التي يسكنها الوزراء وكبار التجار وسفراء الدول الاجنبية حيث يقع فندق (الخليج) على مقربة منها مواجها البحر فوق رابية مرتفعة، كما يقع فندق (الكونتننتال) على مقربة من الشارع العام في هذه المنطقة. ونستمر في سيرنا متجهين الى مطار (السيب الدولي) حتى تصل الى منطقة تدعى (الخوير) وفيها مبنى وزارة الصحة العمانية والاماكن التي خصصت لسفارات الدول الاجنبية فكانت السفارة الاردنية اول سفارة بنيت في هذه المنطقة.

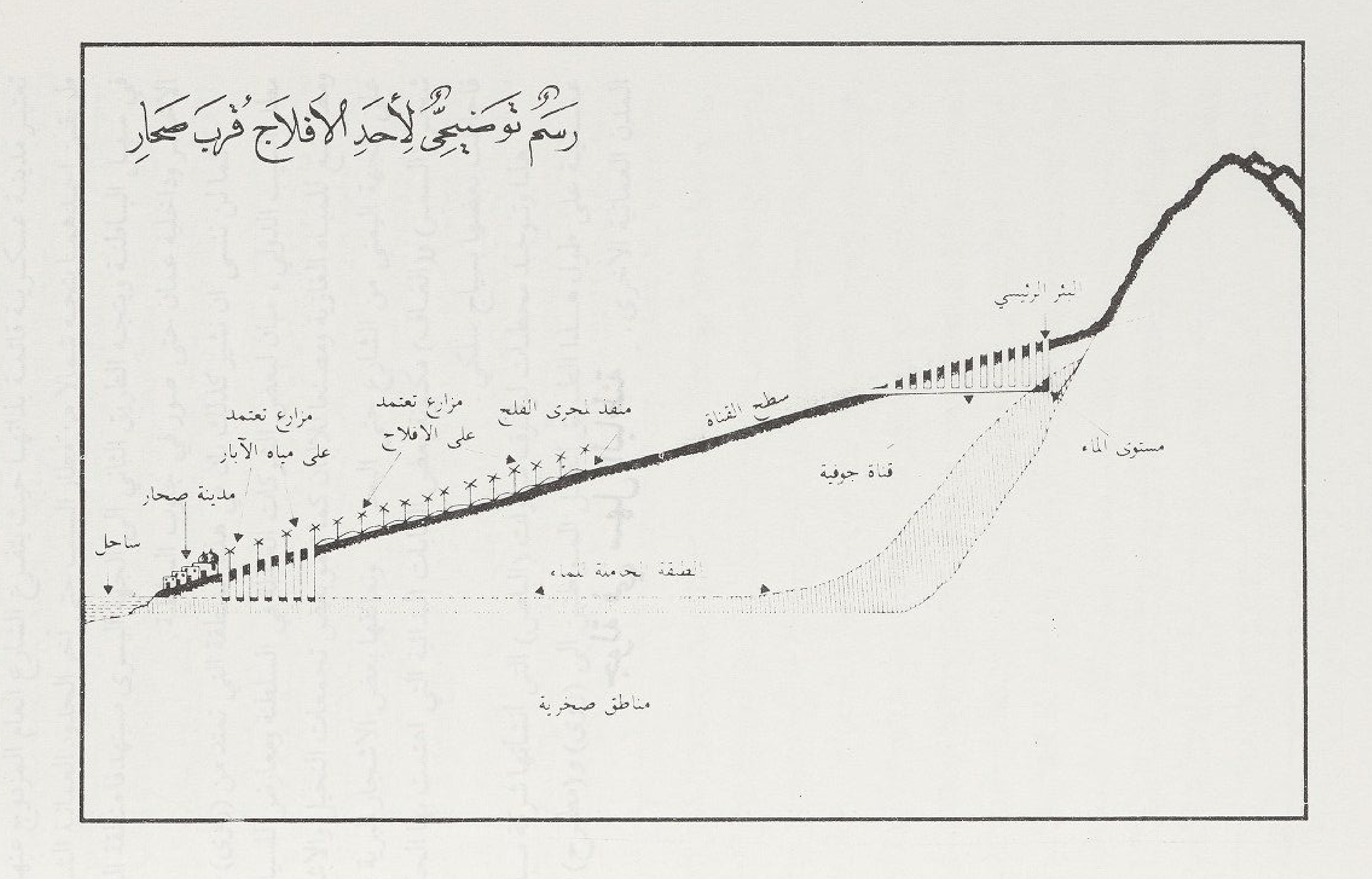
وبعد ان نجتاز هذه المنطقة نمر بمنطقة (الغبرة) وفيها قصر الضيافة الرسمي المسمى (قصر الغبرة) ومنطقة (العذيبية) وهي منطقة سكنية عصرية ثم نصل الى مطار السيب الدولي على يميننا وبجانبه المطار العسكري والمطار السلطاني حيث تقابله منطقة (المرتفعة) على يسارنا وهي منطقة سكنية وثكنات عسكرية حديدة

تعتبر مدينة عسكرية قائمة بذاتها حيث يتفرع الشارع العام المزدوج عنها الى طريقين احدهما يتجه شمالا من مطار السيب حتى آخر الحدود العمانية الشمالية في سهل الباطنة ويتجه الطريق الثاني الى الجهة اليسرى مستهدفا منطقة الجبل الاخضر وداخلية عمان حتى صور في جنوب السلطنة.

كما لن ننسى ان نشير كذلك بان في هذه المنطقة التي تمتد من (روى) حتى مطار السيب الدولي، مبان لبعض الشركات العاملة في السلطنة ومعارض للسيارات ومصانع للمياه الغازية ومصنعا للالبان كما تنمو بعض تجمعات النخيل والاشجار على الجهة اليمنى من الشارع حتى البحر وتعانقها بعض الاشجار البرية ومنها شجر (السمر) و(الغاف) مكونة بعض الغابات البدائية التي اهتمت بها الحكومة فاحاطت بعضها بسياج سلكي.

هذا وتوجد محطات لوقوف سيارات (الباص) التي أنشأتها شركة مساهمة عمانية على طول هذا الطريق لنقل المواطنين الى (روى) و(مطرح) والى المدن العمانية الاخرى.

جولة في سهل الباطنة


رسم توضيحي لأحد الأفلاج قرب صحار
البئر الرئيسي
مستوى الماء
قناة جوفية
سطح القناة
منفذ لمجرى الفلج
مزارع تعتمد
على الأفلاج
مزارع تعتمد
على مياه الآبار
مدينة صحار
ساحل
الطبقة الحاملة للماء
مناطق صخرية

يطلق على القسم الساحلي الشمالي من سلطنة عمان ، ابتداء من مسقط حتى (خطمة ملاحة) على حدود امارة الفجيرة، اسم (سهل الباطنة) وهو سهل خصيب تكثر فيه المزارع ويحتوي على ما يقرب من ثلث سكان الباطنة كما انه يعتبر من أكثر الاراضي العمانية خصوبة نظرا لكثرة وجود آبار المياه الحلوة (والافلاج) فيه رغم قرب هذه الآبار من ساحل البحر، حيث شاءت قدرة الله سبحانه وتعالى ان لا يختلط ماء البحر بمياه الآبار العذبة الحلوة، وقد سبق للمؤلف مشاهدة مثل هذه الظاهرة في جزر البحرين كذلك.

ولقد غادرت ومرافقي (ممثل وزارة الاعلام والثقافة) (فندق الفلج) في الساعة الثامنة صباحا متجهين نحو سهل الباطنة في شارع جميل عصري يبلغ طوله حوالي (٣٨٨) كيلومترا حتى يتصل بامارة الفجيرة عند الحدود الشمالية للسلطنة في نقطة الحدود التي تدعى (خطمة ملاحة) حيث يمتد ذلك الطريق بعدئذ الى دولة الامارات العربية المتحدة ويتصل بها مكونا شريانا حيويا للمواصلات في دول الخليج العربي ومنها الى العراق فسوريا والاردن ولبنان والشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط من ناحية والى اراضي المملكة العربية السعودية من ناحية اخرى . .

وعلى ضوء الواقع والحقيقة أقول بأن هذا الطريق يعتبر من أجمل الطرق الخارجية التي شاهدتها في بلادنا العربية نظرا لما يمتاز به من حسن رصف وتبليط والتزام باشارات المرور الدولية المتعارف عليها بالاضافة الى وجود اللافتات التي تشير الى كل منطقة أومدينة أوقرية يمر بها المسافر علاوة على وجود المقاهي والمطاعم ومحطات البنزين على طول ذلك الطريق.

واذا ما علمنا بانه لم يكن في سلطنة عمان على إتساعها الا شارع واحد بين العاصمة مسقط وبين مدينة (مطرح) القريبة منها لا يزيد طوله على اكثر من خمسة كيلومترات في طريق ملتوية، ادركنا اهمية هذا الطريق الحيوي الذي ربط السلطنة بجيرانها حيث رأينا عشرات السيارات من امارة دبي والشارقة والفجيرة وغيرها في طريقهعا من تلك الامارات الى مسقط وبالعكس.

كان الطريق جميلا وسيارتنا مكيفة الهواء تسير بسرعة لا تتجاوز المائة كيلومتر

في الساعة حيث حددت (شرطة المرور) العمانية السير في بعض المناطق بما لا يزيد على ثمانين كيلومترا في الساعة وانطلقت دورياتها الراكبة تراقب السير وتؤمن سلامته كما تفرض الغرامة أو السجن احيانا على السواق المخالفين مما ادى الى قلة الحوادث . وتوفر الامان .

لقد مررنا في طريقنا بأماكن متعددة جميلة ابتداءا من منطقة (روى) العصرية الجديدة التي يقع فيها الفندق حتى آخر نقطة على الحدود الشمالية للبلاد . ولعلي اذ اذكر اسماء تلك الاماكن والقرى والمدن التي مررنا بها ونحن نخترق السلطنة من مسقط حتى آخر حدودها الشمالية أشعر بان القارىء العربي لابد له من التعرف على هذه الاماكن باعتبارها جزءا من وطننا العربي الكبير.

فما ان اجتزنا منطقة (القرم) التي يقع فيها مبنى مقر الشرطة السلطانية وتوغلنا في سيرنا في الشارع المزدوج حتى وصلنا (مدينة الاعلام) ثم (مدينة قابوس) .

ويستمر بنا الطريق حتى نصل الى (مطار السيب الدولي) ومنطقة (المرتفعة) وهي منطقة ثكنات ومباني عسكرية . وفي هذه المنطقة يتفرع الطريق الى فرعين أساسيين احدهما الى الجهة اليسرى حيث يقود المسافر الى (عمان الداخل) فيتصل بنزوى ثم بحقول النفط في (فهود) حيث تبلغ المسافة قرابة أربعمائة كيلو مترا . ومن هذا الطريق العام يتفرع طريق آخر يؤدي الى المنطقة الشرقية للبلاد حيث مدينة (صور) التاريخية موطن الفينيقين الاوائل .

وأما الطريق الرئيسي الثاني وهو الذي سلكناه فانه يتجه شمالا مخترقا سهل الباطنة من جنوبه الى شماله حيث نمر في منطقة (الحيل) أو (حيل العوامرة) وهي منطقة زراعية جميلة .

وكل المناطق والمدن والقرى التي سنمر بها . هي مناطق زراعية خصبة تمتد بين الجبل والبحر في عرض يتراوح بين ٨ ـ ٣٠ كيلومترا .

وبعد ان اجتزنا هذه المنطقة وفيها مزارع خاصة و(فيلات) لبعض المسؤولين ، وصلنا الى (خريص) وهي قرية تابعة لولاية (السيب) توجد فيها مدرسة

كتيبة الحرس السلطاني وبلدية (السيب) ومدرسة لتدريب المظليين وقصر (السيب) السلطاني ومباني عصرية متناثرة هنا وهناك بالاضافة الى السجن المركزي الجديد الذي يشبه (سجن ابي غريب) في ضواحي بغداد، كما يوجد ميدان لسباق الخيل والجمال.

ويمتد الطريق جميلا، وعلى امتداده تمتد بساتين النخيل والفواكه والليمون وغيرها حتى ساحل البحر حيث نصل (ولاية بركا) وفيها مزرعة كبيرة مسورة بالاسلاك الشائكة تسمى (مزرعة النسيم) ثم مدينة (الرميس) حيث توجد محطة للابحاث الزراعية ومزرعة للدواجن و(مزرعة عمان الحديثة) و(مزرعة الجزيرة الخضراء) الحكومية.

وعندما نصل ولاية (نخل) نلاحظ كثرة اشجار النخيل التي تتصل بمنطقتي (ابو عبالي) و(السوادي) حتى ولاية (المصنعة) ومن حدود هذه الولاية يتفرع طريق الى اليسار ويتجه الى مدينة الرستاق على مسافة (٤٣) كيلومترا.

وما ان نجتاز هذا المفرق حتى نصل الى مناطق (قرط) و(فرق) و(السويق) و(الخضراء) ثم مدينة (الخابورة). ونواصل السير وقد اختفت الجبال وامتد السهل واسعا منبسطا تزينه الاشجار والشجيرات البرية ومنها اشجار (السمر) واشجار (البيذام)، وهي اشجار تشبه اشجار (النبق) وتحمل اثمارا لها شكل (الكمثرى) الصغير حلو الطعم حامضى المذاق وأشجار (الشريش) الخضراء الجميلة العالية، وشجيرة (الاشخرة) الطبية وغيرها.

وما ان نبتعد عن مدينة الخابورة، وهي مدينة عامرة يديرها وال، حتى نصل (قصبة الزعاب) و(قصبة البوسعيدي) و(المضينة) و(منطقة مقاعة) و(ديل آل بريك) و(ديل عبدالسلام) في منطقة (ديل) وثم (بلدة الردة) (ومنطقة الجعاريف) و(منطقة مخيلف) حتى تدخل مدينة (صحم) التي سنتحدث عنها بعدئذ وما ان نجتاز (صحم) حتى يتفرع طريق من يسار الشارع العام يتجه الى منطقة (القصير) في السهل الواسع.

ونظل نسير في الشارع العام حتى نصل منطقة تسمى (سور السيادي) واخرى تدعى (مجز الكبرى) التي يتفرع طريق من يسارها نحو منطقة (عوتب). ومن بعد

(مجز الكبرى) نصل الى (غيل الشبول) وفيه مزرعة حديثة واسعة تسمى (بهجة الانظار).

وبعد ان متعنا انظارنا بهذه المزرعة البهيجة ومدخلها الفخم السامق وسورها الانيق، واصلنا السير حتى وصلنا مدينة (صحار) العريقة وهي عاصمة ولاية صحار التي سنأتي على وصفها بعد حين.

واذ تكثر البساتين ومزارع النخيل والفاكهة على انوعها على الجهة اليمنى للشارع العام حتى البحر يبدأ السهل والارض المنبسطة على يساره تضييق حتى تلوح الجبال على مبعدة منا عندما وصلنا (فلج العوهي) ببساتينه الجميله ومياهه المتدفقة والجامع الجديد الذي انشيء حديثا و(فلج القبائل) و(مجيس) التي يتفرع منها الى اليسار طريق مبلط يتجه الى مدينة (البريمي) على مسافة مائة كيلومترا فقط. وبعد ان اجتزنا (مجيس) وصلنا الى (غضيفان) و(الغزيل) و(لوا) و(دباغ) حيث يتفرع طريق من يسارها نحو منطقة (فزع)..

ومن (دباغ) واصلنا سيرنا حتى (الرميلة) و(اسرار بني سعد) و(اسرار بني عمر) و(ام العنة) و(حسيفين) حتى وصلنا مدينة (شناص) التاريخية التي سنأتي على وصفها بعد حين.

وبعد ان اجتزنا مدينة (شناص) التي توجد بقربها مزرعة عصرية كبيرة، يتفرع طريق الى يسار الشارع العام يصل الى امارة (دبي) وطريق اخر بعده يصل الى منطقة (اسود) العمانية على مسافة عشرة كيلومترات. وواصلنا سيرنا من شناص الى منطقة (بوبقرة) ثم (خطمة ملاحة) حيث يتصل الجبل عند نقطة الحدود الشمالية للسلطنة ثم يمتد الطريق بغدئذ الى (كلبا) وامارة الفجيرة التي تقطع السلطنة عند هذه النقطة فتعزلها عن (منطقة مسندم) التي تكون اخر حدود السلطنة في الشمال.

واذ وقفت اتطلع الى نقطة الحدود هذه في (خطمة ملاحة) وهي مبنى انيق جديد، واشاهد الاجراءات الجمركية وتفتيش جوازات السفر، تذكرت امجاد امتنا العربية حيث امتدت حدود الامبراطورية العربية من المحيط الاطلسي حتى السند، وحيث خاطب الخليفة هارون الرشيد الغمامة وهو يجلس في قصره العتيد ببغداد قائلا: امطري انّى شئت، فان خراجك لي. كما تذكرت قول الشاعر العربي:

بلاد العرب اوطاني من الشام لبغداد
ومن نجد الى يمن الى مصر فتطوان

اقول ـ تذكرت كل هذا وانا اشاهد الاجراءات الجمركية والامنية في تلك المنطقة من الحدود العربية . . . ثم اغمضت عيني وحلمت بالمستقبل السعيد الذي ينتظر امتنا واملها في تحقيق الوحدة العربية المنشودة .

وبعد . . . فسهل الباطنة الذي ينبت فيه التمر والعنب والموز (والمانجو) اي (العمبة) التي يسمونها (الهمب) والليمون الحامض المشهور (الذي نطلق عليه في العراق اسم (نومي بصرة) ، واللوز والتين . . وكافة الاعناب والارطاب . . وحتى البصل والخضراوات، سهل جميل فسيح ، وتجري السفائن وناقلات النفط فوق سطح مياهه اللامعة كالمرآة تحمل الخير الى الدنيا باسرها,أما ساحله فانه رملي هادىء تزخر مياهه بانواع الاسماك والمحار، كما تمتد فيه وديان تبدأ من سلسلة جباله الغربية حتى تتصل بالبحر ترفدها مياه الافلاج العذبة مثل وادي (حواسنة) الذي يعتبر واحدا من آلاف الاودية في سلطنة عمان ووادي (جزي) وغيرها، حيث يزود الاول مدينة (الخابورة) بالمياه كما يزود الثاني مدينة (صحار) باحتياجها من الري فيقبها من الظمأ والجفاف .

وفيما يلي ندون مشاهداتنا عن بعض المدن التي زرناها في سهل الباطنة :

مدينة صحم : وهي مركز ولاية (صحم) ويديرها وال (محافظ) يشرف على جميع شؤونها، شأنه في ذلك شأن الولاة الاخرين .

ومن واقع اسئلتنا علمنا ان عدد سكان هذه الولاية يقارب خمسة عشر الف نسمة منهم خمسة الاف في (صحم) يشتغل معظمهم بالزراعة والصيد والتجارة والوظائف الحكومية . .

وتمتد بساتين (صحم) على جانبي الطريق الفرعي الذي يربطها بالشارع العام وهو طريق ترابي تقع على جانبيه بعض المساكن والبيوت الجديدة المبنية بالطابوق والاسمنت وقد خصصت للموظفين كالوالي والاطباء والمعلمين وموظفي الدوائر الاخرى. أما بقية بيوت المدينة فان معظمها مبني بالطين أو اللبن أو بشكل

اخصاص أو عشش من القصب وسعف النخيل والاخشاب أو الخيام حيث تتصل تلك البيوت بساحل البحر وتمتد مواجهة له حيث السوق وبعض الدكاكين وحيث يقوم مبنى جديد كبير هو (مجمع الصحة العامة) الذي يديره طبيبان مصريان عربيان يعاونهما خمس ممرضات وتسعة مضمدين ويقوم هذا المجمع بالاشراف على الصحة ورعاية الامومة والطفولة والصحة المدرسية في هذه الولاية وولايتي (السويق) و (الخابورة).

يوجد في هذه الولاية خمس مدارس للبنين والبنات للدراسة الابتدائية والاعدادية علاوة على مدارس اخرى مشتركة للبنين والبنات في بعض القرى، كما توجد فيها فروع لكافة الوزارات المعنية بالاضافة الى الماء والكهرباء حيث شاهدنا أجهزة الراديو والتلفزيون حتى في بعض العشش السكنية التي يقطنها المواطنون.

حسيفين :

وهي قرية كبيرة ذات نخل وبساتين، ويخترقها وادي مليء بالحصى ويبدو وكإنه مسيل لمياه الامطار حيث تقع على جانبيه البساتين العامرة كما يوجد فيها مسجد ومدرسة.

دبـاغ :

وهي قرية صغيرة ذات بساتين نخل وفاكهة وفيها مسجد ومدرسة وتنتشر فيها شجيرات (الاشخرة) بصورة ملفتة للنظر. وقد حدثنا احد الفلاحين فيها قائلا بان هذه الشجيرات طبيّة وتوجد فيها مادة تشبه الحليب الا انها سرعان ما تجف بعد استعمالها وتصبح ذرات بيضاء متطايرة وهي تستعمل لمعالجة بعض الامراض كما تستعمل كفراش للمصابين بكسور وذلك للينها.

ليـوا :

وهي قرية صغيرة تتصل بالشارع العام بطريق ترابي تقع على جانبه الايمن مساكن المعلمين الكائنة بجوار مدرسة عصرية البناء وبعض البيوت الجديدة المبنية بالطابوق والاسمنت الى جوار العشش البسيطة التي تسكنها اغلبية المواطنين وتحف بها بساتين النخيل والفاكهة حيث يخترق الشارع القرية حتى ساحل البحر. وعند دخولنا ليوا واجهنا حصن قديم قد جدد بناؤه وهو يحتوي على ثلاثة

أبراج كبيرة مستديرة يرتفع العلم العماني فوق احدهـا حيث مقر نائب الوالي وتحف بها البساتين حتى الساحل حيث يوجد الجامع وبعض آبار المياه الحلوة التي لايزيد عمقها عن مترين كما توجد قرب الساحل بعض البيوت الجديدة المبنية بالطابوق الاسمنتي .

شنـــــاص :

وهي مدينـة ذات مدخـل جميـل ممهد غير مسفلت تحف به غابة من اشجار (السمـر) في بدايتـه ثم تبـدأ البسـاتين الجميلة المحملة بثمارها تظلل الطريق الى مسافة كيلومترين حتى يتصل بالبحر. يبلغ عدد سكان هذه المدينة التي تعتبر مركزا للولايـة حوالي ١٢ ألف نسمـة أمـا سكـان الولاية كلها فيقدر عددهم بحوالي (٣٥) الف نسمة يشتغلون بالزراعة والصيد .

وعنـد دخـولنـا المـدينـة واجهنـا بيت الوالي وهوبيت جديد يرتفع فوقه العلم العمـاني ، حيث تنتشـر بعض البيـوت الجـديدة والدكاكين وفرع بنك عمان الوطني على جانبي الشارع الرئيسي حتى تصل الى ساحل البحر متفرعة في شوارع ممهدة تحف بها بيوت المواطنين ومعظمها من السعف والجريد والخيام .

يوجد في المدينة مستوصف ومدرسة ابتدائية مختلطة تسمى (مدرسة سعد بن أبي وقـاص) ، كمـا توجـد فروع للدوائـر الكمـركية والوزارات المعنية بالاضافة الى الماء والكهرباء ومبنى قديم يسمى (الحصن) وهو المقر الرسمي للوالي حيث يرتفع العلم العماني فوق احدى قلاعه .

هذا ولقد لاحظت باننا كلما سرنا شمالا في السلطنة يبدأ لباس النساء يقترب من لباس نساء دولة قطر ودولة الامارات العربية المتحدة حيث يلبسن (البطولة) على وجوههن كما يلبس بعض الرجال العقال و(الغترة) اسوة بالاخرين من ابناء الشمال .

صحـــار :

من يرى صحار الآن لن يصدق بانها كانت مدينة مأهولة كثيرة السكان عظيمة الـرخـاء والثـروة وكمـا وصفهـا الـرحـالة الجغرافي ـ المؤرخ الاصطخري في كتابه (المسـالـك والممـالك) عندما قال بانه (لايمكن ان توجد على الخليج ولا في بلاد

الاسلام مدينة أكثر غنى وجمالا من صحار).

لقد كانت صحار بين القرنين الرابع و العاشر في قمة مجدها وتألقها وكانت مأهولة بالتجار الاغنياء وبالبحارة الاقوياء، وكان مبعث تراثها وشهرتها يكمن في عملياتها التجارية الراقية المتمثلة في تجارة الحرير والتوابل من الهند والشرق الاوسط وأوربا.

ولقد اهل موقع (صحار) الستراتيجي هذه المدينة لتتبوأ مكانتها التجارية العالمية المرموقة حيث تقع جنوبي مضيق هرمز مباشرة، حيث كان من الطبيعي أن ترسو فيها السفن بعد عبور المضيق المرهق في الذهاب والاياب وهي في طريقها من الخليج العربي الى الهند والشرق الاقصى وبالعكس وذلك من أجل التزود بما تحتاج اليه من طعام ومياه عذبة وبعد ذلك الابحار المتعب والاخطار الكامنة في التيارات المائية الموجودة في منطقة رأس مسندم بين جزيرة (أم الغنم) وجزيرة (سلامة وبناتها) حيث يعتبر ذلك الممر المائي العماني هو الممر الوحيد للسفن الداخلة الى الخليج العربي والخارجة منه.

هذا ولقد كانت التجارة مع افريقيا الشرقية مهمة لصحار ذاتها حيث يجلب تجارها القرنفل وغيره علاوة على العاج وتروس السلاحف فتباع في اسواق المدينة أو تصدر الى البلاد الاخرى. وتقع (صحار) على أحد الوديان المهمة في سهل الباطنة وهو وادي (جزي) الذي يتجه الى البحر عند صحار.

ان هذا الوادي الذي يزود المدينة باحتياجاتها من المياه العذبة كان يعتبر من الطرق التجارية المهمة كذلك حيث يمتد الى البريمي والى دولة الامارات العربية المتحدة.

ولقد ذكرت (صحار) منذ القرن الاول الميلادي باسم (مزون) حيث اطلق ذلك الاسم على عمان بأجمعها بعدئذ عندما كان (المزربان) الفارسي يتخذها مقرا لحكمه، كما كانت بعدئذ عاصمة (لجيفر وعبد) ابناء الجلندي، اشهر ملوك عمان في حينه حيث قابلا مبعوث النبي محمد (ص) وأشهرا اسلامها وتم طرد الفرس من ساحل عمان جميعه وأصبحت (صحار) احدى أهم المدن الاسلامية في ذلك الوقت فعمرت بالمساجد والمآذن والمحاريب المنمنمة الانيقة.

لقد كانت صحار مدينة عامرة يزيد عدد بيوتها على (١٢) ألف بيتا كلها مبنية بالطابوق والحجارة والاخشاب الثمينة ولا تزال قلعتها حتى الآن شاهدة على ذلك وكان يسكنها خليط من البشر كالفرس واليهود الزنوج والافريقيين وغيرهم ومعظمهم من التجار والبحارة الا ان الغلبة كانت للعرب سكان البلاد الاصليين الذين بيدهم مقاليد الحكم والثراء سواء كان الثراء بواسطة التجارة أو بواسطة الزراعة حيث يزرع التمر والتين والليمون واللوز والحمضيات وغيرها والتي كانت تعتمد في الري على مياه الافلاج التي يتراوح عددها بين ١٥ ـ ٢٠ فلجا في ذلك الحين.

ولقد كان قدر (صحار) هو بداية قدر عمان كلها، عندما بدأت في الانهيار والتخلف منذ حكمها الفرس في القرن العاشر وعندما جاء البرتغاليون ازدادت احوالها تخلفاً وسوءاً، وكانت قلعتها المشهورة ذات (الطوابي) الست مدار معارك مع الفرس ومع البرتغاليين من بعدهم ولا تزال هذه القلعة قائمة قد ادخلت عليها تحسينات جديدة واضافات، ولا تزال مقرا للوالي كما كانت سابقا حيث يرتفع العلم العماني فوق طابيتها الغربية التي ظلت مبنية بنفس طرازها الاصلي ولم يدخل عليها أي تحوير او تغيير.

لقد كافحت هذه القلعة كفاحا عظيما ايام الغزوات الفارسية والبرتغالية، غير ان اعظم ايام نضالها كانت في القرن الثامن عشر عندما غزا الفرس عمان واحتلوا مسقط ومطرح ثم هاجموا صحار حيث كان (احمد بن سعيد البوسعيدي) مؤسس الاسرة الحاكمة الحالية واليا عليها من قبل اليعاربة فقام بصد الهجوم الفارسي العنيف وانتصر على المهاجمين مما حدا بالشعب وبرجال الدين الى مبايعته اماما على عمان كما سبق لنا بيانه.

وصحار اليوم مدينة متسعة تتكون من بيوت بعضها مبنية بالطابوق ومعظمها بالطين واللبن وتزرع فيها النخيل والفواكه التي تروي بمياه الافلاج التي ترفدها من وادي (جزّى).

وتمتاز مدينة صحار بموقعها الجميل على البحر وبكثرة بساتينها بالاضافة الى كثرة اشجار (الغاف) و(السمر) البرية وغيرها في مدخلها حتى تكاد تكون غابة طبيعية تنتشر فيها بيوت المواطنين المبنية بالقصب والسعف والحصران حيث يقع

في هذه المنطقة مبنى المستشفى وهو مستشفى حديث مكون من طابق واحد تواجهه بعض الدكاكين الخشبية كما يقع مركز قيادة الشرطة السلطانية بمبناه الحديث (والفيلات) الجديدة التي اعدت لسكنى ضباط الشرطة والمراتب في هذه المنطقة بالقرب من الشارع العام المؤدي الى نهاية الحدود العمانية عند (خطمة ملاحة) والذي يتفرع منه شارع ممهد يؤدي الى مدينة (صحار) حتى ساحل البحر كما يقع مبنى مديرية التربية الجديد بالقرب من مركز قيادة الشرطة في شارع فرعي اسفلتي.

واذا ما توغلنا في هذه المدينة العريقة ووصلنا حتى ساحل البحر طالعتنا قلعة (الحصن) الشهيرة وقد جدد بناؤها وارتفع برجها المربع الذي يتميز عن ابراج بقية القلاع الاثرية في السلطنة ذات الابراج المستديرة.

هذا ويوجد في المدينة كثير من الدوائر الحكومية، فبالاضافة الى مقر الوالي في الحصن حيث تجاوره المحكمة في غرفة اخرى نجد مبنى ادارة الاشراف التعليمي والمستشفى ومكتب شؤون الاراضي والنادي الاجتماعي الرياضي وبلدية صحار ومكتب البريد ومكتب الاشغال العامة ومكتب الكمرك ودائرة الاوقاف والشؤون الاسلامية ومكتب مصائد الاسماك. كما نجد خمس مدارس للبنين والبنات في المدينة، اضافة الى ادارة الشؤون الاجتماعية والعمل المطلة على البحر في مبنى قديم حيث استقبلنا مديرها ببالغ الترحاب واخبرنا بان ادارته هذه تقدم خدماتها لولايات منطقة الباطنة، وهي : بركاء والمصنعة ونخل والعوابي والمعاول والرستاق والسويق والخابورة وصحم وليوا وشناص ومحضة، وهي تقوم بجميع الخدمات التي تمارسها وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، مثل الرعاية الاجتماعية لبعض فئات المجتمع، كالارامل والايتام والعجزة، كما تتولى اقامة بعض المشروعات الصغيرة لمساعدة العائلات المحتاجة من واقع قدرات واستعدادات تلك العائلات، كتزويدها بمكائن الخياطة مثلا او شباك صيد الاسماك او افتتاح دكان صغير وغير ذلك من المشروعات الانتاجية الصغيرة، هذا بالاضافة الى عناية الادارة بالتنمية الاجتماعية عن طريق دراسة البيئة المحلية والقيام بمشروعات لخدمتها.

اما مكتب العمل والعمال في الادارة فانه يتولى فض النزاعات العمالية وتقديم المعاونة لاصحاب الاعمال والمقاولين في اصدار اجازات جلب العمال من الخارج والعمل على تطبيق قانون العمل والعمال العماني.

وفي اثناء تجوالنا في المدينة شاهدنا بعض الاسواق الصغيرة والدكاكين والمطاعم، كما شاهدنا فروعا للبنك الوطني العماني وبنك الاعتماد والتجارة والبنك البريطاني للشرق الاوسط، ومررنا بالمزرعة النموذجية ومزرعة اخرى خاصة بالسلطان.

ولقد غادرنا صحار عائدين الى العاصمة ونحن نتمنى العودة لهذه المدينة التاريخية كما نتمنى ان يعود لها ازدهارها القديم... غادرناها ونحن نتذكر قول شاعرها القديم (ثابت بن قطنة العتكي) الذي خلد ذكرها كما خلد ذكرى انتصار المسلمين على الفرس المجوس في صدر الاسلام، عندما رفض (مسكان) قائدهم الانضواء تحت راية الحق والدعوة الاسلامية، حيث قال في قصيدة طويلة رائعة :

الم تنبّئك عن سكانها الدار	وعندها من بيان الحي اخبار
كأنهم يوم راحوا تاركين لها	من خوفهم بجناحي طائر طاروا
صادفت مسكان وسط النقع منجدلا	اثوابه بعد تاج الملك اطمار

.. فسلام على صحار وعلى ابنائها الغر الميامين، وعلى من زارها وكتب عنها من قدامى المؤرخين العرب والمسلمين، امثال ابن خرداذبة وابن الفقيه والاصطخري وابن حوقل والمسعودي والبكري والمقدسي وياقوت الحموي وابن المجاور وابن خلدون وابن بطوطة وغيرهم ممن جاءوامن بعدهم.

... واذ اغادر صحار، اجدني اردد ابياتا من قصيدة ابنها وشاعرها القديم (ابو علي محمد بن زوزان) الذي غادرها الى بغداد فعز عليه الفراق فقال :

الا ايها الركب اليمانون بلغوا	بمسجد بشار وجوزوا به قصدا
الى سوق اصحاب الطعام فانه	تحية نائي الدار لقيتموا رشدا
اذا ما حللتم في صحار فألمموا	يقابلكم بابان لم يوثقا شدا
ولم يرددا من دون صاحب حاجة	ولا مرتج فضلا ولا آمل رفدا
فعوجوا على داري هناك وسلموا	على والدي زوزان وقيتموا جهدا

فتحيـة لك وسـلام على امجـادك العريقة وأيامك الخالدة . . وسلام على بغداد وقد هزني لها شوق غامر وحنين جارف اثار اشجانه (ابن زوزان) وهو يناجي مدينته الجميلة .

جولة في المنطقة الشمالية

منطقة مسندم .

ومنطقـه مسنـدم ، وهي الجـزء المعـزول في المنطقة الشمالية للسلطنة تشبه طفلا ابعدوه عن امه قبل فطامه فنشأ ضعيفا نتيجة الاهمال وانعدام الرعاية ، ولذلك لم يكن يعـرف عنهـا الا القليـل حيث تفصلهـا عن الوطن الام (امارة الفجيرة) ، ولا يصلها بالسلطنة الا البحر وطريق الجو، أما الطريق البري فقد انعدم الاتصال بواسطته.وهكـذا ضاع الكثيـر من تاريـخ هذه المنطقـة وتاه في غبار الزمن غير ان بعثة علمية من الجمعية الجغرافية البريطانية زارت هذه المنطقة في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٧٢م وعثرت على بعض الاثـار والخـزفيات التي تعود الى مائة عام قبل الميـلاد كمـا عثـرت على ما يدل على ان البرتغاليين في ايام فتوحاتهم كانوا يعنون بهـذه المنطقـة التى دارت معـاركهم حولهـا كطريق بحري تجاري هام في الخليج العربي يربط تجارتهم بين الشرق الاقصى واوربا .

وتمتـاز منطقـة مسندم بمركزها الستراتيجي الهام على مدخل الخليج العربي عند مضيق هرمز حيث تمر فيها الناقلات محملة بما لا يقل عن مليوني طن من النفط الخام الايراني والعربي سنويا متجهة الى اوربا والى اليابان .

وتتألف منطقة مسندم من جبال وعرة ترتفع الى حوالي ١٨٠٠ مترا كما تتكون من ساحل يضم الجبال الصخرية التي تكونت بنفس الطريقة التي تكونت بها جبال (زاجروس) على الساحل الايراني . ومن اهم المرتفعات الداخلية في هذه المنطقة (جبال الحجر) وهي سلسلة جبليـة طويلة تبـدأ من رأس مسندم وتمتد حول سهل الباطنة على شكل قوس حتى تقترب من (رأس الحد) .

وتنقسم هذه الجبال الى جبال (الحجر الشرقية) وجبال (الحجر الغربية) .

ومن اهم جبال الحجر هذه (جبـل فلوح) الـواقـع بالقرب من (رأس الحد) و(جبل فطـلاح) الـذي يبلغ ارتفـاعه (١٩٠٠) مترا وجبل (الحارم) قرب رأس مسندم ويبلغ ارتفاعه (٢٠٥٧) مترا .

ان الاهمية الستراتيجية لهذه المنطقة تكمن في ان (مضيق هرمز) الذي يعتبر مفتـاح الخليـج والـذي لا يزيـد عرضه على (١٢) ميلا يقع فى هذه المنطقة الهامة الـتي تبلغ حوالـي (٢٠٠٠) كيـلومتـرا بجبـالهـا الجـرداء التي تتجـه نحـو

البحر بانحدار حاد يزيد على سبعة آلاف قدم حيث الجزر المهمة كجزيرة (الغنم) وجزيرة (سلامة وبناتها) وغيرها من الجزر التي تتحكم في الطريق الملاحية للخليج العربي . هذا بالاضافة الى ما تقوم به احدى الشركات الفرنسية في التنقيب عن النفط مما يبشر بخير عميم لهذه المنطقة الهامة من الوطن العماني .

الرحلة :

وركبت ووالي (بخا) طائرة (سكاي فان) التابعة لسلاح الجو السلطاني من مطار السيب الدولي صباح ١٨/٦/١٩٧٧ في طريقنا الى المنطقة الشمالية ـ منطقة مسندم ـ حيث يستغرق الوقت الى (خصب) قرابة ساعة ونصف في جو صحو جميل حتى وصلنا مطار (البيعة) وهي احدى ولايات المنطقة الشمالية الثلاث (خصب ـ بخا ـ البيعة) وهو مطار صغير ممهد بالحصى الصغير وذلك بعد ان مررنا في مواجهة (خورفكان) وهو ميناء يطل على خليج عمان ويتبع امارة الشارقة ومن معالمه الواضحة مدرسة (المهلب بن ابي صفرة) حيث تقول احدى الروايات بان القائد الاسلامي الشهير المهلب بن ابي صفرة كان من ابناء هذه المنطقة التي تسمى (دبا) بفتح الدال ـ حيث لا تزال احدى قبائل المنطقة تسمى (المهالبة) .

كما مررنا بمنطقة (كلبا) التابعة لامارة الشارقة وهي لا تبعد كثيرا عن (خورفكان) وتوجد فيها مدرسة تسمى بمدرسة (سيف بن سلطان اليعربي) نسبة الى القائد العماني (سيف بن سلطان) احد مشاهير الائمة العمانيين في عهد اليعاربة والذي قهر البرتغاليين وطاردهم حتى شرقي افريقيا .

أما (دبا) ذاتها فانها تنقسم الى ثلاثة اقسام هي (البيعة) وتتبع سلطنة عمان وفيها والي ، و(المربعة) وتتبع امارة الشارقة و(الشرقية) وتتبع امارة الفجيرة . وهناك شارع مسفلت يصل بين مسقط ودبا . . وهكذا قسمت هذه المنطقة بين ثلاث دول عربية ، وكأنها برلين . . !!

ولدبا اهمية تأريخية اذ توجد فيها بعض الاثار التاريخية القديمة التي تعود الى العهد الاسلامي الاول كما يروى بان (البيعة) سميت بهذا الاسم لان سكانها بايعوا النبي محمد (ص) في ذلك المكان على الاسلام .

وبعد استراحة قصيرة في مطار البيعة لم تتجاوز خمس دقائق اتجهت بنا

الطائرة نحو مدينة (خصب) وقد ابتعدت عن البحر وطارت بين الجبال الصخرية الشاهقة حتى لنكاد نلمسها بأيدينا وفي وديانها الجرداء الا من بعض تجمعات صغيرة من النخيل كانت هناك بعض المزارع الصغيرة على شكل مدرجات صغيرة خضراء.

ووصلنا مدينة خصب، واستقبلنا واليها ورجاله بترحيب كبير حيث قادنا الى بيته الحكومي الجديد.

وبعد ان تناولنا (الفوالة) المكونة من الحلوى العمانية الشهيرة وشربنا القهوة قمنا بجولتنا في هذه المدينة التي تقع في وادي خصيب بين الجبال وتزرع فيها النخيل وبعض الفواكه.

وقد اخبرنا الوالي بان عمر هذه المدينة يبلغ (١٣٠) عاما وان فيها معسكرا للجيش العماني السلطاني (جندرمة عمان) تتولى شؤون خفر السواحل ومكافحة تهريب المتسللين الاجانب اضافة الى قيامها بالخدمات المدنية للمواطنين في اعالي الجبال واعماق الوديان حيث تستخدم الطائرات العمودية وطائرات (السكاي فان) لنقلهم وامتعتهم وموادهم البنائية مجانا من اماكن سكناهم الى الاماكن الاخرى التي يقصدونها في منطقتهم والى العاصمة علاوة على استخدام نظام (الطبيب الطائر) الذي ينتقل بين القرى والتجمعات السكانية في المنطقة لفحص المرضى وعلاجهم ونقلهم عند الحاجة الى المستشفيات ويتولى هذه العمليات كلها مركز يسمى (مركز تنميه المجتمع) التابع للجيش السلطاني العماني.

هذا ويوجد في ولاية خصب التي تتبعها (٣٨) قرية جبلية وساحلية، مدرسة للبنين (٣٨٠) تلميذا ومدرسة للبنات (١٩٥) تلميذة تضم المرحلتين الابتدائية والاعدادية في مدينة خصب، كما توجد مدرسة ابتدائية مختلطة في كل من قريتي (قدا) و(ليما) الساحلتين وقد شاهدنا العمل يجري لانشاء بناية للنادي الرياضي بكلفة قدرها ٣٧١٠٠ ريال عماني ويبلغ عدد سكان الولاية قرابة (١٣) الف نسمة منهم خمسة الاف في خصب، كما يوجد مستشفى فيه ثلاثة اطباء وعدد من الممرضات والممرضين بالاضافة الى وجود محطتين للماء والكهرباء ومركز للبريد ومركز للارشاد الزراعي ودائرة للبلدية ومركز للجمارك ومركز (مسندم البحري) التابع

لوزارة البلديات والذي يقوم بنقل المياه والمواد الغذائية للمواطنين في القرى الساحلية بصورة مجانية.

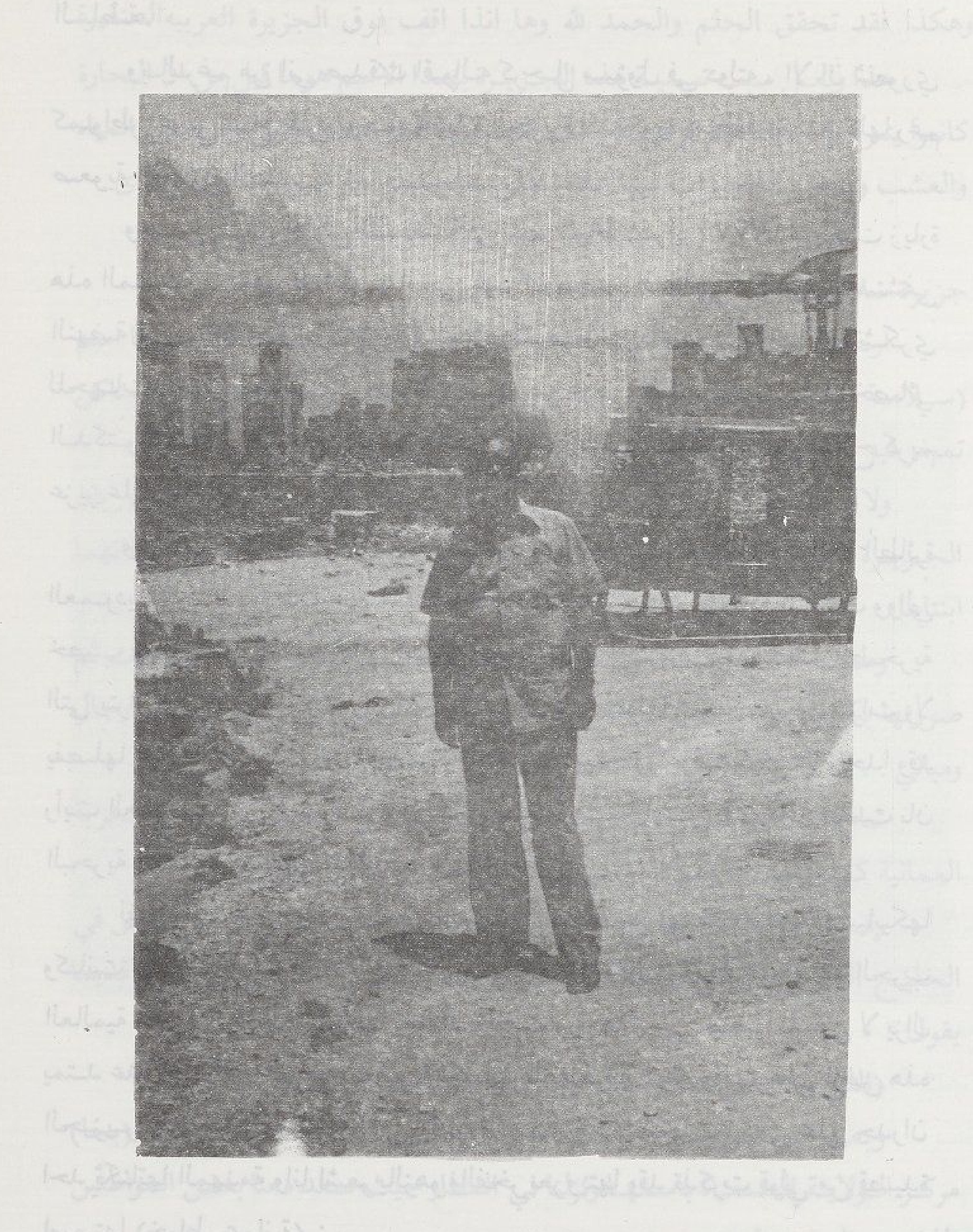
يشتغل معظم سكان هذه الولاية والولايات الاخرى في المنطقة (بخا والبيعة) بالزراعة والصيد وشؤون البحر وتربية الاغنام والماعز وهم ينقسمون الى قبائل متعددة يعمل بعضهم مع شركة النفط الفرنسية (الف ايراب) التي تقوم بالتحري عن النفط في مياه منطقة مسندم.

يوجد في هذه المنطقة مكتب للاشراف التعليمي (مديرية التربية والتعليم في المنطقة الشمالية)، يتولى شؤون الاشراف التعليمي للمنطقة حيث توجد (٩) مدارس منها مدرستان اعداديتان وسبع مدارس للبنين والبنات ويبلغ عدد تلاميذ هذه المدارس (١٠٣٩) تلميذا وتلميذة، اما عدد المعلمين فيبلغ (٨٠) معلما ومعلمة.

وبالنظر الى ان ولايات المنطقة الثلاث: خصب وبخا والبيعة، تنفصل عن بعضها بالجبال العالية الوعرة ولا يمكن التنقل بينها الا بواسطة الطائرات او البحر، ولوجود تجمعات بدوية في اعالي الجبال وفي بطون الوديان والجزر، ولصعوبة وصول التلاميذ من قراهم المتباعدة الى مدارسهم في هذه المدن الثلاث، فقد انشأت الحكومة اقساما داخلية للتلاميذ القرويين في كل مدينة من هذه المدن حيث يقدم اليهم السكن والطعام والكتب واللوازم المدرسية بصورة مجانية تشجيعا لهم وحثا على طلب العلم.

جزيرة الغنم

وجزيرة الغنم او (ام الغنم) لها قصة مثيرة في نفسي، فقد سبق لي ان كتبت في كتابي (الخليج العربي في ماضيه وحاضره) وكتابي (شط العرب في مجرى التاريخ والسياسة والقانون) بان تلك الجزيرة العمانية قد احتلت وجزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزيرة ابو موسى من قبل الجيش الايراني مستندا في ذلك الى ما نشرته الصحف ووكالات الانباء العالمية، غير ان السفير العماني في بغداد اخبرني في احد لقاءاتنا بان هذا الخبر مكذوب وان جزيرة الغنم لا تزال جزيرة عمانية وانه شخصيا قد رفع العلم العماني فوقها عندما كان واليا لولاية (خصب) وقد حثني على ضرورة زيارتي للجزيرة المذكورة للتأكد من صحة اقواله عند سفري الى



المؤلف في جزيرة (أم الغنم) العمانية

السلطنة.

وبالرغم من اني صدقت اقواله كرجل مسؤول في دولته، الا ان شعوري كمواطن عربي الح على بوجوب زيارة الجزيرة المذكورة ومنطقة مسندم كلها رغم صعوبة الوصول اليها.

وعند زيارتي الاولى للسلطنة في شهر شباط (فبراير) ١٩٧٧م جعلت زيارة هذه المنطقة من اهم نقاط برنامجي غير ان مرضي المفاجىء ودخولي مستشفى النهضة في مسقط حال دون الزيارة المنشودة واضطرني للعودة الى بغداد مع شكري للجهات العمانية وللسفير العراقي السيد طه عريم وللطبيب العماني الاخصائي الدكتور عبدالله الريامي وللطبيب العراقي المقيم في مسقط الدكتور صلاح كريم عزيز على رعايتهم.

وفي زيارتي الثانية للسلطنة قمت بزيارة الجزيرة المنشودة، فركبت الطائرة العمودية بجانب الطيار من مدينة (خصب) وبعد حوالي سبع دقائق كنت ووالي خصب ووالي بخا والاستاذ (ابراهيم الصبحي)(*) فوق ارض جزيرة أم الغنم الصخرية التي يتراوح عرضها بين (٢ - ٢,٥) كيلومترا ولا يزيد طولها على تسع كيلومترات ولا يفصلها عن الارض العمانية الا ممر مائي ضيق لا يتجاوز عرضه كيلومترا واحدا وقد رأيت العلم العماني مرفوعا فوق بناية صغيرة فيها حارسين اثنين وقد علمت بان البحرية العمانية ستنشيء مركزا لها هناك.

لقد رأيت في الجزيرة بعض البنايات القائمة وقد تهدمت سقوفها وشبابيكها وكانت تتخذ ثكنات لقوة بحرية بريطانية صغيرة كانت في الجزيرة ايام الحرب العالمية الثانية ثم انسحبت منها بعد ان خلفت وراءها مرسى صغيرا للسفن لا يزال يمتد عدة امتار في البحر وبعض الثكنات العسكرية. وقد وقفت على ارض هذه الجزيرة العربية والتقطت بعض الصور التذكارية كما سجلت اسمي على جدران احد ثكناتها المهدمة وانا اشعر بالزهو والفخر بعروبتها وقد تذكرت قولي من قصيدة اسميتها (خواطر عمانية):

وكم تخليت اني كنت في غنم   جزيرة العرب لن يلوى بها القدر

(*) مستشار وزارة الاعلام العمانية والامين العام المساعد لمجلس تعاون دول الخليج حاليا.

وهكذا فقد تحقق الحلم والحمد لله وها انذا اقف فوق الجزيرة العربيه الصغيرة.
هذا ولعل سبب تسمية هذه الجزيرة بهذا الاسم هو ما قيل من ان البحارة كانوا يتركون اغنامهم ترعى في هذه الجزيرة المهجورة نظرا لتوفر بعض المياه والعشب وبعض الشجيرات فيها علاوة على خلوها من اية حيوانات برية اخرى.

جزيرة سلامة :

ارتفعت بنا الطائرة العمودية متجهة نحو جزيرة سلامة (التي يطلق عليها اسم (سلامة وبناتها) وقد صفا الجو وامتد مدى الرؤية، والبحر من تحتنا هادىء ساكن تمخر فيه ناقلات البترول الضخمة تنقل النفط الى العالم.

ولاحت لنا جزر ثلاثة بعد طيران استغرق عشر دقائق، فاخبرني الطيار بان الجزيرة الكبيرة هي جزيرة (سلامة) اما الجزيرتان الصغيرتان بجانبها. فانهما ابنتاها. كما يقول اهل عمان.

وطرنا فوق جزيرة سلامة وطلبت الى الطيار ان يدور فوقها ثلاث مرات ثم صورتها بكاميرا عن قرب وانا اشاهد معالمها بكل وضوح واراقب من فيها من رجال ومباني..

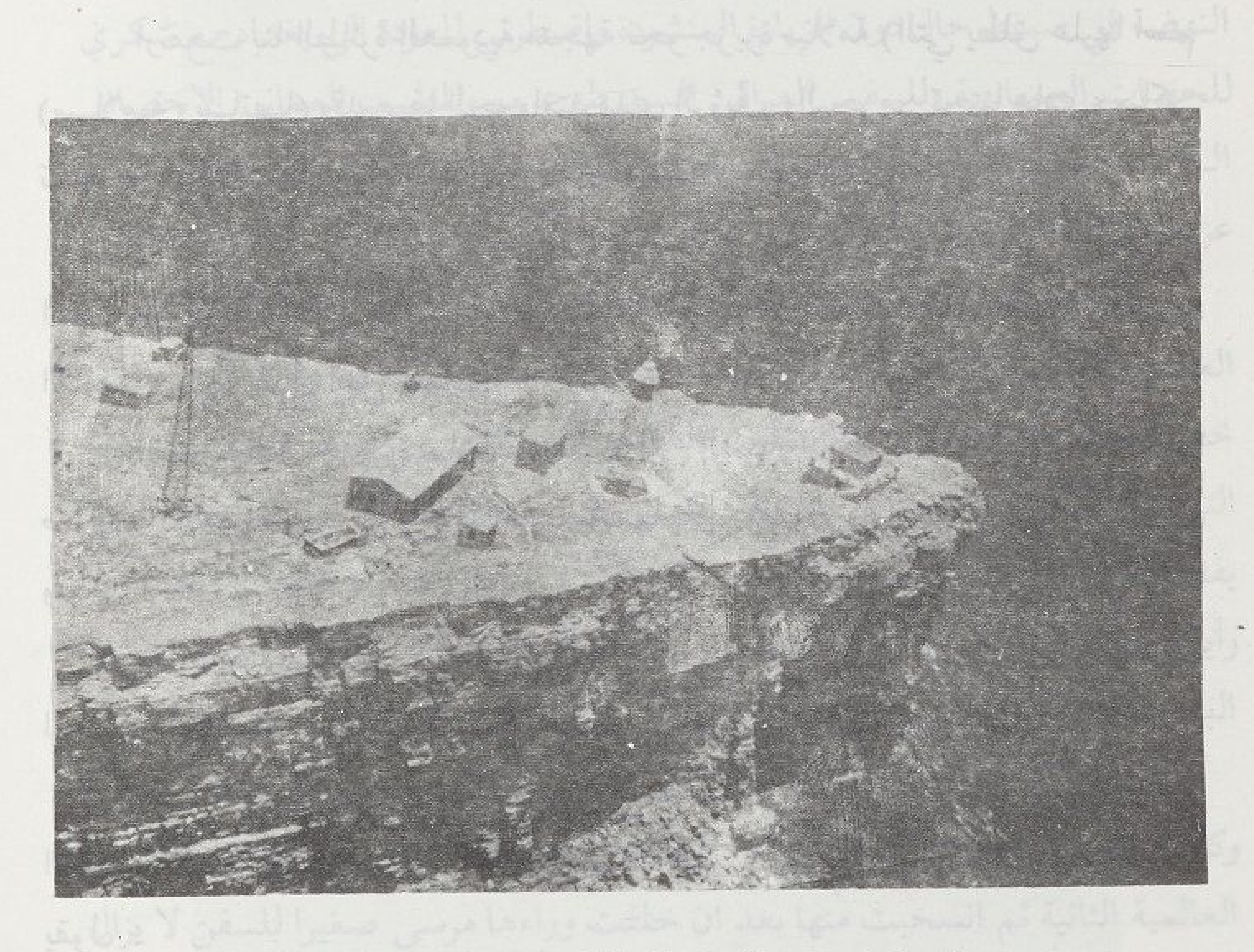
شاهدنا فيها فنارا لارشاد البواخر وبيوتا للموظفين والعمال من رجال البحرية العمانية كما شاهدنا العلم العماني يرتفع في سمائها تأكيدا لعروبتها.

وقد اخبرني من رافقني بان هذه المنطقة هي من اخطر واعمق المناطق في الخليج العربي نظرا لوجود التيارات المائية القوية فيها وان هناك مثلا عمانيا قديما يقول :

(اللي يطلع من سلامة مثل اللي يطلع من بطن امه)....!!

وبعد ان تجولنا فوق جزر سلامة وبناتها اتجهت بنا الطائرة نحو مدينة (بخا) مركز الولاية المسماة باسمها ونزلنا في المطار حيث صعد معنا بعض المواطنين الذاهبين الى مدينة (خصب).

لقد كان منظر الجبال رهيبا والطائرة تتسلقها بعنف حتى شعرت وكأنني اتسلق تلك الجبال العاتية بيدي والطائرة تتأرجح اذ يهزها الريح العاصف محاولا اخضاعها



جزيرة (سلامة) العمانية وفيها الفناروالادلاءلارشاد السفن العابرة في مضيق هرمز

لجبروته وعنفوانه . وكانت القرى الصغيرة تنتشر في كل وادي وعلى رأس كل جبل حيث شاهدنا طائرات عمودية قد علقت موادا بنائية واخشابا وشباكا ملأى بأكياس الدقيق والسكر وغيرها وهي تتجه الى القرى الصغيرة لايصال تلك المواد اليها .

ولاية بخا :

وبخا . (بضم الباء) ولاية صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ثلاثة آلاف نسمة ، يعيش بعضهم في مدينة (بخا) التي تحتضنها الجبال في وادي جميل تنمو فيه بساتين النخيل التي تسقيها مياه الابار المنحدرة من الجبال . ولم تكن هذه المدينة قبل عام ١٩٧٠م الا قرية صغيرة سنسية ، امتدت اليها يد العمران فانشأت فيها مدرستين احداهما للبنات والاخرى للبنين كما انشأت فيها مركزا صحيا لعلاج المواطنين وناديا رياضيا لشبابها وفرعا لبلدية (خصب) كما جعلت (مركزا للاشراف التعليمي) للمنطقة الشمالية كلها في هذه المدينة التي شرع في بناء محطة للكهرباء ومشروع للماء فيها ، كما بديء بشق طريق حديث يربطها بدولة الامارات العربية المتحدة حيث اخبرني واليها بان هنالك في الولاية عددا من القرى الصغيرة والتجمعات السكنية التي يعيش سكانها على الصيد والزراعة ويذهبون الى امارة رأس الخيمة لشراء احتياجاتهم التي تنقلها الحكومة بواسطة (اللنشات) مجانا انتظارا لليوم السعيد الذي تتصل فيه هذه المدينة برأس الخيمة في شارع حديث مسفلت .

قبائل المنطقة :

ان اهم العشائر في هذه المنطقة هم : بني حمود بن سالم وبني شتير وبني هدية والكمازرة والظهوريين والخيازرين وبني فريود . وتنضوي هذه العشائر كلها تحت اسم قبيلة واحدة تسمى (الشحوح) الذين اختلفت الاراء في اصولهم الا ان القول الغالب هو ان هذه القبيلة تنحدر من الازد وينتسبون الى (شح بن مالك بن فهم الازدي) الذي اطلق عليه اسم (شح) لانه شح عن دفع الزكاة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) .

هذا وللكمازرة على وجه الخصوص لغة خاصة هي خليط من اللغات العربية والفارسية والانجليزية ، وربما البرتغالية فهم يسمون الباب مثلا (دور) وهي كلمة

انجليزية كما يقولون (بيوة) بمعنى تعال وهي قريبة من كلمة(بيا)الفارسية التي تؤدي نفس المعنى. ولعل اسمهم هذا مشتق من المنطقة التي يسكنون فيها وهي منطقة (كمزار).

وقبيلة الشحوح هي قبيلة نصف بدوية يبلغ تعدادها اكثر من خمسة الاف نسمة يعيشون في بعض الكهوف الجبلية في المنطقة الا انهم ينزلون الى الساحل والى القرى الاخرى في مواسم الزرع وجني التمور وسلاحهم الوحيد هو الفأس التي يحملونها دائما بايديهم دفاعا عن انفسهم حيث يقتلون عدوهم بضربة واحدة من تلك الفأس في منتصف انفه فتكون القاضية.

هذا ولقد تأثر (الشحوح) بمظاهر الحضارة والمدنية بعد عام ١٩٧٠م حيث تقوم الحكومة بامدادهم بجميع انواع الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية واصبح ابناؤهم يتعلمون في المدارس التي انشأتها الحكومة ويتفاعلون مع الحضارة الجديدة.

جولة في المنطقة الجنوبية

المؤلف أمام فندق الفلج مع الشيخ محمد محمود الصواف والدكتور مجيد خدوري
وأحد المسؤولين العمانيين في الموسم الثقافي العماني بمسقط عام ١٩٧٧

ظفار الخضراء :

واذ تقطع بنا الطائرة النفاثة المسافة بين مسقط وصلالة، العاصمة الجنوبية وتبلغ (١٢٠٠) كيلومترا في ساعة وربع ساعة تقريبا، اجدني، وقد قمت بزيارة ظفار مرتين في خلال ثلاثة اشهر، اتطلع بلهفة واشتياق الى هذه القطعة العزيزة من وطننا العربي الكبير وطائرتنا تطير فوق السحاب وتقهر الجبال الشامخة.

ففي رحلتي الاولى الى صلالة وكانت في اليوم الاول من شهر آذار (مارس) ١٩٧٧م كانت جبال المنطقة الجنوبية تبدو شاهقة صماء اللهم الا من شجيرات تتناثر هنا وهناك على جنبات تلك الجبال وحفافي وديانها الجافة السحيقة واحواضها المتخلفة عن السيول وهي تبدو وكأنها مجاري انهار قديمة مندرسة.

وفي رحلتي الثانية، وكانت في يوم ١٩٧٧/٦/٢٠م كانت طائرتنا الضخمة تخرج من غيمة سوداء لتدخل في سحابة اخرى تزيد في اهتزازها والطيار يحاول التخلص جاهدا من تلك (المطبات) الجوية بمهارة فيحلق، ويحلق حتى وصلنا حدود المنطقة الجنوبية حيث الشمس ساطعة وقد ظهرت جبال (قرا) المطلة على صلالة، خضراء جميلة قد لبست ارضها بساطا سندسيا وسالت بعض وديانها بمياه الامطار الغزيرة حتى وكأنها انهار جارية تلتمع اشعتها الفضية ببريق جميل. ووصلنا سهل صلالة الضيق فاذا بالخضرة تملؤه والزرع يزينه وقد شمخت اشجار جوز الهند (النارجيل) بوقار تهز رؤوسها وكأنها تحيي القادمين وتنوء اشجار الموز والفافاي بحملها الثقيل خيرا وبركة لهذه البلاد العزيزة.

وأذن. فنحن الان في منطقة تختلف عن بعض مناطق السلطنة الاخرى جغرافيا وطبيعيا وذلك لانها منطقة تتأثر بالرياح الموسمية فتكون سببا لتغيير المناخ فيها.

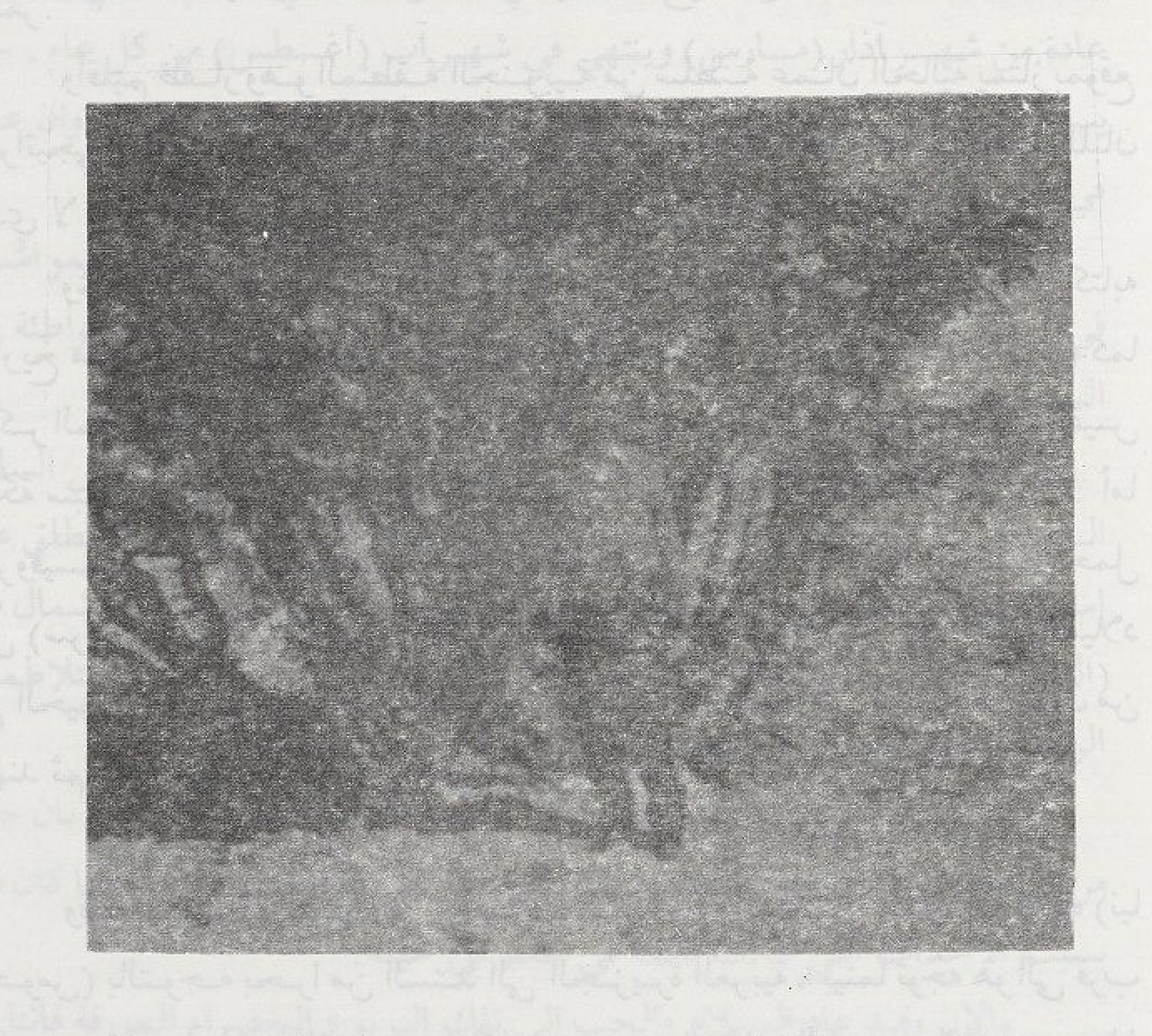
الاعصار المدمر :

وبمناسبة الحديث عن الرياح الموسمية لابد لنا من القول بأسى كبير بان السلطنة تعرضت بصورة عامة لاعاصير قوية بلغت سرعتها قرابة ١٣٠ ميلا في الساعة، كما تعرضت لامطار غزيرة وذلك قبل زيارتنا الثانية للبلاد بايام قليلة، فاكتسحت جزيرة (مصيرة) التي دمر الاعصار ٩٨٪ من منشآتها كما دمر بعض اقسام

المنطقة الداخلية في البلاد والقسم الجنوبي من المنطقة الجنوبية (ظفار)، فهدم بيوتها وشرد سكانها وتكسرت الآف النخيل في (الحمراء) وغيرها من المدن كما تلفت مئات الاشجار الحمضية وغرقت عشرات الزوارق. وقد ضرب الاعصار والسيول مدينة (مرباط) في المنطقة الجنوبية حيث دمر ٩٠٪ من مساكنها وقتل بضع عشرات من المواطنين، وبلغ مجموع منكوبي الاعصار والسيول في البلاد قرابة الفي اسرة، بادرت الحكومة الى تقديم الخدمات الفورية لهم فاسكنت بعضهم في المباني الحكومية التي لم تتضرر بالاعصار كما اسكنت بعضهم في المدارس والقسم الاكبر منهم في خيام نقلتها الى تلك المناطق على عجل، وكانت الطائرات العسكرية والطائرات العمودية تنقل الاغذية والملابس والخيام والبطانيات والافرشة الى المنكوبين باستمرار رغم ما كانت تتعرض له من اخطار وخاصة في جزيرة (مصيرة) ومدينة (مرباط) المنكوبتين، حيث استنفر المسؤولون جميع اجهزة الدولة المعنية لبذل المزيد من الجهد وشكلت لجنة عليا لاغاثة المنكوبين برئاسة وزير العمل والشؤون الاجتماعية وقد بادر المواطنون العمانيون على اختلاف مراكزهم الاجتماعية بتقديم معونتهم النقدية لاخوانهم المنكوبين في مراكز خصصت لذلك في العاصمة والمدن الرئيسية في السلطنة في نفس الوقت الذي بادرت فيه المؤسسات والمنظمات الدولية كالامم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية والدول الشقيقة والصديقة الى تقديم المساعدات الفورية النقدية والعينية والمواد الطبية. كما اتخذ مجلس وزراء الصحة العرب في دورته الثالثة التي عقدت في الكويت في شهر شباط ١٩٧٨ قرارا بتغطية جزء من نفقات اصلاح الاضرار الناجمة عن الاعصار وذلك بالمساهمة في اعداد وتجهيز بعض الوحدات الصحية التي ستقام في المنطقة.

ظفار بلاد اللبان والبخور :

لقد استوطن الفينيقيون ارض عمان قبل ظهورهم في شرق البحر الابيض المتوسط، كما اسلفنا وكانوا سادة المحيط الهندي واستطاعوا الوصول الى شرق افريقيا والتغلغل في قلب القارة الافريقية العذراء حيث جلبوا الذهب وريش النعام الى ارض ظفار او (اوفير)، كما كانوا يطلقون عليها، ومن ثم اعادة تلك المواد الى



المؤلف أمام شجرة (اللبان) في جبال ظفار العمانية

جنوب العراق وفلسطين .

وفي هذا الصدد يقول الاستاذ عبد القادر سالم الغساني في محاضرة القاها في المنتدى الطلابي الصيفي الاول بصلالة عام ١٩٧٦م ، بان احد علماء الآثار قد عثر في عام ١٩٧١م على معبد غريب الشكل في شمال روديسيا يشبه الى حد كبير المعابد الفينيقية في (اوفير) اي ظفار، الواقعة بين خليج كوريا موريا وخليج جبال القمر.

وأقليم ظفار وهو المنطقة الجنوبية من سلطنة عمان الحالية يمتاز بموقع ستراتيجي واقتصادي استقطب اهتمام كثير من الدول منذ القدم بسبب وجود اللبان الذي لا يزال هو البخور المقدس الذي يستعمل في المناسبات الدينية .

وشجرة اللبان شجرة ظفارية ذكرها المؤرخ الانجليزي (برستيد) في كتابه (تاريخ مصر) مبينا بان مادة المر الشبيهة باللبان وجدت في قبر (توت عنخ أمون) كما يذكر المؤرخ الامريكي (وندل فيلبس) في كتابه (عمان في التاريخ) بان بلقيس ملكة سبأ حملت اللبان هدية الى الملك سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد . أما البروفيسور (نيكسون) فيذهب الى ان اللبان كان من جملة السلع التي كانت تحمل الى (سرجون) الملك الآشوري الذي حكم في شمال العراق عام ٧٥٠ قبل الميلاد مع الخيول والجمال من الجزيرة العربية ، وكذلك الانسجة التي تستوردها عمان من الهند ثم تنقل الى العراق والي الفراعنة في مصر[١٤١] .

وقد استهوى اللبان في (اوفير) ، الاسكندر المقدوني الذي أمر قائده (نيا رخوس) بالتوجه بحرا من السند الى الجزيرة العربية ، بينما توجه هو الى قرب (المحمرة) ، واسمها القديم (خاراكاس) بجنوب ايران حاليا (وهي اقليم عربستان المحتل منذ عام ١٩٢٥) ، وقد وصل القائد (ينارخوس) بالفعل الى رأس مسندم في شمال عمان ، ولكنه قفل عائدا الى الاسكندر الاكبر الذي استقبله في مدينة البصرة الحالية . ويقال ان الاسكندر بعث الى الكاهن الاعظم في اثينا بكمية من اللبان واوصاه بالاقتصاد في استعمالها ريثما يفتح (اوفير) ويبعث اليه بالمزيد من هذا البخور المقدس ، الا ان الاسكندر توفي قبل ان يحقق هذا الهدف .

---

(١٤١) من مقال للاستاذ حبيب مال الله نشر في جريدة (عمان) بتاريخ ١٩٧٧/٤/٤

ويقول المؤرخ العماني (السالمي)، بان الآشوريين استولوا على عمان وطلبوا دفع الجزية عينا باللبان الذي كانوا يقدمونه لاحد آلهتهم المسمى (مردوخ).

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال الاشارة الى ان طريقة جمع اللبان الذي تختص به قبيلة (بيت كثير)، التي تعيش في جبال (القرا) التي يبلغ ارتفاعها حوالي (٦٥٠٠) قدما، تتلخص بجرح الشجرة في اماكن معينة في موسم الجني الذي يبدأ عادة من شهر آذار (مارس) وينتهي في شهر آب (أغسطس) من كل عام، حيث يسيل منها سائل لبني القوام يتجمع على الارض تحت الاشجار او في اوان علقت في غصونها حتى يجف تحت الشمس ثم يجمع بعد ذلك.

واللبان الظفاري نوعان يسمى النوع الاول منه (اللبان الفضي) وتنمو اشجاره في اعالي جبال (القرا)، واللبان العادي، وتنمو اشجاره فوق الجبال الواطئة قرب السواحل.

وبهذه المناسبة نقول بان اسم جبال (القرا) في حقيقته يطلق على السلسلة الوسطى من الجبال المذكورة، أما سلسلة الجبال الساحلية الغربية فيطلق عليها اسم (جبل القمر)، واما السلسلة الشرقية فتسمى (جبل سمحان). واما شمال ظفار (النجد) فان جباله تنحدر تدريجيا آلاف الاميال المربعة مكونة بحرا متلاطما من الرمال ويطلق عليه اسم (الربع الخالي).

وقبل ان نختتم حديثنا عن اللبان، ذلكم البخور المقدس، نقول بان جمعه من اشجاره لم يعد محل الاهتمام لدى الجبليين في الوقت الحاضر وربما كان ذلك بسبب الاحداث التي كانت قائمة في ظفار في حينه.

والان وقد عاد السلام والحب الى تلك الربوع الخضراء المورقة فاننا نرى لزاما ضرورة الاهتمام باللبان واشجاره المعطاءة، فقد كان ميناء (سمهرم) في ظفار والواقع بالقرب من (دربات) والذي لا تزال اثاره قائمة حتى اليوم، هو الميناء الرئيسي لتصدير اللبان الى العالم اجمع، خاصة وان اللبان يستعمل لا كبخور فحسب، ولكنه اصبح يستعمل الان للاغراض الصناعية والطبية.

نبذة تاريخية عن ظفار:

اذا ما توغلنا في اعماق تاريخ المنطقة الجنوبية من سلطنة عمان وجدنا ان

الفرس قد احتلوا اقليم ظفار عام ٥٧٠ ميلادية، ثم تتابعت الاحداث حتى دخلت هذه المنطقة ضمن الدولة العربية الاسلامية على يد القائد المسلم (عكرمة بن ابي جهل)[١٤٢].

وفي القرن الرابع الهجري أسس (محمد بن احمد المنجوي)، (الدولة المنجوية) في ظفار واعلن نفسه ملكا عليها[١٤٣] وفي اوائل القرن السابع الهجري دخلت ظفار تحت حكم الحضارمة حيث خربها (احمد بن عبدالله) وبنى مدينة اخرى بالقرب منها اطلق عليها اسم (الاحمدية) او (المنصورة)[١٤٤] وفي منتصف القرن السابع الهجري قام امير هرمز (محمود بن احمد الكوسي) بغزو ظفار واحتلالها بعد ان سبى اهلها، ثم اعقبه ملوك (بني رسول) من اليمن فقاموا باحتلالها في سنة ١٢٧٨[١٤٥].

ولقد زار الرحالة الايطالي (ماركوبولو) هذه المدينة سنة ١٢٨٥ ثم زارها الرحالة العربي (ابن بطوطة) بعد ذلك بنحو نصف قرن حيث كان يحكمها فى ذلك الحين الملك (المغيث ابن الملك الفائز) ابن عم ملك اليمن، وكان ابوه أميراً على ظفار من قبل صاحب اليمن[١٤٦].

وفي القرن السادس عشر احتلها (سيف الاسلام الغساني) وهو من صنعاء اليمن حيث اتخذ احدى قلاعها الساحلية مقرا لحكمه[١٤٧].

ولقد تدهورت الامور في القرن السادس عشر نتيجة الاحتلال البرتغالي البغيض الذي استمر حتى عام ١٦٢٢ حيث حاول الهولنديون والانجليز والفرنسيون التغلغل فيها.

ويبدو ان السيد محمد بن عقيل العجايبي كان من حكام المنطقة المرموقين آنذاك الا ان قبائل (القرا) الجبلية في ظفار ما لبثت ان اغتالته عام ١٨٢٩ مما حدا بالسلطان (سعيد بن سلطان) الى مد نفوذه الى هذه المنطقة باعتبارها جزءا من

---

(١٤٢) مجلة العربي الكويتية ـ العدد ١٨١ ص٨٧

(١٤٣) مجلة الطليعة الكويتية ـ العدد ٢١١ ص ٢٦

(١٤٤) ظفار ـ المرجع السابق

(١٤٥) مجلة العربي ـ المرجع السابق

(١٤٦) رحلة ابن بطوطة

(١٤٧) مجلة العربي ـ المرجع السابق

التراب العماني حيث ارسل قوة عسكرية لاحتلالها، الا ان الظروف في افريقيا الشرقية اضطرته الى سحب تلك القوة من ظفار وارسالها الى الشرق الافريقي مما اثار البلبلة والتنازع القبلي في الاقليم حيث قام (الشيخ عواد بن عبدالله) احد زعماء المنطقة بزيارة مسقط ومطالبة السلطان (تركي بن سعيد) باستعادة نفوذه في ظفار، فاستجاب السلطان لهذا الطلب وارسل قوة بحرية بقيادة (سليمان بن سويلم) وصلت في نيسان (ابريل) عام ١٨٧٩ واخضعت المنطقة لسلطة السلطان.

وعلى الرغم من ان السلاطين العمانيين كانوا يزورون ظفار بين حين وآخر في السنوات الممتدة بين ١٨٥٠ و ١٨٦٠ الا ان سيطرتهم على المنطقة لم تكن حازمة ملموسة ولذلك فقد قام السيد (فضل بن علوي الحسيني) في عام ١٨٧٨ باعلان سيطرته على ظفار باسم الدولة العثمانية بصفته واليا ونائبا عن السلطان العثماني في الوقت الذي كان فيه اسطول سلطان مسقط (متعاونا في ذلك مع الانجليز) يتجه نحو ظفار لاستعادتها وضمها الى الوطن الام حيث ظلت السيطرة العمانية قائمة منذ ذلك الحين في ظفار الا في فترات قليلة في عام ١٨٩٠ وما بعده، حيث اشتدت حركة التمرد في المنطقة عام ١٨٩٥ ضد حكم السلاطين الذين استطاعوا القضاء على تلك الحركات في اوائل القرن العشرين بمساعدة الاسطول البريطاني [(١٤٨)] الذي كان يعتمد عليه السلطان (فيصل بن تركي)، الا ان ذلك لم يمنع الثوار من اغتيال قائد الحملة البحرية (سليمان بن سويلم) في عام ١٩٠٧. وقد استمرت القلاقل في ظفار حتى عام ١٩١٦ حيث قام السلطان تيمور بن فيصل بزيارة ظفار وعقد معاهدة صلح مع زعماء القبائل وعين واليا على المنطقة من ابنائها وهو (عبدالله بن سليمان) من قبيلة (الحراسيس).

وعندما تولى السلطان (سعيد بن تيمور) السلطة بدلا من ابيه ١٩٣٢ زار ظفار وعين واليا هو (الشيخ حمود بن حميد الغافري).

وبالنظر لما تميز به عهد السلطان (سعيد بن تيمور) من انغلاق وتخلف عن مواكبة الحضارة الحديثة فقد اندلعت شرارة الثورة مجددا في المنطقة سنة ١٩٦٥ نتيجة عوامل سياسية واجتماعية بالاضافة الى حساسية الموقع الجغرافي لسلطنة عمان خاصة والمنطقة العربية على وجه العموم.

---

(١٤٨) للتفصيلات يراجع كتاب ـ دليل الخليج العربي، للوريمر ـ القسم التاريخي الجزء الثاني الصفحات ٨٩٦ ـ ٩١٦

وبالنظر للظروف الحرجة التي كانت تمر بها السلطنة في تلك الفترة فقد قام (قابوس بن سعيد بن تيمور) بحركته التصحيحية في ١٩٧٠/٧/٢٣ وتولى مسؤولية الحكم بعد ان نحى والده عنها.

وقد اعلن السلطان الجديد قراره بتغيير اسم السلطنة من (سلطنة مسقط وعمان) الى (سلطنة عمان) وذلك بتاريخ ١٩٧٠/٨/٩ واستطاع القضاء على الصراع المؤلم في بلاده في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٧٥ وبذلك انتهت الحركات العسكرية وعاد الهدوء الى ربوع البلاد.

التركيب الاجتماعي للمجتمع الظفاري :

كان المجتمع الظفاري في عهد السلطان السابق (سعيد بن تيمور) شأنه في ذلك شأن كافة المجتمعات المحلية في انحاء السلطنة وفي الخليج العربي، يتميز بالتخلف في جميع النواحي، حيث الانغلاق الكامل وارتفاع الرسوم الجمركية والتفاوت الطبقي والتصدي للتعليم ولكافة مظاهر الحضارة علاوة على انخفاض القوة الشرائية لدى المواطنين، والاعتماد شبه الكامل على وسائل انتاج بدائية ومتخلفة، وكبت الرأي والحريات، ان لم نقل انعدامها.

.. كل هذه العوامل بالاضافة الى التقسيم الجغرافي للمنطقة، جعلت الشعب في ظفار ينقسم في ذلك الحين وبموجب نظام الطوائف المغلقة الى طبقات اربع هي :

« ١ ـ طبقة السادة الهاشمية ذوي المركز الديني المرموق.

٢ ـ القبائل الارستقراطية وهم آل قرى وآل كثير والمهرة.

٣ ـ القبائل الضعاف وهي التي طوقتها القبائل الارستقراطية تحت اجنحتها واظلتها بحمايتها فخسرت مكانتها الاجتماعية وذاتيتها المتفردة نظرا لانعدام امتدادها القبلي العريق.

٤ ـ طبقة العبيد الذين كانوا ارقاء جلبوا من سواحل افريقيا الشرقية وقد كان السلطان السابق يملك (٥٠٠) منهم يعملون في خدمته»[١٤٩].

اما في الوقت الحاضر فان التركيب الاجتماعي للمجتمع الظفاري يمكن تصنيفه كما يأتي :

١ ـ مجتمع سكان السهل :

وهم الذين يمتهنون الزراعة والتجارة وصيد الاسماك والوظائف الحكومية والحرف الاخرى حيث استقروا في المنطقة وسلكوا طريق الحياة المدنية العصرية

---

(١٤٩) ظفار ـ قصة الصراع السياسي والعسكري ـ المرجع السابق ص٣٢

المعروفة في المدن وتفاعلوا معها ذلك ان المدن تعتبر عادة هي الرائدة في تقبل الثقافة واحتواء المفاهيم العلمية الجديدة التي تشعها على المناطق الاخرى. واذا ما علمنا ان مساحة الاراضي الصالحة للزراعة في المنطقة الجنوبية تبلغ (٥٠) الف فدان وان ما يزرع منها حاليا لا يتجاوز اربعة آلاف فدانا ادركنا ضرورة العناية بالزراعة والمزارعين وتشجيعهم على الاستمرار في قراهم وزراعة اراضيهم الخصبة.

٢ ـ مجتمع الجبليين :

وهم الذين يشتغلون برعاية المواشي والانتقال بها من مكان الى آخر طلبا للمُرعى والماء والكلأ، كما يفدون الى المدن في الغالب لشراء حاجاتهم وعلف مواشيهم، وكذلك فانهم لا يعتبرون بداة بل نصف مدنيين اذا ما اردنا دقة التعبير.

ولم يتأثر هذا المجتمع بمجتمع سكان السهول في الفترة السابقة نظرا لقلة اتصالهم بالمدن آنذاك حيث كانت المدن نفسها تعيش حياة متخلفة، غير ان العهد الجديد بعد عام ١٩٧٠م بماقام به من شق للطرق في الجبال وما قدمه للشعب من عطاء ومواصلات فكرية بواسطة (دوائر الخدمة المدنية)، جعل هؤلاء الجبليين يترددون على المدن بكثرة ويتأثرون بحياتها الجديدة، لا بل ان بعضهم هجر الجبل وحياة المرعى واستوطن المدينة للافادة من معطياتها الجديدة، وفي ذلك من الاخطار ما فيه فان الهجرة امن الريف الى المدن لها مضارها المعروفة، ولقد فطنت الحكومة العمانية الى هذه الظاهرة فبدأت تنقل مظاهر الحياة الجديدة كالمدارس والمستوصفات والخدمات الاجتماعية والخدمات الزراعية وغيرها الى الريف والجبل بدلا من ان ينتقل الريف والجبل اليها...

٣ ـ المجتمع البدوي :

وهو المجتمع الذي يعيش حياة البدو باوضح صورها حيث تتركز حياة اولئك البدو في النمط التقليدي الذي نشأوا عليه منذ مئات السنين، فهم ينتقلون مع ابلهم على حفافى الربع الخالي الجنوبية طلبا للماء والمرعى.

هذا ولقد كفلت الحكومة العمانية لرعاة الغنم في السلطنة سهولة حصولهم على الماء في الاماكن النائية بالاضافة الى قيامها بنقل الاغذية ومتطلبات الحياة

اليومية الى اماكن وجودهم في قمم الجبال وبطون الوديان بواسطة الطائرات (سكاي فان) وبالطائرات العمودية مجانا بالاضافة الى نقلهم هم انفسهم بالمجان كذلك.

وقد شاهد المؤلف عمليات النقل المجاني هذه بنفسه ليس في منطقة ظفار فحسب وانما في بقية المناطق الاخرى في السلطنة. ففي منطقة (وادي حدبين) وهي احدى المناطق التي زارها المؤلف في جبال ظفار بالطائرة العمودية، شاهد خيمة كبيرة فوق قمة جبل وقد وضعت فيها اكياس من الرز والطحين والسكر وصناديق الشاي والصابون وصفائح الدهن وغيرها من متطلبات الحياة اليومية، وعند استفساري عن صاحب هذه المواد الغذائية والخيمة، اخبرني بدوي كان يقف ببابها بانه صاحبها وانه يشتغل تاجرا صغيرا في هذه المنطقة، وان الطائرات الحكومية تنقل له هذه المواد من (صلالة) مجانا لبيعها للمواطنين البدو باسعار لا تزيد عن اسعارها في المدينة.

وتتم عمليات النقل هذه والنقل المجاني بعد اجراءات تتخذها دائرة حكومية يطلق عليها (دائرة تنمية المجتمع) لها فروع في المدن الكبيرة في السلطنة.

ولقد شاهد المؤلف مثل هذه الخدمات في جميع انحاء السلطنة التي يصعب التنقل فيها بالسيارات لانعدام وجود الطرق الصالحة، كما هو الحال في المنطقة الشمالية (منطقة مسندم)، حيث تقوم الطائرات بنقل المواطنين واحتياجاتهم كلها وبضمنها مواد البناء مجانا، وكذلك في منطقة (الجبل الاخضر) حيث تقوم الطائرات بثماني رحلات يوميا لنقل المواطنين بين (نزوى) والجبل الاخضر من ناحية وبين العاصمة والجبل من ناحية اخرى.

ادارة المنطقة:

تدار المنطقة الجنوبية من قبل وال بدرجة وزير دولة له نائبان احدهما للشؤون المالية والادارية وثانيهما للشؤون المحلية وهي شؤون القبائل بما فيها شؤون (الفرق الوطنية) التي تتبع الوالي في قيادتها مباشرة.

وتتبع مكتب وزير الدولة الذي يقع في (مجمع الدوائر الحكومية بصلالة) الادارات الحكومية الآتية مباشرة وهي:

١ ـ دائرة البلدية، ٢ ـ دائرة النقليات، ٣ ـ دائرة المياه، ٤ ـ دائرة الخدمات

المدنية (وهي التي تعمل على تحقيق برنامج التنمية في جبال ظفار في مجال حفر الآبار لتوفير المياه العذبة للاهالي ومواشيهم من ناحية ولوضع النواة الاساسية لبناء مجمعات سكنية ثابتة تشتمل على المدرسة والعيادة وبعض الخدمات الاساسية الاخرى).

أما بالنسبة للدوائر الاخرى فانها تتبع وزاراتها المختصة غير ان للوالي حق الاشراف والتوجيه، ومن هذه الدوائر دائرة الاعلام ودائرة المواصلات بما فيها الكهرباء ودائرة الصحة ودائرة الشؤون الاجتماعية والعمل ودائرة التربية (مديرية التربية). أما الشرطة التي تتبع قيادة الشرطة فانها تكون تحت امرة الوالي وتوجيهه واشرافه الكامل في المنطقة.

ومن الجدير بالذكر ان المؤلف لاحظ ان هذه الولاية تتبع اسلوبا عصريا تحتمه طبيعة البلاد في معالجة المرضى في قراهم النائية وتجمعاتهم في بطون الوديان وعلى قمم الجبال، وهو اسلوب (الطبيب الطائر) حيث تقوم الطائرات العمودية برحلات تشمل (٣٩) مركزا في الاسبوع الى مختلف الاماكن ضمن واجباتها اليومية وعلى متن كل منها طبيب او طبيبة لمعالجة المرضى ونقلهم الى مستشفى صلالة عند اللزوم بتلك الطائرات، فلقد كنت في رحلة لزيارة جزر كوريا موريا وقرى سدح وحاسك ووادي حدبين وكانت معنا في الطائرة طبيبة اجنبية شابة اخبرتني بانها تقوم بهذه الرحلات الوظيفية حيث رأيتها تفحص النساء خاصة وقد جلبت معها احداهن لادخالها المستشفى في صلالة وكان الفحص يتم في ظلال الصخور الجبلية او خلف شجرة كبيرة حيث تتجمع اولئك النسوة.

الوصف الجغرافي للمنطقة:

ظفار. . . هي المنطقة الجنوبية لسلطنة عمان، تقع في جنوب غربي عمان وفي الطرف الشرقي من جنوب شبه الجزيرة العربية على ساحل البحر العربي وهي تشغل جزءا مهما من الرقعة الجغرافية الممتدة بين خليج عمان شرقا ومضيق باب المندب غربا حيث تقع على الطريق البحري العالمي الذي يربط بين امريكا واوربا من ناحية، وبين اقطار شرقي افريقيا وجنوبي آسيا واقطار الخليج العربي والشرق الاقصى.

ونظـرا لان ظفـار ذات موقـع استـراتيجي هام من النـاحيتين الاقتصـاديـة والعسكـريـة فقـد كانت محـط انظـار الطامعين ، حيث دارت على سواحلها معارك خرجت منهـا صامـدة منتصـرة مؤكـدة عروبتهـا وانهـا جزء لا يتجزأ من جسم الامة العربية عامة وسلطنة عمان على وجه الخصوص .

وظفار . منطقة متسعة تبلغ مساحتها حوالي (٣٨٫٠٠٠) ميلا مربعا ، وبذلك فانها تشكل ما يقرب من ثلث مساحة السلطنة حيث يبلغ طول ساحلها (٢٠٠) ميل يمتد بين رأس الشوامية شرقا ورأس ضربة على غربا .

هذا ويمكن تقسيم ظفار الى ثلاثة اقسام من حيث طبيعة ارضها وهي :

١ ـ المنطقة الجبلية : وتمتد هذه المنطقة خلف السهل الساحلي في صلالة على شكـل هلال بالقرب من خط طول (٥٥) درجـة شرقا ، وهي مكونة من سلسلة جبـال (القـرا) التي يتـراوح ارتفـاعها بين ٩٠٠ ـ ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر حيث يوجد في القسم الشرقي منها جبل يسمى (جبل سمحان) الذي تنحدر وديانه متجهة الى الـداخـل مثـل (وادي انطور) ووادي (ركيبات) ووادي (غودان) التي يتكون من مجمـوعهـا وادي يعـرف باسم (وادي مجشين) . ويتـراوح عرض جبال (القرا) التي تحـد منطقـة الـربـع الخـالي من ناحيـة ، وتتصل بحدود الجمهورية اليمنية الشعبية الـديمـوقـراطيـة من ناحيـة اخـرى ، مسافة تتراوح بين ٣٠ ـ ٥٠ كيلومترا تزدهر كلها بالخضرة الجميلة في موسم الخريف (الذي يبدأ اعتبارا من شهر حزيران (يونية) في هذه المنطقـة نتيجـة هبوب الرياح الموسمية وسقوط الامطار) ، وتتفتح ازهار نباتات (البيظح) التي يتخذها الجبليون طعاما لهم يعد بطريقة خاصة ، كما تزهو بشجيرات (الصفوت) و(القراضة) ونبات الفطر (المشروم) الشهي الذي يجمعه السكان حيث يطبخونه طعاما لذيذا ، كما تحفل المنطقة باشجار كثيرة منها ما تشبه ثماره ثمرة التين البري صغير الحجم حلو المذاق حامضيه (حامض حلو) ! !

ويقضي الرعاة الجبليون ما يقرب من ستة اشهر في الجبل لرعى مواشيهم من البقـر والغنم والمـاعـز حيث يقيمـون لها زرائب خاصة في بعض الكهوف يحيطونها بالصخور ويغطونها باغصان الاشجار وتكون سكنا مؤقتا لهم في نفس الوقت .

وأما في موسم الجفاف فان الرعاة يعلفون مواشيهم بالسردين المجفف الذي



المؤلف في جبال ظفار بسلطنة عمان مع بعض الاخوان في منطقة (عقبة الياسمين)

يصطاده سكان القرى الساحلية ويجففونه تحت الشمس ثم يبيعونه علفا لتلك المواشي .

٢ ـ المنطقة الصحراوية :

تقع هذه المنطقة في القسم الشمالي من ظفار عند سفوح جبال (قرا) حيث تتصل بالاقسام الجنوبية لرمال الربع الخالي التي تتصل بدورها بالتلال الرملية لنجد في المملكة العربية السعودية وهي منطقة يسكنها البدو الذي يرتحلون من مكان الى آخر طلبا للمرعى والكلأ والماء .

٣ ـ السهل الساحلي :

يعتبر السهل الساحلي من اهم المناطق في المنطقة الجنوبية وهويشمل الشاطيء الممتد من مدينة ريسوت في غرب الاقليم مرورا بمدينة صلالة وانتهاء بمدينة طاقة ومرباط في الشرق لمسافة تبلغ خمسين كيلومترا حيث يتراوح عرض هذا السهل (بين البحر والجبل) بين ثمانية الى عشرة كيلومترات اما مساحته فتبلغ ٤٠٠ كيلومتر مربع .

وهو سهل خصب غزير المياه كثيف الزراعة وخاصة عند صلالة حيث تجري مياه العيون المنبثقة من جبل قرا ومن اهمها (عين ارزات) التي انشأت لها الجهات المسؤولة مجرى مائيا بطريقة حديثة تسقى بواسطتها المزارع والبساتين كما تعتبر هذه العين عند سفح الجبل مكانا سياحيا جميلا خصص ليكون منتجعا للمواطنين يقضون فيه اوقات عطلاتهم ويتمتعون بالخضرة الجميلة والحدائق المنسقة والمياه الجارية ، أما الجانب الشرقي من الساحل والذي يمتد من ريسوت حتى حدود اليمن الجنوبية فان الجبل (جبل القمر) يتصل بالساحل مباشرة في منظر رائع وقد اكتسى بالاشجار الضخمة .

المناخ :

ان معظم اقسام ظفار حارة جافة في معظم ايام السنة فيما عدا الساحل الجنوبي ، ذلك ان هذه المنطقة تختلف عما عداها من مناطق شبه الجزيرة العربية نتيجة لهبوب الرياح الموسمية (MONSOON) التي تهب عليها من الهند فتسبب

هطول الامطار الغزيرة على المنحدرات الجبلية حيث تستمر تلك الامطار في فصل الخريف اعتبارا من شهر حزيران (يونيو) حتى شهر ايلول (سبتمبر) مما يجعل المناخ مشبعا بالرطوبة. وكنتيجة لهذه الظاهرة فان اجزاء كبيرة من الجهة الشرقية للمنطقة تغطيها الاعشاب الخضراء، كما تنمو النباتات الاستوائية بكثافة على جوانب الوادي وفي بعض اجزاء سهل صلالة.

هذا وتهب على المنطقة رياح (الشمال) وهي رياح جافة حارة وذلك في شهري ديسمبر ويناير، وفي ذلك فان المنطقة تتشابه مع بقية انحاء شبه الجزيرة العربية من حيث سطوع الشمس والجفاف وارتفاع درجة الحرارة التي قد تصل احيانا الى (٤٧) درجة مئوية نهارا و ١٠ درجات مئوية ليلا.

المهن والحياة الاجتماعية:

يمتهن سكان المدن في صلالة ومرباط وطاقة وغيرها من المدن الرئيسية في ظفار مهنا متنوعة تتراوح بين الوظائف الحكومية والتجارة والحرف الاخرى. أما سكان المنطقة الجبلية من القرويين فانهم يمتهنون تربية الابقار والاغنام والماعز.

ولقد لاحظ المؤلف بان الاغنام الظفارية تشبه الماعز او الغزال الى حد ما او هي بين هذه او تلك وذلك ان اليتها رفيعة تشبه الذنب وليست مليئة مترجرجة كألية الاغنام كما ان صوفها قصير يتراوح في تكوينه بين الصوف والشعر، اما رأسها فدقيق يشبه رأس الغزال في تكوينه وفي جمال عينيه كما انه يشبهه في التفاتته وحركته وخفة ظله.

وأما سكان الساحل ومعظمهم من (الكثيريين) فانهم يعيشون على الزراعة وزراعة الخضراوات والفواكه كالموز والباباي وجوز الهند الذي يسمونه (نارجيل او كزاب) وهو ثمر شهي يشربون ماءه ويأكلون ثمرته الغنية بالزيت ويفيدون من جذوعه وسعفه، وهو في ذلك يقوم مقام اشجار النخيل الذي تنتشر بساتينه في مناطق الظاهرة والمنطقة الشمالية. واما الباباي او الفافاي فانه فاكهة لذيذة لها شكل ثمرة المانجو (العنبة) الكبيرة ويتراوح طعمها بين المانجو والبطيخ وتشبه بذورها البطيخ الا انها سوداء اللون.

وأما سكان الجزر فانهم يعيشون على صيد الاسماك والزراعة الخفيفة في

الوقت الذي نجد فيه سكان المناطق القريبة من الربع الخالي يعيشون على الرعي فهم ينتقلون بأبلهم ومواشيهم من مكان الى آخر حيث الكلأ والماء.

النظام القبلي:

لم يجر احصاء رسمي لسكان المنطقة بعد، الا ان عددهم يتراوح بين ٢٠٠ ـ ٢٥٠ الف نسمة، حيث يسكن المنطقة الساحلية من ظفار عدد لا يتجاوز (١٥٠) الف نسمة، اما الباقون فانهم يسكنون في الوديان والجبال والجزر وعلى مشارف الربع الخالي.

ويعتبر النظام القبلي في المنطقة حصيلة نزاع استمر آلاف السنين بين القبائل من اجل السيطرة على موارد أشجار اللبان والبخور الثمينة.

هذا وان اقدم التجمعات القبائلية في المنطقة تتمثل في قبيلة (الشحرة) الذين يعتبرون وقبيلة (القرا) في صلالة، الاصل الذي انبثقت عنه القبائل الاخرى بالاضافة الى قبيلة (المهرة) و(آل كثير) الذين جاءوا من حضرموت. وكلمة (شحير) تعني (الجبل) باللغة (الجبالية) المعروفة هناك كلغة وليست كلهجة محلية.

وهكذا نجد ان التجمعات القبلية في ظفار تتكون من ثلاث فئات هي:

١ ـ العرب الظفاريون

٢ ـ العرب الشماليون

٣ ـ المهاجرون.

هذا وتنقسم القبائل في المنطقة الى اقسام يطلق على كل قسم منها اسم (بيت)، وهذا البيت بدوره ينقسم الى اقسام اخرى اصغر واصغر يطلقون عليها اسم بيت كذلك، ذلك ان النظام القبلي يتمثل في (البيت) او (العائلة) كما نعلم ولكل بيت او عائلة رئيس او (شيخ) له من المؤهلات والصفات ما تجعله يحمل هذا اللقب بجدارة حيث ينبغي ان يكون شجاعا كريما ذا شخصية قوية مؤثرة في قبيلته تدفع القبيلة لمؤازرته واحترامه وطاعته.

ونظرا لما في التنوع الاقليمي من مؤثرات على حياة البشر عامة والقبائل بصورة خاصة، نجد ان للموقع الجغرافي اثرا مهما في توزيع القبائل ومحلات سكانها حيث توزعت بالصورة الآتية:

١ ـ البدووهم قبائل (المهرة) و (بيت كثير) ، نجدهم سكنوا في النجد ويعيشون حياة بسيطة بدائية تعتمد على ما حولها من موارد حيث يربون قطعان الماعز والجمال وهم مولعون بالشعر وبقرض الشعر البدوي (القصيد) (الشعر النبطي) ، كما يتمثل فيهم الخلق العربي المعروف من كرم وضيافة رغم قساوة الحياة التي يعيشونها . وتمتاز قبائل المهرة على وجه الخصوص بشجاعتها وكون رجالها من المحاربين الاشداء . الا انهم بدأوا في الاتجاه مؤخرا نحو الاستقرار تدريجيا والاشتغال بالزراعة .

٢ ـ الجبليون وهم يستوطنون جبال (قرا) من (الشحريين) و (آل كثير) . ويعيش هؤلاء الجبليون حياة نصف بدوية ، اونصف حضرية حيث يقومون بتربية قطعان الماشية والبقر ويعيشون في بيوت مستديرة يحفرونها في جوانب الجبال ويغطونها باغصان الاشجار ويحيطونها بالصخور الكبيرة ، كما يشتغلون بالزراعة في موسم الامطار حيث يزرعون التبغ وبعض المحاصيل الاخرى .

٣ ـ سكان السهل والساحل : ان حياة سكان السواحل والسهول تعتبر اكثر ايجابية وحضارة من حياة سكان الجبل والنجد ، ذلك انهم تأثروا بالحياة الجديدة وتفاعلوا معها واشتغلوا بالصيد والزراعة والتجارة وبنوا بيوتهم بالحجارة وسكنوا في تجمعات قروية على طول الساحل حيث ظهر تأثير الهنود والعمانيين الشماليين عليهم في تطوير طراز معيشتهم ومهنهم التي يمارسونها .

هذا وان القبائل الرئيسية في ظفار كما اسلفنا هي (قبيلة القراويين) او (القرا) نسبة الى جبال قرا ، وهم يسكنون في الجبال الشرقية والغربية من المنطقة . وتتألف هذه القبيلة من بيوت منها : (بيت تبوك) ، (بيت قطن) و (بيت سعيد) و (بيت المعشني) وهم اخوال جلالة السلطان قابوس و (بيت عمر) و (بيت جعبوب) و (بيت كشوب) و (بيت عيسى) و (كذلك قبيلة آل كثير ، ومن بيوتها (بيت جداد) و (بيت غواص) و (بيت الحمر) و (المساهلة) و (بيت مسن) و (الشعاشعة) و (المراهين) و (الرواس) و (الحضر) و (بيت فاضل) و (بيت علي بن بدر) و (الشنافرة) وقبيلة المهرة وقبيلة الشحرة وقبيلة الحراسيس وقبيلة البطاحرة وكلهم يدينون بالمذهب الشافعي .

ويسكن قسم من افراد هذه القبائل في المناطق الجبلية ، كما يسكن القسم

الاخر في صلالة وغيرها من المدن الظفارية حيث يحترفون التجارة والزراعة ويشتغلون في الوظائف الحكومية بصورة عامة. وبالاضافة الى القبائل التي ذكرناها فان هنالك قبائل اخرى مهمة في المنطقة منها قبيلة (البراعمة) وقبيلة (المشايخ) وغيرها حيث يشتغل معظم افراد هذه القبائل بالرعي وتربية المواشي والعمل مع (الفرق الوطنية). هذا بالاضافة الى السادة او الاشراف وهم من نسل النبي محمد(ص) ولهم مكانة محترمة في المجتمع.

اللهجات المحلية:

وفي ظفار تكثر اللهجات واللغات المحلية، فبالاضافة الى اللغة العربية التي يتكلمها السكان بوجه عام، نجد لغات اخرى تشيع بينهم، وهي ذات اصل (حميري) قديم قريب من الامهرية تجد فيها القليل من الكلمات العربية الاصيلة المتناثرة.

وهذه اللغات هي اللغة (الشحرية) او (الجبالية) التي يتكلمها سكان جبال (القرا) على وجه الخصوص ابناء قبائل (المهرة) واللغة (المهرية) التي يتكلمها النازحون من حضرموت. واللغة (البطحرية) التي يتكلمها ابناء قبيلة (البطاحرة) الذين يسكنون في جبال القرا. واللغة (الحرسوسية) التي يتكلمها ابناء قبيلة (الحراسيس) من سكان شمال ظفار، علما بان هذه اللغات هي من اللغات القديمة المنقرضة القريبة من اللغة الامهرية على ما يقال، وانها لغات غير مكتوبة وليس لها قواعد نحوية رغم ان لها ادبا وشعرا يتناقله الرواه.

واذكر بهذه المناسبة انني كنت ومرافقي في زيارة لميناء (ريسوت)، وعندما وصلنا الى منطقة الحرس والتفتيش تكلم احد البدو الواقفين عند المدخل مع مرافقي بلغة لم افهمها فاخبرني المرافق بان هذا الرجل يرجو نقله بسيارتنا الى الميناء فرحبت به وصعد الى السيارة وهو لا يزال يتكلم بتلك اللغة الغريبة. وعندما استفسرت عن الرجل وعن لغته اجابني بانه شرطي من حرس الميناء اي من (الفرق الوطنية) وانه يتكلم اللغة الجبالية. وقد لاحظت بان الرجل يحمل بندقية ويتمنطق بحزام من الخراطيش وله شعر اسود لامع مدهون قد ربطه برباط اسود من الجلد

الرفيع الذي يصنعه البدو، وقد كحل عينيه بكثافة بكحل اسود وائتزر بمئزر ملون ربطه بحزام من الجلد على بطنه وهو حافي القدمين حاسر الرأس. وعندما كلمته باللغة العربية اجابني جوابا سليما رغم ان بعض كلماته صعبة الفهم الا بعد انتباه وتحليل وتخريج (١٥٠).

ولعل من الطريف في هذا المجال ان ندون بعض الكلمات والجمل باللغة الجبالية ليطلع عليها القارىء الكريم. فمثلا نجدهم يطلقون كلمة (تث) على المرأة و(غيج) على الرجل. وعندما يسألونك : كيف الحال ؟ يقولون (يول هت) وعندما يسألونك : من اين انت ؟ يقولون «من هولن هت) وهت تعني انت للمذكر بينما تعني كلمة هيتي (انت للمؤنث) أما تحيتهم فانها تكون حسب الاوقات عندما يقولون (يول صباحك) ويعنون بها (كيف اصبحت او كيف حالك هذا الصباح) ويقولون (يول غمدك) وتعني (كيف امسيت او كيف حالك هذا المساء) والرجل يسمونه (رمرم) والولد (بيرء) وإذهب (الغا) والبنت (غا بجوت) والماء (مه).

ويقولون (ال هون ح تغد ؟)ويعنون بها (الى اين ستذهب) ويبدو ان كلمة (هت) تحريف لكلمة (انتَ) وكلمة (تغد) تحريف لكلمة (تغدو).

وقد اخبرني مدير الاعلام في المنطقة الجنوبية بان لهذه اللهجة معان جميلة تتضح في الشعر والغناء وان لديهم في دار الاذاعة تسجيلات كثيرة منها الحماسية ومنها الغرامية ولهم اهازيج ينشدونها في الحروب والغزوات تشد السامع رغم انه لا يفهم معناها، ولكنها جميلة الايقاع (الرذم) في اذن السامع.

التعليم في المنطقة الجنوبية :

عند لقائي بمدير التربية العام في المنطقة الجنوبية، حدثني عن النظام التعليمي في المنطقة وانه جزء من السياسة التعليمية العامة لوزارة التربية التي قسمت البلاد الى سبع مناطق تعليمية هي :

١ - منطقة العاصمة، ٢ - منطقة الباطنة، ٣ - المنطقة الشمالية، ٤ - المنطقة الجنوبية، ٥ - المنطقة الشرقية، ٦ - المنطقة الداخلية، ٧- منطقة الظاهرة.

واذا ماعلمنا انه لم يكن في المنطقة الجنوبية كلها حتى عام ٦٩/ ١٩٧٠م الا مدرسة واحدة هي مدرسة (السعيدية) في صلالة، ادركنا مدى النهضة التعليمية في

(١٥٠) يعتبر ميناء ريسوت الميناء الاول في المنطقة الجنوبية وقد قمت بزيارته وعلمت بانه اصبح مستعدا لاستقبال السفن الكبيرة على مدار السنة حيث يجري فيه تشييد حاجزين من الخرسانة المسلحة لصد الامواج وستكون فيه ثماني مراسي للسفن ومرسى خاص لناقلات نفط المنطقة ومرسى آخر لصيانة المعدات البحرية اما المراسي الموجودة حاليا فستخصص لاستقبال السفن الساحلية (المؤلف)

هذه المنطقة في عهدها الجديد حيث بلغ عدد المدارس فيها عام ١٩٧٨/٧٧م، سبع وخمسون مدرسة منها (٣٧) مدرسة للبنين و(٥) مدارس مشتركة للبنين والبنات في القرى، بالاضافة الى صفوف تعليم الكبار مساء حيث تم افتتاح ٣٩ مركزا منها اربعة للاناث وهي تتبع مكتبا خاصا في المنطقة يسمى (مكتب تنمية المجتمع) وهو احد مكاتب سبعة في المناطق التعليمية السبع في السلطنة وكلها تتبع (ادارة تعليم الكبار وتنمية المجتمع) بوزارة التربية والتعليم وتهدف هذه المكاتب الى توجيه الطلاب واشغال اوقات فراغهم في العطلات وغيرها اضافة الى تعليم الكبار في صفوف مسائية كمحو الامية علاوة على صرف مخصصات للتلاميذ القادمين من الجبال.

تطوير الزراعة في المنطقة :

تختلف المنطقة الجنوبية من حيث المناخ، كل الاختلاف عن بقية اجزاء السلطنة ذلك ان مناخها خريفي حيث تهب عليها الرياح الموسمية من الجنوب الغربي فتسبب هطول الامطار مما يجعل الطقس باردا نسبيا مدة ثلث السنة تقريبا.

وقد ادى تغير الطقس هذا الى تغير كبير في نمط الزراعة، ذلك ان السهل الذي تكثر فيه اشجار جوز الهند والحدائق ومختلف المزروعات يمتاز بخصب لا مثيل له في شمال عمان.

وحتى سنة ١٩٧٢م كانت جميع المياه في جنوب ظفار تستخرج باليد من الآبار، الا انه مدت شبكة من الانابيب الى (صلالة) في تلك السنة واستعملت في ذلك اربعة آبار وبني خزان سعة (٢٥٠) الف غالون لامداد اثني عشر مركزا للتوزيع وزيدت هذه المراكز فيما بعد الى اربعين مركزا كما تم حفر آبار جديدة في ست عشر منطقة في الجبل واهمها (جبجات) و(مدينة الحق) و(طوي) حيث توجد مصادر طبيعية غزيرة المياه وقد اقيمت فيها مضخة وشبكة من الانابيب لتوفير المياه المتدفقة باستمرار في هذه المنطقة التي تمتاز بكثرة مواشيها.

هذا وقد اعيد في الفترة الاخيرة افتتاح الافلاج القديمة في (عين ارزات) بعد ان ظلت مغلقة مدة ست سنوات. بسبب الاحداث الدامية آنذاك

وتعني وزارة الزراعة عناية خاصة بتنفيذ منهاج الخطة الخمسية في هذه المنطقة المتمثل في تنمية الزراعة والمواشي وصيد الاسماك ومن اجل تحقيق هذه الغاية فقد أسست محطة للابحاث الزراعية للقيام بزراعات تجريبية للمحاصيل الزراعية، كما أسست مزرعة لانتاج العلف للقيام بتجارب تسمين المواشي، كما اقيم مركز لتربية الحيوانات في منطقة (بير بنت احمد)، وأسست كذلك مزرعة مساحتها (٧٢) هكتارا في (جرزيز) لتسمين العجول بالاضافة الى مركز تربية المواشي والدواجن والطب البيطري وبناء مجزرة عصرية في صلالة، كما وضعت الخطط لبناء سوق جديدة مغطاة للاسماك مزودة بتسهيلات تخزين مبردة. كما نفذت الى الشمال من منطقة الجبل مشاريع لاستصلاح الاراضي وتنمية موارد المياه حيث انشىء مشروع (صحفوت) لتوصيل المياه من نبع صحفوت الى الاراضي الزراعية في صلالة (١٣) كم والعمل على تحسين سلالات المواشي المحلية، حيث تم جلب الثيران والمواشي المحسنة من اوروبا ومن كينيا من اجل تحسين سلالات الابقار والمواشي العمانية.

وكنتيجة لافتتاح الطريق الاسفلتي الجبلي الذي يربط صلالة بمدينة (ثمريت) في الجبل عام ١٩٧٤ فان التبليط سيصل حتى مدينة (البريمي) العمانية وعند ذلك ستصل المنتجات الزراعية الظفارية كالفافاي والمنجة والموز وجوز الهند والخضراوات، ليس الى شمال البلاد العمانية فحسب وانما الى اقطار الخليج العربي حيث تنقلها الشاحنات فوق ذلك الطريق فتصل طازجة لذيذة.

مدن المنطقة:

من أهم مدن المنطقة الجنوبية التي قام المؤلف بزيارتها ما يأتي:

١ ـ صلالة ـ وهي عاصمة المنطقة واهم مدينة فيها.

٢ ـ ريسوت: وهي مدينة ساحلية تقع غربي صلالة وتعتبر ميناء المنطقة.

٣ ـ رخيوت ـ وهي مدينة ساحلية تقع الى الغرب من ريسوت بعد مغسيل.

٤ ـ طاقة ـ وهي مدينة ساحلية تقع الى الشرق من صلالة.

٥ ـ سدح ـ وهي مدينة ساحلية تقع الى الشرق من طاقة وبعد مدينة مرباط .
٦ ـ حاسك ـ وهي مدينة ساحلية تقع الى الشرق من سدح .
٧ ـ ثمريت ـ وهي مدينة مهمة ستراتيجيا تقع على السفوح الشمالية للجبل .
٨ ـ حجيف ـ وهي مركز لقوات (فرقة العروبة الوطنية) في الجبل .
٩ ـ قيرون حيريتي ـ وهي مركز لقوات (فرقة المستعجلة الوطنية) في الجبل .

هذا ولكل مدينة من هذه المدن نائب للوالي يدير شؤونها ، كما اسعدتني زيارة جزر كوريا ـ موريا وبعض معسكرات الجيش السلطاني وحلقت بالطائرة الهليكوبتر الى اقصى الحدود الغربية للمنطقة عند (ضلكوت) و(عرفت) و(صرفيت) على حدود اليمن الجنوبية .

١ ـ مدينة صلالة :

مدينة جميلة يغسل البحر اقدامها ويحتضنها الجبل في سهل خصب يتراوح عرضه بين ٨ ـ ١٠ كيلومترات يسمى سهل (الجربيب) حيث تمتد فيه البساتين ومزارع الخضراوات وتسقيه مياه (الافلاج) التي تنحدر من الجبال في اودية غناء من اشهرها (عين ارزات) و(عين جرزيز) و(صحنوت) و(شعب الشيخ) و(جمران) .

وتنقسم مدينة صلالة العاصمة الى الاحياء الرئيسية الآتية :

١ ـ صلالة التي يسكنها آل مراهين وآل رواس ، ٢ ـ الحافة ويسكنها الشنافر ، ٣ ـ الحصن ويسكنه الخدم والعبيد والعسكر وفيه قصر للسلطان يسمى (قصر الحصن) .

هذا ويوجد في هذه المدينة التي يبلغ عدد سكانها قرابة (١٥٠) الف نسمة منطقة اثرية تسمى (البليد) كانت ميناء للمدينة في عهودها السحيقة .

ومن المعالم الرئيسية في المدينة (قصر الحصن) الذي كان السلطان السابق يقيم فيه وقصر (الرباط) الذي يقيم فيه السلطان قابوس عند زيارته لصلالة وهو عبارة عن (فيلات) جميلة وحدائق متسعة غناء في منطقة (المعمورة) التي ترويها (عين ارزات) وفي المدينة مخازن واسواق عامرة وشوارع فسيحة مبلطة تنظم السير فيها اشارات ضوئية حيث اتصل العمران بمنطقة المطار العصري الجديد الذي انشىء بعد عام ١٩٧٠ بعد ان كانت المدينة محاطة بسور عال مبني بالاسمنت والطابوق لحمايتها من هجمات المهاجمين . ومن أهم شوارع المدينة ، شارع النهضة

المزدوج الذي يتجه من قصر الحصن نحو المطار وشارع المنتزه وشارع حمود الغافري وشارع قابوس وشارع السلام وشارع القوف وشارع الرباط وغيرها كما توجد في المدينة نوادي رياضية واجتماعية وثكنات عسكرية وثلاث دور للسينما وحوالي (١٥٠) مسجدا موزعة في مناطق المدينة وقد بني معظمها في العهد الجديد بأمر من السلطان قابوس.

معالم المدينة :

ولعل من المعالم الهامة التي تعتز بها المدينة في عهدها الجديد ما يلي :

١ ـ مستشفى قابوس :

الذي كلف انشاؤه حوالي (١٢) مليون ريال عماني. وهو مستشفى عصري كبير مكون من طابق واحد وقد تم افتتاحه في اوائل عام ١٩٧٧م. ويعتبر هذا المستشفى كمجمع للطب قائم بذاته تعالج فيه مختلف الامراض كما ان فيه مساكن (فيلات) لسكن الاطباء والممرضين والممرضات ونادي وساحات لبعض الالعاب الرياضية.

٢ ـ مدرسة قابوس الداخلية الابتدائية :

هذه المدرسة خاصة بابناء الشهداء الذين قتلوا اثناء معارك جبال ظفار، وهي مدرسة واسعة عصرية البناء فيها ساحة كبيرة للالعاب الرياضية كما ان فيها مسجدا يقيم فيه التلاميذ صلواتهم. ومن الجدير بالذكر ان الحكومة تمنح هؤلاء التلاميذ مصروفا شهريا لنفقاتهم الخاصة اثناء الدراسة كما تمنح كلا منهم راتبا قدره ثلاثون ريالا كل شهر اثناء العطلة الصيفية وتلحق من شاءمنهم بعمل يتدربون عليه في تلك الفترة.

٣ ـ مبنى الاذاعة ومبنى التلفزيون :

وهما مبنيان جديدان من ناحية البناء ومن ناحية المكائن والآلات فقد افتتحت محطة التلفزيون الملون، ومبنى الاذاعة الجديد في صلالة في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥م، ولقد تجولت في هذين المبنيين واطلعت على احدث الآلات للبث الاذاعي والتلفزيون التي يشرف عليها مهندسون هولنديون لفترة محددة، كما يقوم بالعمل اذاعيون متخصصون من الشباب العماني وبعض الاخوة العرب من المصريين.

٤ ـ مصنع تعليب الاسماك :

وهو مصنع تعليب عصري تقوم وزارة الزراعة والاسماك والنفط والمعادن بانشائه وقد عهدت به الى شركة نيوزلندية وقد بدأ اعماله في اواخر عام ١٩٧٧

٥ ـ فندق صلالة :

قامت وزارة التجارة والصناعة ببناء فندق جديد في صلالة يعتبر من اكبر الفنادق في المنطقة العربية ويتكون هذا الفندق الذي انجزته شركة ايطالية من مائة غرفة بكل منها حمام خاص ومدخل تطل معظم الغرف على مياه البحر العربي. وعشرين فيلا منفصلة تتكون كل منها من طابقين ومتصلة بالفندق بممرات للمشاة. ويوجد في المبنى الرئيسي للفندق صالات الطعام والاستقبال وكذلك المطابخ وغرف الماكينات وحمام سباحة وملعب للتنس ومباني لسكن الموظفين.

هذا وان جميع مباني هذا الفندق مكيفة تكيفا مركزيا وقد انتهت الشركة المقاولة من بنائه وتأثيثه باثاث ايطالي فيما عدا الاسرة حيث قامت الشركة (الهولندية ـ الامريكية) بتجهيزها وقد بلغت كلفة البناء ستة ملايين ريال عماني حيث افتتح رسميا في اواخر عام ١٩٧٧م بمناسبة الذكرى السابعة للعيد الوطني العماني. هذا ويوجد فندق آخر من طابق واحد بني بالقرب من قصر الحصن على ساحل البحر (فندق ظفار) الذي يعتبر الفندق الوحيد من الدرجة الاولى في صلالة قبل بناء (فندق صلالة الجديد) كما يوجد فندق آخر في شارع النهضة اسمه (فندق السلام) وهو فندق اهلي من الدرجة الثانية او الثالثة وقد افتتح عام ١٩٧٧م، هذا بالاضافة الى بعض الفنادق الصغيرة الاخرى.

٦ ـ المطار الدولي :

لقد بديء في بناء هذا المطار الدولي الذي يتسع لاكبر الطائرات بالرغم من الرياح الموسمية منذ عام ١٩٧٥م بالاضافة الى المطار العسكري الموجود حاليا. وقد انتهى العمل في هذا المطار الفخم ونزلت طائرتنا على مدرجه الكبير عند زيارتنا الثانية للمنطقة رغم انه لم يفتح رسميا الا في العيد الوطني الثامن.

٧ ـ مجمع الدوائر الحكومية :

وهو مبنى ضخم لا يزال قيد الانشاء وقد رصدت الحكومة مبلغا وقدره (٩٠٠)

المؤلف في مطار السيب الدولي في مسقط مع سمو السيد ماجد بن تيمور عم جلالة السلطان قابوس والشيخ مسلم بن علي البوسعيدي السفير العماني في بغداد والشيخ ناصر بن علي البوسعيدي والي ولاية بخا

ألف ريال عماني لانجازه في نهاية عام ١٩٧٧م.

هذا ومن الجدير بالاشارة الى ان المنطقة الجنوبية يعمها الهدوء والسلام والاستقرار وتسير في طريق التقدم بخطوات واسعة لتعويض ما فاتها خلال ايام الحركات رغم انها كانت تحمل السلاح بيد وتبني باليد الاخرى، فقد انتشرت المدارس في المنطقة وامتدت شبكة حديثة من الطرق تصل مدينة صلالة العاصمة بالمدن القريبة مثل ريسوت وطاقة، كما انشئت شبكة اتصال تلفونية وشبكة اتصالات لاسلكية وافتتحت عدة مكاتب للبريد، كما امتد العمران والتشييد في صلالة بالذات وبقية ارجاء المنطقة.

٢ ـ مدينة ثمريت:

في طريقنا الى صلالة، عبر سهلها الخصب الجميل، سرنا في طريق مبلطة تبليطا عصريا يبتديء من صلالة وينتهي بمدينة ثمريت على مبعدة (٨٥) كيلومترا حيث يستمر الشارع متجها نحو مدينة البريمي وباقي اجزاء دولة الامارات العربية المتحدة في طريق ممهد لم يتم تبليطه بعد حيث يتصل هذا الطريق بالشارع المسفلت الذي يخترق سهل الباطنة من مسقط حتى الامارات العربية المتحدة..

.. لقد قمت مرتين بزيارة هذه المنطقة الجبلية من صلالة حتى ثمريت، كانت اولاهما عند زيارتي الاولى للمنطقة في اليوم الاول من شهر آذار (مارس) ١٩٧٧م حيث الجفاف والارض العطشى والاحراج والاشجار تتناثر هنا وهناك على اتساع المنطقة الجبلية ووديانها السحيقة، كما تنتشر اشجار اللبان في المنطقة التي تلى المنطقة الجبلية في الطريق الى ثمريت..

وبدأنا نصعد الجبل في الطريق الذي بدىء بتبليطه عام ١٩٧٢م وتم الانتهاء منه حتى مدينة ثمريت عام ١٩٧٥م ويسمى (طريق الياسمين) نسبة الى منطقة فيه اسمها (عقبة الياسمين).

ويخترق هذا الطريق الاستراتيجي الهام ودياناً وجبالاً كأنها جبال العراق ووديانه وقد اسدلت على جنبات بعض الجبال شبكات قوية من الصلب تمتد من اعلى تلك الجبال حتى الشارع ولمسافات طويلة كي تمنع تدحرج الصخور الى وسط الشارع المبلط حفاظا عليه وتأمينا لسلامة المرور.

ويمتد بنا الطريق حتى نصل مدينة ثمريت التي يديرها نائب للوالي بعد ان مررنا بمعسكرات وميادين للتدريب وساحات للرمي خاصة في المنطقة الصحراوية التي تلي الجبل وتنتشر فيها اشجار اللبان .

ومدينة ثمريت مدينة مهمة عسكريا وستراتيجيا حيث يوجد فيها معسكر كبير ومطار عسكري هام ، كما انها تعتبر مركزا لقبائل بدوية كثيرة من أشهرها قبيلة (آل كثير) وتنقسم هذه المدينة الى قسمين : القسم القديم وبيوته من الخشب والصفيح على شكل اكشاك بالاضافة الى بعض المباني القديمة التي يسكنها المواطنون والمباني الجديدة المبنية بالحجر والاسمنت وفيها بعض الدوائر الحكومية والمدرسة ومركز الشرطة والمستوصف ومقر نائب الوالي . وتوجد في المدينة بعض المطاعم والدكاكين التي تحتوي على مختلف البضائع والاطعمة المحلية والملابس .

اما القسم الجديد : فانه عبارة عن معسكر كبير محاط بسياج سلكي يسكنه موظفوا وعمال الشركة التي تقوم باعمال انجاز الشارع الاستراتيجي والاعمال الاخرى، وهم يسكنون في بيوت جاهزة . ومن الجدير بالذكر ان هذه المدينة مجهزة بالماء والكهرباء ولقد شاهدنا في طريقنا الى هذه المدينة الخدمات التي تقدمها الحكومة للمواطنين حيث توجد المزارع التجريبية ومراكز الارشاد الزراعي والحيواني التي تقدم خدماتها للمواطنين الجبليين والقرويين كتهيئة مياه الشرب المجانية حيث شاهدنا على سبيل المثال في مناطق معينة على طول الطريق الجبلي براميل كبيرة واحواض تملؤها السيارات بالمياه المجلوبة من آبار ارتوازية في الجبل قامت الحكومة بحفرها كي يستقي منها الرعاة وسكان الجبل للشرب ولسقي أغنامهم وأبقارهم وأبلهم . .

وفي زيارتي الثانية للمنطقة في ١٩٧٧/٦/٢٢م قمت بجولة جبلية وقد اكتسى الجبل حلة خضراء قشيبة إثر الامطار الغزيرة والسيول التي اجتاحت المنطقة عند بداية الموسم الخريفي وكانت الارض خضراء من سفح الوادي حتى اعلى قمة جبلية ، تضارع في جمالها وبهائها ، جبال المنطقة الشمالية العراقية في ذروة ازدهارها وكان الرعاة ينتشرون بابقارهم واغنامهم وإبلهم في كل مكان ، وفي ظلال

اشجار الصفوت والخفوت والغهدوت، وكانت الاعمال للشارع الجميل (عقبة او طريق الياسمين) تجري على قدم وساق بعد ان اضرت سيول الامطار ببعض المناطق.

وفي طريق جديد شق حديثا الى يسار الطريق العام ولمسافة خمسة كيلومترات اتجهنا الى مركز (حجيف) الاداري، وهو تمهيد لانشاء مدينة في هذه المنطقة الحصينة.

وقد رصدت الحكومة مبلغا قدره (٤٢٠) الف ريال عماني لتحقيق ذلك الغرض وقد شاهدنا في هذه المنطقة معسكرا للجيش العماني السلطاني ومعسكرا لفرقة العروبة (وهي من الفرق الوطنية) كما شاهدنا المباني الجديدة وقد قطعت شوطا كبيرا وفيها بناية للمدرسة واخرى للمسجد وثالثة للمركز الاداري ورابعة للمستوصف وكلها بنايات بنيت بالكونكريت المسلح، وقد ارتفعت بجانب المباني القديمة الموجودة وفيها بناية المدرسة التي استحدثت بعد تحرير المنطقة واقيمت في بناية من المباني الجاهزة. ولقد زرنا معسكر (فرقة العروبة) ومعسكر (فرقة المستعجلة) ودار الحديث حول مآسي الماضي وابتسامة الحاضر والمستقبل في عمان مما لا مجال للافاضة فيه.

قوات الفرق الوطنية:

حدثني بعض الاخوة من قادة الفرقتين الوطنيتين اللتين زرتهما عن الفرق الوطنية التي استحدثها السلطان قابوس بعد توليه المسؤولية وهي تتكون من ابناء القبائل الموالية للحكومة والتي كان معظم افرادها ضد السلطة في باديء الامر. ونظرا لأن هؤلاء الرجال هم الخبراء في مناطقهم، فقد كانوا (الطلائع) او (القوات الفدائية) التي تفتح الطريق امام الجيش في بطون الوديان وفي المغارات الجبلية والكهوف فيقومون بالتسلل الى تلك الاماكن والهجوم على حين غرة وتهيئة الطريق امام الجيش السلطاني للتمركز والتقدم الى اماكن اخرى حتى تم تطهير المنطقة كلها.

هذا ولقد قمت بزيارة بعض الاماكن التي كانت مسرحا للقتال سواء في

الجبل المطل على صلالة او في المدن والقرى الاخرى النائية في سدح ووادي حدبين وحاسك وفي رخيوت وغيرها على حدود اليمن الجنوبية فوجدت السلام يعم المنطقة حيث تقوم الحكومة بتقديم خدماتها للمواطنين.

ولقد اخبرني هؤلاء الاخوة عندما كنا نتناولنا طعام الغداء الشهي المكون من السمك والخروف المشوي بطريقة خاصة تسمى (مضبي)، وقد حضر قائدا فرقة العروبة وفرقة المستعجلة ونحن جلوس فوق ربوة من ربوات جبال ظفار الخضراء الشماء التي تطل على وادي سحيق وقد امتدت الجبال والسهول الخضراء حولنا على مدى البصر ونحن نتفيأ ظلال شجرة كبيرة ذات ثمر يشبه التين. .

. . اقول اخبرني هؤلاء الاخوة بان هناك في ظفار حوالي (٢٢) فرقة من الفرق الوطنية يتراوح عدد افراد كل منها بين (٣٠) الى (١٠٠) رجل ويبلغ مجموع تعدادها العام قرابة ثلاثة آلاف مسلح من رجال القبائل وهم يتبعون في ادارتهم وشؤونهم والي المنطقة الجنوبية وان لكل فرقة قائدها من نفس القبيلة التي ينتمي اليها افراد تلك الفرقة التي تتبع النظام العسكري السائد في الجيش العماني من حيث الرتب والرواتب كما انهم يزودون بالملابس العسكرية النظامية التي يسمونها (دريس). وهي كلمة انجليزية ولكنهم لا يلبسونها بل يلبسون ملابسهم القبلية الظفارية المعتادة، وتتكون من (مئزر) اسود مصبوغ بصبغة النيل الزرقاء يلفونه على بطونهم ويتمنطقون بصف الرصاص فوقه، أما القسم الاعلى من اجسامهم فانه يظل عاريا في الصيف. وهم يلبسون مثل هذا اللباس في الاستعراضات والاحتفالات الرسمية. اما في الايام الاعتيادية فانهم يلبسون الملابس العادية المكونة من (الدشداشة) كأي مواطن عادي ويقومون باعمالهم اليومية المعتادة كل ضمن منطقة قبيلته بالاضافة الى اعمال الدوريات في بطون الوديان واعالي الجبال والحراسة في معسكراتهم البسيطة. .

ولقد اثبتت هذه الفرق الوطنية اهميتها البالغة ايام القتال حيث كانت العامل الرئيسي لاحراز النصر الحاسم بما قدمت من اعمال جليلة للبلاد.

في الطريق الى كوريا موريا

كنت احد ستة يركبون الطائرة العمودية في طريقنا الى جزر كوريا موريا (الحلانيات) التي سبق لاحد سلاطين مسقط التنازل عنها الى ملكة بريطانيا ولأحفادها من بعدها . . ! !

وكانت معنا طبيبة اجنبية شابة تقوم بجولتها المعتادة في الاماكن النائية لفحص ومعالجة مرضاها في أعالي الجبال وبطون الوديان كطبيبة (طائرة) وقد ارتدت بنطلونا ولفت رأسها (بغترة) بيضاء كما كان معنا الضابط العماني المسؤول عن دائرة الخدمات المدنية التي تعمل بالتنسيق مع قوات السلطان المسلحة .

وبهذه المناسبة لابد لنا من القول (وقد شاهدنا ذلك ولمسناه بانفسنا) ، بان القوات العسكرية العمانية تقوم بدور حضاري في مجال التنمية والتعمير سواء في نقل المواد الغذائية والانشائية وتقديم الخدمات الطبية للمواطنين ، أو في شق الطرق وحفر الآبار وتطهير المناطق من كل رواسب الحرب التي قد تعيق سير المنطقة أو تعرقل مسيرتها السلمية البناءة .

. . . وفي طريقنا الى هاتيك الجزر متجهين الى الشرق ونحن نحاذي جبال (سمحان) الى يسارنا والبحر العربي على يميننا ، وصلنا مدينة (مرباط) التي دمرها الاعصار الاخير وفيها حوالي (١٥٠) بيتا مبنية بالطين والحجر او اللبن بالاضافة الى المباني الحكومية الجديدة وبعض بيوت الاهالي المبنية بالحجارة . وقد تجاوزنا هذه المدينة بعد ان تزود الطيار بالوقود فارتفعت الطائرة فوق (رأس جندري) وهو احد الجبال العالية في المنطقة حتى لكانها تصافحه ثم هبطت في مطار مدينة (سدح) .

سدح :

وسدح مدينة عامرة يبلغ عدد سكانها اكثر من الفي نسمة وتلتحق بها مراكز اخرى في البادية يبلغ عدد بيوتها (٢٥٠) بيتا مبنية بالطابوق الاسمنتي وفيها ماء وكهرباء وهي تقع على مجرى وادي يتصل بالبحر وتتبع ولاية صلالة حيث يعين الوالي نائبا له في كل مدينة من هذه المدن .

ولقد استقبلنا نائب الوالي بحفاوة وترحيب وقادنا الى بيته ، وهو بيت جديد

مؤثث بالكراسي الوثيرة. وبعد تقديم (الفوالة) المكونة من الحلوى المعتادة والفواكه والقهوة اخبرني بان في المدينة مستوصفا يديره طبيب وان الطبيبة تزور هذا المستوصف مرة كل اسبوع ضمن جولتها المعتادة كما توجد مدرستان احداهما للبنات وهي تركز على التعليم الديني وعدد التلميذات (٥٠) تلميذة أما الثانية فانها ابتدائية للبنين وفيها معلمون عمانيون ومصريون واردنيون ويبلغ عدد تلاميذها حوالي (٨٠) تلميذا. وفي جولتي في هذه المدينة زرت مدرسة البنين وتعرفت على المعلمين وزرت مبنى المدرسة الجديدة كما زرت المستوصف وتجولت في الحواري والازقة وعلمت بان للمدينة مطارا آخر غير مطار الهليوكوبتر الذي يقع على جانب الشارع. وهو مطار لطائرات (سكاي فان) التي يطلق عليها السكان اسم (التاكسي) ويقع في منطقة اسمها (جفا) على مبعدة من مدينة سدح وهي تنقل المسافرين مرتين في الاسبوع.

يشتغل معظم سكان هذه المدينة بصيد الاسماك وخاصة المحار المسمى (صويلح) وهو شبه خاص بالمنطقة حيث يغوص اليه الصيادون فيجدونه ملتصقا بالصخور وهو اشبه ما يكون بالمحار غير انه ذو طبقة صدفية واحدة يوجد اللحم في داخلها بشكل كتلة مستديرة حيث يقشطه الصيادون عن الصخور التي يلتصق بها فيستبعدون الصدفة ويستخرجون اللحم ويطبخونه مع الخضر والتوابل الحارة التي يسمونها (صالونة) أو (كاري) ويقدمونه مع الرز أو انهم يجففونه في الشمس ويبيعون كل ثماني قطع منه بريال عماني نظرا لفائدته الغذائية.

وادي حدبين:

وطرنا الى وادي حدبين بعد ان مكثنا في سدح قرابة ساعتين. ووادي حدبين الذي لا يبعد اكثر من ست دقائق بالطائرة عن سدح، يقع بين ثلاثة جبال عالية، وهو ملىء بالاشجار وتنصب اليه المياه من الجبال المحيطة به في موسم الامطار.

وهذا الوادي موطن لقبائل بدوية رحالة غير ان الحكومة رغبة منها في توطين هؤلاء البدو (وهم من قبائل الشحرة والمهرة)، قامت بحفر آبار ارتوازية وابتنت خزانات وصهاريج كونكريتية لشرب المواطنين وجمالهم واغنامهم.

حاســـك :

وغادرنا وادي حدبين متجهين الى حاسك كي تتزود الطائرة بالوقود في طريقها الى جزر كوريا موريا والمسافة بينهما (٧٤) كم حيث تسلقنا جبل (نوس) الذي تعانقه الغيوم وتغسل امواج البحر العربي قدميه في شاطيء رملي جميل، وتنفتح الوديان في ثناياه انهارا زائفة في موسم الجفاف وجارية في موسم الامطار متجهة لتصب في البحر. حتى وصلنا قرية حاسك، وهي قرية صغيرة لا يزيد عدد بيوتها عن ثلاثين بيتا وفيها دار حكومية يسكنها نائب للوالي وقد ارتفع العلم العماني خفاقا فوق المبنى فتزودت طائرتنا بالوقود ثم ارتفعت كفراشة جميلة.

كوريا موريا :

قال لنا ملاح الطائرة . . نحن نتجه الى جزر كوريا موريا محلقين فوق البحر، ولذلك لابد لكم من ارتداء (سترة النجاة المطاطية) . . وجزر كوريا موريا تتكون من اربع جزر متقاربة هي : ١ - جزيرة الحاسكية، ٢ - الجزيرة السوداء، ٣ - جزيرة الحلانية، ٤ - الجزيرة القبلية . مرتبة حسب بعدها عن الساحل حيث تبلغ المسافة بين هذه الجزر ومدينة (صلالة) (٢٤٠) كم .

والجزيرة الاولى ليست مسكونة ابدا الا من بعض الطيور البحرية، وهي جزيرة صخرية شأنها في ذلك شأن الجزيرة السودا التي تتدرج الصخور فيها ابتداء من الساحل الرملي الصغير ثم تنحدر قممه الجبلية حتى ساحل البحر عدا القسم الشرقي منها حيث ينبسط ساحل صخري ذي اخاديد متعرجة وهي في ذلك تتشابه مع الجزيرة الرابعة الصغيرة (الجزيرة القبلية) . .

أما كبرى هذه الجزر وهي جزيرة (الحلانية) التي هبطت فيها طائرتنا العمودية

فان ارضهـا تتـدرج من ارض منبسطـة رملـيـة على الساحل الى جبال مرتفعة وكثبان جرداء قاحلة .

وقد اخبرنا نائب والي المنطقة في الجزيرة بعد ان استقبلنا ومعه جميع سكان الجزيرة بترحيب كبير في المطار ثم قادنا الى بيته حيث قدم لنا المرطبات والشاي ، بأن مساحة الجزيرة لا تزيد على ستة اميال مربعة وان السكان الذين لا يزيد عددهم عن (٧٥) شخصا، منهم سبع زوجات، يسكنون في ثلاثين بيتا جديدا امر السلطان قابـوس ببنائهـا لهم عند زيارتـه الجزيـرة حيث كانـوا يسكنون في عشش صغيرة ويعملون كصيادين .

وقد قامت الحكومة ببناء مدرسة افتتحت في عام ١٩٧٧م ويبلغ عدد تلاميذ الصف الاول فيهـا (١٢) تلميـذا، كمـا تم بنـاء مستوصف جديد في الجزيرة يديره (مضمـد) علاوة على زيارة (الطبيب الطائـر) الاسبوعيـة لفحص السكـان ونقـل الحـالات التي تستوجب الادخـال في مستشفى صلالـة . وقـد زرنـا بناية المسجد القديم في الجزيرة كما زرنا المسجد الجديد الذي لم يستكمل بناؤهُ بعد .

أمـا بالنسبـة لمياه الشرب، فقد اخبرنا نائب الوالي بان السكان كانوا يجلبون المياه الحلوة من عين تقع في الجبل الا ان الحكومة قامت مؤخرا بحفر بئر ارتوازية ومـدت الانـابيب الى البيـوت الجـديدة وفي انتظار الانتهاء من هذا المشروع ، فقد خصصت الحكـومـة سيارة حوضيـة (تـانكر) لجلب المياه من العين التي تقع على مسافة اربعة كيلومترات بمعدل ثلاث رحلات يوميا وتوزيعه على السكان مجانا .

هـذا ويقضـي السكـان يومهم في صيـد الاسمـاك وصيـد طيـور (الـداق) و(السومي) اللذيـذة من جزيـرتهم ومن الجـزر الاخـرى التي يذهبون اليها بواسطة (اللنشـات) كمـا يقضـون امسيـاتهم في الاستمـاع الى الاذاعـة بواسطـة الـراديـو (الترنـزستور) أما التلفزيون والسينما فانهم لم يشاهدونها في حياتهم حيث لم يغادر معظمهم ارض الجزيرة قط .

وقـد اخبـرني نائب الـوالي بان اغنـاما وحشية تعيش في جبال الجزيرة وانهم قلّمـا ذهبـوا لصيدهـا ذلك لانها كما يقال تموت خوفا بعد الامساك بها بقليل حيث ترتجف قليلا ثم تسقط ميتة .

ولعل من الجدير الاشارة الى ان شركة انجليزية احتكرت نقل سماد الطيور من هذه الجزيرة منذ سنين طويلة كما يقال حيث توجد كميات هائلة من ذلك السماد.

وبعد ان تولت (الطبيبة الطائرة) التي كانت ترافقنا مهمة فحص المرضى في المستوصف وزيارة النساء في بيوتهن، غادرنا الجزيرة السحرية التي كثرت الاقاويل حولها متجهين نحو صلالة ومعنا احد عشر راكبا من سكان المناطق التي قمنا بزيارتها، فوصلنا مدينة (مرباط) حيث تزودت الطائرة بالوقود، وطرنا فوق (خور روري) وفيه المدينة المندثرة (سمهرم) التي كانت ميناء لتصدير اللبان ومدينة (طاقة) وشاهدنا مزرعة (المعمورة) ومزرعة (اريزات) او (ريزيت) النموذجيتان حتى وصلنا مطار صلالة العسكري وكانت رحلة ممتعة.

مدينة مرباط :

تقع هذه المدينة على ساحل البحر ولها ميناء مهم يطل عليه جبل (سمحان) الذي يبلغ ارتفاعه عشرة الاف متر حيث كانت اشهر مدينة لتصدير (اللبان) الى الهند.

وقد اخبرني المشرف على مكتبة دائرة الاعلام في صلالة، بان اصل كلمة (مرباط) مشتق من الرباط حيث تروي الاحاديث ان الملك سيف بن ذي يزن، عندما استنجد بالفرس لتخليص بلاده (اليمن)، من حكم الاحباش المستعمرين، اتخذ من هذه المدينة رباطا لخيله ولذلك فقد اطلق عليها اسم مرباط. وهناك رواية اخرى تقول بان الاشراف الذين هاجروا من حضرموت قد استوطنوا مرباط حيث لا يزال فيها مقام ديني معروف يسمى ضريح (إبن علي).

هذا وتعتبر مرباط ثاني مدن المنطقة الجنوبية بعد صلالة من حيث الاهمية حيث يوجد فيها حوالي الف منزل كما توجد فيها مدرستان للبنين واخرى للبنات علاوة على المستشفى الجديد ودار البلدية وفروع لجميع الدوائر الحكومية وقد قاست هذه المدينة من الاعصار الجارف الذي اجتاحها فهدم معظم منازلها وشرد سكانها..

مدينة طاقة :

الطريق الى طاقـة، طريق جديد من الاسفلت يربطها بصلالة وتقع طاقة في سهـل رملي يفصـل بين ساحلهـا والجبـل الـذي يحيـط بها بشكل نصف دائرة وقد اقيمت اربع قلاع كونكريتية حديثة في اماكن متفرقة منه حيث يرتفع العلم العماني.

ودخلنـا مدينـة طاقـة، وهي مدينـة كبيرة يديرها نائب الوالي فشاهدنا الحركة العمرانيـة النشيطـة فيهـا حيث تم بنـاء دار جديـدة كبيرة للولاية واخرى لمركز قيادة الشرطة ومبان اخر لمختلف الدوائر الحكومية كالمدارس للبنين والبنات ودوائر البريد والبرق والهاتف والجمارك.

وقد اخبرني نائب الوالي بان عدد سكان الولاية يبلغ حوالي (١٢) الف نسمة منهم ستة آلاف يسكنون في طاقة اما الآخرون فينتشرون في القرى التابعة لها.

أمـا عدد بيـوت المـدينـة فانـه تبلغ قرابة الف بيت وقد لاحظت ان الكثير من بيـوتهـا جديـدة عصريـة قد بنيت من الصخـور والطـابـوق الاسمنتي كمـا ان فيها مستـوصفـا يديـره طبيب تسـاعده ممرضتان كما توجد فيها محكمة شرعية للنظر في القضايا الشرعية والمدنية يديرها قاضي تعينه وزارة العدل، اما القضايا الجنائية فان الشرطة تتخذ الاجراءات اللازمة بشأنها ثم تحيلها الى نائب الوالي لاصدار حكمه القـابـل للتظلم امـام الـوالي ويعمـل معظم سكـان (طاقة) في صيد الاسماك وفي التجـارة كمـا ان منهم من يعمـل في الـوظـائف الحكوميـة وفي الجيش والشرطـة والحـرس المـدني. ويعيش الصيادون حياة تعاونية في صيد السردين الذي يسمونه (عيد)، فهم يصطادونه بكميات هائلة ثم ينشرونه بنظام في مساحات كبيرة مستطيلة على الشاطىء الرملي الكبير ثم بيعه بعد تجفيفه لاضحاب المواشي بعد ذلك.

وتستغـرق عمليـة التجفيف البـدائيـة هذه خمسـة ايام اوستـة يصبح بعدها السـردين جاهـزا لتقديمـه علفـا للابـل والبقـر والاغنام. ولقد علمت بان الجهات الرسمية معنية بهذا الموضوع حيث انشأت معملا لتعليب السردين في مدينة صلالة (وقد سبق لنا الحديث عن ذلك).

غيـر انني ارى بهـذه المنـاسبـة أن من الممكن الافادة من السردين الذي لا

تجفيف اسماك (السادين) على ساحل مدينة طاقة في المنطقة الجنوبية حيث يستعمل علفاً للمواشي في شهور الجفاف

يصلح للتعليب وجعله علفا للمواشي بعد تجفيفه بطريقة فنية و خلطه بالتمور غير الصالحة للطعام وببقايا ثمار جوز الهند بعد انشاء مصنع لاستخلاص زيوته وببقايا قصب السكر ونفاياته بعد تصنيعه، حيث يصبح هذا العلف الحيواني والنباتي من اجود انواع العلف التي تقدم للمواشي خاصة وان في السلطنة ملايين من اشجار النخيل واقل من ذلك اشجار جوز الهند (النارجيل) ومساحات كبيرة من قصب السكر في المنطقة الجنوبية على وجه الخصوص.

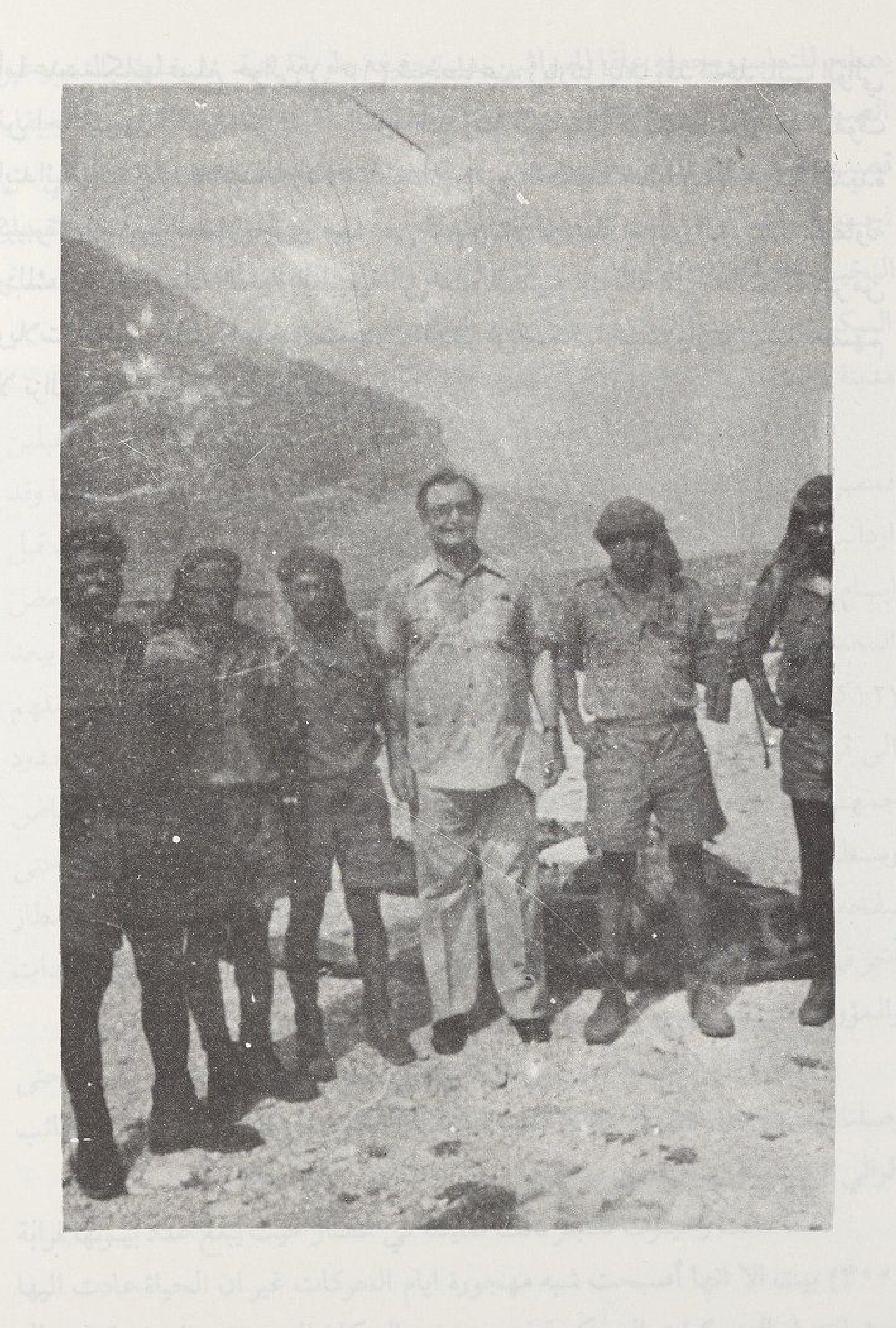
مدينة رخيوت :

في جولتي الثانية بالمنطقة الجنوبية زرت مدينة رخيوت التي تقع بين جبلين فممرنا بالطائرة العمودية فوق ميناء (ريسوت) ثم (مغسيل) متجهين عمقا وقد ازدانت الجبال بخضرة زاهية وسالت اوديتها بمياه الامطار الغزيرة التي هطلت قبل ايام فجرفت بعض القرى واضرت بالمواطنين وكانت الطائرة تنزل ببعض المعسكرات على قمم الجبال ومنها معسكر (عرفت) ومعسكر (صرفيت) الذي يبعد (١٢ كم) عن (وادي حوف) وفي بعض القرى لتقديم الخدمات للمواطنين ونقلهم الى قراهم حتى وصلنا مدينة (رخيوت) التي تبعد حوالي (٤٨) كم عن حدود جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وقد هبطت بنا الطائرة في مطارها الخاص وسط معسكر للجيش اقيم في ظلال جبل شاهق تكسوه الاشجار من قمته حتى سفحه عند البحر، حيث استقبلنا الضابط المسؤول ورحب بنا كثيرا واشار الى مطار آخر في معسكر اعد لنزول الطائرات الكبيرة (سكاي فان) التي تقوم بنقل المعدات والمؤون التي تقدمها دائرة الخدمات المدنية للمواطنين.

ويفصل بين المعسكر وبين (رخيوت) خليج صغير مشينا على ساحله حتى وصلنا المدينة بعد عشرين دقيقة تقريبا فاستقبلنا الكاتب ورحب بنا (حيث كان نائب الوالي في مهمة رسمية في صلالة).

لقد كانت رخيوت تعتبر ثالث مدينة في ظفار حيث يبلغ عدد بيوتها قرابة (٣٠٠) بيت الا انها أصبحت شبه مهجورة ايام الحركات غير ان الحياة عادت اليها بعد انتهاء الحركات العسكرية فرجع بعض السكان الى بيوتهم المخربة التي لم يبق منها سالما الا المسجد وحوالي (٣٥) بيتا وهي بيوت مبنية بالحجارة الجبلية.

أما عدد سكانها فيبلغ حوالي (١٥٠) شخصا عند زيارتنا اياها وقد اتخذ نائب الوالي من احد بيوتها الكبيرة مقرا له. أما بناية المدرسة فانها بناية قديمة ذات اربعة صفوف ابتدائية يبلغ عدد تلاميذها (٤٥) تلميذا. وتقوم الحكومة حاليا ببناء مدرسة جديدة كبيـرة شاهـدنـا العمل يجري فيها على قدم وساق بواسطة احدى الشركات المقاولة وذلك تمهيدا لاعادة الحياة الطبيعية الى هذه المدينة الباسلة التي عانت الكثير من ويلات الحرب والتي اعدم المتمردون الكثير من سكانها حيث رأيت بيوت بعضهم لا تزال مقفلة بعد ان هجرها اهلها.



جولة في داخلية عمان



رحلة الى الرستاق :

السفر الى الرستاق متعة لا يحس بها الا من سار في ذلك الطريق الجميل ذي الاتجاهين المعبد بالاسفلت حتى يصل مطار السيب الدولي حيث يتفرع الشارع عند منطقة (المرتفعة) الى شارعين يخترق اولهما سهل الباطنة من السيب على امتداد البحر حتى يصل الحدود الشمالية للسلطنة عند (خطمة ملاحة) فدولة الامارات العربية المتحدة، اما الشارع الثاني فيتجه يسارا الى عمان الداخل حيث نزوى وبهلا وصور وغيرها من البلدان,ولقد اتخذنا في مسيرتنا نحو الرستاق الاتجاه الاول مخترقين سهل الباطنة الجميل كما سبق لنا وصفه حيث الزرع والنخيل ومياه الافلاج، وحيث تنبت اشجار (البيذام) التي تشبه اشجار السدر (النبق) بكثرة ملحوظة.

وتواصل سيارتنا السير ومرافقي يشرح لي معالم الطريق في ذلك الصباح الجميل من يوم الجمعة المصادف ١٨/٢/١٩٧٧م حيث طاب الهواء ولطف الجو حتى وصلنا ولاية (المصنعة) حيث يتفرع بعدها شارع فرعي مسفلت عند قرية (ملدة) يتجه نحو الرستاق والمسافة بينهما (٤٣) كم ويواجهنا (الجبل الاخضر) بجلاله ومهابته وتبدأ منطقة (الحزم) الى يمين الشارع ومنطقة (جما) الى يساره.

وفي (الحزم) بيوت متناثرة بعضها حديث البناء وكثيرها قديمه قد بني من الطين واللبن وتطل عليها جميعا قلعة (الحزم) الاثرية الشهيرة التي بناها الامام (سيف بن سلطان اليعربي) عام ١٢٤٠ هجرية حيث صمدت جدرانها الضخمة للغزاة فلم تهن ولم تستسلم وظلت قوية تصارع الزمن وقد جددتها حكومة العهد الجديد واتخذت منها مخفرا لشرطة المنطقة الا اننا علمنا عند زيارتنا الثانية للسلطنة بان وزارة التراث القومي قررت تسلم جميع القلاع والحصون العمانية والمباشرة بترميمها واتخاذها متاحف يؤمها السواح والزوار من كل مكان . . وحسنا فعلت . . !

ولقد زرنا هذه القلعة او الحصن الضخم فاعجبنا بهندسته وبمتانة بنايته وبالطريقة العسكرية الفنية التي بنى بها بحيث يستحيل اقتحامه وانه حتى في حالة

اقتحامه فان من الصعب احتلاله وأسر المدافعين عنه ، لانهم قد اكتفوا ذاتيا بما عندهم من مياه (الفلج) الذي يمر في الحصن وبما خزنوا من تمر وطعام .

وتجولنا في الحصن وصعدنا حتى برجه الرئيسي الضخم بمدافعه الكبيرة وفتحاته و(مزاغيله) الحصينة وارتقينا سلالمه العجيبة التي تطل منها فتحات لمراقبة من يكون في اسفلها من الاعداء (في حالة اقتحامهم الحصن) حيث تطلق عليهم النيران وتصب فوقهم الزيوت الملتهبة والمياه الساخنة وغيرها من وسائل الدفاع .

. . . وتسير بنا السيارة بعد زيارتنا قلعة (الحزم) او الحصن وتسير ونحن نمر بقرية (الشبكية) على يميننا ، وقرية (المسفاة) على يسارنا في مناظر جميلة متتالية حتى الجبال في استدارة حادة حيث تحتضن الجبال المزارع وبساتين النخيل في (فلج الشرارة) ومنطقتي (الوشيل) و(المشاحيط) ثم ينحدر الشارع بعدها ناعما جميلا في طريق متعرج صعودا ونزولا وعبورا فوق جسور حديثة تجري من تحتها مياه الوديان حتى نمر بمصنع التمور الجديد الذي ننحدر بعده نحو مدينة (الرستاق) في وادي اخضر كله اشجار وبساتين نخل تحتضنها سلسلة الجبل الاخضر بحنان .

. . . وجلسنا في بيت الوالي ، وهو بيت عصري قامت الحكومة بانشائه ، وبعد ان اكلنا (حلوى الرستاق) ـ ولكل مدينة في عمان حلوى خاصة بها وشربنا القهوة ، قادنا نائبه بسيارته نحو (عين كسفة) ذات المياه الحارة التي يقولون بان درجة حرارتها تبلغ (٨٠) درجة مئوية ، وهي عين قريبة من الجبل المسمى (قرن الكسفة) حيث تسقى البساتين الكثيرة في المنطقة وحيث يتخذ بعض المواطنين من مياهها الحارة (حماما) يغتسلون فيه في مقاصير غير مسقفة .

وبعد ان تجولنا في ازقة مدينة الرستاق زرنا ضريح (الامام احمد بن سعيد بن احمد بن محمد الازدي) جد الاسرة الحاكمة المتوفي في ١٩ محرم سنة ١٢٩٨ هجرية وقرأنا على روحه الفاتحة . وقد لفت انتباهنا ان اسوار هذا الضريح وقبته متهدمة وانها بحاجة ماسة الى الصيانة والتجديد . ثم زرنا المسجد المقابل للضريح ويسمى (مسجد القبة) حيث قابلنا فضيلة القاضي وجلسنا نتحدث معه عن ماضي عمان المجيد وعن (قلعة الرستاق) التي تسمى (قصرى) او(كسرى) الواقعة في قلب مدينة الرستاق التي اتخذها اليعاربة عاصمة لهم .

وبعد ان سعدنا بتلك الجلسة العلمية مع فضيلة القاضي ذهبنا الى قلعة (قصرى) وهي مقر ادارة الوالي حيث يرتفع فوقها العلم العماني وتجولنا في ارجائها وسجلنا اسماءنا في سجل الزائرين وقد بنيت هذه القلعة الحصينة قبل الرسالة المحمدية الشريفة باربعة عشر عاما وجدد اليعاربة ومن بعدهم الامام احمد بن سعيد واضافوا عليه الشيء الكثير، غير ان يد الزمن لعبت بها فهي في حاجة ماسة الى الصيانة والتجديد.

وبعد انتهائنا من زيارة القلعة ومن الجولة السريعة في المدينة الخضراء حيث اطلعنا على اهم معالمها وشاهدنا شارعها الرئيسي المبلط ومبانيها، وفيها الكثير من الجديد، ومسجدها الفخم الجديد، وبنايات الدوائر الحكومية والمدارس والمستشفى ومحطة الكهرباء والماء، علمنا من مرافقنا بان في ولاية الرستاق (١٥٠) قرية وان للوالي نائبين احدهما يقيم في وادي (بني هناه) وثانيهما يقيم في وادي (الحوقين) وهما يساعدان الوالي المقيم في الرستاق فشكرناه على مرافقته ايانا وعلى غزارة معلوماته بمنطقته ثم قفلنا راجعين الى احد بساتين منطقة (الحزم) حيث تناولنا غداءنا السفري واتجهنا بعد ذلك نحو العاصمة بعد جولة هانئة.

رحلة الى نزوى :

بعد ان اجتزنا مطار السيب الدولي وعسكر المرتفعة، واتجهنا يسارا حيث يقودنا ذلك الشارع المبلط الحديث نحو عمان الداخلية، نحو نزوى وغيرها من المدن، وكان ذلك في صباح يوم الاثنين المصادف ١٩٧٧/٢/٢٨م ومعي مرافقي النشيط وقد مررنا بمدينة (فنجا) التابعة لولاية (بدبد) واجتزنا جسرا حديثا فوق وادي بدبد الخصب حيث المياه جارية والبساتين عامرة حيث يعتبر هذا الطريق الجبلي الجميل هو البداية للجبل الاخضر الا ان وديانه حافلة ببساتين النخيل التي تروي بمياه الافلاج وقد تشعب الشارع العام الى فرع آخر منه يتجه نحو مدينة (سمائل) الجميلة.

وظلت سيارتنا تنهب الطريق في الشارع العام ونحن نرقب الجبال العالية وقد بنيت فوق بعض ذرواتها قلاع قديمة حتى وصلنا ولاية (ازكي) ثم اتجهنا يمينا نحو (بركة الموز) ذلك ان الشارع العام يؤدي الى منطقة البترول في (الفهود) التي ينتهي

عندها التبليط الا ان الطريق يستمر ممهدا حتى يصل (صلالة) في المنطقة الجنوبية على مسافة (١٢٠٠) كيلو متراً وفي بركة الموز المدينة الجميلة التي يديرها نائب والي (نزوى) شربنا مياه الافلاج المنحدرة من الجبل الاخضر واستمتعنا بالمناظر الجميلة للبساتين العامرة الغنية بكل انواع الثمار، ولعل (الموز) طغى على بقية اصناف الفاكهة فاطلق اسمه على هذه المدينة التي يخترقها وادي كثير الحصى هو مجرى مياه الامطار عند هطولها ولا شك.

واستأنفنا مسيرتنا حتى وصلنا مدينة (نزوى) التي تقع على بعد (١٧٦)كم من مسقط حيث يلف الجبل الاخضر جانبها الغربي ويطوقه بحنان كما تحيط بها مدن ازكي ومنح وبهلا. وذهبنا الى دار الوالي فاستقبلنا بالترحيب نائبه حيث كان الوالي في العاصمة آنذاك واعد لنا غداء شهيا مكونا من الرز وملحقاته (قبولي) ثم رافقنا بعد ذلك في جولة في المدينة الكبيرة التي يبلغ عدد سكانها وتوابعها قرابة عشرين الف نسمة وتتبعها مدن وقرى اخرى كثيرة يبلغ عددها (٤٨) قرية.

... وبعد فالمدينة كبيرة وفيها سوق عصري ومصنع لتعبئة التمور وبيوت انيقة حديثة الى جانب البيوت الكثيرة المبنية بالحجر والطابوق. كما ان فيها اربع مدارس ابتدائية للبنين واخرى للبنات ومدرسة اعدادية وفصل مسائي ثانوي. ويوجد في (نزوى) قرابة (٣٠٠) مسجد ذلك لانها تعتبر مدينة دينية، كما ان فيها مزرعة عامرة ومتاجر غنية بالبضائع بالاضافة الى وجود دوائر لكافة الوزارات المعنية. ولقد اخبرني مدير مصنع التمور عند زيارتنا اياه بان المصنع قد انشىء عام ١٩٧٥م وان في عمان ما يقرب من (١ر٥) مليون نخلة يصنّع بعض انتاجها في مصنعين للتمور احدهما في نزوى والاخر في الرستاق كما يبلغ عدد العمال في المصنع (٨٢) عاملا من النساء والرجال. وبعد انتهائنا من زيارة مصنع التمور ذهبنا لزيارة القلعة التي بناها الامام سلطان بن سيف اليعربي في عام ١٠٥٠هـ، وهي قلعة متينة البناء شامخة الارتفاع تطل على المدينة باسرها كما تطل على اجمل مسجد حديث في المدينة. هذا وتوجد في المدينة قلعة اخرى اكثر قدما من القلعة الاولى وقد بناها (الصلت بن مالك) احد الائمة العمانيين. وقد اخبرنا نائب الوالي بان الحكومة قد خصصت يوميا ثماني رحلات مجانية للمواطنين للانتقال بالطائرات الهليوكوبتر بين نزوى

والجبل الاخضر كما نقلت بالطائرات ثلاث سيارات الى الجبل الاخضر لنقل المواطنين من قرية (سيق) وهي مفر نائب الوالي في الجبل الاخضر الى بعض قرى ذلك الجبل واهمها قرية (شريحة).

ولقد تأكدت من صحة هذه المعلومات عندما زرت منطقة الجبل الاخضر يوم ١٩٧٧/٧/١٩م اثناء زيارتي الثانية للسلطنة مما سوف اتحدث عنه في فصل قادم حيث حومت بالطائرة فوق مدينة نزوى التي تبدو واسعة جميلة وقد انتشرت فيها البساتين بكثرة ملحوظة بالاضافة الى كثرة مجاري مياه الافلاج ووجود وديان تمتلىء بالماء اثناء موسم الامطار. وتنقسم مدينة نزوى الى قسمين هما : (العلاية) و(السفالة) ينقسم كل منهما دوره الى مناطق ومحلات منها :

١ ـ محلة العقر :

وهي تضم الحصن المعروف بقلعة نزوى التاريخية. ويسكن في هذه المحلة بعض القبائل مثل قبيلة آل بو سعيد وبني سيف والحواسنة والجبوس وبني غريب والحواقنة والغراقنة وبني ريام وبني كميان وبني اسماعيل والعبابدة واولاد حجى والمفضلي والقصاصية.

٢ ـ محلة الوادي :

وتقع اسفل القلعة من الجهة العلوية وهي تنقسم الى قسمين يمر بينهما الوادي الذي يسمى (وادي كلبوه) ولكل قسم ابواب خاصة، وكل بوابة لها شوارع تسمى (سكة).

وتسكن في هذا المكان قبائل آل صباحي واليعارية وبني شكيل والسيابي وبني نعمان وبني خروص والمناذرة والزرور والمحاريق.

٣ ـ منطقة سعال، وتقع في شرق السوق وفيها ست محلات تسمى حارات وهي :

١ ـ حارة المنجب ويسكنها بنو عفيف والعناقيد.

٢ ـ حارة الجناة ويسكنها الصخابرة وبنو نعمان والبحري.

٣ ـ حارة حلان ويسكنها الرميضيون.

٤ ـ حارة فلج الضيعة وسكانها من بني هناه وآل بو سعيد.

٥ ـ فلج الشمامير ويسكنه بنو حرث وبنو اسماعيل.

٦ ـ حارة الشرفا ويسكنها العبابيد. ويقال بان (١٤) الف فارس كانوا يخرجون من هذه الحارة وقت الحروب كما كان يعمل فيها تسعون حلاقا[١٥١].

---

(١٥١) استقينا المعلومات الاخيرة من جريدة عمان الصادرة بتاريخ ٦/٤/١٩٧٧م

رحلة الى صور

٥ ـ خليج الشماسير ويسكنه بنو حرث وبنو اسماعيل.

٦ ـ حارة الشرقية ويسكنها الصبايحة . ويقال بأن (١٤) ألف فارس كانوا يخرجون من هذه الحارة وقت الحروب كما كان يعمل فيها تسعون حلاقاً[١٥]

---

(١٥) [illegible] المنشورة في جريدة عمان العمانية بتاريخ ٦/٤/١٩٧٧م

. . . والرحلة الى صور هي المتعة ذاتها رغم ان المسافة بينها وبين مسقط تبلغ حوالي (٤٠٠) كم فوق طريق مسفلت جديد يخترق الوديان العامرة بالقرى والبساتين ويمر في انحناءات حادة بين الجبال ويسير فوق جسور كونكريتية متعددة متينة البناء ثم يجتاز مسافات شاسعة في جنبات منطقة (رمال وهيبة) المقفرة الا من نباتات وشجيرات صحراوية.

و(صور) هي موطن الفينيقيين الاول في عمان، كما يقال، حيث نمت حضارتهم وشعت على العالم فنقلوها في رحلتهم الى البحرين ثم الساحل السوري وخلدوا اسم مدينتهم تلك ببناء مدينة (صور) اللبنانية ثم انتقلوا بحضارتهم الى الشمال الافريقي حيث بنو مدينة (قرطاج) في تونس.

. . . وكان السفر الى صور الفينيقية في عمان في صباح الاحد ١٩٧٧/٧/٣ حيث سلكنا بالسيارة نفس الطريق التي سلكناها عند سفرنا الى نزوى والى داخلية عمان حيث يتفرع من الشارع العام فرع جديد من (فنجا) وجسرها المعلق نحو (بدبد) بين الجبال حتى نصل الى قرية (الدسر) فوق جسر كونكريتي.

ويتلوى بنا الطريق عبر الجبال والوديان حتى نصل قرية (السنسلة) في بطن الوادي حيث بساتين النخيل، ثم يعود صعودا نحو سهل منبسط حتى نصل مفرقا الى اليمين يؤدي الى (الصومراء) ومفرقا آخر الى اليسار يؤدي الى منطقة الطائيين، غير اننا نواصل سيرنا في الطريق العام لا ننحرف يسرة ولا نتجه يمينا، ويظل الطريق يتلوى والوديان تتسع وتضيق وقد نبتت فيها بعض الشجيرات البرية والاعشاب واخضرت الارض واتسع المدى، امام سائق السيارة فاغراه حتى أصبحت سرعته تتراوح بين ١٢٠ - ١٦٠ كم في الساعة الى ان وصلنا منطقة (اليحمدي) ثم مدينة (ابرا) بقسميها (علاية ابرا) و(سفالة ابرا) واسترحنا في علاية (ابرا) وشربنا الشاي في مقهى على جانب الطريق يقابل مركزا حديثا للشرطة ومباني جديدة ومدرسة ابتدائية مختلطة. ثم سرنا يمينا حتى دخلنا مدينة (ابرا) وهي مدينة متسعة ذات زرع ونخل ومياه عذبة وهي مقر إقامة (الوالي) وفيها سوق متواضعة واربع قلاع اثرية قديمة ونادي رياضي ودوائر حكومية تابعة للوزارات المعنية ومستشفى كبير ومدارس وبنايات جديدة. وتسير بنا السيارة في الشارع العام وقد انبسط السهل واستوت الارض حتى نصل مدينتي الكامل والوافي. وهما مدينتان صحراويتان فيهما آبار

مياه عذبة وقلاع قديمة ومدارس ومستشفى وفي كل منهما مركز حديث للشرطة ومساكن جديدة لافرادها. ونغادر مدينة الكامل حيث يتسع السهل بعدئذ في منطقة مفتوحة على جانبي الشارع وقد تناثرت الشجيرات والنباتات البرية واشجار (السمر) التي تكاد تكون غابة يبلغ عرضها حوالي عشرة كيلومترات وطولها ما يقرب من ستة كيلومترات حيث تقع ولاية (بدية) على يمين الشارع وفيها دارة جديدة للوالي وبيوت طينية للمواطنين ونادي رياضي جديد ونخل وزرع.

ويستمر الطريق ويطول، ويقل تناثر الاشجار الصحراوية وتبتعد الجبال حتى الافق الى اليسار من الطريق وتنعدم عند يمينه وتبدأ الكثبان الرملية من منطقة رمال وهيبة بالظهور حيث قطعان الجمال والماعز وتعود الجبال تقترب تارة وتبتعد اخرى حتى نقترب من مدينة (بلاد بني بوحسن) وفيها عمارة جديدة لمركز الشرطة وبيوت عصرية وبعض المباني والبيوت الطينية وفيه بساتين نخيل.

وندخل في سيرنا منطقة جبلية اقيمت فوق وديانها الجارية الخضراء جسور كونكريتية بلغ تعدادها اثنى عشر جسرا في منطقة طاب هواؤها وعذب ماؤها المنحدر من الافلاج في قلب الجبال حيث تنبت الاشجار في الوديان وتسبح الاسماك الصغيرة في المجاري المائية التي شاهدنا بعض المواطنين يسبحون فيها ويغتسلون وقد بلغ عمق بعضها اكثر من متر.

وسرنا صعدا متجهين نحو (صور) حيث تعسكر قوة من الجيش العماني (قيادة القوة الجنوبية لجندرمة عمان) فوق احدى الروابي الجبلية المطلة على المدينة:

... ودخلنا مدينة صور.. ومدخلها جميل يوحي بالامان والطمأنينة بعد سفر وجولات استغرقت ما يقرب من خمس ساعات حيث تقوم البيوت على جانبي شارعها المبلط المؤدي الى البحر، وقد بني معظم تلك البيوت من الطين او الاخشاب والسعف.

وقصدنا الوالي في مكتبه بقلعة المدينة الاثرية فأحسن استقبالنا ورحب بنا قائلا بانه كان ينتظر هذه الزيارة منذ ايام حيث ابرقت له وزارة الداخلية بذلك.

جولـة فى المـدينة: بعد تناول (القبولى) المعتاد في مثل هذه المناسبات في بيت الـوالي وقـد دعـا نائبه وبعض شيـوخ القبائل في المنطقة وضابطين من ضباط شرطـة الـولايـة، قمت ومـرافقي وأحـد مسؤولي الولاية بجولة في المدينة التاريخية العـريقـة. وتنقسم هذه المـدينـة المطلة على البحـر العربي في جنوب السلطنة الى قسمين هـمـا (بلاد صور) حيث مقر الـوالي في القلعـة العتيقـة التي تحفها بساتين النخيل ومساكن المواطنين والاسواق وتمتد حتى المرتفعات حيث بيت الوالي وبيت نائبـه وبيت القـاضي والمستشفى ومـركـز الشرطـة ومديرية التربية والتعليم وبعض الدوائر الحكومية والمدارس.. وكلها حديثة البناء، وأما (ساحل صور) وهي المدينة الـواقعـة على البحـر فان المـد والجزر يؤثر تأثيرا واضحا فيها ويحيط الماء بالمنازل التي بنى بعضهـا بالحجـارة او الطين وبعضهـا الآخـر بالقصب والسعف والحصران وتـوجـد في (سـاحل صور) دكاكين ومخازن كما ان فيها (النادي الرياضي) الجديد الـذي زرنـاه حيث يقـوم بنشـاط رياضي واجتماعي في المدينة وقد اطلق عليه اسم (نادي العروبة الرياضي).

ومدينة (صور الساحل) مشهورة ببناء السفن الخشبية منذ اقدم عصور التاريخ ولا تزال هذه الصناعة قائمة حيث يبنون انواعا من تلك السفن ومن اشهرها (البغلة) و(البـوم) و(الهـوري). وقـد شجعت وزارة التـراث القـومي هذه الصنـاعة فأسست مصنعـا لبنـاء نمـاذج صغيرة تباع للسواح بثمن يتراوح بين ٢٠٠ - ٣٠٠ ريال عماني كما يقدم بعضها كهدايا لبعض المؤسسات الدولية اويوضع في الفنادق او السفارات العمانية في الخارج كنموذج لحضارة عمان العريقة. ولم نستطع الوصول الى ذلك المصنـع لاحـاطـة ميـاه المـد به من جميـع جوانبـه علما بانه توجد بعض المصانع الاهلية لبناء السفن الكبيرة في المدينة.

وولايـة صور هي احـدى ولايـات (المنطقـة الشرقية) في السلطنة وهي تضم ولايـات صور وبـلاد بني بو علي في جعـلان وولايتي الكـامـل والوافي وبلاد بني بو حسن وولاية (بديّة) وولاية القابل وولاية وادي بني خالد.

وقد اخبرني الـوالي في حديث معه بان ولايـة صور تقدم الخدمات الامنية والصحية والاجتمـاعيـة والتعليميـة وخـدمـات الجيش والشرطة لولايات (المنطقة الشرقية) باعتبارها مركز تلك المنطقة.

هذا ويبلغ عدد سكان مدينة صور قرابة (٣٠) ألف نسمة أما سكان الولاية كلها والتي تضم حوالي (٥٠) قرية فان عدد السكان يبلغ حوالي (٨٠) الف نسمة.

وأما بيوت صور فانها تبلغ حوالي عشرة آلاف بيتاً كما يوجد في المدينة سوقان احدهما في (بلاد صور) وثانيهما في (ساحل صور) وهو السوق الرئيسي للمدينة حيث لا تزال الحياة تجري فيه كما كانت منذ سنين طويلة.

لقد عنيت حكومة العهد الجديد بهذه المدينة ووضعت لها وزارة الاراضي والبلديات تخطيطا جديدا يتناسب وعراقها الاصيلة، كما تم توزيع الاراضي على المواطنين باسعار رمزية.

هذا وتوجد دوائر وفروع لمختلف وزارات الدولة كما توجد فيها عشر مدارس ابتدائية للبنين والبنات ومدرسة اعدادية للبنين هي مدرسة (احمد بن ماجد) ومدرسة اعدادية للبنات علاوة على نادي رياضي هو (نادي العروبة)، كما يقدم المستشفى المركزي في المدينة خدماته لابنائها، اما مواطنوا القرى الساحلية فتقدم الخدمات الصحية اليهم بواسطة (لنش) ينتقل الى اماكن سكناهم، وكذلك يقوم (الطبيب الطائر) بتقديم خدماته لسكان القرى الجبلية.

وتشتهر مدينة صور بكونها مركزا تجاريا وميناء بحريا للمنطقة الشرقية بأسرها حيث تصلها السفن من افريقيا الشرقية ومن اليابان ودول الخليج العربي.

ولقد اخبرني والي صور بان قرية (قلهات) الساحلية الواقعة الى الجنوب الغربي من صور هي اول قرية دخلها العرب بعد انهيار (سد مأرب) حيث نزل فيها (مالك بن فهم الازدي)، وانها ترتبط بمدينة صور بطريق ممهد طوله (٢٥) كم ويوجد فيها بقايا قباب اثرية لمعابد قديمة حولها المسلمون الى مساجد. ويسكن (قلهات) عند زيارتنا اياها عدد قليل من السكان الذين هجروها لطغيان مياه البحر عليها، وهي تقع عند سفح جبل لا يزال فيها مرسى للسفن يعتقد بانه بني في ايام الفينيقين حيث لا تزال حلقات ربط السفن المصنوعة من الرصاص موجودة في الميناء القديم حيث تحيط جبال (الحجر الشرقي) بالمنطقة كلها وذلك ابتداء من

(مسقط) وانتهاء بجبل (قهوان) الذي تقع آخر سلاسله في صور عند ولاية (بني بو علي).

وبعد فان مدينة (صور الساحلية) تعطي الزائر انطباعا صادقا عما كانت عليه هذه المدينة سابقا وخاصة في طراز بناء سوقها وبعض بيوتها ذات الابواب المبنية بشكل اقواس مزخرفة مما نجد له مثيلا في بعض مدن عمان الاخرى وبعض المدن العربية العريقة.

هذا ويبلغ عدد سكان ولاية صور حوالي (٣٠) ألف نسمة [illegible] الولاية كلها والتي تضم حوالي (٥٩) قرية فإن عدد السكان يبلغ حوالي (٨٠) ألف نسمة.

[illegible] صور [illegible] الحديثة في (بلاد صور) وثانيهما في (ساحل صور) وهو السوق الرئيسي القديم حيث لا تزال الحياة تجري فيه كما كانت منذ سنين طويلة.

لقد عنيت حكومة العهد الجديد بهذه المدينة ووضعت لها وزارة الأراضي والبلديات تخطيطاً جديداً يتناسب ومرافقها الأصلية، كما تم توزيع الأراضي على المواطنين بأسعار رمزية.

هذا وتوجد فروع لمختلف وزارات الدولة كما توجد فيها عشر مدارس ابتدائية للبنين والبنات ومدرسة اعدادية للبنين هي مدرسة (أحمد بن ماجد) ومدرسة اعدادية للبنات علاوة على نادي رياضي هو (نادي العروبة)، كما يقدم المستشفى المركزي في المدينة خدماته لأهاليها، أما أهالي القرى الساحلية فتقدم الخدمات الصحية اليهم بواسطة (لنش) ينتقل الى أماكن سكناهم، وكذلك يقوم (الطبيب الطائر) بتقديم خدماته لسكان القرى الجبلية.

وتشتهر مدينة صور بكونها مركزاً تجارياً وميناء بحرياً للمنطقة الشرقية بأسرها حيث تصلها السفن من أفريقيا الشرقية ومن اليابان ودول الخليج العربي.

ولقد أخبرني والي صور بأن قرية (قلهات) الساحلية الواقعة الى الجنوب الغربي من صور هي أول قرية دخلها العرب بعد انهيار (سد مأرب) حيث نزل فيها (مالك بن فهم الأزدي)، وأنها ترتبط بمدينة صور بطريق معبد طوله (٢٥) كم ويوجد فيها بقايا قباب أثرية لمعابد قديمة حولها المسلمون الى مساجد، ويسكن (قلهات) عند زيارتنا اياها عدد قليل من السكان الذين هجروها لطغيان مياه البحر عليها، وهي تقع عند سفح جبل لا يزال فيها مرسى للسفن يعتقد بأنه بني في أيام [illegible] حيث لا تزال حلقات ربط السفن المصنوعة من الرصاص موجودة في [illegible] ربط حبال (التجمع الشرقي) بالمنطقة كلها وذلك ابتداء من

جولة في الجبل الاخضر

الجبـل الاخضـر . هضبـة شاهقـة تقع وسط جبال عمان الممتدة من (رأس مسندم) على مضيق هرمز شمالاً حتى (رأس الحد) شرقاً المطلة على البحر العربي .

ويمتـاز الجبـل الاخضر بارتفاع قممه التي يصل بعضها الى (٨٨٥٠) قدماً، كما يمتاز بعظم هيكله الصخري وكثرة واحاته وسكانه وخصوبة روابيه التي تتخللها الاوديـة الخصبـة التي تنحـدر ميـاه (افـلاجهـا) لتروي القرى الواقعة على حفافيها المتربعة على سفوح جبالها الخضراء .

وتتفرع عن هضبة الجبل الاخضر المتميزة بطيب هوائها صيفاً ووفرة خيراتها وغـزيـر اثمـارهـا وطيب اكلها، اودية تربط الهضبة بسهل (الباطنة) وتطل على (بحر عمان)، وهي اودية (بني غافر) في المرتفعات الشمالية والغربية و(وادي الخوض) .

وفي هذه الاودية الخضراء المعطاءة تسكن قبائل شتى تتوزع بين العديد من القـرى والمـدن الشهيـرة بتاريخها القديم، شهرتها بخصوبة ارضها ووفرة انتاجها، اضافـة الى عراقتهـا واحتضـانها للعديد من المواهب الادبية والشعرية والدينية من أئمة عمان وعلمائها الافذاذ قديماً وحديثاً .

وتعتبر جوانب الهضبة الشرقية الجنوبية اوسع مساحه واكثر اتساعا حيث يوجد فيها وادي (بني رواحة) و(وادي حلفين) و(وادي المعيدي) الذي تقع على الجانب المقـابـل له مدينـة (نزوى)، ذات التاريخ العريق وعاصمة الأئمة وملتقى الحواضر والبـوادي والتي احتلت مكـانـا مرمـوقـا في التـاريـخ العمـاني قبـل الاسلام وبعده بالاضافة الى بساتينها الخضراء ورياضها الزهراء ومساجدها الكثيرة العظيمة وقلعتها الشامخة الخالدة. هذا ويعتبر الجبل الاخضر المصدر الرئيسي لانتاج انواع مختلفة من الفـواكـه والثمـار كالـرمـان المشهـور بحـلاوته ورقة قشره وكبر حجمه، والخوخ والتفاح والعنب والجوز واللوز والتين والزيتون والتوت والتمور.

والجبـل الاخضـر كالعلم يتـوسـط جبـال عمـان الشـامخـة ويفخـر بمكانته التاريخية في سجل عمان بموقعه الاستراتيجي الهام ليس في عمان بل في الجزيرة العـربيـة كلهـا . وستكـون لهذا الجبل في المستقبل اهميته الاثرية والسياحية، لان

ثرواته عظيمة لا تقدر بثمن ولا توزن بميزان وهو هبة الله سبحانه وتعالى لعمان ولشعب عمان الصامد.

. . . وبعد ان تأجل سفري الى الجبل الاخضر في ثلاث محاولات سابقة قيض الله لي فرصة السفر فطارت بنا الطائرة (سكاي فان) في حوالي الساعة السادسة النصف من صباح يوم السبت المصادف ١٩٧٧/٧/٩م فوق جبال صخرية صماء نبتت فوقها بعض الشجيرات حتى وصلنا الجبل الاخضر باشجاره المتناثرة ووديانه التي تجري فيها مياه الافلاج ومدرجاته الزراعية ومبانيه المتدرجة طبقات بعضها فوق بعض ثم حطت بنا الطائرة بعد طيران هادىء استمر (٢٥) دقيقة في مطار (مركز سيق) العسكري فوق ربوة متسعة فيها معسكر من الخيام للجيش العماني ومدرج ترابي للطائرات وآخر للطائرات العمودية وكشك خشبي لموظفي المطار من العسكريين الذين ينظمون سفر المواطنين المجاني بالاضافة الى نقلهم بسيارات (لاندروفر) يقودها الجنود الى قراهم ومناطق سكناهم في بطن الوادي وربواته الممراعة الخضراء، حيث الجو اللطيف الذي يميل الى البرودة وكأننا في جبال العراق ومصايفه في (سرسنك) او (شقلاوة) او (العمادية).

هذا ولقد جلب انتباهي وجود بناية كبيرة من طابق واحد رأيت المواطنين يدخلون اليها ويخرجون منها وقد حملوا بعض المشتروات. ولما سألت سائق السيارة اللاندروفر العسكرية الذي بانتظاري في المطار اخبرني بان هذا المبنى هو (كانتين) او متجر يشتري المواطنون منه احتياجاتهم باسعار رخيصة ويديره الجنود. وعندما دخلت هذا المتجر رأيته مليئا بكل ما يحتاجه المواطنون حيث كانت اكياس الرز والدقيق والسكر والمياه الغازية والحلويات وصناديق الشاي والصابون وجميع المواد البقالية وغيرها تملأ ذلك المتجر الذي يديره اربعة جنود كما شاهدت اربع مجمدات (فريزر) كبيرة قد امتلأت بالدجاج واللحوم والاسماك المجمدة ورأيت جانبا من المتجر قد علقت فيه (الدشاديش) و(الملابس) الجاهزة التي لا يزيد ثمن كل منها على (اربعة ريالات عمانية فقط).

وسارت سيارة اللاندروفر يقودها الجندي في طريقها الى قرية (سيق) في بطن الوادي الاخضر حيث كان نائب الوالي ورجاله في استقبالي عند مبنى دائرة

الزراعة الجديد[153].

وقادني نائب الوالي الى مكتبه مرحباً واخبرني بانه تسلم برقية من وزارة الداخلية باستقبالي وتجهيز طعام الغذاء ثم همس في اذن احد رجاله بالاسراع بذبح (الذبيحة) وتهيئة الطعام فشكرته على اهتمامه واخبرته بان موعد مغادرتي الجبل ستكون في الساعة العاشرة والنصف وانني قد اتفقت مع الطيار على ذلك، فما كان منه الا الالحاح وما كان مني الا تكرار الاعتذار والشكر له ولوزارة الداخلية.

عند ذلك امر الوالي بجلب (الفوالة) وهي الحلوى المشهورة والفواكه ثم القهوة العربية وجلسنا فوق سجاد فرش على ارض غرفة المكتب نتحدث عن الجبل الاخضر وقراه وسكانه[154]

اخبرني الوالي بان عدد سكان الجبل الاخضر يبلغ (١٣٫٥٠٠) نسمة وان قرية (سيق) هي عاصمة الولاية التي تضم قرى اخرى هي : (شريجة) و(وادي بني حبيب) و(العين) و(العقر) و(جبل اليمن) و(المناخر) و(الاقشع) و(سلوت) و(مصيرة الرواجح) و(مصيرة الجواميد) و(العباية) و(الفرع) و(القاشع) و(الخويع) و(سراب) و(الكهف الاحمر) حيث يتراوح عدد سكان كل منها بين (٢٠٠ - ١٠٠٠) نسمة يسكنون في وديان الجبل الكثيرة ومن اهمها : (وادي سيق) و(وادي العين) و(وادي المناخر) و(وادي القشع) و(وادي سلوت) و(وادي الفرع) و(وادي مصيرة) و(وادي الكوار) و(وادي وهية) و(وادي السراب).

أما القبائل التي تسكن الجبل الاخضر فان من اهمها : (النباهنة) و(الصقور) و(الفهود) و(الذغاغير) و(اولاد فلاح) (وبني توبة) و(اولاد راشد) و(اولاد ثاني) و(العمور) و(اولاد مويمير) و(الزكاونة) و(القبحيين) و(الشرقيين) و(الجواميد) وغيرهم حيث يتراوح عدد افراد كل قبيلة بين (١٠٠ - ١٥٠٠) شخص.

وبعد ان أتممنا تناول الفوالة والحديث مع نائب الوالي قادنا في جولة في انحاء مركز قريته (سيق) حيث شاهدنا مبنى حديثا للمدسة الابتدائية التي يبلغ عدد تلاميذها (٢٥٠) تلميذا وفيها سبعة مدرسين وناظر اعدت لهم الحكومة مساكن

---

(١٥٣) تتبع قرى الجبل الاخضر ولاية نزوى ويدير تلك القرى نائب الوالي مقره في قرية (سيق) وهي اكبر قرى المنطقة.

(١٥٤) اخبرني الوالي بان الحكومة قد قررت بناء دائرة حديثة لمقره الرسمي (المؤلف).

حديثة لسكناهم بجوار المدرسة التي تخدم القرى القريبة مثل (العقر) و(العين) و(حير اليمن) أما القرى الاخرى البعيدة فان فيها مدارس لتعليم القرآن الكريم .

وقد شاهدنا اثناء جولتنا مبنى جديدا لمستوصف يديره طبيب وممرضين اثنين كما شاهدنا دائرة الزراعة وهي مبنى جديد مزود بوسائل الراحة للمشرف الزراعي ومساعديه حيث توجد محطة للكهرباء والماء تزود بيت الوالي والدور والمؤسسات الحكومية فقط .

وفي جولتنا في المزرعة الحكومية شاهدنا اشجار الخوخ والرمان والجوز والمشمش والعنب والتين بالاضافة الى اشجار برية ذات ثمار صغيرة حمراء داكنة تشبه حبات العنب الصغيرة وهي لذيذة الطعم تسمى (بوت) كما شاهدنا مساحات كبيرة وقد زرعت بالورود العطرة التي يصنع منها السكان (ماء الورد) بطريقة بدائية عند موسم ازهاره في اواسط شهر نيسان (أبريل) .

وقد اخبرنا المشرف الزراعي بان المزرعة الحكومية وهي حديثة النشأة تزرع فيها بعض الخضراوات في فصل الصيف بالاضافة الى الفواكه وان هنالك مزارع اخرى وبساتين يملكها سكان القرية .

وفي تمام الساعة العاشرة عاد الي السائق بسيارته اللاندروفر فودعت نائب الوالي وجماعته وشكرتهم على حسن استقبالهم وعلى المعلومات التي قدمها حول الجبل الاخضر وعدت الى المطار في مركز (سيق) حيث أقلعت بنا الطائرة (وكنت اجلس بجانب الطيار) متجهة الى مطار السيب بعد ان قام الطيار برحلة الى مدينة نزوى فشاهدتها من الجو ثم قمنا بجولة فوق العاصمه مسقط وضواحيها وكانت رحلة لا تنسى .

[illegible]

[illegible] على ذلك ، فما كان منه الا الالحاح وما كان مني الا تكرار الاعتذار والشكر له ولوزارة الداخلية.

[illegible]

[illegible] قرية (سيق) في ضاحية الولاية التي [illegible]

[illegible] و(الكيف الاحمر) حيث يتراوح عدد سكان كل منها [illegible]

[illegible] و(العصور) و(اولاد موسى) و(البركاوية) و(الشويحيين) و(الشرقيين) و(الجبواسية) ونحوهم حيث يتراوح عدد افراد كل قبيلة بين (١٥٠ - ٥٠٠) شخص.

وبعد ان انهينا تناول القهوة والحديث مع نائب الوالي قادنا في جولة في البلدة مركز قرية (سيق) حيث شاهدنا مبنى حديثاً للمدرسة الابتدائية التي يبلغ عدد تلاميذها (٢٥٠) تلميذا وفيها سبعة مدرسين وناظر اعدت لهم الحكومة مساكن

---

(١٥٣) [illegible] الجبل الاخضر [illegible] نائب الوالي [illegible] قرية (سيق) [illegible] الى قرى المنطقة.

(١٥٤) اخبرني الوالي بان الحكومة قد قررت بناء دائرة حكومية لمقره الرسمي (المؤلف)

رحلة الى سمائل

يقول العمانيون بان (سمائل) هي مبعث الشعر ووحيه في عمان لما تمتاز به من رياض زاهرة وبساتين عامرة ومياه عذبة جارية.

وذهبت الى سمائل عصر يوم الخميس ١٦/٧/١٩٧٧م بعد موعد مع شاعرها الشيخ عبدالله الخليلي الخروصي الازدي فاستقبلني في داره الجميلة المطلة على وادي تجري فيه مياه الافلاج ويمتلىء بالماء في موسم الامطار وتحف به من جانبيه بساتين النخيل والفاكهة. وجلسنا في غرفة الضيوف فوق سجادة قد فرشت على الارض بعد ان تركنا احذيتنا عند الباب.

... واهلا ومرحبا وتحيات وحسن لقاء وفاكهة وقهوة وحديث عن الشعر وعن العراق وعن عمان. واستطالت الجلسة الشعرية والشيخ الخليلي يتلو بعض شعره وحديث عن سمائل، وهي تعني (سماء الله) كما يقول مصحفة عن (سمائل).

وسمائل جنة عذراء يحتضنها الجبل الاخضر من شمالها ويمدها بفيض من مياه افلاجه فتخضر ارضها وتزدهر بساتينها وتطل عليها من جنوبها جبال جرداء حمراء صخرية المنظر والمخبر، يطلقون عليها (حلوية) ووحدتها (حلاة) ويطلعني الشيخ الخليلي على ديوانه (وحي العبقرية) الذي ستتولى طبعه ونشره وزارة التراث القومي. فاقترح عليه ان يكون الطبع بطريقة (الزنكوغراف) حفاظا على جمال خطه الانيق ونمنمته وحسن وشيه وزخرفته. فالشيخ الخليلي فنان وشاعر وخطاط وقد قارب الستين من عمره المديد وفاز بجائزة السلطان الاولى في مهرجان الشعر العماني عام ١٩٧٦م.

وسمائل مدينة ذات جانبين هما (العلاية) و(السفالة) يقرب عدد سكانها من ثلاثين ألف نسمة وفيها اربع مدارس للبنين والبنات ومصنع صغير للنسيج انشأته الحكومة قبل فترة وجيزة.

وتضم ولاية سمائل حوالي (٣٥) قرية كما تضم حوالي نصف مليون نخلة ذات اصناف متعددة منها: (النغال) و(الخلاص) و(الخزيني) و(الزبد) (والهصاص) و(الفرض) وهو احمر اللون طويل يعد للتصدير، و(المبسلي) و(الخصاب).. وغيرها كثير. ومن فواكهها العنب والموز والمانجة والحمضيات، كما تزرع فيها الخضراوات والرقي ويسمونه (جح) والبطيخ والخيار.

وتمتد المدينة التي يخترقها الوادي الى مسافة طويلة امتداد الجبال التي تحيط بها وقد بنيت فيها البيوت الحديثة، أما اكثر البيوت فانها من الطين واللبن والطابوق.

ويوجد في المدينة مستشفيان جديدان يقع اولهما في مدخلها عند بداية الوادي حيث ينتهي تبليط الشارع المتفرع من الشارع العام الذي يمتد الى (نزوى) واما الثاني فانه يقع في نهاية المدينة حيث يوجد النادي الرياضي الجديد الذي كلف انشاؤه (٢٧٣٠٠) ريالا عمانيا، وهو نادي جميل ذي ساحة متسعة غير مسورة ولا مرصوفة وتقع بالقرب منه احدى المدارس الحديثة والمقر الرسمي للوالي وهو مبنى حديث البناء جميله وبجواره منزله الحكومي.

وبعد.. فسمائل.. هذه المدينة العذراء تحتاج الى رعاية اكثر والى العمل على ترويض مياه واديها الحصوي الجميل ورصفه بشارعين يخترقهما مجرى المياه ولقد اقترحت ذلك على الشاعر الخليلي لينظمه قصيدة ويطلق اسما شاعريا على مياه ذلك الوادي التي ستصبح نهرا مستديم الجريان وليكن اسمه (دجيل) مصغرا من نهر دجلة..

[illegible]

وذهبت الى سمائل عصر يوم الخميس ١٦/٧/١٩٧٧م بعد [illegible]

[illegible] (٢٧٧٢٠٠) [illegible]

العراق ومن عمان . واستطالت [illegible]

[illegible] (سمائل)

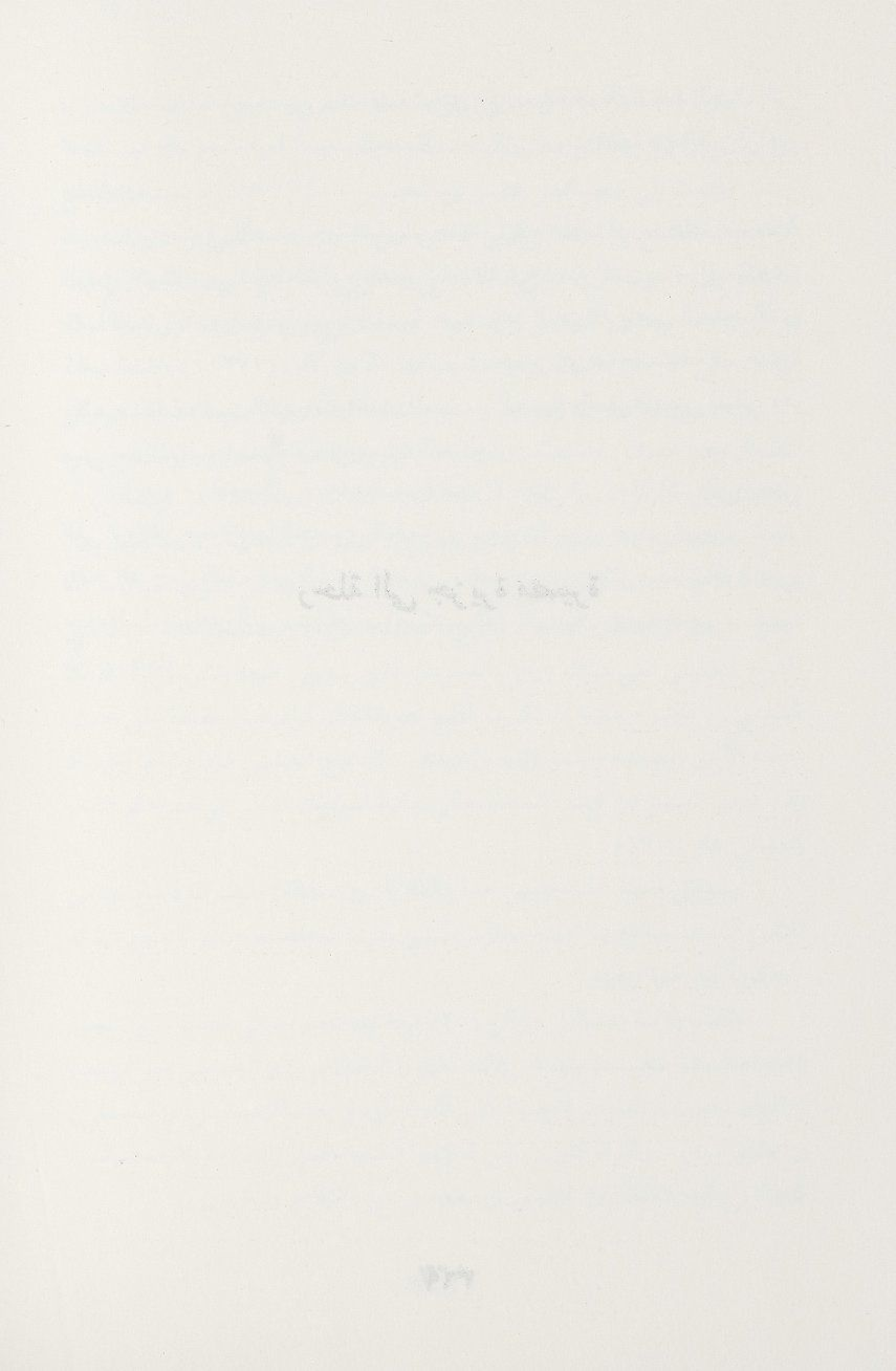
[illegible]

الشيخ الخليلي على ديوانه (وحي العبقرية) الذي ستتولى طبعه ونشره وزارة التراث القومي .. فاقترح عليه ان يكون الطبع بطريقة (الزنكوغراف) حفاظا على جمال خطه الانيق ونمنمته وحسن وشيه وزخرفته .. فالشيخ الخليلي فنان وشاعر وخطاط وقد قارب الستين من عمره المديد وفاز بجائزة السلطان الاولى في مهرجان الشعر العماني عام ١٩٧٦م .

وسمائل مدينة ذات جانبين هما (العلاية) و(السفالة) يقرب عدد سكانها من ثلاثين ألف نسمة وفيها اربع مدارس للبنين والبنات ومصنع صغير للنسيج انشأته الحكومة قبل فترة وجيزة .

وتضم ولاية سمائل حوالي (٣٥) قرية كما تضم حوالي نصف مليون نخلة ذات اصناف متعددة منها : (الخنيزي) و(الخلاص) و(الخنيزي) و(الزبد) (والهلالي) و(القرص) وهو احمر اللون طويل يعد للتصدير، و(المبسلي) و(الخصاب) .. وغيرها كثير . ومن فواكهها العنب والموز والسابحة والحمضيات ، كما تزرع فيها الخضراوات والرقي ويسمونه (جح) والبطيخ والخيار .

رحلة الى جزيرة مصيرة



لعبت هذه الجزيرة الاستراتيجية دوراً مهماً في حياة سلطنة عمان وحياة الامة العربية، كما لعبت دوراً أهم من ذلك في السياسة العالمية وفي الصراع بين الدول العظمى من أجل تأمين خطوط المواصلات العالمية بين الشرق والغرب واقامة القواعد العسكرية حتى انتهى بها الامر الى ان تصبح (قاعدة عسكرية للقوات الجوية البريطانية التي كانت تدفع ايجارا سنويا لحكومة عمان مقداره ستة آلاف جنيه استرليني عندما وقع السلطان السابق عقد الايجار هذا عام ١٩٥٨)(١٥٥).

وبعد ان تم الاتفاق بين سلطنة عمان في عهدها الجديد وبين الحكومة البريطانية على انسحاب قوات سلاح الجو الملكي البريطاني من مصيرة، صدر البيان الرسمي الآتي: (١٥٦)

(بناء على المحادثات التي أجراها حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم مع الحكومة البريطانية خلال زيارة جلالته الاخيرة للمملكة المتحدة، اتفقت حكومتا البلدين على انسحاب سلاح الجو الملكي البريطاني من مصيرة يوم ٣١/مارس ١٩٧٧م، وانسحاب الوحدة المسؤولة عن تسيير مطار صلالة في نفس التاريخ، حيث ستقوم بتسليم مهامها العملية للسلطات العمانية.

ان الاتفاق على انسحاب سلاح الجو الملكي وانتهاء الحقوق الممنوحة له من لدن حضرة صاحب الجلالة السلطان المعظم في جزيرة مصيرة يرجع الى رغبة الحكومة البريطانية في تخفيض التزاماتها العسكرية في الشرق الاقصى وعدم حاجتها بالتالي الى استعمال الجزيرة. وانه اعتبارا من ٣١ مارس ١٩٧٧م ستؤول مسؤولية ادارة المنشآت المتواجدة بالجزيرة الى السلطات العمانية، كما ان هذا الانسحاب لن يؤثر على الطيارين والافراد المعارين لقوات سلطات عمان الجوية والذين ستستمر اعارتهم طالما رغب جلالة السلطان المعظم باستمرار بقائهم. كما انه في الوقت نفسه لن يؤثر على العلاقات العمانية ـ البريطانية الحالية او على اواصر تدعيمها).

•• وبعد فهذا هو البيان الرسمي الصادر بانتهاء وجود قوات سلاح الجو البريطاني في سلطنة عمان وخاصة في مدينة صلالة وفي جزيرة مصيرة. ولقد شاعت انباء بعد

(١٥٥) عمان والخليج ـ قضايا ومناقشات. تأليف عادل رضا. من منشورات دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٩م ص١٠٨

(١٥٦) مجلة (جند عمان) العمانية بعددها المؤرخ في آب (اغسطس) ١٩٧٦م

اعلان هذا البيان الرسمي بان القوات الجوية للولايات المتحدة الامريكية ستحل محل قوات سلاح الجو الملكي البريطاني في جزيرة مصيرة طبقا لنظرية (ملء الفراغ) الامريكية، غير اني لم اشاهد في هذه الجزيرة او في غيرها من البلاد العمانية، التي زرتها اثرا لذلك وانما شاهدت طيارين وفنيين بريطانيين وغيرهم من الهنود والباكستانيين والايرانيين يعملون مع قوات (سلاح الجو السلطاني العماني) بعقود خاصة الى اجل محدود قابلة للتجديد عند اللزوم، وهذا ما اخبرني به بعض المسؤولين وبعض من قابلتهم من هؤلاء البريطانيين الذي يعملون في طائرات النقل والهيليوكوبتر وفي القوات البرية والبحرية العمانية ولعل مما اسعدني، واقولها دون مبالغة، اني شاهدت طيارين من الشباب العماني يقودون الطائرات المقاتلة الحديثة ويعملون في سلاح الجو العماني.

الرحلة :

اقلعت بنا طائرة (سكاي فان) من قوات سلاح الجو السلطاني يقودها ضابط طيار بريطاني في الساعة ١٥ر١١ من صباح يوم الخميس المصادف ١٩٧٧/٧/٧م متجهين نحو جزيرة مصيرة التي تبعد مسافة قدرها (١٨٠) ميلا جويا، اي (٣٢٠) كم عن مطار السيب الدولي وكانت تقل خمسة عشر راكبا من المواطنين العمانيين. وارتفعت بنا الطائرة الى علو بلغ (١١) ألف قدما متجهة نحو الجنوب فوق جبال صخرية جرداء تتخللها الوديان العميقة والتجمعات السكانية الصغيرة المنتشرة في بعض المناطق الخضراء كواحات في صحراء مقفرة جرداء حتى وصلنا جزيرة مصيرة وهي جزيرة رملية جرداء قاحلة الا من بعض النخيل في تجمعات صغيرة متناثرة هنا وهناك يقع في طرفها جبل صغير يفصل بين مطارها وبين بلدة ام الرصاص وقد شاهدنا بوضوح آثار الاعصار المدمر الذي احاق بالمدينة فاحال بيوتها البسيطة الطينية وعششها انقاضا متراكمة بعضها فوق بعض. وقد سألت الطيار عن مساحة هذه الجزيرة فاخبرني (بعد حسابات قام بها على خريطته الجوية) بان طولها يبلغ (٨٥)كم أما معدل عرضها فانه يبلغ (١٥) كم كما تتراوح المسافة بين الساحل العماني والجزيرة من ١٠ ـ ٢٥ ميلا بحسب المناطق التي تسلكها السفن و(اللنشات) للوصول الى هذه الجزيرة، علما بان هذه الجزيرة تظل معزولة عن السلطنة في هذا الموسم (وهو موسم الرياح الموسمية) التي تهب على المنطقة

فيثور البحر مما يتعذر معه الوصول الى الجزيرة الا بواسطة الطائرات.

ونزلنا في مطار الجزيرة فاستقبلني الوالي بترحيب كبير، وقادني الى بيته حيث تناولنا طعام الغداء (القبولي) المعتاد. ولقد اخبرني الوالي ونحن على مائدة الطعام في بيته الحديث المجهز بكل اسباب الراحة بان الاعصار قد اضر ضررا بليغا بالجزيرة فهدم ما يقرب من ٩٥٪ بالمائة من بيوتها التي بني بعضها من الطين وبني معظمها بسعف النخيل والقصب والحصران حيث يبلغ مجموعها حوالي (١٠٢٠) بيتا اما بيوتها الاخرى المبنية بالحجارة فلم يتضرر الا بعض اقسام منها وخاصة (اسيجة) بعض المباني الجديدة كمركز الشرطة وبيت الوالي كما طارت في الهواء عاليا وتهدمت سقوف بعض البنايات والبيوت الي تشغلها قوات سلاح الجو السلطاني والمعنيين بشؤون المطار حيث يوجد مدرجان للطائرات احدهما بطول (٨٢٠٠) قدما وثانيهما بطول (٨٠٠٠) قدما.

ولقد قمنا بجولة استغرقت حوالي ثلاث ساعات بالسيارة (الجيب) التي كان يقودها الوالي شخصيا. فزرنا محطة تحلية المياه التي تنتج يوميا (١٢٠) الف غالون من المياه العذبة توزع بانابيب الى البيوت المبنية بالطابوق والاسمنت والدوائر والمؤسسات الحكومية أما البيوت الاخرى فان دائرة البلدية تزودها بالمياه مجانا بواسطة سيارة حوضية (تانكر) اعدت لهذا الغرض. وعند زيارتنا للمستشفى الجديد الذي لم يفتح رسميا بعد والذي يديره طبيب وطبيبة هنديان يساعدهما حوالي ستة عشر ممرضا وممرضة، والذي يتسع لاربعة وعشرين سريرا حيث زود باجهزة للاشعة وبصيدلية وقاعة للعمليات الجراحية واخرى للتوليد وثالثة للعمليات الصغرى، قابلنا الطبيب المسؤول فاخبرنا بان مهمة المستشفى ليست علاجية فحسب وانما وقائية كذلك حيث تعني بالصحة العامة للمواطنين وقد كان لهذا المستشفى دوره الهام في ايواء المواطنين اثناء الاعصار.

هذا وتوجد في هذه الجزيرة دائرة للبرق والبريد والهاتف المحلي كما توجد فيها دوائر تابعة لمختلف الوزارات المعنية كالشؤون الاجتماعية والبلديات والاراضي والاوقاف والشباب والعدل والتربية والصحة والشرطة السلطانية. كما توجد في الجزيرة محكمة جديدة و(١٤) مسجدا تستخدم لاقامة الشعائر الدينية

ولتعليم القرآن الكريم . أما المدرسة الوحيدة في الجزيرة وهي مدرسة ابتدائية يدرس فيها الاولاد صباحا وتدرس فيها البنات بعد الظهر وفيها (١٦) معلما و (١٤) معلمة بالاضافة الى ناظر وناظرة ، فقد هدمها الاعصار وكانت بنايتها مؤقتة . كما توجد بناية جديدة هي نادي مصيرة الرياضي اسوة ببقية النوادي الموجودة في كل الولايات .

وعند زيارتنا لمركز الشرطة وهو مبنى جديد استقبلنا مديره المسؤول وهو ضابط برتبة ملازم اول سبق له التخرج من كلية الشرطة العراقية ببغداد حيث طفنا في ارجاء هذا المبنى الفخم ثم زرنا بيته الذي يسكنه وهو (فيلا) انيقة جميلة مؤثثة تأثيثا عصريا وملحقة بمبنى المركز.

اقسام الجزيرة وسكانها :

أخبرني الوالي بان الجزيرة تنقسم الى ست مناطق هي :

١ ـ منطقة رأس حلف ٢ ـ منطقة سور مصيرة ٣ ـ منطقة الدوة ٤ ـ منطقة الترابي ٥ ـ منطقة الظاهرية ٦ ـ منطقة مرصيص . وهي مناطق تتكون من تجمعات صغيرة يشتغل سكانها بالصيد وقليل منهم بالزراعة حيث توجد في الجزيرة حوالي (١٥٠٠) نخلة ، أما غالبية السكان فانهم يشتغلون في المطار وفي سلاح الجو السلطاني في الجزيرة التي يبلغ عدد سكانها حوالي اربعة آلاف نسمة يتركز اكثرهم في منطقة الظاهرية حيث المطار والقاعدة العسكرية والمراكز الادارية الحكومية .

أما القبائل فهي : ١ ـ قبيلة الاجنبة ٢ ـ آل وهيبة ٣ ـ آل مسلك ٤ ـ الفوارس ٥ ـ الغيلانيين ٦ ـ العويس ٧ ـ الجعافرة ٨ ـ آل حميد .

هذا وتزخر شطآن هذه الجزيرة بانواع كبيرة من السلاحف والاسماك التي من اشهر انواعها الصافي والكنعد والسهوة والحروش والهامور والجرجور كما يوجد (الروبيان) والكريفيش (اللوبستر) بكثرة وباحجام كبيرة خاصة في مياه خليج الجزيرة الضيق الذي يطلق عليه الاهالي اسم (ترعة مصيرة) حيث تكثر الشعب المرجانية في مياهه الضحلة التي تعيق مسير البواخر الكبيرة ، مما يستحيل معه أنشاء قاعدة بحرية في الجزيرة ذات الاهمية الستراتيجية التي تحتضن في وسطها الغربي جزيرة صغيرة اخرى هي جزيرة (شفا) .

هذا ولقد عنيت الحكومة العمانية عناية خاصة بهذه الجزيرة، الستراتيجية دولياً، بعد الاعصار المدمر، فبادرت بنقل الخيام والاغذية الى سكانها وقدمت لهم كل ما امكن من مساعدات وتسهيلات لاعاشتهم واقامتهم، كما رسمت الخطط لاعادة بناء البيوت وفق تصاميم هندسية واجتماعية مدروسة حيث ستصبح مدينة نموذجية يعيش سكانها بسعادة مصداقا لقوله تعالى (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) حيث ستزهر الحياة في هذه الجزيرة الهامة، خاصة وقد ثبت وجود النفط فيها بكميات تجارية نتيجة للتحريات التي قامت بها احدى الشركات البترولية الامريكية في مساحة شملت (١٣) الف كيلومتر مربع[١٥٧]

---

١٥٧ ـ من تقرير لوزارة الزراعة والاسماك والنفط والمعادن.

[illegible]

[illegible]

في ارجاء هذا المبنى الضخم [illegible]

تأثيراً عصرياً وملحقة ببعض المراكز

أقسام الجزيرة وسكانها

أخبرني الوالي بأن الجزيرة تنقسم إلى ست مناطق هي:

١ ـ منطقة رأس حلف ٢ ـ منطقة سر مصيرة ٣ ـ منطقة الحدوة ٤ ـ منطقة الترابي ٥ ـ منطقة القاهرية ٦ ـ منطقة مرصيص ـ وهي مناطق تتكون من تجمعات صغيرة يشتغل سكانها بالصيد وقليل منهم بالزراعة حيث توجد في الجزيرة حوالي (٥٠٠٠) نخلة. أما غالبية السكان فانهم يشتغلون في المطار وفي سلاح الجو السلطاني في الجزيرة التي يبلغ عدد سكانها حوالي اربعة الاف نسمة يتركز اكثرهم في منطقة القاهرية حيث المطار والقاعدة العسكرية والمراكز الادارية الحكومية.

أما القبائل فهي: ١ ـ قبيلة الاجعبة ٢ ـ آل وهيبة ٣ ـ آل سالك ٤ ـ العوازم ٥ ـ الشلالين ٦ ـ العريمي ٧ ـ الجنائبة ٨ ـ آل حميد.

هذا وتزخر شطآن هذه الجزيرة بأنواع كثيرة من السلاحف والاسماك التي من اشهر انواعها الصبابي والكنعد والسهوة والحروش والهامور والجرجور كما يوجد (الروبيان) والكريفيش (اللوبستر) بكثرة وباحجام كبيرة خاصة في مياه خليج الجزيرة الضيق الذي يطلق عليه الاهالي اسم (مرفأ مصيرة) حيث تكثر الشعب المرجانية في مياهه الضحلة التي تعيق سير البواخر الكبيرة، مما يستحيل معه انشاء ميناء بحرية في الجزيرة ذات الاهمية الستراتيجية التي تحتضن في وسطها الغربي جزيرة صغيرة اخرى هي جزيرة (مقلة)

الخاتمة

وختاما . . . اخي القارىء العربي . . ها اني قد قدمت اليك بكل اخلاص وموضوعية هذه الدراسة التي ارهقتني في اعدادها ومراجعتها وملابساتها عن سلطنة عمان ، حيث تجولت في ارجائها بكل حرية ، وحيث هيأت لي وزارة الاعلام والثقافة مشكورة سبل السفر والترحال واللقاءات مع معظم المسؤولين وعلى رأسهم جلالة السلطان قابوس بن سعيد ، وحيث نقبت في بطون الكتب والمراجع العلمية ما وسعني الجهد والوقت آملاً في اخراج هذا الكتاب الذي ارجوان يزيد في التعريف بهذه البلاد العربية العزيزة التي لم تفتح ابوابها على الحضارة الحديثة والالتحام مع الصف العربي الا بعد مخاض عنيف .

فعساني فعلت . . وعساني ارضيت ضميري وطموحي القومي ، وعساك ترضى . . والكمال لله وحده . . له الحمد اولاً وآخراً . . انه من وراء القصد ، نعم المولى ونعم النصير

د . خالد العزي

حي المستنصرية ـ شارع فلسطين ـ بغداد

مراجع الكتاب

باللغة العربية

١ ـ البو هلال ـ اسماعيل ـ المسألة العمانية ـ بغداد ١٩٦٢
٢ ـ الخليفة ـ الشيخ عبدالله الخليفة وعبد الملك يوسف الحمر ـ البحرين التاريخ ـ الشركة العربية للوكالات والتوزيع ـ البحرين ـ ١٩٧٢
٣ ـ الداود ـ د. محمود علي ـ احاديث عن الخليج العربي ـ بغداد ١٩٦١
٤ ـ الريس ـ رياض نجيب ـ ظفار، قصة الصراع السياسي والعسكري في الخليج العربي ـ منشورات شركة يورتيكو. المملكة المتحدة. لندن ١٩٧٦
٥ ـ السالمي ـ نورالدين عبدالله بن حيدر ـ تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان ـ دار الطليعة ـ الطبعة الخامسة ـ الكويت ١٩٧٤
٦ ـ السعدي ـ د. عباس فاضل ـ ظفار، دراسة في الجغرافية الاقليمية ـ دار الانوار للطباعة والنشر والتوزيع ـ بغداد ١٩٧٦
٧ ـ السيار ـ عائشة ـ دولة اليعاربة ـ دار القدس للنشر ـ بيروت ١٩٧٥
٨ ـ الشرقاوي ـ محمود ـ مشكلات عربية ـ دار القاهرة للطباعة. القاهرة ؟
٩ ـ الشريقي ـ د. ابراهيم ـ اضواء على الخليج العربي ـ مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر . جدة ـ ١٩٦٨
١٠ ـ العزي ـ د. خالد يحيى ـ الخليج العربي، ماضيه وحاضره ـ مطبعة دار الجاحظ ـ بغداد ١٩٧٢
١١ ـ العزي ـ د. خالد يحيى ـ شط العرب في مجرى التاريخ والسياسة والقانون ـ مطبعة الحوادث ـ بغداد ١٩٧٣
١٢ ـ العقاد ـ د. صلاح الدين ـ الاستعمار البريطاني الحديث في الخليج العربي ـ القاهرة ؟
١٣ ـ العقاد ـ د. صلاح الدين ود. جمال زكريا ـ زنجبار ـ القاهرة ١٩٥٩
١٤ ـ النفيسي ـ عبدالله فهد ـ تثمين الصراع في ظفار ـ مطبوعات دار النهار ـ بيروت ١٩٧٥

١٥ - ابراهيم - نجيب ميخائيل - مصر والشرق الادنى القديم - القاهرة ؟
١٦ بحري - د. لؤي يونس - الاطماع الاجنبية في جزيرة ابو موسى - منشورات وزارة الاعلام العراقية - بغداد ١٩٧١
١٧ - بيربي - جان جاك - الخليج العربي - المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر. بيروت ١٩٥٩
١٨ - دي فوسيل - بيير - الحياة في العراق منذ قرن - ترجمة الدكتور اكرم فاضل منشورات وزارة الاعلام والثقافة - بغداد ١٩٦٨
١٩ - رضا - عادل - عمان والخليج - قضايا ومناقشات - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٩.
٢٠ - رفلة - فيليب واحمد سامي مصطفى - جغرافية الوطن العربي - مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٦٢
٢١ - زكريا - د. جمال قاسم - دولة بن سعيد في عمان وشرق افريقيا - القاهرة
٢٢ - زلوم - عبد القادر - عمان والامارات السبع - مكتبة دار الحياة - بيروت ١٩٦٣
٢٣ - سنان - محمود بهجت - تاريخ قطر العام - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٦
٢٤ عبدواني - صادق حسن - دول شرق الجزيرة العربية - القاهرة ١٩٧٣
٢٥ - فاضل - عبد الحق - مغامرات لغوية - دار العلم للملايين بيروت؟
٢٦ - قلعة جي - قدري - الخليج العربي - دار الكاتب العربي - بيروت ١٩٦٥
٢٧ - لاندن - جيرالد - عمان، مسيرا ومصيرا - ترجمة محمد امين عبدالله، القاهرة ١٩٧٠
٢٨ - مؤنس - د. حسين - الشرق الاسلامي في العصر الحديث - القاهرة؟
٢٩ - هولي - دونالد - السفير البريطاني في سلطنة عمان - عمان ونهضتها الحديثة - منشورات دار ستاسي الدولية (باللغة العربية) لندن ؟

مراجع اخرى ذات علاقة

١ - دليل الخليج العربي ج.ج لوريمر - ترجمة المكتب الثقافي لحاكم امارة قطر

٢ ـ الخليج العربي ـ علي غنام، عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، محاضرة القيت في الموسم الثقافي لجامعة الموصل بتاريخ ١٩٧٤/٤/٢٥

٣ ـ عربستان، قطر عربي، من منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ بغداد ١٩٧١

٤ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ من منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة التفيض الاهلية ـ بغداد ١٩٥٢

٥ ـ كفاح عمان ـ مطبعة اسعد ـ بغداد ١٩٦٣

٦ ـ رحلة ابن بطوطة ـ ابن بطوطة

٧ ـ فتوح البلدان ـ البلاذري

٨ ـ ملوك العرب ـ امين الريحاني

[illegible]
[illegible]
وزارة الاعلام العراقية ـ بغداد ١٩٧١

[illegible]
[illegible]

١٨ ـ دي غوري ـ جيرالد ـ الحياة في العراق [illegible]
منشورات وزارة الاعلام والثقافة [illegible]

١٩ ـ رضا ـ عادل ـ عمان والخليج ـ قضايا وحقائق [illegible]
والنشر ـ القاهرة ١٩٦٩

٢٠ ـ [illegible] سامي [illegible]
ـ القاهرة ١٩٦٢

٢١ ـ زكريا ـ د. جمال قاسم ـ دولة بو سعيد في عمان وشرق افريقيا ـ القاهرة

٢٢ ـ الزين ـ عبد الغفار ـ عمان والامارات السبع ـ مكتبة دار الحياة ـ بيروت ١٩٦٣

٢٣ ـ [illegible] محمود بهجت ـ تاريخ قطر الحسام ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦٦

٢٤ ـ [illegible] ـ صادق حسن ـ دول شرق الجزيرة العربية ـ القاهرة ١٩٧٣

٢٥ ـ فاضل ـ عبد الحق ـ مغامرات لغوية ـ دار العلم للملايين بيروت؟

٢٦ ـ قلعجي ـ قدري ـ الخليج العربي ـ دار الكاتب العربي ـ بيروت ١٩٦٥

٢٧ ـ لاندن ـ روبرت جيرالد ـ عمان ، مسيرا ومصيرا ـ ترجمة محمد امين عبدالله ، القاهرة ١٩٧٠

٢٨ ـ مؤنس ـ د. حسين ـ الشرق الاسلامي في العصر الحديث ـ القاهرة؟

٢٩ ـ هولي ـ دونالد ـ السفير البريطاني في سلطنة عمان ـ عمان ونهضتها الحديثة
ـ منشورات دار ستاسي الدولية (باللغة العربية) لندن ؟

مراجع اخرى ذات علاقة

١ ـ دليل الخليج العربي ج. ج لوريمر ـ ترجمة المكتب الثقافي لحاكم امارة قطر

المراجع الاجنبية

1 - Al- Izzi, Khalid - The Shatt Al - Arab Dispute.

Baghdad, 1972. 2nd. ed.

2 - BADGER, Goerge Percy - History of the Imams and Sayyids of Oman.

London , 1879

3 - DENNIS, R. Obock - Muscat, Bouchaire, Bassorah. Paris, 1883.

4 - ELEXANDER, HAMILTON - A New Account of the East Endies. Vol. 1.

London, 1930.

5 - LOCKHART, Laurance - Nadir Shah's Campaign in Oman - 1737 - 1744.

Paris, 1748.

6 - MILES, S.B. - On The Border of the Great a Jurney in Oman.

7 - MILES, S.B. The Countries and Tribes of the Persian Gulf. 2 Vols.

London , 1919.

8 - SEARLE, Pawline - Dawn Over Oman.

Khayat Press, Beirut, 1975.

9 - WILSON, Arnold - The Persian Gulf (an Historical. Scetch from Earliest Times to the Begining of the 20th Century) Oxford University Press.

المؤلف

ولد في مدينة سامراء بالعراق من ابويين عربيين من قبيلة (بني عز) عام ١٩٢٤، وبها اتم دراسته الابتدائية ثم انتقل الى بغداد حيث اتم دراسته الثانوية والعالية وتخرج في كلية الحقوق العراقية عام ١٩٤٩/ ١٩٥٠.

سافر الى الولايات المتحدة الامريكية وجزيرة بورتوريكو بزمالة للامم المتحدة وحصل على دبلوم في الخدمة الاجتماعية عام ١٩٥٢/ ١٩٥٣.

حصل على دبلوم وعلى شهادة الماجستير في القانون من معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة عام ١٩٥٧.

حصل على شهادة من اكاديمية القانون الدولي في لاهاي ـ هولندة عام ١٩٧٠.

حصل على شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة جرونيجن الهولندية الرسمية مع التبادل بـ الجامعات الاجنبية عام ١٩٧١.

عمل في التدريس وفي وزارات الداخلية والشؤون الاجتماعية في العراق من سنة ١٩٤١ ـ ١٩٥٤.

عمل بالامانة العامة لجامعة الدول العربية في الفترة من ١٩٥٤ ـ ١٩٦٤ بعد استقالته من عمله في العراق وانتدب خلالها كأول مدير عام ومؤسس لدائرة العمل والعمال في حكومة قطر حيث اسهم في وضع اول قانون للعمال فيها.

عاد الى العراق في عام ١٩٦٤ معارا من جامعة الدول العربية، بناء على طلب الحكومة العراقية فعمل مديرا عاما للعمل ثم مديرا عاما للدائرة السياسية بمجلس الوزراء العراق فمديرا عاماً للاغاثة الاجتماعية حتى ١٩٦٩/٨/٣ حيث احيل على التقاعد فباشر عمله في مهنة المحاماة وكان قد استقال من عمله بالجامعة العربية قبل ذلك ثم اعيد تعيينه بقرار من مجلس قيادة الثورة وباشر عمله مستشارا بمجلس شورى الدولة منذ ١٩٧٩/٣/١٣.

عمل محاضرا في الدراسات العليا بجامعة بغداد ـ كلية الادارة والاقتصاد) وشارك في ندوات فكرية عديدة داخل العراق وخارجه قدم من خلالها ابحاثا قانونية واجتماعية وهو عضو في جمعيات واتحادات علمية عديدة منها : الجمعية المصرية للقانون الدولي واتحاد الحقوقين العرب وجمعية الكتاب والمؤلفين العراقية ونقابة المحامين العراقية ورابطة ثقافة الاطفال في العراق واتحاد المؤرخين العرب وغيرها.

وهو رحالة واديب وكاتب وشاعر رقيق نشر الكثير من القصائد والمقالات والابحاث في الصحف والمجلات.

(الناشر)

آثار المؤلف المطبوعة

١ ـ نزاع شط العرب ـ رسالة دكتوراه باللغة الانجليزية في القانون الدولي نوقشت وطبعت على نفقة جامعة جرونجن الهولندية الرسمية عام ١٩٧١ .

٢ ـ التأمينات الاجتماعية للعمال في الدول العربية ـ رسالة ماجستير في القانون نوقشت بمعهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة بتايخ ١٩٥٧/١٢/٣١ وطبعت عام ١٩٥٩ بالقاهرة بمعاونة وزارة التربية العراقية وبمقدمة للدكتور محمد حلمي مراد .

٣ ـ الخليج العربى فى ماضيه وحاضره ـ كتاب يبحث شؤون الخليج العربي واماراته . طبع بمساعدة وزارة التربية العراقية في دار الجاحظ للطباعة ببغداد ١٩٧٢ .

٤ ـ نزاع شط العرب في المفاهيم القانونية ـ باللغة الانجليزية ـ اصدار وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٢ (الطبعة الثانية لرسالة الدكتوراه) .

٥ ـ شط العرب في مجرى التاريخ والسياسة والقانون ـ باللغة العربية ـ مطبعة الحوادث ـ بغداد ١٩٧٣ .

٦ ـ مشكلة شط العرب في ظل المعاهدات والقانون ـ باللغة العربية ، وهو ترجمة موجزة لاطروحة الدكتوراه وفيه فصل مضاف عن الحرب العراقية الايرانية ـ من منشورات دار الرشيد بوزارة الثقافة والاعلام ـ طباعة دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٨١ .

٧ ـ نزاع شط العرب ـ دراسة قانونية ـ باللغة الانجليزية (الطبعة الثالثة لرسالة الدكتوراه بعد التعديل) مع الفصل المضاف عن الحرب العراقية الايرانية .

اصدار مركز العالم الثالث للدرسات والنشر بلندن بالتعاون مع دار المأمون للنشر باللغات الاجنبية ـ وزارة الثقافة والاعلام . طبع في ايطاليا عام ١٩٨١ .

٨ ـ مشكلة الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران ـ من منشورات الاتحاد العام لنساء العراق . مطبعة شفيق ـ بغداد ١٩٨٢ .

(اصدر الاتحاد هذا الكتاب مطبوعا بالرونيو باللغتين العربية والانجليزية عام ١٩٨٠).

٩ - الاطماع الفارسية في المنطقة العربية - من منشورات وزارة الثقافة والاعلام - دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨١.

١٠ - اضواء على التطور التاريخي للنزاع العراقي الفارسي حول الحدود - من منشورات وزارة الثقافة والاعلام - دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨١.

١١ - رعاية الاسرة - كتاب من منشورات الامم المتحدة، ترجم عن الانجليزية بتكليف من جامعة الدول العربية بالتعاون مع الاستاذ احمد زكي الامام وتولت الجامعة طبعه ونشره بالقاهرة عام ١٩٥٧.

١٢ - سايلاس مارنر - قصة مترجمة عن الانجليزية طبع بغداد ١٩٥٠.

١٣ - عائلة باريت فى شارع ومبول - مسرحية مترجمة عن الانجليزية تصور حياة الشاعرة الانجليزية اليزابيت براوننغ - بغداد ١٩٥٠. (اعيد طبعها عام ١٩٨٥ **بعنوان الشاعرة العاشقة**

١٤ - لورنا دون (عذراء الوادي) - قصة عن الانجليزية طبع بغداد ١٩٥٠. (اعيد طبعها عام ١٩٨٥ **بعنوان (عذراء الوادي)**

١٥ - ملكة الربيع - قصة للاحداث ساعدت وزارة المعارف العراقية على طبعها ببغداد عام ١٩٤٩. (اعادت دائرة ثقافة الاطفال طبعها عام ١٩٨٥).

وقد نشرت مجلة (المزمار) التي تصدر عن دائرة ثقافة الاطفال في العراق بوزارة الاعلام والثقافة العراقية بحثاً عنها في عددها الصادر في شهر مايس ١٩٨٤ اعتبرت كاتبها اول من اصدر للاطفال في العراق قصة مصورة بالالوان

المؤلفات المنشورة المطبوعة على الرونيو

١ ـ نزاع الحدود البرية العراقية ـ الايرانية ـ من منشورات الاتحاد العام لنساء العراق بغداد ١٩٨٠ باللغة الانجليزية.

٢ ـ الخلاف حول شط العرب من وجهة النظر القانونية ـ من منشورات الاتحاد العام لنساء العراق (بالانجليزية) بغداد ١٩٨٠

٣ ـ اضواء على العلاقات العراقية الايرانية ـ ويضم سلسلة من مقالات نشرها المؤلف في جريدة الجمهورية ببغداد بعد العدوان الايراني على العراق. وفي هذا المجلد (الجزء الثاني) مقالات لكتاب آخرين. من منشورات الاتحاد العام لنساء العراق ـ بغداد ١٩٨١.

٤ ـ مشكلة الاحواز في ضوء القانون الدولي ومبادىء حقوق الانسان ـ من منشورات الاتحاد العام لنساء العراق عام ١٩٨٢ باللغة العربية.

٥ ـ الآثار المباشرة وغير المباشرة لحلقات الدراسات الاجتماعية ـ بحث قدم لحلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة التي عقدتها جامعة الدول العربية ببغداد عام ١٩٥٤ (من منشورات الجامعة العربية).

٦ ـ جامعة الدول العربية ومساهمتها في انشاء المراكز الاجتماعية ـ بحث قدم لحلقة الدراسات الاجتماعية الخامسة بعمان عام ١٩٥٦ (من منشورات الجامعة العربية).

٧ ـ البدو ورعايتهم في العالم العربي ـ بحث قدم لحلقة الدراسات الاجتماعية الخامسة بعمان عام ١٩٥٦ (من منشورات الجامعة العربية).

٨ ـ المجتمعات المحلية في المملكة الاردنية الهاشمية ـ تقرير لبعثة الامانة العامة لجامعة الدول العربية في صيف ١٩٥٥ برئاسة المؤلف. وقد قدم الى حلقة الدراسات الاجتماعية الخامسة لعمان عام ١٩٥٦ (من منشورات الجامعة العربية).

٩ ـ مركز التربية الاساسية في حواره (بالاردن) ـ بحث ميداني قدم الى حلقة الدراسات الاجتماعية بعمان عام ١٩٥٦ وانجز بالتعاون مع الدكتور علي فؤاد خبير

الامم المتحدة في مصر (من منشورات الجامعة العربية).

١٠ ـ الرعاية الاجتماعية لعمال البترول في العراق ـ بحث اعد ونوقش في مؤتمر البترول العربي الخامس بالقاهرة عام ١٩٦٥ حيث شارك المؤلف (وكان مديرا عاما للعمل في العراق) في الوفدالعراقي الى المؤتمر (من منشورات الجامعة العربية).

١١ ـ العراق الحديث ـ كتاب اعلامي اعد بتكليف من جامعة الدول العربية وقامت بنشره على مكاتبها في الخارج عام ١٩٥٥.

١٢ ـ العراق منذ الاحتلال البريطاني حتى اعلان النظام الملكي ـ بحث وثائقي اعده المؤلف بتكليف من الجامعة العربية التي تولت نشره ام ١٩٥٥.

هذا بالاضافة الى مقالات عديدة نشرت في الصحف العراقية.

آثار المؤلف المعدة للطبع

١ ـ الواقع التاريخي والحضاري في سلطنة عمان ـ دراسة ومشاهدات .

٢ ـ قصص مترجمة عن الانجليزية .

٣ ـ زهرة العمر ـ مجاميع شعرية .

٣ ـ سائح في ارض الله ـ من ادب الرحلات .

٤ ـ رحلة العمر ـ ارجوزة شعرية تقع في حوالي (١٥٠٠) بيتا من الشعر وهي (سيرة ذاتية) للشاعر نشر بعضا منها في الصحف العراقية .

٥ ـ ملحمة النصر ـ ارجوزة شعرية تقع في (٥٠٠) بيت من الشعر تسجل مراحل الحقد الفارسي على العرب والحرب الايرانية العراقية منذ العدوان الايراني فى ١٩٨٠/٩/٤ .

٦ ـ الليالي البيض ـ مشاهدات سائح في الاتحاد السوفياتي .

٧ ـ الليالي الزهراء في فنلندة الخضراء ـ مشاهدات سائح .

٨ ـ مشاكل الحدود العراقية ـ الايرانية ـ دراسة قانونية تاريخية شاملة لمشاكل الحدود (باللغة الانجليزية) وتقع في (٦٠٠) صفحة .

٩ ـ قصة الحرب العراقية ـ الايرانية ـ دراسة وثائقية سياسية قانونية وتاريخية موجزة (باللغة الانجلزية) وتقع في حوالي (٣٠٠) صفحة .

١٠ ـ الخليج العربي من وراء المذياع ـ سلسلة احاديث اذاعها المؤلف من اذاعة صوت الجماهير ببغداد عام ٨١ /١٩٨٢ .

١١ ـ التأمينات الاجتماعية ـ سلسلة محاضرات القاها المؤلف على طلبة الدراسات العليا بكلية الادارة والاقتصاد ـ بجامعة بغداد عام ١٩٨٠/ ١٩٨١ .

١٢ ـ شاهد عيان في سلطنة عمان ـ من ادب الرحلات .

ملاحظة :

ان معظم المؤلفات المطبوعة على الرونيو جاهزة للطبع في المطبعة بشكل كتاب ، كما ان للمؤلف كثيرا من المقالات في الصحف والاحاديث في الاذاعة والمحاظرات في الندوات الفكرية داخل العراق وخارجه حول مفهوم القومية العربية والتعريف بالخليج العربي والاطماع الصهيونية والاستعمارية في المنطقة العربية

وكـذلـك التعـريف بالمشاكل العراقية الايرانية حول الحدود وخاصة ما تعلق بالندوة الفكـريـة التي اقـامتهـا جامعة البصرة بالتعاون مع جامعة (اكستر) في انجلترا حول مشكلة شط العـرب حيث القى المؤلف بحثـا باللغـة الانجليـزيـة واستغرقت الندوة ثلاثة ايام في اواخر حزيران ١٩٨٢.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١١٥ لسنة ١٩٨٦

مطبعة الاقتصاد هاتف : ٨٨٧٩٤٣٢